مقالات

العلامة المحقق اللغوي الأديب

السيد أحمد صقر

١٣٣٣ - ١٤١٠هـ
١٩١٥ - ١٩٨٩م

جمع وإعداد
أحمد بن موسى الحازمي





العلامة المحقق اللغوي الأديب

السيد أحمد صقر

١٣٣٣ - ١٤١٠ هـ

١٩١٥ - ١٩٨٩ م

جمع وإعداد

أحمد بن موسى الحازمي



فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحازمي، أحمد موسىٰ

مقالات العلامة المحقق اللغوي الأديب السيد أحمد صقر/

أحمد موسىٰ الحازمي - الرياض، ١٤٣٠ هـ

.. ص؛ .. سم

ردمك: ٠-١٧٩٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- صقر، السيد أحمد. ٢- الأدباء المصريون أ. العنوان

ديوي ٩٢٨,١٦٢ ٩٩/ ١٤٣٠

رقم الإيداع: ٩٩/١٤٣٠

ردمك: ٠ - ١٧٩٨ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولىٰ

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض: ص.ب: ١٠٤٦٤ الرمز البريدي: ١١٤٣٣

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - ناسوخ: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

البريد الإلكتروني: E-mail: dar.attawheed.pub.sa@gmail.com



من أقوال السيد أحمد صقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ

❑ «لَسْتُ مُحَدِّثًا ولا مُفَسِّرًا وَلَا فَقِيهًا، وَلَكِنَّنِي أُخَرِّجُ المُحَدِّثَ وَالمُفَسِّرَ وَالفَقِيهَ».

❑ «وَإِنِّي عَلَىٰ نَهْجِي الذِي انتَهَجْتُ مُنْذُ أَوَّلِ كِتَابٍ نَشَرْتُ، أَدْعُو النُّقَّادَ إِلَىٰ إِظْهَارِي عَلَىٰ أَوْهَامِي فِيهَا، وَتَبْيِينِ مَا دَقَّ عَنْ فَهْمِي مِنْ مَعَانِيهَا، أَوْ نَدَّ عَنْ نَظَرِي مِنْ مَبَانِيهَا، وَفَاءً بِحَقِّ العِلْمِ عَلَيْهِم، وَأَدَاءً لِحَقِّ النَّصِيحَةِ فِيه، لِأَبْلُغَ بِالكِتَابِ فِيمَا يُسْتَأْنَفُ مِنَ الزَّمَانِ، أَمْثَلَ مَا أَسْتَطِيعُ مِنْ الصِّحَّةِ وَالإِتْقَانِ، وَالنَّشْرُ فَنٌّ خَفِيُّ المَسَالِكِ، عَظِيمُ المَزَالِقِ، جَمُّ المَصَاعِبِ، كَثِيرُ المَضَايِقِ، وَشَوَاغِلُ الفِكْرِ فِيهِ مُتَوَاتِرَة، وَمَتَاعِبُ البَالِ وَافِرَة، ومُبْهِظَاتُ العَقْلِ غَامِرَة، وَجُهُودُ الفَرْدِ فِي مِضْمَارِهِ قَاصِرَة، يَؤُودُهَا حِفْظُ الصَّوَابِ فِي سَائِرِ نُصُوصِ الكِتَاب، وَيُعْجِزُهَا ضَبْطُ شَوَارِدِ الأَخْطَاءِ، وَرَجْعُهَا جَمِيعًا إِلَىٰ أَصْلِهَا، فَيَأْتِي النَّاقِدُ وَهُوَ مَوْفُورُ الجِمَام فَيقْصِدُ قَصْدَهَا، وَيَسْهُلُ عَلَيهِ قَنْصُهَا».

❑ «إِنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ قَارِئٍ لِلْكُتُبِ القَدِيمَةِ أَنْ يُعَاوِنَ النَّاشِرَ بِنَشْرِ مَا يَرْتَئِيهِ مِنْ أَخطَاء، وَمَا يَعِنُّ لَهُ مِنْ مُلَاحَظَات، فَبِمِثْلِ هَذَا التَّعَاوُنِ العِلْمِي المَنْشُودِ تَخْلُصُ الكُتُبُ العَرَبِيَّةُ مِنْ شَوَائِبِ التَّحْرِيفِ وَالتَّصْحِيفِ الذِي مُنِيَتْ بِهِ عَلَىٰ أَيْدِي النَّاسِخِينَ قَدِيمًا وَالطَّابِعِينَ حَدِيثًا».

❑ «إِنَّ الجُبْنَ والإِيمَانَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ وَاحِد، كَمَا أَنَّهُ لَا يُشْجَىٰ مِنَ الإِصْحَارِ بَالحِقِّ إِلَّا كُلُّ مَهِيضِ المِرَّة، مُنْحَلِّ العَقِيدَة، جَبَانِ القَلْبِ وَالعَقْلِ وَالضَّمِير».



دليل الكتاب العام



مجلة الثقافة

مجلة الكتاب



مجلة معهد المخطوطات العربية

مجلة المجلة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

فيُعَدُّ العلامة المحقق اللغوي الأديب الراوية المصري الأستاذ / السيد أحمد صقر رحمه الله تعالىٰ- المولود عام (١٣٣٤هـ / ١٩١٥م) والمتوفىٰ بالقاهرة عام (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) - رابع أربعة[1] في مصر؛ هم أعلام تحقيق التراث ونشره في عصرهم، يوم كان التحقيق علمًا ورواية قبل أن يصبح اليوم فنًا وصناعة، الذين دخلوا ميدانه بزاد قوي من علم الأوائل وتجاربهم، ومدفوعين

---

(١) انظر كتاب المدخل لتاريخ نشر التراث للدكتور محمود الطناحي رحمه الله تعالىٰ ص ٩٠، حيث قسم مراحل نشر التراث في مصر خلال المائة عام الماضية إلىٰ أربعة مراحل، وسمىٰ المرحلة الرابعة بمرحلة (الأفذاذ من الرجال) وذكر أولئك الأربعة فقط بعد أن قال: لا أتردد في تسميتهم بأسمائهم!.



بروح عربية إسلامية عازمة، استهدفت إذاعة النصوص الدالة علىٰ عظمة التراث، الكاشفة عن نواحي الجلال والكمال فيه، أولهم: العلامة المحدث أحمد محمد شاكر (١٨٩٢م - ١٩٥٨م) الحائز - بعد وفاته بنصف قرن - علىٰ وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولىٰ المقدم من رئاسة الجمهورية المصرية. وثانيهم: شقيقه العلامة اللغوي الراوية محمود محمد شاكر (١٩٠٩م - ١٩٩٧م)، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والحائز علىٰ جائزة الدولة (مصر) التقديرية في الآداب عام ١٩٨٢م، والحائز أيضًا علىٰ جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٩٨٤م. وثالثهم: العلامة اللغوي عبدالسلام محمد هارون (١٩٠٩م - ١٩٨٩م) الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، والحائز علىٰ جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٩٨١م.

بَيْد أن السيد أحمد صقر من بين هؤلاء لا تكاد تجد له ذكرًا في كتاب، أو شكرًا في خطاب، خلا شذرات من الثناء عليه تجد صداها عند الخاصة من أرباب المحاضرة وأصحاب المذاكرة.

ولعل من أسباب ذلك تلك العزلة التي ضربها علىٰ نفسه عدة سنين، وتلك الصفات التي لازمته من الصرامة والجفوة وحدة الطبع والاعتداد بالنفس، وهي التي كانت طبيعية لرجل يريد أن يثبت لأقرانه الدكاترة أن التفوق والنبوغ بالجد والبحث، وأن الدرجة الجامعية وحدها لا تنفق في سوق العلم، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرىٰ قلة إنتاجه العلمي مقارنة بأولئك، وعدم تكامله، وعدم خوضه مجال التأليف الحر، حيث لم يخلف السيد أحمد صقر - طوال حياته في



التحقيق الذي بدأه وهو في شرخ الشباب[١] - سوىٰ ستة عشر تحقيقًا من ذوات المجلد الواحد، ثلاثة منها بالاشتراك، وخمسة منها ناقصة لم يخرج منها سوىٰ جزء واحد فقط، حتىٰ انتقد بعضهم صنيع الدكتور الطناحي في قرن السيد أحمد صقر بمن تقدم ذكرهم من أعلام تحقيق التراث ونشره، وعدوه ضربًا من المجاملة كفاء ما لقيه السيد أحمد صقر من التجاهل في حياته!.

إلا أن الدكتور محمود الطناحي - برد الله مضجعه - رأىٰ أن علم العالم لا يقاس بكثرة إنتاجه العلمي أو شهرته أو منصبه ورتبته، بل أصحر بقول لا يدفعه دافع، وهو أن السيد أحمد صقر: «من أقدر الناس علىٰ تقديم كتاب، وتقويم نص، وتوثيق نقل، وتخريج شاهد، واستقصاء خبر، ثم إن له من وراء ذلك كله علمًا جامعًا بالمكتبة العربية، وإدراكًا للعلائق بين الكتب»، ومن قبله أستاذهم جميعًا المحدث أحمد شاكر حين قال: «إن له مدىٰ مديدًا في الاطلاع والتقصي، ونفذات صادقة في الدقائق و المعضلات، يندر أن توجد في أنداده، بل في كثير من شيوخه وأستاذيه».

نعم . . إن كل قارئ لآثار السيد أحمد صقر - ناهيك عن رجل لابسه وعرف دخائله مثل الدكتور محمود الطناحي - لا يملك إلا أن يشعر نحوها بالإجلال والإكبار، ولصاحبها بالمودة والتقدير، ولعلمه بالتواضع والخضوع، إذ كان من المحققين القلائل الذين لا يتوارون خلف نصوصهم المحققة، بل يطالعك بشخصه، ويواجهك برأيه من دون تزيد أو إملال، إن في مقدماته الفذة للكتب

(١) حيث إن أول كتاب أجرىٰ فيه قلمه بالشرح والتحقيق هو كتاب شرح ديوان علقمة، وعمره آنذاك عشرون سنة.



التي تولىٰ تحقيقها، التي تبين قيمة الكتاب، وتشرح فكرته، وتكشف حقيقته، والتي امتازت بغزارة المادة، وعمق الفكرة، ودقة الاستنباط، وروعة البيان، وظهرت فيها شخصيته واضحة المعالم، بينة القسمات، والتي تحمل في أطوائها الكثير من الجدة والإبداع، والأفكار والآراء. والتي حوت من خبايا العلوم وكنوز المسائل ما أدهش كل مطلع؛ ناهيك عن أسلوبها الجزل المشرق الرصين. أو في تعليقاته النفيسة التي نتجت عن طول التأمل، وحسن التأتي، أو في مقالاته النقدية المتقنة في المجلات والدوريات لطائفة من كتب الأدب والتراث، التي أبانت عن قدرة فذة في اكتشاف الأوهام والتصحيفات، وموهبة عجيبة في استكناه المعاني المغلقة وحل الألفاظ المستعصية، بل إن بعض تلك المقالات أشبه بإعادة لتحقيق الكتاب المنقود. ومن الطريف أن أول مقالة كتبها - وهو في المرحلة الثانوية - كانت نقدًا لديوان النابغة الشيباني باعتناء الشاعر المطبوع أحمد نسيم، وفي الوقت نفسه كانت كشفًا لفضائح القس لويس شيخو صاحب كتاب (شعراء النصرانية بعد الإسلام)، حين جعل النابغة من شعراء النصرانية، فكتب السيد صقر عشرة مقالات نقدية كانت محل إعجاب مشرفي مجلة الهداية الإسلامية الغراء.

من أجل ذلك كله طحا بي في السيد أحمد صقر همة فتية، وعزمة قوية، كلفتني نشر مقدماته، وجمع مقالاته[١]، وضَمَّهَا بين دفتي كتاب، لتجلي صورة

(١) وقد جعلتها في جزأين: الأول يختص بالمقالات، والثاني بالمقدمات، ومنهجي في الجزأين لا يتعدىٰ إعادة الصف والتنسيق والإخراج، وتصحيح النص ما استطعت إلىٰ ذلك سبيلًا، مع عمل فهارس علمية - وليس لفظية - للآيات والأحاديث والأعلام والكتب، أما العناوين والحواشي فهي من صنع صاحبها، ولم أحاول التعليق إلا في مواضع يسيرة من توضيح مناسبة وما إلىٰ ذلك، تجدها في مواضعها موقعة باسمي، أما من وجد وهمًا في نقل أو زلة في معنىً أو خطأً في رأي؛ =



فذة لرجل بنىٰ مجده الأصيل من ذات نفسه، وشق طريقه الصخري بسن قلمه، لم يعتمد علىٰ منصب، ولم يستند إلىٰ درجة علمية أو وجاهة أسرية؛ بل علىٰ النبوغ الفطري، والتحصيل الدؤوب والعصامية.

وقد صَدَّرت هذا المجموع بترجمة للسيد أحمد صقر، ذكرت فيها اسمه ونشأته وشيوخه ووظائفه وآثاره وصفاته وأخلاقه وتاريخ وفاته، ويعود الفضل في إنشاء هذه الترجمة - بعد الله ﷻ - إلىٰ حضرة الأستاذ الجليل الودود منصور مَهْرَان -متعه الله بالصحة والعافية- حيث كان علىٰ علاقة جيدة بأستاذه السيد أحمد صقر عندما كان طالبًا بكلية اللغة العربية بالأزهر، حيث أضاء لي - شكر الله له - كثيرًا من الجوانب الغامضة في حياة السيد أحمد صقر، وأتحفني بكثير من أخباره ومواقفه الخاصة.

والشكر موصول إلىٰ الدكتور عبدالمحسن العسكر (أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) الذي أشرق علي بطيب معشره، ولطف معاملته، وصدق مشورته، وحسن توجيهه ما ليس لي وفاء ولو بجزء منه، فله مني خالص الدعاء وجزيل الشكر، كما لا يفوتني أن أشكر صاحب الفضيلة الدكتور محمد سعيد محمد حسن بخاري (أستاذ الحديث الشريف بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرىٰ)؛ متعه الله بالصحة والعافية حيث أفادني بكثير من أخبار السيد أحمد صقر أثناء مقامه في مكة للتدريس بجامعة أم القرىٰ.

= فإنما عهدتها عليه - رحمه الله وعفا عنه -، خلا ثلاثة مواضع؛ رأىٰ بعض أهل الفضل ألا نغادرها لعظم خطرها، فتفضل الشيخ عبدالرحمن البراك - أستاذ العقيدة (سابقًا) بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - بالتعليق عليها؛ تجدها في: ص(٧٥)، (٩٠)، (٢٧٩) . والله الموفق.



وبعد: فإني أسأل الله ﷻ أن أكون قد وفقت فيما جمعت ونشرت من مقالات هذا العَلَم المحقق الفذ، والتي بلا ريب سترفع من قدر السيد أحمد صقر رحمه الله تعالىٰ، وستنبه من ذكره ما كان خاملا، لما فيه من بقاء ذكر عالم شنفت مآثره الأسماع، وجمع أشتات علوم حكم الدهر عليها بالضياع، والتي لولا قلة المشير اليها، وندرة المنبه عليها، لما قوي قلبي علىٰ نشرها، لما أعلم من تقاصر همتي، وقلة حصيلتي: في العلوم الشريفة، والمسائل المنيفة.

وأخيرًا: فما أبرأ إليك من العثرة والزلة، وما أستغني منك عن التنبيه والدلالة، فكل بني آدم موصول بالعجز، مقرون بالحاجة، موصوف بالضعف والعجلة، وعلىٰ الله الاعتماد في العفو عن الزلل، والرغبة في غفران المباهاة في القول والعمل، هو ولي النعمة ومانحها، ومرسل الرحمة وفاتحها، بيده الخير، وهو علىٰ كل شيء قدير.

وَكَتَبَهُ العبد الفَقِيرُ إِلَىٰ عَفْوِ رَبِّهِ

أَحْمدُ بنُ مُوسَىٰ الحَازِمِي

الرياض ١٤٢٩هـ

ahmad.alhazmi1@gmail.com



ترجمة العلامة المحقق اللغوي الأديب السيد أحمد صقر رحمه الله تعالى

١٣٣٤ - ١٤١٠هـ

١٩١٥ - ١٩٨٩ مـ

اسمه ومولده:

هو الأستاذ/ سيد بن أحمد بن محمد بن صقر؛ وكانَ - رحمه الله تعالىٰ - يكتبُ اسمَه (السيد أحمد صقر)، فيظنُّ من لا يعرفُه أنَّه (أحمد) و أن (السيد) لقب له، وليس كذلك بل هو (سيد) واسم أبيه (أحمد)، وبعضهم يظن أن اسمه مركبٌ (السيد أحمد)، والصواب ما أثبتناه أولًا، وعلىٰ هذا الوهم الشائع يعلق الدكتور محمود الطناحي رحمه الله بظرفه المعهود: «ولم يبعد عن الصواب من ظن هذا، فهو (سيد) اسمًا وصفةً»[1].

ولدَ السيد أحمد في عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م، في قريةِ (صِفْط تراب) إحدىٰ قرىٰ الريف المصري، والتي تقع علىٰ بعد نحو ٢١ كيلو متر من طنطا عاصمة محافظة الغربية، وهي القرية نفسها التي ولد بها العالم المصري المشهور الدكتور يوسف القرضاوي، وقد نظم القرضاوي فيها شعرًا يخاطب فيه الصحابي الجليل عبدالله بن الحارث الزبيدي، الذي ظل في هذه القرية بعد الفتح الإسلامي وتزوج بها

(١) المدخل لتاريخ نشر التراث ص ٩٩ .



وأنجب، حتىٰ وافاه أجله بها سنة ٨٦هـ، ومما قال فيها مخاطبًا الصحابي الجليل:

وَأَسْلَمَ أَهْلُ صِفْط عَلَىٰ يَدَيْكُم ... وَدَانُوكُم بِصِهْرٍ وَاقْتِرَابِ

وَعِشْتَ بِهَا، وَمُتَّ بِهَا، هَنِيئًا ... لَها بِكَ مِنْ جِوَارٍ مُستَطَابِ

وَحُقَّ لِصِفْطِنَا بِكَ أَنْ تُسَمَّىٰ ... بِصِفْطِ التِّبْرِ لَا صِفْطَ التُّرَابِ[1]

نشأته وشيوخه:

انتقل السيد أحمد صقر مع أسرته في مقتبل عمره إلىٰ القاهرة، حيث كان أبوه الشيخ أحمد محمد صقر مدرسًا بكلية أصول الدين بالأزهر، فنشأ السيد أحمد صقر في بيت كريم من بيوت العلم، علىٰ عفّة وصيانة، مرضي الحال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفا بالنبل والفهم والحذق، طالبًا للعلم، حريصًا عليه، مجتهدًا فيه، فاختلف إلىٰ حلقات الأزهر الشريف وعمره خمس سنوات، وكانت في ذلك الوقت متاحة لكل راغب في العلم وطالب للمعرفة، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وأكمل حفظ القرآن وله تسع سنين، ثم التحق بمعهد القاهرة الديني التابع للأزهر، وحصل منه علىٰ الشهادة الابتدائية ثم الثانوية عام ١٩٣٧م، ثم واصل طريقه في الجامعة الأزهرية ودخل كلية اللغة العربية، فتخرج فيها عام ١٩٤٤ م، وكانت مناهج الدراسة في ذلك الزمان مما يغذي الملكات وينمي المواهب، مع صفوة من العلماء المدرسين المبرزين الموسوعيين في النحو والصرف واللغة والأدب والتاريخ، وممن اتصل بهم وصحبهم واقتبس من مشكاتهم، و تخرج علىٰ يديهم:

١- والده الشيخ أحمد صقر: المدرس بكلية أصول الدين بالأزهر، وكان من

---

(١) انظر مذكرات يوسف القرضاوي: (ابن القرية والكُتَّاب) ص ١٥، ص ١٩ .



فضلاء علماء الأزهر، وكان ﷺ مع مجموعة من علماء الأزهر يترددون علىٰ مدارس تحفيظ القرآن ويتعهدونها حسبة وزلفىٰ إلىٰ الله»[١]، «وكان يخطب الجمعة في جامع قريته صفط تراب إذا زارها في بعض الأحيان، إذ يعتبر من علمائها المرموقين، وربما خلفه بعض المرات ابنه السيد أحمد صقر حين أصبح يافعًا»[٢].

وقد كتب السيد صقر علىٰ طرة كتاب (شرح ديوان علقمة) - باكورة أعماله حين كان في شرخ الصبا وميعة الشباب -: «أتوج هذا الكتيب برفعه إلىٰ الوالد العزيز حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد محمد صقر المدرس بالمعهد الأزهري»[٣].

٢- العلامة سيد بن علي المرصفي (ت ١٩٣١م): صاحب كتاب رغبة الآمل شرح الكامل للمُبَرَّد، شيخ أعلام النهضة الثقافية بمصر، والذي تخرج علىٰ يديه كثير من القيادات الفكرية والأدبية: أمثال مصطفىٰ المنفلوطي، وأحمد الزيات، وطه حسين، وزكي مبارك، ومصطفىٰ الرافعي، ومحمد محيي الدين عبدالحميد، و عباس العقاد، وأحمد شاكر، وأخوه محمود شاكر، وقد كان هذا الأخير يوصي السيد أحمد صقر بملازمة العلامة المرصفي والقراءة عليه، ولكن صغر سن السيد أحمد صقر آنذاك، وشيخوخة العلامة المرصفي، لم يمكنا السيد أحمد صقر من الاستفادة الحقيقية من العلامة المرصفي، إلا أن هذا لم يقف حائلًا دون الحضور عنده واستماع بعض توجيهاته، وكان السيد أحمد صقر يقول: «إن العلامة المرصفي هو الذي أشار إليه بالتوجه إلىٰ تحقيق النصوص وتخريج الآثار لما رأىٰ فيه من الذكاء اللماح والبصر النافذ»[٤].

---

(١) المدخل لتاريخ نشر التراث ص ١٠٠ .

(٢) انظر مذكرات يوسف القرضاوي: (ابن القرية والكُتَّاب) ص٢٧ .

(٣) مقدمة شرح ديوان علقمة الفحل.

(٤) أفادني بذلك حضرة الأستاذ الجليل منصور مهران متعه الله بالصحة والعافية، وهو من تلاميذ السيد أحمد صقر.



٣- العلامة محمد الخضر حسين (ت ١٩٥٨م): وكان السيد أحمد صقر قد أطلعه علىٰ شرحه لديوان علقمة، فكتب العلامة محمد الخضر حسين في مجلة الهداية الإسلامية -التي يرأس تحريرها- تقريظًا وثناءً علىٰ شرح السيد أحمد صقر، قال فيه: «عني حضرة الشاب الأديب الفاضل الشيخ السيد أحمد صقر بالبحث عن شعر علقمة الفحل، فجمعه في ديوان، وتناوله بشرح موجز نفيس، وصدره بمقدمة في تاريخ حياة ذلك الشاعر وآراء الأدباء في شعره، وقد اطلعنا عليه فرأيناه شاهد صدق علىٰ ألمعية المؤلف وحسن بيانه، فنشكر حضرته علىٰ الجمع والتحرير والطبع، ونحث أهل العلم علىٰ اقتناء هذا الكتاب العامر بالفوائد اللغوية و الأدبية»[1].

وقد كان السيد أحمد صقر يزوره ويستفيد منه ومن مكتبته العامرة، يقول السيد أحمد صقر: «وقد أخبرني فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو مجمع اللغة الملكي أن جزءًا كبيرًا من ديوان بشار موجود في تونس عند صديقه الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي، وأطلعني علىٰ الخطاب الذي ورد إليه حديثًا من صديقه يخبره فيه بوجود الديوان عنده»[2].

٤- المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر (ت ١٩٥٨م): يقول السيد أحمد صقر في مقدم تحقيق تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: «وقد اعتمدت في نشر هذا الكتاب، علىٰ صورة شمسية كانت في حيازة أستاذي الكريم، الشيخ أحمد محمد شاكر؛ تغمده الله برضوانه، وأذاقه من رحمته كفاء ما جاهد في سبيل الإسلام والمسلمين، وما قدم من معونة صادقة لتلاميذه المخلصين»، ويقول العلامة أحمد شاكر في بعض ما كتب: «والأستاذ الأديب السيد أحمد صقر مني بمنزلة الأخ

(١) مجلة الهداية الإسلامية، المجلد السابع، عدد رجب سنة ١٣٥٥هـ، ص ٢١٤.

(٢) مجلة الرسالة، السنة الرابعة، عدد ١٤٨، ص ٧٥٤.



الأصغر، نشأ معي، و عرفته وعرفني، وتأدبنا بأدب واحد في العلم والبحث وفي فقه المسائل و الحرص علىٰ التقصي ما استطعنا، وإن له مدىٰ مديدًا في الاطلاع والتقصي، ونفذات صادقة في الدقائق و المعضلات، يندر أن توجد في أنداده، بل في كثير من شيوخه و أستاذيه، وهو أنفذ بصرًا مني في الشعر و ما إليه»[١].

٥- الشيخ محمَّد محيي الدِّين عبدالحميد (ت ١٩٧٣م): عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وعضو مجمع اللغة العربية، ورئيس (لجنة إحياء أمهات كتب السنة) بالمجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية التي كان السيد أحمد صقر عضوًا فيها، يقول الشيخ محيي الدين في تصديره لكتاب معرفة السنن والآثار للبيهقي بتحقيق السيد أحمد صقر: «وقد قام الأستاذ السيد أحمد صقر بتحقيق هذا الكتاب تحقيقا علميا بارعا وعلق عليه وخرج أحاديثه تخريجا دل علىٰ مهارة ونبوغ في هذه البَابَة، والأستاذ معروف لكل أعضاء لجنة: (إحياء أمهات كتب السنة) معرفة زمالة وخبرة، وكلهم والحمد لله من أبنائي البررة في طلب العلم، فوق أنه مشهور في أنحاء العالم العربي بالتفوق في تحقيقه، فما من حاجة بنا إلىٰ الحديث عنه، والله تعالىٰ نسأل أن يجزيه خيرًا، وأن ينفع بهذا العمل، إنه سبحانه سميع الدعاء»[٢].

٦- الدكتور زكي مبارك (ت ١٩٥٢م): وقد كان السيد أحمد صقر معجبًا بأدبه وبأسلوبه - دون آرائه وسلوكياته -، وكان يوصي بقراءة كتبه ويقول: «يكفيه أنه الدكاترة»، ويقول السيد أحمد صقر في مقدمة شرح ديوان علقمة: «والآن نمسك بالقلم عن استرساله في التعريف بالشاعر وشعره. إذ كفانا ذلك فخر الشباب

---

(١) انظر مقال (تعقيب علىٰ نقد ودرس للمنقود قبل الناقد) مجلة الكتاب، المجلد العاشر، عدد إبريل سنة ١٩٥١م.

(٢) انظر طبعة المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية لكتاب معرفة السنن والآثار للبيهقي بتحقيق السيد أحمد صقر، وتصدير محيي الدين عبدالحميد.



العصامي الناهض الأستاذ النابغة الدكتور زكي مبارك فقد تفضل - حفظه الله - بكتابة بحث قيم، وفصل ضاف ممتع، حلينا به صدر الكتاب»[١].

ومما قاله الدكتور زكي مبارك في تقديمه: «لقد طربتُ حين زارني الأديب السيد أحمد صقر وطلب مني أن أكتب مقدمة لهذا الديوان، لأن شارح هذا الديوان طالب بالقسم الثانوي ولَمَّا يبلغ العشرين، والعشرون ليست بالسن القليل، أو القليلة إن شئتم، لكنها في حي الأزهر أقل من القليل! ولأن في مقدور هذا الشاب أن يكون أديبا، إن جرىٰ علىٰ الفطرة، وأطاع الطبع، وفهم أن الأدب بحر عجاج وأن لا سبيل إلىٰ الفوز إلا بالجد الموصول...».

إلا أن هذه الصلة العلمية لم تمنع السيد أحمد صقر من الرد علىٰ الدكتور زكي مبارك في بعض ما ذهب إليه من آراء لم يسلك فيها الطريق السوي في البحث والتقصي[٢]. ومثله الدكتور أحمد أمين (ت ١٩٥٤م) فقد كان السيد أحمد صقر معجبًا به في أول أمره متصلًا به، واشتركا في تحقيق كتابين من كتب التراث، بل كانت للسيد صقر اليد اليمنىٰ في الإشراف علىٰ مجلة الثقافة التي كان يرأسها أحمد أمين، إلا أن أحمد أمين لم يحافظ علىٰ هذا الود بعادات غريبة كان يواجه بها بعض أعيان عصره مثل الإغارة علىٰ جهودهم العلمية، حتىٰ نفض السيد أحمد صقر يده من إتمام بعض المشاريع العلمية معه.

٧- الأديب عباس محمود العقاد (ت ١٩٦٤م): أحد أصدقاء السيد أحمد صقر الكبار وقد كان بينهما ود وإعجاب كبيرين، يقول الدكتور حامد طاهر - أحد

---

(١) مقدمة شرح ديوان علقمة، ص ٨.

(٢) انظر علىٰ سبيل المثال: مقدمة تحقيق (مناقب الشافعي) للبيهقي ص ٣١ طبعة دار التراث، ومقال (علىٰ هامش النثر الفني) المنشور بمجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٦م، الجزء الرابع والعشرون، ص٤٣٦ .



تلامذة السيد أحمد صقر في المرحلة الثانوية في عام ١٩٦١م -: «وذات يوم، اقترح علينا السيد صقر أن نقوم بزيارة منزل العقاد، وأوصانا أن نكتب له قصائد تحية، وبالفعل كتب كل واحد منا قصيدة، وذهبنا إلىٰ ندوة العقاد بمصر الجديدة، وهناك قدمنا أنفسنا للعقاد، وألقينا قصائدنا أمامه، وسعد الرجل بها كثيرًا، ونهض فصافح كلًا منا، وفىٰ نهاية الندوة قال لنا العقاد: احتفظوا جيدًا يا أولاد بأستاذكم هذا فإنه رجل مجهول القدر فىٰ هذا البلد»(١).

٨- العلامة محمود شاكر (ت١٩٩٧م): شيخ العربية أو الأستاذ الراوية كما يسميه السيد أحمد صقر، وقد كان يكبر السيد أحمد صقر بست سنين، إلا أن هذا الفارق في السن لم يمنع كلًا منهما أن يفيد من الآخر في البحث والمذاكرة والعلم والأدب، فقد كانا يتسابقان في قراءة الدواوين الشعرية واقتنائها وربما سبق محمود شاكر أخاه السيد أحمد لا لشيء إلا لضيق يد السيد أحمد صقر عن اقتناء الكتب وتحصيلها فكان يذهب إلىٰ مكتبة أستاذه وشقيق منافسه الشيخ أحمد شاكر فيقرأ عنده ما تيسر له(٢). ويقول السيد أحمد صقر في بعض ما كتب: «ولما كنت لا أعرف أن لأجزاء ما جاء في القُرْط أسماء خاصة بها، فقد سألت صديقي الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر، فقال: ....»(٣)، وقال في موضع آخر حول كلمة محرفة لم يدرك وجه تصويبها: «... ويرىٰ صديقي الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر أن صوابها...»(٤)، وقال السيد أحمد صقر في موضع ثالث يعلق فيه علىٰ أحد المعقبين اللغويين: «هذا وإني أنصح الأستاذ المعقب بنصيحة خالصة نصحني

---

(١) انظر مقدمة ديوان حامد طاهر، طبع مكتبة الزهراء، القاهرة (١٩٨٦م)، ص٢٤ -٢٥ .

(٢) أفادني بذلك الأستاذ منصور مهران حفظه الله تعالىٰ.

(٣) انظر مقال (نظرات في كتاب الأشربة)، مجلة الرسالة، السنة السابعة عشرة، ص ١٠١٧ .

(٤) انظر مقال (نظرات في كتاب الأشربة)، مجلة الرسالة، السنة السابعة عشرة، ص ١٠٧٦ .



بها منذ أكثر من عشرة أعوام صديقي الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر ونحن نقرأ حماسة ابن الشجري، قال لي عندما قرأت قول باعث اليَشْكُرِي (وَكَتِيبَةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَوَاسِلٍ): وهذه كلمة - يعني: (بواسل) - أغفلتها المعاجم فيما أغفلت من أوابد اللغة وشواردها، ومن ثم أنصح لك ألا تقطع برأي فيما لا تجده في المعاجم إلا بعد تثبيت، فإن كثيرًا من ألفاظ اللغة موجود في الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي ولم يقيده الرواة في معاجم اللغة، واقتصروا أيضًا في شرح بعض الكلمات علىٰ ما ورد في أبيات بعينها مما رووه، وفيما لم يرووه ولم يشرحوه كثير مما ينبغي أن يشرح مرة ثانية بدلالة هذا الشعر. هذه نصيحة صديقي الأستاذ محمود محمد شاكر، وهي نصيحة قيمة تعصم من اتبع هداها من التردي في مهاوي العثرات»[١].

ولما خرج كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام بتحقيق محمود شاكر، كان أول من انتقده السيد أحمد صقر، وفي هذا يقول محمود شاكر في مقدمة الطبعة الثانية للكتاب: «وقد نقد هذه الطبعة جماعة من أهل العلم والفضل، أولهم صديقي وأخي وعشيري الأستاذ السيد أحمد صقر . . . وقد انتفعت بما أرشدني إليه. . .»[٢]. ومما قاله السيد صقر في نقده: «كان لظهور هذا الكتاب النفيس رنة فرح عظيمة في نفسي أشاعت فيها الغبطة والبهجة، ومرد ذلك إلىٰ الود الخالص الذي أكنه للكتاب ومؤلفه وشارحه جميعًا. أما ابن سلام فإني أعتقد فيه رجاحة العقل، ورهافة الذوق، وأشعر نحوه بشعور يفيض إجلالًا وإعظامًا. وأما شارح

---

(١) انظر مقال: (تعقيب علىٰ كلمة بواسل)، مجلة الرسالة، عدد ٨٤٥، ص ١٣٥٩ .

(٢) انظر: (برنامج طبقات فحول الشعراء) ص ١٢٧ و ص ١٣٣، ومقدمة التحقيق ص ٧١، بتصرف يسير، وانظر كذلك رد الأستاذ محمود شاكر علىٰ نقد السيد أحمد صقر في مجلة الكتاب، المجلد الثاني عشر، سنة ١٩٥٣م، ص٥١٣ .



الكتاب وهو الأستاذ محمود محمد شاكر فإني أعرفه راوية غزير المادة، قوي الذاكرة، وناقدًا ثاقب الفكر، ألمعي النظر، بصيرًا بأسرار اللغة ووقائعها، خبيرًا بعلوم العرب ومعارفها، ومنازعها في بيانها وتبيينها، وسننها في منظومها ومنثورها، وهو إلىٰ ذلك كاتب قدير، تلمح فيما تدبجه يراعته أصالة الرأي، وصدق الحس، ووضوح الفكرة، ونصاعة الحجة، وقوة التصوير، وفحولة التعبير، وشعره كذلك شعر رائع تلمس فيه فورة الشعور، وثورة العاطفة، وذكاء القلب، واشتغال الفكر، والتمرس البصير بأشعار الفصحاء من القدماء. وإن شرحه هذا لشرح دقيق جليل، لا تكاد تمضي فيه حتىٰ تحس أنك أمام رائد أدبي ممتاز، يرتاد بك منازل الكتاب، مفسرًا لما غمض من ألفاظه، موضحًا لما انبهم من معانيه، في غير إسراف ولا إسفاف، كما يصنع بعض الناشرين لأنه يقدر وقتك ولحظك حق قدرهما، فلا يعوج بك إلا ريثما يطرفك بفائدة لغوية، أو نكتة أدبية تجلي لك أسرار نص، أو تقفك علىٰ مفاتن شعر، أو تبصرك بمداحض زلل زلق فيها بعض الأولين، فإذا ما استغلق عليه أمر آذنك به في بسالة متواضعة، ثم مضىٰ بك كاشفًا موضحًا، وهاديًا ممهدًا، ومضيت معه مبتهج النفس، وادع الفكر، منشرح الصدر حتىٰ تفرغ من الكتاب مبهورًا محبورًا...»(١).

طلبه للعلم وشغفه بالمعرفة:

أخذ السيد صقر نفسه بالجد في طلب العلم، يبتغي إليه الوسيلة بالقوة في العلم والأدب، فأفرغ له باله، وأخلص له فكره، وكان له من توقد ذكائه، والتهاب خاطره، وسرعة حفظه، وشغفه بالمعرفة ما مكن له من ناصية التفوق، وذلّل له من شماس النبوغ، فتوجه في أول أمره إلىٰ تحصيل علوم الأدب واللغة، فانقطع

---

(١) مجلة الكتاب، المجلد الثاني عشر، سنة ١٩٥٣، ص ٣٧٩ .



لطلبها، وقصر عليها نفسه، ووقف عليها جهده، وأنفق أوقاته في طلبها، واستنزف أيامه في معاناتها، حتىٰ مهر فيها وأتقنها وأحكمها، وبلغ منها موضعا جليلا، يرمىٰ بالأبصار ويشار إليه بالبنان وعُد أديبًا من الطراز الأول، ثم اتجه بعد ذلك إلىٰ علوم الشريعة - خاصة بعد أن خلت الساحة بوفاة الشيخ المحدث أحمد شاكر - فتضلع منها وتبحر فيها وتعمق، واستقصىٰ أطرافها وأحاط بأصولها وفروعها، واقتنىٰ نوادر مخطوطاتها، حتىٰ نفذ إلىٰ أسرارها، وأحاط بقضاياها.

وظائفه وأعماله:

عمل بعد تخرجه مدرسًا للأدب العربي بمدارس التربية والتعليم التابعة للأزهر، وانتدب في وقت من الأوقات لإحدىٰ المدارس الأجنبية بالقاهرة كمدرسة اللِّيسِيه الفرنسية.

وبعد أن ذاعت شهرته في تحقيق التراث عين مدرسًا بكلية أصول الدين بالأزهر وأشرف علىٰ بعض الرسائل في الدراسات العليا هناك.

وقد عُيِّن خبيرًا بوزارة الثقافة والإعلام، واختير أيضًا عضوا في بعض اللجان العلمية كلجنة إحياء التراث بوزارة الثقافة، ولجنة إحياء التراث بمؤسسة الأهرام، ولجنة إحياء أمهات كتب السنة بالمجلس الأعلىٰ بالشئون الإسلامية برئاسة فضيلة العلامة محمد محيي الدين عبدالحميد.

وفي حدود عام ١٩٥٧م وجهت له دعوة من وزير المعارف بالكويت الأستاذ عبدالعزيز حسين، وقد كان هذا الوزير متخرجًا في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ولما عرف وسمع عن علم السيد أحمد صقر، قام بترشيحه للتدريس هناك، ولم يستمر هناك سوىٰ ثلاث سنوات عاد بعدها إلىٰ مصر، ولما عاد إلىٰ مصر جعلوه مدرسًا للمرحلة الابتدائية، وهي مرحلة لا تليق برجل في مثل حجم



وجلالة السيد أحمد صقر، لكنه ابتلي بكثير من الناس الذين يترصدونه، ويأخذون بمَخْنِقِهِ حسدًا وبغيًا وعدوانا، وما نقموا منه إلا أنه حصل ما لم يحصل غيره، وفقه ما لم يفقهه سواه، وحين كلت خطاهم عن اللحاق به ضيقوا عليه، فساهم مساهمة متأخرة في ترقية السيد أحمد صقر فجعله أمينًا عامًا مساعدًا لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٩٦٧م تقريبًا، حتىٰ تولىٰ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

ثم اختير بعد ذلك مع كوكبة من العلماء المصريين للتدريس في السعودية بكلية الشريعة بمكة المكرمة (جامعة أم القرىٰ لاحقًا)، واستمر بها لمدة عشر سنوات تقريبًا. وقد عومل هناك وظيفيًا تحت بند (كفاءات نادرة)، وهو بند يعتمد في التقويم علىٰ الشهرة والمكانة في العلم وليس علىٰ الشهادة. وقد كان للسيد أحمد صقر -رحمه الله تعالىٰ- جهودٌ كبيرةٌ في الدراسات العليا هناك وأشرف علىٰ طائفة من رسائل الماجستير والدكتوراه.

السيد أحمد صقر مدرسًا:

اشتغل السيد أحمد صقر بالتدريس شطرًا كبيرًا مِن حياته، بل وفي جميع المراحل الابتدائية والثانوية والجامعية، وقد كان من المدرسين الذين: «لا يكتفون بنشر علومهم بين طلابهم، وإنما يعنون بتخريجهم، وتقويم أَوَدِهِمْ، وتعهد مواهبهم بالرعاية والعناية، حتىٰ تستحصد وتستغلظ وتستوي قائمة علىٰ أصولها في غدها المرتقب المأمول حتىٰ تتابع أجيال العلماء قوية مقتدرة علىٰ حمل أمانة التبليغ الذي أمر به رسول الله ﷺ، ويظل العلم قويا فتيا، متصل الحلقات، متدارك الموجات، فتحيا به الأمة، وتكون بحق كما أرادها الله: خير أمة أخرجت للناس، بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، وجمعها بين الإيمان الصريح، والعلم الصحيح».



وقد كان أسلوبه في التدريس قائمًا علىٰ الجد والصرامة والإتقان، يقول الدكتور حامد طاهر في مقدمة ديوانه: «وفي سنة ١٩٦١م ، دخل فصلنا أستاذ جديد لتدريس مادة الأدب العربي، وهو السيد أحمد صقر، المحقق الكبير، وفوجئت بأنه لا يرتدي الزي الأزهري المعهود، وقد كان مغضوبًا عليه من الأزهريين فعاقبوه بالتدريس في المرحلة الابتدائية، ثم شمله العفو قليلًا فانتقل إلىٰ المرحلة الثانوية! أحدث هذا الرجل انقلابًا هامًا في حياتي، فقد طرح علىٰ الطلاب سؤالًا مثيرًا: ماذا قرأ كل منكم في الإجازة الصيفية؟ وتعددت الإجابات المضحكة: كنت ألعب الطاولة مع زملائي بالقرية. . . ، كنت أساعد أبي في الحقل. . . ، فثار ثورة عارمة علىٰ كل من أجابوا، واصفًا إياهم بأنهم: ﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ ثم راح يشرح لهم أن الثقافة العامة شيء، والمقررات الدراسية شيء آخر تمامًا. . . وباختصار كان هذا الرجل هو الثورة التي حدثت أمامي داخل الأزهر، وهو الذي شجعني علىٰ كتابة الشعر»[1].

ويقول الدكتور محمد حسن بخاري: «وقد أكرمني الله بأستاذ صبرت علىٰ قسوته الشديدة فأضحت مرحمة لي من حيث أدري ولا أدري، فلازمته ملازمة طويلة، وقد تدرج بي لاقتحام أمهات الكتب والمراجع ودربني وأرشدني، وأحيانًا كان يجبرني علىٰ بعض الاقتناصات من طريقته ومنهجه بتركيز فكري علىٰ عمل من أعماله، فعلمني وتعلمت منه»[2].

ولم يكن السيد أحمد صقر من المدرسين الذين يكثرون الثرثرة العلمية والعموميات التي لا يعود منها الطالب بشيء، بل كان يأخذ طلابه إلىٰ المكتبات العامة، وربما استضافهم في بيته ليريهم نفائس الكتب والمخطوطات التي اقتناها،

---

(١) انظر مقدمة ديوان حامد طاهر، طبع مكتبة الزهراء، القاهرة (١٩٨٦م)، ص١٧ .

(٢) مقدمة تحقيق كتاب الدعاء للطبراني؛ حققه: الدكتور محمد حسن محمد سعيد بخاري، ص٦ .



بل وصل به الحال إلىٰ أخذ طلابه في زيارات ميدانية إلىٰ منازل الأدباء والعلماء الكبار في ندواتهم المعروفة، يقول الدكتور أحمد معبد في حوار أجري معه: «... بداية الاهتمام بالمخطوطات ترجع إلىٰ المرحلة الثانوية، وأستاذنا الشيخ سيد صقر - عليه رحمة الله - مدرس المطالعة والبلاغة في المرحلة الثانوية كان لديه اهتمام بالمخطوطات، وكان يصطحب معه في الدرس بعض هذه المخطوطات التي أذكر منها الآن شرح الخطابي لصحيح البخاري، فحببني فيها، ونبهني إلىٰ أماكنها في مصر...»[١].

ويقول الدكتور حامد طاهر: «وقد دعاني الأستاذ السيد صقر إلىٰ منزله بشارع محمد علي حيث أطلعني علىٰ حجرة مكتبه التي تمتلئ بأندر المخطوطات، والمطبوعات النفيسة، وهناك حدثني عن أنه يمتلك طبعة دار الكتب أو طبعة بولاق من كتاب كذا وكذا، فعلمت أن الكتب مستويات، كما كلفني بنسخ عدد غير قليل من المخطوطات القديمة، حتىٰ تمرست بحل مشكلات خطوطها الصعبة، ومازلت أذكر أنني نسخت له كتاب (الإلماع) للقاضي عياض، وهو مكتوب بخط مغربي خالٍ من النقط، وفي وضع مهترئ للغاية، ومن مكتبته استعرت بعض أمهات التراث العربي: البيان والتبيين للجاحظ، وزهر الآداب للحصري، والعقد الفريد لابن عبدربه، وغيرها. وعلىٰ يديه تعلمت فن التحقيق، ومقابلة النسخ، وتمييز الخطوط، وتخريج الأحاديث، والأبيات الشعرية النادرة»[٢].

ويقول الدكتور عامر حسن صبري: «كان السيد أحمد صقر لا يعطيك شيئًا من علمه إلا بعد أن تصبر عليه أولًا، ثم تتحدث معه في قضايا علمية معينة ليست تقليدية ثم بعد ذلك يفيدك بما فتح الله عليه، ولقد كان أستاذا لنا في الدراسات

---

(١) مجلة البيان (لندن)، عدد ١٩٠، سنة ١٤٢٤هـ.

(٢) انظر مقدمة ديوان حامد طاهر، طبع مكتبة الزهراء، القاهرة (١٩٨٦م)، ص٢٧ .



العليا بمكة في مادة (قاعة بحث) وكانت المحاضرات تتم في المكتبة، وكانت طريقته أن نقرأ في مصادر مختلفة في الأدب واللغة والحديث والتفسير وغير ذلك، ثم يشرح باختصار طريقة المؤلف في كتابه ثم يذكر لنا بعض القضايا النقدية، ولقد استفدتُ منه فوائد جليلة»[(١)].

وقد كان كثير التشجيع لطلابه، فَقَبَّل مرة جبين أحد طلابه عندما أذكره بيتًا من الشعر كان قد نسيه[(٢)]. ويقول الدكتور عامر حسن صبري: «وأذكر أني أتيته بأول كتاب صدر لي وهو: (قطف الثمر في رفع المصنفات في الفنون والأثر) ففرح به كثيرا وشجعني عليه وقال لي كلمته التي لا أنساها: «الآن يحق لسيد صقر أن يفرح»، ويقول الدكتور محمد بخاري: «سافرت إلىٰ اسطانبول برفقة أهلي لأبحث عن مخطوطة بمكتبة سليم آغا، ومكثت بها خمسين يومًا، ووجدت ما أبحث عنه وسجلت ما أحتاج من معلومات، ولمّا عدت وذكرت للسيد أحمد صقر ما اكتسبته من رحلتي، وجدت غالب ما ذكرته قد سطره شيخي في مفكرة خاصة به! فقلت له: يا شيخ لم تكلفنا هذا العناء الكثير؟ فلو أنك ذكرت لي أسماء هذه الكتب من قبل لوفرتَ عليَّ تكاليف هذه الرحلة التي لم أعد منها بجزء مما هو موجود في مفكرتك!، فرد عليَّ السيد أحمد صقر: يا أغبىٰ من نفسه! والله إني لفرح أن جعل الله في طلابي من يسافر إلىٰ المكتبات للبحث عن المخطوطات، والله إنكم ستدركون قيمة عملكم هذا في المستقبل»[(٣)].

صفاته:

كان السيد أحمد صقر طويلًا مهيبًا، آتاه الله ﷻ بسطة في العلم والجسم، وكان

---

(١) مضمون مراسلة خاصة جرت بيني وبين الدكتور عامر صبري.

(٢) أفادني بهذا مشافهة الأستاذ منصور مهران.

(٣) مقدمة تحقيق كتاب الدعاء للطبراني ص ٧، بتصرف.



رَحِمَهُ اللَّهُ (ملوكي المذهب) أي حسن الهندام والهيئة، ولم يكن يرتدي الزي الأزهري المعهود مع أنه أزهري النشأة والوظيفة، ومن أب أزهري.

يقول الدكتور عادل سليمان: «قابلت الأستاذ سيد صقر أول مرة عام ١٩٥٥م بدار الكتب المصرية، وتوطدت أواصر صداقة متينة علىٰ فارق ما بيننا من السن والعلم، نمت علىٰ مر السنين بلقائنا الكثير في دار الكتب، ثم في منزل محمود شاكر، ثم في منزله. كان السيد أحمد صقر جامعا لمراتب الكمال ونبل الخصال، مع تأله وتنزه، ودين ويقين، وعفافة ونظافة، لقي عنتًا وتجاهلًا فمضىٰ علىٰ سنته، واعتزل الناس بدوره، فبدا لمن لا يعرفه فظًا غليظًا وهو في حقيقة أمره دمث ألوف، لم يسع وراء منصب أو يركض خلف جاه، وكان كثيرًا ما يتمثل بقول أبي العلاء:

إِذَا كَانَ عِلْمُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... وَلَا دَافِعٍ فَالخُسْرُ لِلْعُلَمَاءِ

قَضَىٰ اللهُ فِينَا بِالذِي هُوَ كَائِنٌ ... فَتَمَّ، وَضَاعَتْ حِكْمَةُ الحُكَمَاءِ»[١]

كما كان السيد أحمد صقر علىٰ جانب عظيم من العزة والأنفة والاعتداد بالنفس، مع حدة في الطبع، وعسر في الخلق، وقسوة مبررة أحيانًا، وغير مبررة في بعض الأحيان.

أما كرمه فقد كان من أكرم الناس وأسخاهم يدًا، يعرف ذلك كل من عاشره وتعامل معه، خصوصًا طلابه الذين كان بعضهم لا يجد قيمة ما يشتري به الكتب المقررة عليهم أثناء الدراسة فيوفرها أستاذهم السيد أحمد صقر من حسابه الخاص، وأخبرني الدكتور رضا السنوسي[٢]: أن السيد أحمد صقر ربما زار من

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٤٧، الجزء الثاني، سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٤١ .

(٢) أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وأحد طلاب السيد أحمد صقر في مرحلة الماجستير.



مرض من طلابه، مما يدل علىٰ أن وراء قسوته الظاهرة قلبٌ رحيم، وأن قسوته لم تكن إلا عملًا بحكمة أبي الطَّيِّب:

قَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا ... فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَىٰ مَنْ يَرْحَمُ

ويقول الدكتور محمد حسن بخاري: «كان السيد أحمد صقر رحيمًا عطوفًا عند الحاجة إلىٰ الرحمة، وشديدًا قاسيًا لا يخشىٰ لومة لائم حين الحاجة لها»[1].

السيد أحمد صقر محققًا:

دار إنتاج السيد أحمد صقر في ميدانين اثنين، الأول: تحقيق النصوص التراثية ونشرها، والثاني: كتابة بعض المقالات النقدية لطائفة من كتب التراث، وفي كلا المجالين ظهر علمه الغزير، وثقافته الواسعة، وبصره بعلوم الشريعة واللغة كتابًا وسنةً وتفسيرًا وفقهًا وأصولًا وتاريخًا وأدبًا ونحوًا، حتىٰ أنه كان كثيرًا ما يردد في محاضراته عبارته الطريفة: «لَسْتُ مُحَدِّثًا ولا مُفَسِّرًا وَلَا فَقِيهًا، وَلَكِنَّنِي أُخَرِّجُ المُحَدِّثَ وَالمُفَسِّرَ وَالفَقِيهَ».

أما التحقيق فإنه فيه أمة وحده، في دقة منهجه، وأصالة رأيه، وحسن عرضه، وشدة إخلاصه للمهمة الشاقة التي جرد عزمه لها، وانتدب نفسه للنهوض بها، وصَبْرِها علىٰ تحمل أعبائها، حتىٰ يخرج الكتاب من بين يديه مستحصدًا قويمًا. حيث كان يسير في تحقيقاته علىٰ منهج شاق عسير بعيد المنال، فكان لا يقدم علىٰ تحقيق كتاب حتىٰ يعيش مع صاحبه ويخبر حياته ونفسيته، ويعرف لغته ومدارج القول عنده، ويقرأ كل مصنفاته والمصنفات الأخرىٰ في الموضوع نفسه، يظهر

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب الدعاء للطبراني، ص ١٠ .



ذلك من خلال مقدماته النفيسة للكتب التي أشبه ما تكون بدراسات مستقلة في بابها، حيث أول ما يبدؤك به هو ترجمة المؤلف وذكر أحواله وأطواره وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته، وربما نقل صفحات بأكملها من تلك المؤلفات - حيث كانت في عهده مخطوطات - للدلالة علىٰ نفاستها، ثم يستطرد في بعض ما يذكر؛ فيأخذ في تصحيح بعض الأوهام الشائعة حول بعض الكتب أو الأعلام أو المسائل العلمية، ثم يذكر بعد ذلك بيئة المؤلف وأحوال عصره الثقافية والاجتماعية والسياسية، ثم يبين منهج المؤلف في كتابه، ومكانة الكتاب من بين الكتب المؤلفة في موضوعه، ثم ينتقل إلىٰ وصف مخطوطات الكتاب والدلالة علىٰ أماكن وجودها، ثم علىٰ طبعاتها السابقة والفرق بين تلك الطبعات، كل ذلك بأسلوب جزل مشرق رصين؛ قوامه المنطق السليم، والبحث العميق، والاستنتاج الدقيق، والرأي الصائب المؤيد بالأدلة الناصعة، والبراهين الساطعة.

ولم يكن تحقيق السيد أحمد صقر واقفًا علىٰ حدود المتن فقط، بحيث يتوارىٰ خلف نصوص الكتاب المحَقَّق، بل يطالعك بشخصه، ويصارحك برأيه، ويصف لك شعوره أحيانًا، حتىٰ تحس أنك أمام رائد يرتاد بك منازل الكتاب، مفسرًا لما غمض من ألفاظه، موضحًا لما أبهم من معانيه.

ومن تأمل حواشيه وتعليقاته علىٰ كتبه يقف علىٰ أشياء معجبة تبهر العقول؛ من توثيق نقول، وربط موضوعات بأماكنها من كتب المصادر الأصلية، ونقل بعض الآراء والمسائل ووجوه المذاهب؛ من أجل تعضيد رأي، أو توهين قول، أو تفصيل مجمل، أو توضيح مبهم، أو الإشارة إلىٰ مصدر فكرة، أو اتفاق خاطر، ليكون الدارس للكتاب علىٰ بينة وثقة مما ذكره المؤلف، محيطا بفقه المسائل التي



عرض لها، جامعا لأطراف الآراء ووجوه المذاهب فيها، وليسهل عليه سبيل الاستزادة إن ابتغىٰ إليها سبيلا. وفي هذا يقول الدكتور محمود الطناحي: «وهو من أقدر الناس علىٰ تقديم كتاب، وتقويم نص، وتوثيق نقل، وتخريج شاهد، واستقصاء خبر، وإن له من وراء ذلك كله علمًا جامعًا بالمكتبة العربية، وإدراكًا للعلائق بين الكتب».

وقد كان لهذا المنهج الشاق العسير أثر كبير في قلة أعمال السيد أحمد صقر، وعدم تكاملها، حيث وعد - في مقدمات كتبه - بإخراج وتحقيق كتب كثيرة مثل: كتاب المعارف لابن قتيبة، وكتاب نوادر الحكايات للبيهقي، وكتاب بغية الرائد للقاضي عياض، وكتاب الوسيط للواحدي، وكتاب هداية المرشدين للباقلاني، ولكن لم ير النور من تلك الكتب شيء.

كما «أعد نصوصًا كثيرة للنشر - تعب في تحصيل نُسَخِها تعبًا باهظًا - مثل: المصنف لابن أبي شيبة، وأمثال الحديث، والمحدث الفاصل بين الراوي والواعي، وكلاهما لأبي محمد الرامهرمزي، وأعلام السُّنن لأبي سليمان الخطابي، والمصطفىٰ المختار في الأدعية والأذكار لمجد الدين بن الأثير. والجليس والأنيس للمعافىٰ بن زكريا الجريري النهرواني، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله».

إلا أن السيد أحمد صقر تباطأ في إذاعتها لأنه أراد أن يقرأها علىٰ مُكث، ويعطيها حظها من الإتقان والإحسان، فسبقه إليها أيدٍ كثيرة فأخرجتها؛ ما كانت لتخرج لو بقيت عنده، وهذا ما دعاه إلىٰ أن يطوي صدره علىٰ كثير من النفائس والنوادر، ثم جرَّه هذا إلىٰ شيء من الملل، وهجْرِ النشر مدة طويلة. وهاك مسردًا بآثار السيد أحمد صقر العلمية المحققة:



ففي علوم القرآن الكريم:

١- إعجاز القرآن للباقلاني: مجلد واحد، دار المعارف بمصر، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م[1].

٢- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: مجلد واحد، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

٣- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: مجلد واحد، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

٤- أسباب النزول للواحدي: مجلد واحد، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م[2].

---

(١) وقد كان المجمع اللغوي بالقاهرة قد قام بمحاولة فريدة لتشجيع إحياء التراث، فأعلن عن مسابقة أدبية لمحققي التراث في النشر والتحقيق العلمي، ظفر فيها السيد أحمد صقر بجائزتها عن هذا الكتاب.

(٢) ولهذا الكتاب قصة طريفة ذكرها الطناحي في المدخل ص ١٠٢ مفادها: أن السيد أحمد صقر كان قد طبع هذا الكتاب علىٰ نفقته الخاصة علىٰ آنق صورة، بمطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، ثم أخذ نسخ الكتاب وأودعها مخزنًا ظلت قابعة فيه أكثر من عشر سنوات، وفشلت كل المحاولات لإخراج الكتاب من محبسه، حتىٰ كانت سنة ١٩٦٩م، وتكونت بمؤسسة الأهرام لجنة لإحياء التراث الإسلامي، برئاسة الأستاذ حسن عباس زكي (وزير الاقتصاد المصري آنذاك)، وعضوية السيد أحمد صقر، وكان هذا الوزير من أفاضل الناس، ومن أكثرهم حبًا للتراث ونشره، ولما علم بتحقيق السيد صقر لهذا الكتاب، سُرَّ سرورًا عظيمًا، للذي يعرفه من علم الأستاذ وجلالته، وأخذ علىٰ عاتقه إقناع السيد صقر بإخراج الكتاب. وفي أمسية ساخنة ببيته أخذ يتلطف مع السيد صقر، ويؤنسه، ولم يُفلته حتىٰ استكتبه عقدًا ببيع الكتاب لمؤسسة الأهرام. وفي تلك الليلة أسمح الأستاذ السيد وألان، إذا كانت أمارات الصدق والتقدير لائحة في لهجة هذا الوزير الهمام، وليس كالصدق والتقدير باعثًا لهمّة الأستاذ السيد صقر، فلم يكن حجْبه للكتاب رغبة في التكسب وملء العَيبة، فإنه -علم الله- من أجود الناس، وأسخاهم يدًا.



وفي علوم السنة النبوية:

٥- فتح الباري لابن حجر (تقديم و تعليق): (لم يتم)، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

٦- الإلماع للقاضي عياض: مجلد واحد، مكتبة دار التراث، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

٧- دلائل النبوة للبيهقي: مجلد واحد (لم يتم)، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية بمصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

٨- معرفة السنن والآثار للبيهقي: مجلد واحد (لم يتم)، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٩- مناقب الشافعي للبيهقي: مجلدان، مكتبة دار التراث، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٠- شرح السنة للبغوي: مجلد واحد (لم يتم)، مطبعة دار الكتب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

في اللغة والأدب والشعر:

١١- جمع وشرح ديوان علقمة الفحل: مجلد واحد، مطبعة المحمودية بالقاهرة ، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

١٢- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني (شرح وتحقيق): مجلد واحد، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.



١٣- الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه[١]: مجلد واحد، لجنة التأليف والترجمة والنشر بوزارة الثقافة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

١٤- البصائر والذخائر لأبي حيان: مجلد واحد (لم يتم)، لجنة التأليف والترجمة والنشر بوزارة الثقافة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م[٢].

١٥- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي: مجلدان (لم يتم)، دار المعارف بمصر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م[٣].

١٦- الصاحبي لابن فارس: مجلد واحد، طبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه بمصر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

السيد أحمد صقر ناقدًا:

أما الميدان الآخر الذي أعمل فيه السيد أحمد صقر فكره الدؤوب، وقلمه النشيط، فهو نقد منشورات كتب التراث، ولأن النقد أول شروطه الحرية: الحرية العقلية، والحرية العلمية، والحرية الأدبية، فهو لا يعرف الصداقة، ولا يعرف

---

(١) علق الدكتور الطناحي في المدخل علىٰ تحقيق السيد أحمد صقر لهذا الكتاب بقوله: «وتحقيق هذا الكتاب مما يشهد للأستاذ السيد الصقر بعلو قدره في تقويم النصوص، فإن نسخة الكتاب معيبة بكثرة الخروم والأسقاط، وضياع أجزاء من الكلام وقد وفق الأستاذ إلىٰ صلاح كثير من ذلك. إذا كان - حفظه الله - من القلائل الذين يحسنون قراءة المخطوطة العسِرة».

(٢) وهذا الكتاب والذي قبله كتب علىٰ غلافهما أن التحقيق كان بالاشتراك بين الدكتور أحمد أمين والسيد أحمد صقر، لكن العارفين ينسبونهما إلىٰ السيد أحمد صقر وحده.

(٣) وقد أخرج المجلدين الباقيين تلميذه الدكتور عبدالله محارب، في نفس السنة التي توفي فيها السيد أحمد صقر، فكتب الدكتور عبدالله محارب علىٰ طرة الكتاب من الداخل تأبينًا له قال فيه: «أثناء مثول هذا الكتاب للطبع، فجعنا بنبأ وفاة شيخنا وأستاذنا العلامة السيد أحمد صقر رحمه الله رحمة واسعة، وجعل ما قدم من أيادي بيضاء لخدمة تراثنا في ميزان حسناته، إنه سميع مجيب».



الإكبار والإجلال، ولا يعرف المجاملة والمداجاة. وبكل هذه المزايا تمتع السيد أحمد صقر، فكان من نوابغ النقد في عالمنا العربي.

فقد كان السيد أحمد صقر باحثًا جريء الرأي يصدع بالحق، ويحطم الأغلال، ولا يبالي علىٰ من يقع معوله. سواءً كان منقودوه ممن هم في مرتبة أستاذيه الذين يشعر لهم بالفضل، أو أصدقائه الذين يبادلهم الود، أو الأبعدين الذين يشاطرهم المجاملة.

كما كان أيضًا ناقدًا نافذ البصيرة، جدليًا دامغ الحجة، وكان يشيع فيه عراك الأقلام لذة ومتاعًا، ويرىٰ السيد أحمد صقر: «أن ضعف النقد يدعو إلىٰ العجب العريض والأسف العميق»، وكان يدعو: «كل قارئ للكتب القديمة أن يعاون الناشر بنشر ما يرتئيه من أخطاء، وما يعن له من ملاحظات، فبمثل هذا التعاون العلمي المنشود تخلص الكتب العربية من شوائب التحريف والتصحيف الذي منيت به علىٰ أيدي الناسخين قديما والطابعين حديثًا».

كما كان السيد أحمد صقر يعتقد: «أن الناقد يجب أن ينشر نقده بالحق وفي سبيله، غير عابئ بعتب ولا غضب، ولا خانس من المكاشفة بما يرىٰ، فإن الجبن والإيمان لا يجتمعان في قلب واحد، كما أنه لا يشجئ من الإصحار بالحق إلا كل مهيض المرة، منحل العقيدة، جبان العقل والقلب والضمير». وكان يرىٰ أن كثرة النقد : «ليست من قبيل البحث عن العيوب والفضائح والزلات، بل هو الإنصاف الذي يوجبه الدين، والذي يقضي علىٰ الباحث أن يقول الحق حيث علمه، غير كاتم علىٰ خَارِبِ خِرَابَتَه . . .»، وأن النقد يجب أن يُعَدَّ : «نصيحة نافعة تستوجب الدعاء والثناء، لا الغمز واللمز علىٰ نحو ما يفعله سفهاء العلماء إذا ما مُسُّوا بضرب من ضروب النقد ولو كان يسيرًا، أنفة منهم من الخضوع للحق الأبلج، وذهابا بأنفسهم عن الخطأ، الذي يذهب بما لهم من جلال وكمال رأوه لأنفسهم،



باختداع الشيطان إياهم، وتسويله لهم أنهم من كملة العلماء».

وليست تلك الاعتقادات من باب الدعاوىٰ العريضة، بل هو منهج ارتضاه لنفسه وبها بدأ؛ وفي ذلك يقول: «وإني علىٰ نهجي الذي انتهجت منذ أول كتاب نشرتُ، أدعو النقاد إلىٰ إظهارِي علىٰ أوهامي فيها، وتبيينِ ما دق عن فهمي من معانيها، أو ندّ عن نَظَرِي من مبانيها، وفاءً بحق العلم عليهم، وأداء لحق النصيحة فيه، لأَبْلُغَ بالكتاب فيما يُسْتَأْنَف من الزمان، أمثلَ ما أستطيعُ من الصحة والإتقان».

وبهذا المنهج الأصيل أمتع السيد أحمد صقر القراء بثروة من المقالات القيمة لنقد طائفة من كتب التراث اتسمت بالأصالة والدقة والأمانة، وأبانت عن قدرة فذة في تصحيح التصحيفات، وجرأة عالية في تفسير الغامض، وتوضيح المشكل.

وقد كان لهذه النقدات أثر كبير في تقويم مناهج النشر، وشحذ لأذهان المؤلفين والمحققين، وتمحيص لحقائق العلم، وربما كان فيها أحيانًا ما يثير الحفيظة، ويوغر القلب، إلا أنه بجانب ذلك حقائق تذاع، وبحوث تنشر، تدل علىٰ عقل باحث وقلم نشيط.

السيد أحمد صقر أديبًا:

أما أدب السيد أحمد صقر فإذا ما عنينا بالأدب معناه الخاص وهو الأعمال الفنية المنشأة من قصة ورواية وشعر وغير ذلك، فالحق أنه لم يكن للسيد أحمد صقر نصيب من ذلك لا من قريب ولا من بعيد، حسب ما ظهر من أعماله وكتاباته[1]، وفي هذا يقول الدكتور عادل سليمان: «وإني لأشهد أني لم أر الأستاذ

(١) إلا إذا اعتبرنا مقالاته النقدية = أعمالًا الأدبية، فإن الناقد كما يُقَال: أديب مضاعف، ونقدات السيد أحمد صقر تمثل أحد نوعي النقد الأدبي، وهو النقد الصوري الشكلي، المتعلق بالألفاظ=



صقرًا طوال صحبتي له سنين عددا يكتب أدبًا منشئًا، شعرًا ونثرًا، كما كان شأن الأستاذ شاكر، ولم أشاهده يخوض فيما كان يخوض فيه الحاضرون في ندوة الأستاذ شاكر يوم الجمعة إذا تطرق الحديث إلىٰ أدب كاتب: قصة أو رواية أو مسرحية، أو شعر شاعر، وعلىٰ الرغم من أنه كان له في النحو باع وفي اللغة بسطة وفي البلاغة تمكن واقتدار»[1].

وأما إذا عنينا بالأدب معناه العام وهو حسن البيان ، وجودة العبارة ، والبراعة في الأسلوب مما هو لازم لكل كاتب يريد لكتابته أن تقرأ، ولكل عالم يريد لعلمه أن يذيع، فلا سبيل للدكتور عادل سليمان إلىٰ توهيم[2] الدكتور الطناحي في أن السيد أحمد صقر رحمه الله «أديب من الطراز الأول، ولو أنه أطلق لملكاته الأدبية العنان لكان من كبار أدباء العربية»، واستدلال الدكتور عادل سليمان علىٰ ذلك بأنه أكثر معرفة بالسيد صقر من الطناحي وأنه أسبق اتصالا به!؛ في غير محله، إذ إن

= وصحتها، والجمل ومتانتها، أما النوع الآخر من النقد وهو النقد المعنوي أو الفني المتعلق بالجمال والذوق والأسلوب ، فلم يتطرق له السيد أحمد صقر إلا عرضًا في مقالاته وأبحاثه، وقد يتداخل النوعان أحيانًا. وهذا النوع الثاني هو ما أُخذ علىٰ السيد صقر حين شرح ديوان علقمة الفحل في شبابه، حيث اقتصر في كتابه علىٰ شرح المفردات وذكر المترادفات، ولم يتطرق لقدرة الشاعر، وقوته، وعذوبة شعره، و براعته في التصوير، التي هي المحك الحقيقي لقيمة الشاعر.

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٤٧، الجزء الثاني، سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٤٤ .

(٢) قال الدكتور عادل - بتصرف يسير -: «أحب أن أزيل وهمًا أوقع فيه أخي المرحوم الطناحي، فقد ذكر في كلامه عن الأستاذ: «إنه أديب من الطراز الأول، ولو أنه أطلق لملكاته العِنان، لكان من كبار أدباء العربية، ولكنه انصرف إلىٰ تحقيق النصوص»، وقد رأيتُ من ترجموا للأستاذ صقر اعتمدوا علىٰ كلام الدكتور الطناحي فشاع، وإذا كان الطناحي قد عرف الرجل، فلعلي كنت أكثر صلة به منذ عام ١٩٥٨م، والدكتور الطناحي لم تتصل أسبابه إلا سنة ١٩٦٨ م. . . وإن نقد السيد صقر لبعض شروح الأستاذ شاكر لأبيات بأعيانها في (طبقات فحول الشعراء) يدل علىٰ أنه ليس أديبًا يتدسس في معاني الأبيات بعد أن تجلوها اللغة ويقيمها النحو وتنتظمها البلاغة بأقسامها».



الصداقة العقلية أكثر أثرًا وأنفذ بصرًا في مثل هذه الأمور من الصداقة الشخصية، إذ يعتبر السيد أحمد صقر -ومثله الطناحي- من زعماء النثر العلمي الأدبي الرفيع، ومن العلماء القلائل الذين استطاعوا أن يعرضوا الحقائق المعرفية والمسائل العلمية والقضايا المجردة في أسلوب عذب ندي يترقرق فصاحة وصفاء وإشراقًا، إضافة إلىٰ ذلك أنه كان يتعهد كتاباته، ويبالغ في تنقيحها، وتحريرها وتحبيرها، حتىٰ لا تكاد ترىٰ فيها ركاكة ولا قلقا وتكلفًا، وإن شئت أخي القارئ روضة أريضة في وصف النشر ومتاعبه، تكشف لك ناحية السيد أحمد صقر الأدبية، فلا أظنك تجد مثل هذه الرائعة: «فالنشر فنٌ خفيُ المسالك، عظيمُ المزالق، جَمُّ المصاعب، كثيرُ المضايِق، وشواغُلُ الفِكْر فيه متواترة، ومتاعبُ البال وافرة، و مُبهِظَاتُ العقلِ غامرة، وجهودُ الفردِ في مضمارِهِ قاصرة، يَؤُودُها حفظُ الصوابِ في سائرِ نصوصِ الكتاب، ويُعْجِزُها ضبطُ شواردِ الأخطاء، ورَجْعُهَا جميعًا إلىٰ أصلها، فيأتي الناقد وهو مؤفُورَ الجِمَام فيقصد قصدها، ويسهل عليه قنصها»[1].

مرضه ووفاته:

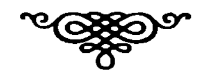
وكان السيد أحمد صقر في آخر حياته قد ترادفت عليه الأسقام، وتوالت عليه الأوجاع، خاصة مرض السكري الذي أنهكه حتىٰ عاد ناحلًا مهزولًا مجهودًا، فقدم استقالته من التدريس من جامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة، وعاد إلىٰ مصر، ولم يزل به المرض إلىٰ أن اضطر إلىٰ بتر ساقه، وكان قد زاره في حاله تلك الدكتور رضا السنوسي فوجده صابرًا محتسبًا علىٰ كرسي متحرك، ثم لم يمض علىٰ حاله تلك سوىٰ عامين حتىٰ اختاره الله ﷻ إلىٰ جواره في يوم السبت الثالث من

(١) انظر مقدمة تحقيق (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) للسيد أحمد صقر، طبعة دار المعارف، ص١٤ .



شهر جمادىٰ الآخر من سنة عشر وأربعمائة وألف من هجرة النبي ﷺ، الموافق للثاني من شهر ديسمبر من عام ١٩٨٩م.

وبموته طويت صفحة من صفحات النبوغ والمعرفة، وغاض ينبوع ضخم من الأدب والعلم والموهبة والتجارب، عملت في تكوينها الطبيعة الحرة، والزمان الطويل، والعمل المثمر، والإباء الأشم، والحفاظ المر، والخلق الصريح، نسأل الله ﷻ أن يتغمد ذنبه، وأن يمهد عذره، وأن ينير قبره، وأن يجعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.





السيد أحمد صقر

هدية إجلال وإعظام إلى فخر الأزهر
وشمس الإسلام إمام المفكرين وأمير المصلحين
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد مصطفى المراغي
السيد أحمد صقر
٥ من ربيع الأول ١٢٥٠

شرح ديوان علقمة الفحل

المطبعة المحمودية بالقاهرة

ذخائر العرب
٢٥

تحية إعجاب وتقدير إلى أخى الكبير
الشيخ أحمد حسن الباقورى
١٩/٧/٦٦

الموازنة
بين شعر أبى تمام والبحترى

لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى
— ٣٧٠ هـ

تحقيق
السيد أحمد صقر

١

١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م



دار المعارف بمصر





أسباب نزول القرآن

لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي

تحقيق : السيد أحمد صقر



مِيزانُ الاعْتِدالِ

في نقد الرجال

تأليف

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية

تحقيق

على محمد البجاوى

القسم الأول

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

هذه الصورة والتي بعدها؛ من مكتبة السيد أحمد صقر الخاصة، والتي اشتراها مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، ولا يفوتني أن أشكر المدير العام المساعد للمركز: الدكتور محمد ياسر عمرو - لا زال موفقًا مسددًا -، حيث قام بتصوير هذه الإهداءات وإرسالها إلي بالبريد، والشكر موصول للدكتور أنس صبري الذي سعى في تصويرها.

ابن عبد الله بن عمر عن ابيه حدث به عن عاصم بن المنذر حماد بن سلمة وخالفه حماد بن زيد فرواه عن عاصم بن المنذر عن ابي بكر بن عبيد الله بن عبد الله ابن عمر عن ابيه موقوفا غير مرفوع وكذلك رواه اسمعيل بن علية عن عاصم بن المنذر عن رجل لم يسمه عن ابن عمر موقوفا ايضا فاما حديث حماد بن سلمة عن عاصم ابن المنذر فحدثني الحسين بن اسمعيل نا الحسن بن محمد بن الصباح نا يزيد بن هرون انا حماد بن سلمة عن عاصم بن المنذر بن الزبير قال دخلت مع عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بستانا فيه مقرا ماء فيه جلد بعير ميت فتوضا منه فقلت له اتتوضأ منه وفيه جلد بعير ميت فحدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ الماء قلتين او ثلاثا لم ينجسه شئ نا ابو صالح الاصبهاني نا ابو مسعود انا يزيد بن هرون انا حماد بن سلمة بهذا ولم يقل او ثلاثا وكذلك رواه ابراهيم بن الحجاج وهدبة بن خالد وكامل بن طلحة عن حماد بن سلمة بهذا الاسناد وقالوا فيه اذا بلغ الماء قلتين او ثلاثا نا به علي بن احمد نا الحسين بن سفين نا ابراهيم بن الحجاج وهدبة بن خالد ونا به القاضي ابو طاهر بن نصر وعلي بن احمد قالا نا موسى بن هرون نا كامل بن طلحة قالوا نا حماد بن سلمة بذلك ورواه عفان بن مسلم ويعقوب بن اسحق الحضرمي وبشر بن السري والعلاء بن عبد الجبار المكي وموسى بن اسمعيل وعبيد الله بن محمد العيشي عن حماد بن سلمة بهذا الاسناد وقالوا فيه اذا كان الماء قلتين لم ينجس ولم يقولوا او ثلاثا نا القاضي الحسين بن اسمعيل نا الحسن بن محمد الزعفراني نا عفان نا حماد بن سلمة نا عاصم بن المنذر قال كنا في بستان لنا او لعبيد الله بن عبد الله بن عمر فحضرت الصلاة فقام عبيد الله الى مقرى في البستان فجعل يتوضا فيه وفيه جلد بعير ميت فقلت اتوضأ منه وفيه هذا الجلد فقال حدثني ابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان الماء قلتين لم ينجس نا القاضي الحسين بن اسمعيل نا الحسن بن محمد الزعفراني نا يعقوب بن اسحق نا حماد بن سلمة ونا ابو بكر الشافعي نا بشر بن موسى نا علي بن احمد نا ابراهيم بن صالح الشيرازي قالا نا الحميدي قال نا بشر بن السري والعلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن عاصم ابن المنذر بهذا الاسناد مثل قول عفان اذا كان الماء قلتين لم ينجس نا احمد بن محمد بن زياد نا ابراهيم بن اسحق الحربي نا موسى وابن عائشة قالا نا حماد بن سلمة نا عاصم بن المنذر بهذا الاسناد مثله سواء اذا كان الماء قلتين فانه لا ينجس نا محمد بن اسمعيل الفارسي نا اسحق بن ابراهيم بن عباد قال قرانا على عبد الرزاق عن ابراهيم بن محمد عن ابي بكر بن عمر بن عبد الرحمن عن ابي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان الماء قلتين لم ينجسه شئ نا محمد بن اسمعيل الفارسي نا عبد الله بن الحسين بن جابر نا محمد بن كثير المصيصي عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان الماء قلتين فلا ينجسه شئ رفعه هذا الشيخ عن محمد بن كثير عن زائدة ورواه معاوية ابن عمرو عن زائدة موقوفا وهو الصواب نا به القاضي الحسين بن اسمعيل نا جعفر بن محمد الصائغ نا معاوية بن عمرو نا زائدة عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر مثله موقوفا نا دعلج بن احمد نا عبد الله بن شيرويه نا اسحق بن راهويه نا عبد العزيز بن ابي رزمة عن حماد بن زيد عن عاصم بن المنذر قال القلال الخوابي العظام نا ابو بكر النيسابوري نا ابو حميد المصيصي نا حجاج نا ابن جريج اخبرني محمد بن يحيى ابن عقيل اخبره ان يحيى بن يعمر اخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان الماء قلتين لم يحمل نجسا ولا باسا فقلت ليحيى بن عقيل

قوله مقرا ماء. المقرى والمقراة الحوض الذي يجتمع فيه الماء قاله ابن اثير الجزري وقال صاحب الصحاح القرى على فعيل مجرى الماء في الحوض والجمع اقرية وقريان والمقراة المسيل وهو الموضع الذي يجتمع فيه ماء المطر من كل جانب قوله ابو مسعود هو ابو مسعود الرازي قوله ابراهيم بن الحجاج. ورواية ابراهيم بن الحجاج وهدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عند الحاكم في مستدركه قال اذا بلغ الماء قلتين او ثلاثا لم ينجسه شئ قال الحاكم ورواه عفان بن مسلم وغيره من الحفاظ عن حماد ولم يقولوا فيه او ثلاثا قوله موسى وابن عائشة. موسى هو ابن اسمعيل وابن عائشة هو عبيد الله بن محمد قوله اسحق بن ابراهيم. هو اسحق بن ابراهيم بن عباد الدبري ودبر قرية باليمن قوله الخوابي العظام. الخوابي بالخاء المعجمة كصواحب جمع خابية كصاحبة وبلا همزة ايضا بمعنى خم كذا في الصراح والجوابي بالجيم المهملة جمع جابية كوكب الوسع من الاودية والدلاء كذا في القاموس وفي التلخيص قال اسحاق بن راهويه الخابية تسع ثلاث قرب قوله اخبرني محمد كذا في النسخة والصحيح اخبرني محمد بن يحيى ان يحيى ابن عقيل اخبره كما في بعض النسخ وكذا في نصب الراية والله اعلم قوله فقلت ليحيى بن عقيل. والقائل لهذا القول محمد بن يحيى كما صرح به الزيلعي قال الحافظ في التلخيص وروى الحاكم ابو احمد والبيهقي وغيرهما من طريق ابي قرة موسى بن طارق عن ابن جريج قال اخبرني محمد بن يحيى بن عقيل اخبره ان يحيى بن يعمر اخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان الماء قلتين لم يحمل نجسا ولا باسا قال فقلت ليحيى بن عقيل اي قلال قال قلال هجر قال محمد رايت قلال هجر فاظن كل قلة تاخذ قربتين وقال الدارقطني نا ابو بكر النيسابوري نا ابو حميد المصيصي نا حجاج عن ابن جريج مثله وقال في آخره قال فقلت ليحيى بن عقيل قلال هجر قال قلال هجر قال فاظن ان كل قلة تاخذ قربتين قال الحاكم ابو احمد محمد شيخ ابن جريج هو محمد بن يحيى وله عن يحيى بن ابي كثير رواية

لا تعجل حتى اشاور المسلمين ثم قام خطيبا في الناس فاخبرهم بذلك فقالوا أصبت فجمعوا القرآن وأمر أبو بكر
مناديا فنادى في الناس من كان عنده من القرآن شيء فليجئ به قالت حفصة اذا انتهيتم الى هذه الآية فاخبروني
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فلما بلغوا اليها قالت اكتبوا والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر فقال
لها عمر ألك بهذا بينة قالت لا قال فوالله لا ندخل في القرآن ما تشهد به امرأة بلا اقامة بينة وقال عبد الله بن
مسعود اكتبوا والعصر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى آخر الدهر فقال عمر نحوا عنا هذه الاعرابية
* وأخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق نافع عن ابن عمر عن حفصة انها قالت لكاتب مصحفها اذا
بلغت مواقيت الصلاة فاخبرني حتى أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخبرها قالت
اكتب اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر
* وأخرج وكيع وابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي داود في المصاحف وابن المنذر عن
عبد الله بن رافع عن أم سلمة انها أمرته ان يكتب لها مصحفا فلما بلغت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
قالت اكتب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين * وأخرج ابن أبي
شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي داود والبيهقي في سننه من طريق عمير بن مريم انه سمع ابن عباس
قرأ هذا الحرف حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر * وأخرج عبد بن حميد ومسلم وأبو
داود في ناسخه وابن جرير والبيهقي عن البراء بن عازب قال نزلت حافظوا على الصلوات والعصر فقرأناها
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم نسخها الله فانزل حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
فقيل له هي اذن صلاة العصر فقال قد حدثتك كيف نزلت وكيف نسخها الله والله أعلم * وأخرج البيهقي عن
البراء قال قرأناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما حافظوا على الصلوات وصلاة العصر ثم قرأناها حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى فلا أدري أهي هي أم لا * وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد
وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم
والبيهقي عن زر قال قلت لعبيدة سل عليا عن صلاة الوسطى فسأله فقال كنا نراها الفجر حتى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يوم الاحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارا
* وأخرج ابن جرير من وجه آخر عن زر قال انطلقت أنا وعبيدة السلماني الى علي فامرت عبيدة أن يسأله عن
الصلاة فسأله فقال كنا نراها صلاة الصبح فبينا نحن نقاتل أهل خيبر فقاتلوا حتى ارهقونا عن الصلاة وكان قبيل
غروب الشمس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم املأ قلوب هؤلاء القوم الذين شغلونا عن الصلاة الوسطى
وأجوافهم نارا فعرفنا يومئذ انها الصلاة الوسطى * وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم
والنسائي والبيهقي عن شتير بن شكل قال سألت عليا عن صلاة الوسطى فقال كنا نرى انها الصبح حتى سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم الاحزاب ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى
غابت الشمس ولم يكن صلى يومئذ الظهر والعصر حتى غابت الشمس * وأخرج عبد الرزاق عن علي قال هي
العصر * وأخرج الدمياطي في كتاب الصلاة الوسطى من طريق الحسن البصري عن علي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال صلاة الوسطى صلاة العصر * وأخرج عبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر
والبيهقي عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس
أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم
وقبورهم نارا * وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي وابن حبان من طرق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة الوسطى صلاة العصر * وأخرج ابن جرير وابن المنذر والطبراني من طريق مقسم وسعيد
ابن جبير عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس
ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارا * وأخرج عبد بن حميد وابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فحبسه المشركون عن صلاة العصر حتى مسى بها فقال اللهم املأ

الكفر والايمان كفر
السر وايمان العلانية
(لا الى هؤلاء) ليسوا
مع المؤمنين في السر
فيجب لهم ما يجب
للمؤمنين (ولا الى
هؤلاء) وليسوا مع
اليهود في العلانية فيجب
عليهم ما يجب على اليهود
(ومن يضلل الله) عن
دينه وحجته في السر
(فلن تجد له سبيلا)
دينا ولا حجة في السر
(يا أيها الذين آمنوا)
بالعلانية يعني عبد الله
ابن أبي وأصحابه (لا تتخذوا
الكافرين) يعني
اليهود (أولياء) في
التعزز (من دون
المؤمنين) المخلصين
(أتريدون) يا معشر
المنافقين (أن تجعلوا
لله) لرسول الله (عليكم
سلطانا مبينا) حجة بينة
وعذرا بينا بالقتل (ان
المنافقين) عبد الله بن
أبي وأصحابه (في الدرك
الأسفل من النار) في
النار لقبل شرورهم
ومكرهم وخيانتهم مع
النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه (ولن تجد لهم
نصيرا) مانعا (الا الذين
تابوا) من النفاق وكفر
السر (وأصلحوا) فيما
بينهم وبين ربهم
من المكر والخيانة
(واعتصموا بالله) تمسكوا
بتوحيد الله في السر
(وأخلصوا دينهم)



قال لرجل تزوجها ولو بحانون من حديد نا ابو محمد بن صاعد نا احمد بن منصور نا اسمعيل بن عبدالله بن زرارة الرقي نا محمد بن الحسن
المدائني نا الحسن بن ابي الحسن عن عبدالله بن المغفل قال تزوج رجل من الانصار امرأة في مرضه فقالوا لا يجوز وهذه من الثلث
فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النكاح جائز ولا يكون من الثلث حدثنا ابو طلحة اسمعيل بن يونس بن ياسين نا
اسحق بن ابي اسرائيل نا عبدالرزاق عن ابن جريج عن صفوان بن سليم عن سعيد بن المسيب عن رجل من الانصار قال تزوجت امرأة بكرا
في سترها فدخلت عليها فاذا هي حبلى فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها الصداق بما استحل من فرجها والولد عبد لك فاذا ولدت
فاجلدوها قال عبدالرزاق حديث ابن جريج عن صفوان هو ابن جريج عن ابراهيم بن ابي يحيى عن صفوان بن سليم نا اسحق بن محمد بن الفضل
الزيات نا محمد بن سنان نا اسحق بن ادريس نا ابو اسحق الاسلمي عن صفوان بن سليم عن سعيد بن المسيب عن نضرة بن ابي نضرة الغفاري
انه تزوج امرأة بكرا في سترها فوجدها حبلى ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما واعطاها الصداق بما استحل من فرجها وقال اذا وضعت
فاقيموا عليها الحد حدثنا ابو بكر الشافعي نا ابراهيم بن الهيثم نا ابو صالح كاتب الليث حدثني الليث عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى قال هو المحلل ثم قال لعن الله المحلل والمحلل له نا حبيرة بن محمد
ابن احمد الشيباني نا ابو ميسرة احمد بن عبدالله بن ميسرة نا مروان الفزاري نا ابو عبد الملك الجعي نا عبدالله بن ابي مليكة عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العسيلة الجماع حدثنا محمد بن عبدالله بن ابراهيم نا احمد بن الحسين الحذاء نا شباب بن خياط نا حشرج
ابن عبدالله بن حشرج حدثني ابي عن جدي عن عائذ بن عمرو المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاسلام يعلو ولا يعلى نا عبدالله
ابن محمد بن عبدالعزيز نا خلف بن هشام نا ابو شهاب عن عاصم ح ونا محمد بن مخلد نا سعدان بن نصر نا ابو معوية عن عاصم الاحول عن
بكر المزني عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى
ان يؤدم بينكما وقال ابو شهاب قلت يا رسول الله خطبت امرأة والباقي مثله حدثنا ابن مخلد نا ابن زنجويه نا عبدالرزاق
نا معمر عن ثابت عن انس قال اراد المغيرة بن شعبة ان يتزوج فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فانظر اليها
فانه احرى ان يؤدم بينكما

قوله تزوج رجل من الانصار) الحديث ليس في اسناده مجروح والله اعلم (**قوله** قال تزوجت امرأة بكرا) الحديث ليس فيه مجروح (**قوله** انه تزوج امرأة) الحديث
في اسناده محمد بن سنان الاموي كذبه ابو داؤد بن خراش وقال الدارقطني لا بأس به وايضا فيه اسحق بن ادريس البصري ابو يعقوب تركه ابن المديني قال ابو زرعة واه
وقال البخاري تركه الناس وقال يحيى بن معين كذاب يضع الحديث قال الدارقطني منكر الحديث كذا في الميزان (**قوله** عن عقبة بن عامر قال قال) الحديث
اخرجه ابن ماجه عن الليث بن سعد قال قال لي ابو مصعب مشرح بن هاعان مثله سندا ومتنا قال عبدالحق في احكامه اسناده حسن انتهى وقال الترمذي في العلل انه
سمع من مشرح بن هاعان وقال ابن ابي حاتم سألت ابا زرعة عن هذا الحديث فذكره وقال لم يسمع الليث من مشرح شيئا ولا يروي عنه قال لن يلحقه
قوله قال لي ابو مصعب يرده وكذلك حسن عبدالحق اسناد المصنف لانه ذكره من جهة ابو صالح مختلف فيه والا فالحديث صحيح من سند ابن ماجه
فان شيخ ابن ماجه يحيى بن عثمان (**قوله** العسيلة الجماع) الحديث رواه احمد ايضا في مسنده حدثنا مروان ثنا عبد الملك المكي عن ابن ابي مليكة الخ كما ذكره
المصنف والمكي مجهول كذا في الزيلعي وفي الميزان عبد الملك المكي له عن ابن ابي مليكة ضعفه الازدي انا في النسخة التي بايدينا ابو عبد الملك الجعي والله اعلم
قال الازهري الصواب ان معنى العسيلة حلاوة الجماع الذي يحصل بتغييب الحشفة في الفرج وقال الجمهور ذوق العسيلة كناية عن المجامعة وهو تغييب الحشفة و
زاد الحسن البصري الانزال وهذا شرط انفرد به قال ابن المنذر وآخرون وقال ابن بطال شذ الحسن في هذا وخالفه سائر الفقهاء كذا في الفتح
(**قوله** الاسلام يعلو) الحديث اخرجه البخاري في الجنائز تعليقا من قول ابن عباس رض ورواه الطبراني في معجمه الوسط والبيهقي في دلائل النبوة
عن داؤد بن ابي هند عن الشعبي عن ابن عمر عن ابيه عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين يعلو ولا يعلى ورواه في
تاريخ واسط عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان يعلو ولا يعلى واما سند المصنف ففيه عبدالله بن حشرج قال ابن القطان
لا اعلم بحاله لانه ذكره الزيلعي (**قوله** عن المغيرة بن شعبة قال خطبت) الحديث اخرجه النسائي والترمذي وابن ماجه والدارمي وابن حبان من حديث
المغيرة وذكره المصنف في العلل وذكر الخلاف فيه واثبت سماع بكر بن عبدالله المزني من المغيرة وقوله يؤدم بينكما اي تدوم المودة كذا في التلخيص (**قوله** عن انس



سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ فِرَاشَهُ أَوْتَرَ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُوتِرُ آخِرَ اللَّيْلِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فَأَمَّا أَنَا فَإِذَا جِئْتُ فِرَاشِي أَوْتَرْتُ وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ عَنِ الْوِتْرِ أَوَاجِبٌ هُوَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَوْتَرَ الْمُسْلِمُونَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يُرَدِّدُ عَلَيْهِ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَوْتَرَ الْمُسْلِمُونَ وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تَقُولُ مَنْ خَشِيَ أَنْ يَنَامَ حَتَّى يُصْبِحَ فَلْيُوتِرْ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ وَمَنْ رَجَا أَنْ يَسْتَيْقِظَ آخِرَ اللَّيْلِ فَلْيُؤَخِّرْ وِتْرَهُ وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بِمَكَّةَ وَالسَّمَاءُ مُغِيمَةٌ فَخَشِيَ عَبْدُ اللَّهِ الصُّبْحَ فَأَوْتَرَ بِوَاحِدَةٍ ثُمَّ انْكَشَفَ الْغَيْمُ فَرَأَى أَنَّ عَلَيْهِ لَيْلًا فَشَفَعَ بِوَاحِدَةٍ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا خَشِيَ الصُّبْحَ أَوْتَرَ بِوَاحِدَةٍ وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يُسَلِّمُ بَيْنَ الرَّكْعَتَيْنِ وَالرَّكْعَةِ فِي الْوِتْرِ حَتَّى يَأْمُرَ بِبَعْضِ حَاجَتِهِ وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ كَانَ يُوتِرُ بَعْدَ الْعَتَمَةِ بِوَاحِدَةٍ قَالَ مَالِكٌ وَلَيْسَ هَذَا الْعَمَلُ عِنْدَنَا وَلَكِنْ أَدْنَى الْوِتْرِ ثَلَاثٌ وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وِتْرُ صَلَاةِ النَّهَارِ قَالَ مَالِكٌ مَنْ أَوْتَرَ أَوَّلَ اللَّيْلِ ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قَامَ فَبَدَا لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيُصَلِّ مَثْنَى مَثْنَى فَهُوَ أَحَبُّ مَا سَمِعْتُ إِلَيَّ

انظر المسند ٥٤٦١

انظر المسند ٤٨٤٧

عبد الله بن عمر بن الخطاب لم يوقف له على اسم (صلاة المغرب وتر صلاة النهار) قال ابن عبد البر هذا مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت أخرجه الدارقطني بسند ضعيف من حديث ابن مسعود مرفوعا وقال البيهقي الصحيح وقفه عليه





المقالات

في الأدب العربي

النابغة الشيباني: مسلم لا نصراني[١]

(١-١٠)

كُلُّ المَصَائِبِ إِن جَلَّت وإِن عَظُمَت إلا المُصِيبَةُ في دِينِ الفَتَىٰ جَلَلُ

«النابغة الشيباني»

أخرجت دار الكتب المصرية هذا العام ديوان نابغة بني شيبان، وقد شرحه الشاعر المطبوع الأستاذ أحمد نسيم، وصَدَّره بترجمة النابغة نقلًا عن كتاب الأغاني، وفي مستهل تلك المقدمة يقول صاحب الأغاني عن النابغة ما نصه: «شاعر بدوي من شعراء الدولة الأموية، وكان يفد إلىٰ الشام إلىٰ خلفاء بني أمية، فيمدحهم ويجزلون عطاءه، وكان فيما أرىٰ نصرانيًا لأني وجدته في شعره يحلف بالإنجيل وبالرهبان وبالأَيْمان التي يحلف بها النصارىٰ»، هذا حكم صاحب الأغاني علىٰ الشاعر. إلا أننا لا نقر صاحب الأغاني علىٰ حكمه هذا لأمرين:

الأول: أنه حُكْم لم يدعم ببرهان حاسم، ولم يقم عليه دليل قاطع، بل غاية ما هنالك أنه حكم عليه بالنصرانية لأنه حلف في شعره بالإنجيل و الرهبان وأقسم بأيمان النصارىٰ، وتلك العلل - علىٰ فرض صحتها - عليلة لا يصح أن يبنىٰ عليها

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية، المجلد السادس والسابع، عدد شهر رجب وما بعده، سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، ص ٨٠ وما بعدها.



حكم خطير كهذا، فضلًا عن كونها مكذوبة، فما حلف النابغة بإنجيل ولا أقسم بقَسَم من أقسام النصارىٰ.

الأمر الثاني: أننا وجدنا في ديوانه قصائد عليها مسحة الإسلام ظاهرة جلية، يبعد جدًا أن يتفوه بها نصراني، استمع إليه وهو يترنم بإسلامه في وضوح وجلاء ص ١٧:

وتُعجِبُنِي اللَّذَّاتُ ثُمَّ يَعُوجُنِي ... وَيَسْتُرُنِي عَنْهَا مِنَ اللهِ سَاتِرُ

وَيَزْجُرُنِي الإِسْلَامُ وَالشَّيْبُ وَالتُّقَىٰ ... وَفِي الشَّيْبِ وَالإِسْلَامِ لِلمَرْءِ زَاجِرُ

أيصح أن يرتاب مرتاب في إسلام الشاعر بعد سماع هذين البيتين؟ ولعمري إن تلك النفس التي تصبو إلىٰ التمتع بملذات الحياة، ويزجرها عن ذلك إسلامها، ويردعها شيبها وينهاها، لهي نفس طاهرة مؤمنة تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وما أظن أن إنسانًا يتطلب دليلًا ثانيًا علىٰ إسلام نابغة بني شيبان، ولكنا سندلي ببرهان ثان يشد أزر الأول، قال النابغة يمدح الوليد بن عبدالملك ويهنئه بفتح طرندة ص ٥١:

إِنَّ الوَلِيدَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَهُ ... حَقٌّ مِنَ اللهِ: تَفْضِيلٌ وتَشْرِيفُ

خَلِيفَةٌ لَمْ يَزَلْ يَجْرِي عَلَىٰ مَهَلٍ ... أَغَرُّ تَنْمِي به البِيضُ الغَطَارِيفُ

لَا يُخمِدُ الحربَ إلا رَيْثَ يُوقِدُها ... فِي كُلِّ فَجٍّ لَهُ خَيْلٌ مَسَانِيفُ

أَخْزَىٰ طُرَنْدَةَ مِنْهُ وَابِلٌ بَرِدٌ ... وَعَسْكَرٌ لم تَقُدْهُ العُزَّلُ الجُوفُ

وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهَا أبطالُ ذِي لَجَبٍ ... كما أَحَاطَ بِرَأسِ النَّخْلَةِ اللِّيفُ



حتىٰ عَلَوا سُورَهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَحَانَ مَن كَانَ فيها فَهُوَ مَلهُوفُ

فَأَهْلُها بَينَ مَقتُولٍ ومُستَلَبٍ ومِنهُمْ مُوثَقٌ في القِدِّ مَكْتُوفُ

يَا أَيُّهَا الأَجْدَعُ البَاكِي لمَهْلَكِهم هَلْ بَأْسُ رَبِكَ عَمنْ رَامَ مَصرُوفُ

تَدعُو النَّصَارَىٰ لنَا بِالنَّصْرِ ضَاحِيَةً واللهُ يَعلَمُ ما تُخفِي الشَّراسِيفُ

قَلَعتَ بَيعَتَهُم عن جَوفِ مَسجِدِنَا فَصَخْرُهَا عن جَدِيدِ الأَرضِ مَنسُوفُ

كَانَتْ إِذَا قَامَ أَهلُ الدِّينِ فَابْتَهَلُوا بَاتَت تُجاوِبُنا فِيهَا الأَسَاقِيفُ

أَصْواتُ عُجمٍ إذا قَامُوا بقُرْبَتِهم كما تُصَوِّتُ في الصُّبحِ الخَطَاطِيفُ

فاليومَ فِيهِ صَلاةُ الحَقِّ ظَاهِرَةٌ وصَادِقٌ مِن كِتَابِ اللهِ مَعرُوفُ

فِيهِ المَثَانِي وآياتٌ مُفَصَّلَةٌ فِيهِنَّ مِن رَبِّنَا وَعْدٌ وَتَخْوِيفُ

فأنت ترىٰ أن الشاعر يعد نفسه في عداد المسلمين، فيقول (تدعو النصارىٰ لنا)، ويعبر عنهم بالشراسيف، إذًا لا يعقل أن نصرانيًا يقول ذلك القول علىٰ فئة هو منها، ويقول (بيعتهم) و(مسجدنا)، ويوقن أن صلاة المسلمين هي الصلاة الحقة، ويؤمن بصدق القرآن وأنه من عند الله حقًا، وأن فيه وعدًا للمسلمين ووعيدًا للنصارىٰ والمشركين.

وكأن نابغة بني شيبان علم أن مؤلف الأغاني سيطعن في إسلامه فأثبته في قصائد عدة ولا سيما في هذه الخريدة الفريدة، وكأنه خاف أيضًا أن يقول الناس أن كلامه هذا لا يعبأ به لأنه شاعر، والشعراء يقولون مالا يفعلون وينبسون بما لا يعتقدون، فرد عليهم في ختامها قائلًا:

تَمَّت قَصِيدةُ حَقٍ غَيرِ ذي كَذِبٍ في حَوْكِهَا مِنْ كَلَامِ الشِّعْرِ تَأْلِيفُ



قَوَّمْتُ منها فَلَا زَيْغٌ ولا أَوَدٌ   كَمَا أَقَامَ قَنَا الخَطِّيِّ تَثْقِيفُ

وبعد: فما كان لصاحب الأغاني أن يقع في هذا الخطأ البين، وما أردت بكلمتي هذه إلا خدمة الحق والتاريخ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله.

(٢-١٠)

لص الشعراء و النابغة:

تلفت اللُص ذات اليمين وذات الشمال، ثم تسلل إلىٰ بطون الأسفار، ونوادر المخطوطات، فصاغ منها ما شاء، واقتطف ما أراد، ثم طلع علىٰ الناس بكتابه (شعراء النصرانية بعد الإسلام). أتدري أيها القارئ من لص الشعراء هذا؟ إني أخجل سلفًا أن أقول لك إنه عالم ديني!! وأب من الآباء اليسوعيين اسمه (لويس شيخو)!!!

سطا هذا الأب علىٰ تراث نابغة بني شيبان وزعم أن مخلفه كان نصرانيًا، وراح يدعم زعمه بالحجج الباطلة والبراهين الواهية فقال: «وأما دينه فقال عنه أبو الفرج: وكان فيما أرىٰ نصرانيًا لأني وجدته في شعره يحلف بالإنجيل، وبالرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارىٰ. وكذلك قال الصفدي في الوافي بالوفيات: قيل إنه كان نصرانيا. ويدعوه عبدالعزيز بن مروان بابن النصرانية».

هذه هي البراهين الثلاثة التي اعتمد الأب عليها، ووضع من أجلها النابغة في مقدمة شعراء النصرانية.

أما البرهان الأول وهو أهمها فقد ذكرناه في مقالنا السابق، وأما البرهان الثاني إن صح أن يسمىٰ برهانًا فهو متداع من تلقاء نفسه، ويكفي أن تعلم أن الصفدي عبر



بقيل، وما القائل إلا أبو الفرج الأصفهاني. وأما البرهان الثالث وهو الذي عصر الأب فكره فيه، وكد ذهنه في استنباطه: - ابن النصرانية -، فسببه فيما زعموا أن النابغة أشار علىٰ عبدالملك بتولية الوليد ابنه العهد بدل أخيه عبدالعزيز، وكان ذلك وفق هواه، فلما علم عبدالعزيز بما أشار به النابغة استشاط غضبًا وقال: «لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلًا ضيقًا فأوردها موردًا خطرًا، وبالله عليَّ لئن ظفرت به لأخضبن قدمه بدمه»، فرح الأب بتلك الكلمة وجعلها برهانًا حاسمًا علىٰ نصرانية النابغة.

مرحىٰ!! مرحىٰ!!

أرأيت أيها القارئ فكرًا أثقب من هذا؟

أرأيت عقلًا أنضج من هذا العقل الذي استنبط هذا الاستنباط؟

أما علم الأب أن تلك الكلمة صدرت من رجل يغلي في صدره مرجل الحقد، ويضطرم في نفسه أتون الغضب علىٰ النابغة، وكيف لا؟ والنابغة يريد أن يقصيه عن عزة الملك، ويخلع عن رأسه تاج الخلافة والأمارة، اللهم إن هذه الكلمة لا يمكن أن يستنتج منها عاقل أن أم النابغة تدين بالنصرانية فضلًا عن كونها يستنتج منها نصرانية ابنها...

اللص يخفي معالم جريمته!

أراد الأب أن يخفي معالم جريمته الشنيعة، ففكر وقدر، ثم حذف الأبيات الدالة علىٰ إسلام النابغة ليدلس علىٰ القراء؛ مثال ذلك أنه قال:

وَتُعْجِبُنِي اللَّذَّاتُ ثُمَّ تَعُوجُنِي ... وَيَسْتُرُنِي عَنْهَا مِنَ اللهِ سَاتِرُ

وَقُلْتُ وَقَدْ مَرَّتْ حُتُوفٌ بِأَهْلِهَا ... أَلَا لَيْسَ شَيْءٌ غَيرَ رَبِّي غَابِرُ



هُوَ البَاطِنُ الرَّبُّ اللَّطِيفُ مَكَانُهُ ... وَأَوَلُ شَيْءٍ رَبُّنَا ثُمَّ الآخِرُ

كَرِيمٌ حَلِيمٌ لا يُعَقِّبُ حُكمُه ... كثيرُ أيادي الخيرِ للذنب غَافِرُ

يُنِيمُ حَصَادَ الزَّرْعِ بعد ارتفَاعِهِ ... فتَفْنَىٰ قُرُونٌ وهو للزرع آبِرُ

وَمَن يَعْيَ بالأخبار عمن يَرُومُهُ ... فإني بما قد قلتُ في الشعر خَابِرُ

جبن الأب وترك بعد البيت الأول بيتًا عظيمًا لأنه يقلب دعواه رأسًا علىٰ عقب وهو:

وَيَزجُرُنِي الإسلامُ والشَّيْبُ والتُّقَىٰ ... وفي الشَّيبِ والإسلامِ للمَرءِ زَاجِرُ

النابغة نصراني صميم!:

لم يكتف العالم العلامة بإثبات نصرانية النابغة، بل تعمق في بحثه وأثبت أنه نصراني من سلالة النصارىٰ العريقين في النصرانية وإليك برهانه:

أتىٰ بقطعة قالها النابغة في الفخر آخرها:

فَسَلُوا شَيْبَانَ إن فَارقتُهُم ... يَومَ يَمشُون إلىٰ قَبْرِي بِنَعْشِ

هل غَشِينَا مَحرَمًا في قَوْمِنَا ... أَوْ جَزَيْنَا جَازِيًا فُحشًا بفُحشِ

وعلق علىٰ البيت الثاني بقوله: «ما أحسن الختام وفيه دليل واضح علىٰ نصرانية شيبان العاملين بوصية السيد المسيح، وأمره بمحبة الأعداء»!!

لاشك أنك أيها القارئ محتاج الآن إلىٰ (الإلكتروسكوب) لترىٰ هذا الاستكشاف الخطير! استكشاف نصرانية بني شيبان جميعًا، ولتبصر كيف استنبط الأب من نصرانيتهم نصرانية النابغة...

لم لا يكون الشاعر المسلم استخرج هذا المعنىٰ من قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي



ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، لم يكون ذلك هو المعقول، فكثيرًا ما نظم الشاعر معاني آيات الكتاب الكريم كقوله:

فاتَّقِ اللهَ ما استطعتَ وأَحْسِنْ إن تَقْوَىٰ الإلَهِ خَيرُ الخِلالِ

فإن هذا المعنىٰ من قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ﴾، وسنورد إن شاء الله من أمثلة ذلك ما يثلج صدر القارئ عند الكلام علىٰ تراثه الديني...

اللص يفضح نفسه:

شاء ربك أن يفضح الأب نفسه من حيث لا يشعر، ويظهر خيانته للأدب والأدباء، ويكشف جنايته علىٰ الشعر والشعراء فقال: «قد سبق ما رويناه عن أبي الفرج الأصفهاني في نصرانية النابغة الشيباني، علىٰ أن في شعره قصيدة تدل علىٰ أنه ارتد إلىٰ الإسلام، وذلك في قصيدة فائية قالها في مدح الوليد».

حسن جدًا أن يعترف الأب المتعصب بارتداد النابغة عن المسيحية إلىٰ الإسلام في عهد الوليد، أي في مستهل حياة الشاعر، ويقر بأنه لم يعدل بعد ذلك عن الإسلام إلىٰ النصرانية...

يعترف ويغالط!

أدرك الأب أن جواده كبا به في مضمار الباطل واعترف بالحقيقة المرة - إسلام النابغة - فأراد أن يتدارك عثرته فقال: «ومن المحتمل أن الوليد جذبه بالوعد أو بالوعيد إلىٰ جحود دينه»!!

الله أكبر! الله أكبر! أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك ينفق أمواله في سبيل



إسلام رجل نصراني لا في العير ولا في النفير!!!

مهلًا يا أبانا فما عرف المسلمون وسائل التبشير والإغراء كما تعرفون، وما جنحوا إليه أيام ضعفهم فكيف يجنح إليه أمير المؤمنين في عصر نهضة الإسلام، في العصر الذهبي الذي اكتسح فيه الإسلام أوروبا بتعاليمه السامية، وتسامح أهله الكرماء؟ اللهم إن هذه تهمة باطلة، أراد اللص أن يصم بها غرة أمير المؤمنين ليتوصل بذلك إلىٰ القول بنصرانية النابغة، فآب بخُفَّي حنين.

تخبط اللص:

تخبط الأب في بيداء الجهالة، وارتبك ارتباكًا مروعًا، يوجب الشفقة ويستحق الرثاء! فتراه ينقض قوله ويفنده دون وعي أو شعور، فبعد أن قدح ذهنه في علة يعلل بها ارتداد النابغة عن المسيحية - علىٰ زعمه - وهي علة أوهىٰ من بيت العنكبوت لو كان من العالمين.

تعثر واعترف في ختام كلامه بأن النابغة شاعر إسلامي يبغض النصرانية والنصرانيين حيث قال: «ولنا في تاريخه ما يثبت تشدده علىٰ النصارىٰ».

لست أدري؟؟

لست أدري علام اعتمد الأب لويس في ذكر النابغة بين شعراء النصرانية بعد أن اعترف بإسلامه، وأقر بأنه كان شديدًا علىٰ النصارىٰ، وعدوًا لدودًا لهم؟؟ لاشك أنه اعتمد علىٰ الكذب والتدليس، والمغالطة في الحقائق الناصعة، ومن هذه سجاياه وتلك صفاته: ليس بكثير أن يسمىٰ لص الشعراء كما سترىٰ إن شاء الله تعالىٰ.



(٣ - ١٠)

أجملنا القول في مقالنا السابق، عما وقع بين نابغة بني شيبان وعبدالعزيز بن مروان، إجمالًا كان من نتيجته أن تركنا الأبيات التي أثارت غضبه علىٰ النابغة كما زعموا، فرأينا أن نعود إليها اليوم لئلا يتوهم مأفون أننا ما نبذناها إلا فرارًا من نتائجها، وفَرَقًا من أن تنهار دعوانا.

حدث صاحب الأغاني (٦: ١٥١) عن العُتْبِي قال: لما هم عبدالملك بخلع عبدالعزيز أخيه، وتولية الوليد ابنه العهد، وكان نابغة بني شيبان منقطعًا إلىٰ عبدالملك مداحًا له، فدخل إليه في يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه، فمثل بين يديه وأنشده قوله:

اشتَقتَ وانْهَلَّ دمعُ عَيْنِكَ أَنْ ... أَضْحَىٰ قِفارًا مَنْ أَهلُه طَلَحُ

حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله:

آليتُ جَهدًا وصادقٌ قَسَمِي ... بِرَبِّ عبدٍ تَجُنُّهُ الكُرَحُ

يَظَلُّ يَتْلُو الإِنْجِيلَ يَدرُسُهُ ... مِن خَشيةِ اللهِ قَلبُهُ طَفِحُ

لَابنُكَ أَوْلَىٰ بِمُلْكِ وَالِدِهِ ... ونَجْمُ مَن قَد عَصَاكَ مُطَّرَحُ

دَاودُ عدلٌ فاحْكُمْ بِسيرَتِهِ ... ثُمَّ ابنُ حَربٍ فإنهم نَصَحُوا

وَهُم خِيَارٌ فاعْمَل بسُنَّتِهِم ... وأَحْيِ بخَيرٍ واكْدَح كَمَا كَدَحُوا

فتبسم عبدالملك ولم يتكلم بأقدار ولا بدفع، فعلم الناس أن رأيه خلع عبدالعزيز، وبلغ ذلك من قول النابغة عبدَالعزيز فقال: «لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلًا ضيقًا، فأوردها موردًا خطرًا، وبالله عليَّ لئن ظفرت به لأخضبن قدمه بدمه»!



مر لص الشعراء علىٰ هذه القصة مر الكريم، ولم يأخذ منها إلا كلمة واحدة: (ابن النصرانية)، ولكنه كان لبقًا، فعلق علىٰ البيت الثاني في الهامش تلك العبارة الخافتة: «في البيت شاهد علىٰ نصرانية الشاعر»!

ترىٰ لماذا لم يجعل لص الشعراء هذا البيت برهانًا علىٰ نصرانية النابغة وهو الذي أراد أن يثبت نصرانيته بقوله:

فَسَلُوا شَيْبَانَ إن فَارقتُهُم ... يَومَ يَمشُون إلىٰ قَبْرِي بِنَعْشِ

هل غَشِينَا مَحرَمًا في قَوْمِنَا ... أَوْ جَزَينَا جَازِيًا فُحشًا بفُحشِ

ترىٰ لماذا لم يجعله برهانًا رابعًا؟ ما السر في ذلك؟

السر في ذلك أن الأبيات مدسوسة علىٰ النابغة وليست من شعره، ولولا ذلك لما تركه اللص وذهب يتلمس عللًا أوهىٰ من بيت العنكبوت يعلل بها زعمه.

إن الأبيات لعبدالله بن خارجة الملقب بأعشىٰ ربيعة، وبذلك اعترف اللص (٢ : ١٣٢) قال: «ذكر البلاذري في كتاب الأشراف ص ٣٤٠ أن أعشىٰ بني ربيعة قال شعرًا يحث فيه عبدالملك علىٰ بيعة الوليد، وخلع أخيه عبدالعزيز:

ابنُك أَوْلَىٰ بمُلْكِ وَالِدِهِ ... وعَمُّه إذ عَصَاكَ مُطَّرَحُ

وَرِثتَ عُثمَانَ وابنَ حَرْبٍ ومَرْ ... وَانَ وكُلٌّ للهِ قَد نَصَحُوا

فَعِشْ حَمِيدًا واعْمَلْ بِسُنَّتِهِم ... تَكُنْ بِخَيرٍ واكْدَح كَمَا كَدَحُوا

قلنا: والأبيات تروىٰ مع بعض اختلاف في الرواية لنابغة بني شيبان».

قلت: وأنا أرجح أنها للأعشىٰ لا للنابغة، ولعل الأعشىٰ يشير إلىٰ ذلك في البيت الأخير من القطعة التالية:



قال عبدالملك بن مروان للأعشىٰ ذات يوم يا أبا المغيرة ما بقي من شعرك؟ فقال: يا أمير المؤمنين لقد بقي منه وذهب، علىٰ أني الذي أقول:

وما أنا في أَمْرِي ولا في خُصُومَتِي ... بمُهْتَضَمٍ حَقِّي ولا قَارِعٌ سِنِّي

ولا مُسلِمٌ مولايَ عند جناية ... ولا خائفٌ مولاي من شر ما أَجْنِي

وإن فؤادًا بين جنبيَّ عالمٌ ... بما أَبصَرَت عيني وما سَمِعَتْ أُذُني

وفَضَّلَني في الشعر واللُّبِ أنني ... أقولُ علىٰ علم وأعرفُ ما أعني

فأصبحتُ إن فَضَّلتُ مَرْوَانَ وابنَه ... علىٰ النَّاسِ قَد فَضَّلتُ خَيرَ أبٍ وابنِ

فلما سمع عبدالملك بن مروان هذه القطعة قال: من يلومني علىٰ هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تخوت ثياب، وعشر فرائض من الإبل، وأقطعه ألف جريب، وليس ببدع أن ينسب شعر الأعشىٰ للنابغة، فكثير ما خلط الرواة أشعارهما، مثال ذلك أنهم نسبوا النتفة التالية للنابغة، ونسبوها للأعشىٰ وهي:

إذا المَرءُ غَالَتْهُ شَعُوبٌ ... فما للشَّامِتِينَ بِهِ خُلُودُ

ورَيبُ الدَّهرِ بالإنسان جَمٌّ ... ولا يُنجِي من التَّلَفِ الجُدُودُ

وأمثلة ذلك كثيرة!!!

ولنفرض جدلًا أن النابغة صاحب الأبيات الأولىٰ وأنه كافر بسببها!! إلا أننا نقول إن مما لا ريب فيه أنه كان مسلمًا قبل تولية الوليد وظهرت مسحة الإسلام علىٰ شعره في مدحه للوليد ومن خلفه من الخلفاء.

قال النابغة - والخطاب موجه للوليد -:

قَسْرًا عدُوَّكَ إن الضِّغنَ قاتلُهُم ... وإنهم إن أرادوا غَدْرَةً تَعِسُوا



لا يُبْصِرُون وفي آذانهم صَمَمٌ   إذا نَعَشْتَهُم من فتنة رُكِسُوا

هم الذين سمعتُ اللهَ أوعدهم   المشركون ومن لم يَهْوَكُم نَجَسٌ

وإليك مثالًا ثانيًا: قال النابغة من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبدالملك:

إنْ تَمُتْ أَنفُسُ الأنام فإن اللـ   ـهَ يَبْقَىٰ وصَالِحُ الأعمَالِ

كُلُّ سَاعٍ سَعَىٰ ليُدرِك شَيْئًا   سَوفَ يَأتِي بِسَعْيِهِ ذا الجَلَالِ

فَهُمْ بَينَ فَائزٍ نَالَ خَيرًا   وشَقِيٍ أَصَابَه بِنَكَالِ

إَن مَن يَركَبُ الفَوَاحِشَ سِرًا   حِينَ يَخْلُو بِسَوْءةٍ غَيرُ خَالِ

كَيفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ   شَاهِدَيْهِ ورَبُّهُ ذُو المِحَالِ

فاتَّقِ اللهَ ما استَطَعتَ وَأَحْسِنْ   إن تَقْوَىٰ الإلَهِ خَيرُ الخِلَالِ

ثم أليس هو القائل تدعو النصارىٰ لنا..؟؟

أليس هو القائل ضمن قصيدة يمدح بها مسلمة بن عبدالملك:

كُلُّ المَصائِبِ إن جَلَّت وإن عَظُمَتْ   إلا المُصِيبَةُ فِي دِينِ الفَتَىٰ جَلَلُ؟

أي وربي يا نابغة كل مصيبة مهما عظمت وجل خطبها فهي صغيرة تافهة إلا مصيبة الفتىٰ في إسلامه فإنها كارثة عظمىٰ ونائبة كبرىٰ، وبيتك هذا هو الذي حدا بي إلىٰ الذود عن دينك والذب عن يقينك، وهو الذي دعاني إلىٰ لوم شارح ديوانك علىٰ إغفاله أمر دينك، وعدم التفاته إلىٰ صرخاتك المتتالية، واستغاثاتك الداوية، فكم أشرفتَ عليه من ثنايا أبياتك ورجوت أن ينقذك من إفك الرواة وكذب المؤرخين ولكن، ولكنه كان عن ندائك مشغولًا بشرح ألفاظك العويصة، كشرح



(الشمال) بأنها: ريح تهب بين مطلع الشمس وبنات نعش، أو من مطلع النعش إلىٰ مسقط النسر الطائر...!!

وفوق هذا وذاك أليس النابغة هو الذي قطع ألسنة المتقولين بقوله:

وتُعجِبُنِي اللذاتُ ثم يَعُوجُنِي   و يستُرُنِي عنها من الله ساترٌ

ويَزْجُرُنِي الإِسلَامُ والشَّيبُ والتُّقَىٰ   وفي الشَّيبِ والإسلَامِ للمَرْءِ زَاجِرٌ

ولا يحسبن القارئ أن تمدح الشاعر بإسلامه يوهم أنه كان نصرانيًا وأسلم، فكثيرًا ما تمدحوا بذلك كقول الشاعر المسلم الورع التقي البَخْتَرِي ابن أبي صفرة:

وإِنِّي لتَنْهاني خَلَائقُ أَربَعٌ   عَن الفُحشِ فيها للكَرِيمِ رَوَادعُ

حَيَاءٌ وإِسلَامٌ وشَيْبٌ وعِفَةٌ   وما المَرءُ إِلَّا مَا حَبَتْهُ الطَّبَائِعُ

وهذا سُحَيْم عبد بني الحَسحَاس يقول في قصيدته المسماة بالديباج الخسرواني:

عُمَيرَةَ وَدِّعْ إِن تَجَهَزْتَ غَادِيَا   كَفَىٰ الشَّيبُ والإسلامُ للمرءِ نَاهِيًا

هذا البيت الذي نال صاحبه راية الشرف والفخار، بكثرة تمثل رسول الله ﷺ به، وأقوال الشعراء في هذا المعنىٰ جمة لسنا في حاجة إلىٰ استيعابها.

رحم الله النابغة وأمطر علىٰ جدثه شآبيب المغفرة والرضوان، فما كان يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين.

(٤- ١٠)

النابغة الشيباني أو النابغة الذُّهْلِي أو النابغة البكري ألقاب لملقب واحد هو عبدالله بن المخارق الشيباني، وقد وهم الآمدي في كتاب (المؤتلف والمختلف)



إذ فرق بينهما، وكذلك شط الزمخشري في كتاب (الكشاف) عن سنن الصواب إذا فرق بينهما. وكما مُني الشاعر في دينه ولقبه، مني كذلك في اسمه، فابن دريد في (الوشاح) يسميه حمل بن سعدانه، وتبعه كذلك السيوطي في كتابي (المزهر) و (شواهد المغني)، وكذا جارالله في تفسيره. وذلك كله عازب عن جادة الصواب، كما عزب عنها صاحب (مجموعة المعاني) إذ سماه عبيد الله.

ولكن الصحيح أنه عبدالله بن المُخَارِق بن سُلَيْم بن خَصِيرَة بن قيس بن سِنَان بن حماد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان بن ثَعْلَبَة بن عُكَابَة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْبِ بن أَفْصَىٰ بن دِعْمِي بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

موطنه ونشأته:

نشأ النابغة ببادية الشام في أواخر القرن الأول الهجري، ولم يعرف بالتحديد تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته. وقد حبته طبيعة بلاده بكل خصائصها ومميزاتها، فقد كان يميل إلىٰ الإكثار من الغريب والإغراب في بعض أبياته كقوله:

وبُدِّلْتُ مِنْ سَلْمَىٰ وحُسْنِ صفاتِها ... رُسُومًا كَسَحْق البُرْدِ بل هي أَخْلَق[١]

عَفَتْها خَسا الأرواح تُذْرِي خلالها ... وجال علىٰ القَضِّ التُرابُ المُدَقَّقُ[٢]

وغَيَّرَها جَوْنٌ رُكَامٌ مُجَلجِلٌ ... أَجَشُّ خَصِيفُ اللونِ يَخْبُو ويَبْرُقُ[٣]

---

(١) السَّحْق: البالي، البُرْد: الثوب، أخلق: أقدم.

(٢) عَفَتْهَا: محتها، الخَسَا: الفرد، الأرواح: جمع ريح وهي الهواء، تُذْرِي: تسرع، خِلَالَها: بينها، جال: طاف، القَضُّ: الحصىٰ الصغير، المدقق: التراب الخفيف الذي تحمله الرياح معها أثناء هبوبها علىٰ الصحراء.

(٣) الجون: الأسود، الركام: السحاب المتراكم، المجلجل: الراعد ذو الصوت الشديد، الأجش: الغليظ، الخصيف: المختلط اللون من بياض وسواد، يخبو: يطفأ ويخمد، يبرق: يضيء.



يَلَالِي وَمِيضٌ مُستَطِيرٌ يَشُبُّه   كما جَالَ في دُهْمٍ من الخيل أَبْلَقُ(١)

لكنه مع ذلك، كان شاعرًا خصب القريحة، قوي الأسلوب، رائع المعنىٰ، سامي الخيال، إن وصف أبدع وجعل الموصوف كأنك تراه ممثلًا أمام ناظريك، قائمًا نصب عينيك، وإن مدح خلب الألباب بسحره، وشنف المسامع برشيق شعره، وإن تغزل هز أوتار القلوب، وأثار شجو النفوس، واستنزف الدمع من المآقي، وإن فخر فاق الفرزدق وجريرًا، وإن هجا أزرىٰ بهما، ولكن في أدب ووقار وترفع واحتشام، ولا تسل عنه واعظًا أو حكيمًا فله في هذا المضمار شأن عظيم، وناهيك بحكمه الغالية وأمثاله الرائعة اللذين يضارع فيهما أبا الطيب المتنبي إن لم ينزه.

كان النابغة رَحِمَهُ ٱللَّهُ زكي الفؤاد، طاهر النفس، نقي السريرة، حسن السيرة، مسلمًا بكل ما فيه الكلمة من معنىٰ، ومالي أسهب في وصفه وقد أجمله في قوله:

وإن خَلَائِقِي حَسُنَت وطَابَت   كِرَامٌ لا يُسَبُّ بِهِنَّ نَغْشُ

(٥ - ١٠)

الحكمة في شعر النابغة:

تتخلل الحِكَم والأمثال قصائد النابغة كثيرًا، منها ما صيغ في شطر واحد كقوله:

وَكُلُّ امرِئٍ لا يَتَّقِ اللهَ أَحْمَقُ

---

(١) يَلَالِي: يلمح، الوميض: لمعان البرق، المستطير: المنتشر الضوء، يَشُبُّه: يوقده، دُهْم: جمع أدهم وهو الجواد الأسود، الأبلق: الذي يخالط سواده بياض.



وكقوله:

وَكُلُّ نَعِيمٍ فِي الحَيَاةِ غُرُورُ

وما صيغ في بيت كقوله:

غَنِيُّ النَّفسِ ما استَغْنَت غَنِيٌّ وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عُمِرَت شَقَاءُ

وكقوله:

وَكُلُّ أُخُوَّةٍ فِي اللهِ تَبقَىٰ وَلَيسَ يَدُومُ فِي الدُّنْيَا إِخَاءُ

وقد ينتظم البيت من أبياته حكمتين كقوله:

عَاتِبْ أَخَاكَ ولا تُكْثِر مَلَامَتَهُ وَزُرْ صَدِيقَكَ رِسْلًا بَعدَ تَغْيِيبِ

وإِن عُنِيتَ بِمعْرُوفٍ فَقُلْ حَسَنًا وَلَا تَهِنْ عَنْ ذَوِي ضِغْنٍ لِتَهيِيبِ

و كقوله:

وَلَستُ أَرَىٰ السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقَيَّ هُوَ السَّعِيدُ

وَتَقْوَىٰ اللهِ خَيرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِندَ اللهَ لِلأَتقَىٰ مَزِيدُ

وهاك طائفة مختارة من حكمه الغالية في معان شتىٰ وهي أبيات جديرة بأن تحفظ ويتمثل بها:

لَا تَحْمَدَنَّ امرأً حَتَّىٰ تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِن غَيرِ تَجرِيبِ

❊ ❊ ❊

قَد يَرجِعُ المَرءُ لا تُرجَىٰ سَلَامَتُه وقد يُصيبُ طَويلَ القِعْدَةِ التَّلَفُ

❊ ❊ ❊



وَمَا لَابُدَّ منه سَوفَ يَأْتِي　　وَلَكِنَّ الذِي يَمضِي بَعِيدُ

❊ ❊ ❊

وَقَد يَصبِرُ المِهْلاعُ لابُدَّ مَرَّةً　　ويَخْرُجُ صَلبَ العُودِ وَهُوَ صَبُورُ

أَلا رُبَّ نَاهٍ عَن أُمورٍ وَإِنَّهُ　　بَأَيٍّ أُمُورٍ مِثْلِها لَجَدِيرُ

وَكَيفَ تُسِرُّ الفَخرَ فِي غَيرِ كُنهِهِ　　وَفَي أَنفُسِ الأَقوَامِ أَنتَ حَقِيرُ

وَكَائنٍ تَرَىٰ من كَامِلِ العَقلِ يُزدَرَىٰ　　وَمِن نَاقصَ المَعقُولِ وَهُو جَهِيرُ

❊ ❊ ❊

وَضَيفَكَ مَا عَمِرتَ فَلَا تُهِنْهُ　　وآثِـرْهُ وإن قَـلَّ الـعَـشَـاءُ

وَلَا تَجعَلْ طَعَامَ اللَيلِ ذُخْرًا　　حِذارَ غَـدٍ لِكُـلِّ غَـدٍ غَـدَاءُ

❊ ❊ ❊

إِنَّ الغَلَامَ مُطِيعٌ مَن يُؤَدِّبُهُ　　وَلَا يُطِيعُكَ ذُو شَيبٍ لِتَأدِيبِ

❊ ❊ ❊

وَإِذَا كُـنـتَ ذَا أَنَـاةٍ وَحِـلْـمٍ　　لَمْ تَطِرْ عِندَ طَيْرَةِ الجُهَّالِ

وَإِذَا مَا أَذَلْتَ عِرضَكَ أَوْدَىٰ　　وَإِذَا صِيـنَ كَـانَ غَـيـرَ مُذَالِ

❊ ❊ ❊

وَذُو الصَّمتِ لا يَجنِي عَليهِ لِسَانُه　　وَذُو الحِلمِ مَهْدِيٌّ وَذُو الجَهْلِ أَخْرَقُ

❊ ❊ ❊



وَكُـلُّ شَـدِيـدَةٍ نَـزَلَـت بِـحَـيٍ سَيَأْتِي بَعدَ شِدَّتِها الرَّخَاءُ

لَاَ يُعْطَىٰ الحَرِيصُ غِنَىٰ لِحرصٍ وَقَد يَنْمِي لِذِي الجُودِ الثَّرَاءُ

❊ ❊ ❊

إِنَّ السَّلَائِقَ فِي الأَخلَاقِ غَالِبَةٌ وَالصَّقْرُ لا يُقْتَنَىٰ إِلا بِتَدْرِيبِ

ومن جيد قول النابغة في تصاريف الزمان ونوائب الحدثان وحال الناس ما بين فرح وترح، وغنىٰ وضلال، واستقامة واعتدال:

وَالدَّهرُ حَالَانِ هَمٌّ بَعدَه فَرَجٌ وَفَرحَةٌ بَعدَها هَمٌّ بِتَغْيِيبِ

مَن يَلْقَ بَلْوَىٰ يُنِبْهُ بَعدَهَا فَرَحٌ وَالنَّاسُ مَا بَينَ ذِي رَوْحٍ وَمَكْرُوبِ

وَبَينَ دَاعٍ إِلَىٰ رُشدٍ صِحَابَتُهُ وَبَينَ غَاوٍ وَذِي مَالٍ وَمَحرُوبِ

وَالعَيشُ طُبْيَانِ طُبْيٌ ثَرَّ حَالِبُهُ وَطُبْيٌ جَدَّاءَ ذَاوٍ غَيرُ مَحْلُوبِ

وله في هذا المعنىٰ أقوال جميلة، وأبيات رصينة، تنم عن بعد نظره، وتصور نفسه وتفكيره تصويرًا دقيقًا كقوله:

وَمَا النَّاسُ فِي الأَعمَالِ إِلا كَبَالِغٍ يُبَنِّي وَمُنْبَتٌّ النِّيَاطِ حَسِيرُ

فَمُسْتَلَبٌ مِنهُ رِيَاشٌ وَمُكْتَسٍ وَعَارٍ، وَمِنهُم مُترِبٌ وَفَقِيرُ

وَبَاكٍ شَجًا أَو ضَاحِكٌ عِندَ بَهجَةٍ وآخَرُ مُعطَىٰ صِحَةً وَضَرِيرُ

وَكُلُّ امرِئٍ إِن صَحَّ أَو طَالَ عُمرُهُ إِلَىٰ مِيتَةٍ لَابُدَّ سَوفَ يَصِيرُ

يُؤَمِّلُ فِي دُنيَاهُ مَا لَيسَ مُدْرِكًا وَلَيسَ لَه مِن أَن يُنَالَ خَفِيرُ

وَإِنَّ نَمَاءَ النَّاسِ شَتَّىٰ وَ زَرْعُهُم كَنَبْتٍ فَمِنْهُ طَائِلٌ وَ شَكِيرُ

ومن قول النابغة في طموح النفس إلىٰ ذروة المجد وإخفاقها، وانبتات حبل الأمل بهادم اللذات ومعاكسة الأقدار:



كَمْ مِن مُؤَمِلٍ شَيءٍ لَيسَ يُدرِكُهُ ... والمَرءُ يُزرِي بِهِ فِي دَهرِه الأَمَلُ

يَرجُو الثَّرَاءَ ويَرجُو الخُلْدَ مُجتَهِدًا ... وَدُونَ مَا يَرتَجِي الأَقدَارُ وَالأَجَلُ

وَالدَّهرُ يُبْلِي الفَتَىٰ حَتَّىٰ تُغَيِّرَه ... كَمَا تَغَيَّرُ بَعدَ الجِدَّةِ السَّمَلُ

وَالأَقْوَرَينِ يَرَاهَا فِي تَقَلُّبِهِ ... كَمَا تَقَلَّبُ خَلْفَ البَاقِرِ العَجَلُ

وتشبيهه تقلب الدهر علىٰ الإنسان بتقلب عجل العربات خلف البقر تشبيه تاريخي بديع، فقد مثل الشاعر بما وقع عليه نظره وقد كانت أرقىٰ المواصلات في ذلك الوقت العربات (الكرو) تجرها الثيران ولا زالت بقية من هذا النوع في دوائر الأثرياء في القرىٰ.

ومن قول النابغة في اقتناص المنية الشباب النضير، وهصر غصون الأحداث في شرخ الصبا وتجاوزه الشيوخ الذين لا فائدة فيهم، ولا خير يرجىٰ منهم، لأن الدهر كما يقال أكل عليهم و شرب:

يُعَمَّرُ ذُو الزَّمَانِة وَهُو كَلٌّ ... عَلَىٰ الأدنَىٰ وَلَيسَ لَهُ غَنَاءُ

وَيُردَىٰ المَرءُ وَهُو عَمِيدُ حَيٍّ ... وَلَو فَادُوه مَا قُبِلَ الفِدَاءُ

إِذَا حَانَت مَنِيَّتُهُ وَ أَوصَىٰ ... فَلَيسَ لِنَفْسِهِ مِنهَا وِقَاءُ

ومن جيد قوله في الحث علىٰ مصاحبة العقلاء والعض عليها بالنواجذ، ومقاطعة السفهاء لأن مصاحبتهم داء عضال لا شفاء منه إلا بصرم حبل المودة:

أَصِبْ ذَا الحِلمِ مِنكَ بِسَجْلَ وِدٍ ... وَصِلْهُ وَلَا يَكُن مِنكَ الجَفَاءُ

وَلَا تَصِلِ السَّفِيهَ وَلَا تُجِبهُ ... فَإِنَّ وِصَالَ ذِي الخَرَبَاتِ دَاءُ

وَإِنَّ فِرَاقَه فِي كُلِّ أَمرٍ ... وَصَرْمَ حِبَالِ خُلَّتِهِ شِفَاءُ

ومن قوله الذي لا مثيل له:



سَأَمْنَعُ نَفْسِي رِفْدَ كُلِّ بَخِيلٍ وَأَحْبِسُ نُطقِي عَن جَوابِ جَهُولِ
فَإِنَّ الجَهُولَ لَا يُرَدُّ كَلَامُهُ وَلَيسَ سَبِيلُ الجَاهِلِينَ سَبِيلِي

ومن قوله في فناء الناس جميعًا ما بين غني وفقير وصغير وكبير، والنهي عن الشماتة في الذين أنشب الموت فيهم أظفاره، لأن الموت فيهم كوب لابد من احتساء الناس له:

إِذَا مَا المَرءُ غَالَتهُ شَعُوبٌ فَمَا لِلشَّامِتِينَ بِهِ خُلُودُ
وَكُلُّ مُنَعَّمٍ وَأَخِي شَقَاءٍ وَمُثْرٍ وَالمُقِلُّ مَعًا يَبِيدُ

كذلك يقول:

وَقُلْ لِلمُتَّقِي حَدَثَ المَنَايَا تَوَقَّ فَلَيسَ يَنْفَعُكَ اتِّقَاءُ
وَلَا تَبْكِ المُصَابَ وأَيُّ حَيٍّ إِذَا مَا مَاتَ يُحيِيهِ البُكَاءُ
وَقُلْ لِلنَّفسِ مَن تُبقِي المَنَايَا وَكُلُّ النَّاسِ لَيسَ لَهُ بَقَاءُ
تُعَزَّىٰ بِالأَسَىٰ فِي كُلِّ حَيٍّ فَذَلِكَ حِينَ يَنْفَعُها العَزَاءُ
سَتَفْنَىٰ الرَّاسِيَاتُ وَكُلُّ نَفْسٍ وَمَالٌ سَوفَ يَبلُغُهُ الفَنَاءُ

ومن قوله في انقضاض الموت علىٰ كل إنسان لا فرق بين من في برج مشيد ومن في ساحة الوغىٰ، وأن كل إنسان له أجل لا يتأخر عنه برهة ولا يتقدم:

وَلَا يُنْجِي مِن الآجالِ أَرْضٌ يُحَلُّ بِهَا ولا القَصْرُ المَشِيدُ
ولا يُحْيِ الجَبَانَ حِذَارُ مَوتٍ وَيَبْلُغُ عُمرَهُ البَطَلُ النَّجِيدُ

وهذا المعنىٰ اقتبسه النابغة - وكثيرًا ما يقتبس - من قول الله ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾، ويطول بنا المقام لو نبهنا علىٰ كل معنىٰ أخذه الشاعر من الفرقان أو الحديث.



(٦ - ١٠)

النابغة وأم ليلىٰ:

سألتُ التاريخ عن كَلَفِ عبدالله بأم ليلىٰ وعلاقته بها، وهل ملكت عليه لبه، واستولت علىٰ حواسه ومشاعره كما استولت علىٰ الشعراء من قبل، أم لم يقع في شراكها وكان لها من الشانئين، فلم أظفر ببغيتي.

بيد أن للنابغة بضعة أبيات قالها في المخيلة لا تدل علىٰ أنه كان لها وامقًا، وربما كان الحادي به إلىٰ تدبيجها مجاراة الشعراء فيما يقولون، أو ليدنيه الوليد بن يزيد، فيشمله بعطفه ويدر عليه فيضًا من وابل آلائه، وسواء أكان هذا أم ذاك أم لم يكن ذلك ولا هذا. فالأبيات لا تشين إيمانه ولا تغير إسلامه، وهي تصور فعل الصارعة بألباب شاربيها ومزاودهم وأجسادهم، وإليك ما قال:

أَيُّهَا السَّاقِي سَقَتْكَ مِزنَةٌ ... من ربيع ذي أهاضيبٍ وَطَشْ[١]

امدَحِ الكَأسَ ومن أَعْمَلَها ... واهجُ قومًا قتلونا بالعَطَشْ

إِنَّمَا الكَأسُ ربيعٌ باكرٌ ... فإذا ما غابَ عنَّا لم نَعِشْ

وكأن الشُّرْبَ[٢] قوم مَوَّتُوا ... من يَقُم منهم لأمر يَرْتَعِشْ

خُرُسِ الألْسُنِ مما صابهم ... بين مصدوع وصاح مُنْتَعِشْ

مِن حُمَيًّا قَرْقَفٍ خُصيَّة ... قهوة حولية لم تَمتَحِشْ[٣]

فهي صاف لونُها مُبَيضَّة ... آل منها في خواب لم تُغشْ[٤]

---

(١) المزنة: السحابة، الأهاضيب: جمع أهضوبة وهي المطر، الطش: المطر الضعيف.

(٢) الشرب: جمع شارب.

(٣) الحميا: سورة الخمر وشدتها، القرقف: الخمر، خصية: نسبة إلىٰ خص الحمار وهو حانوته، القهوة: من أسماء الخمر، الحولية: التي مضىٰ عليها الحول، تمتحش: لم تصبها النار.

(٤) خواب: جمع خابية وهي الجرة الضخمة.



يَنفَعُ المزكومَ منها ريحُها ثم تَشفِي دَاءَه إن لم تُنَشْ

وتُرَخّي بَالَ من يَشرَبُها ويُفَدِّي كَرْمُها عند التَّجَشْ(١)

وهي مَن يَطعَمُها يَشحَذْ لها يُنفِقُ الأموالَ فيها كُلُّ هَشْ

غَنَّىٰ هذه القطعة أبو كامل مغني الوليد بن يزيد بحضرته، فطرب واستنشىٰ ثم سأل عن قائل هذا الشعر، فقيل له نابغة بني شيبان فأمر بإحضاره، فحضر من فوره، واستنشده القصيدة وكان يظن أن فيها مدحًا له، ولما لم يجد فيها ذلك غشيته غاشية من الشجن والأسىٰ ثم قال للنابغة: «لو أسعدك جدك لكانت مديحًا فينا لا في بني شيبان، ولسنا نخليك عن ذلك من حظ»، ووصله فانصرف.

وهذه الأبيات هي كل ما للشاعر من مباذل، وإن ساورك منها ريب في علاقة الشاعر ببنت الدِّنَان، وإن رسم خيالك له صورة سكير عربيد، وعللت ذلك بما تشعر به الأبيات من تَوَلُّهٍ نحو الخمر وتدله، فاسمع ما يقوله في معاقرته لها، وما يذوده عنها، تتبدد سحب شكوكك وتتبدل صورة السكير العربيد بصورة رجل مؤمن يرهب الله ويفرق من سوط عذابه، فقال النابغة:

ولولا اللهِ ليس له شريكٌ إلهٌ الناسِ ذو مُلكٍ وعرشِ

لباكرني من الخُرطُومِ كَأسٌ تكاد سُؤرِ نَفحَتِها تُنَشّي

تُدَبُّ لها حُمَيًّا حينَ تَنمِي وينفع ريحُها عند التَّجَشّي

يُبَاعُ الكَأسُ مِنهَا غَيرُ صِرفٍ بِصَافيةٍ من الأوراق حُرْشِ(٢)

وإن خَلَائِقِي حَسُنَتْ وطَابَت كِرَامٌ لا يُسَبُّ بِهِنَّ نَعْشِي

(١) التجشي: صوت يخرج من الفم مع ريح عند الشبع.

(٢) الصرف: الخالصة غير الممزوجة بالماء، الأوراق: جمع ورق وهو المال من إبل أو دراهم أو غيرها، الأحرش: الخشن.

لله تلك النفس الزكية الأبية التي تخاف الله و تتقيه وتحذر أليم عقابه، فتحجم عن احتساء كؤوس المدام لا لإملاق أو سغب، بل لأن ربها حرمها في شريعة الإسلام لا في النصرانية، و أنزل تحريمها في الفرقان لا في الإنجيل، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

(٧ - ١٠)

الشاعر الواعظ:

يمتاز نابغة بني شيبان علىٰ شعراء عصره بتوجيهه الشعر إلىٰ الأغراض الشريفة السامية التي تعود علىٰ المجتمع بالنفع الجزيل، وتهدي الناس سواء السبيل، ولم يجعل شعره كنظرائه معول هدم يقوض دعائم الأخلاق، ويقلب صرحها رأسًا علىٰ عقب، بل عمل جهد استطاعته علىٰ رفعة شأنها، فحارب الرذائل وحض علىٰ الفضائل، وجعل شعره في هذه المناحي خاليًا من شائبة الغرابة والإغراب، تستسيغه النفس، ويتلقفه الجنان قبل أن ينطق به اللسان.

ولقد رأيت منه نبذًا في الحث علىٰ مصاحبة العقلاء، ومقاطعة السفهاء، وتقوىٰ الحكيم المنان، ورد السائل بإحسان، وقرأت له طرفًا شائقة في تزيين الكرم، وتقبيح الشح، ومغالاته في حمل الإنسان علىٰ الشجاعة في قول الحق عن العظماء وأرباب السلطة والجاه، فإن الحق أحق أن يتبع وغير ذلك مما سبق الإلماع به.

فاسمعه الآن وهو يحض علىٰ العمل لدار الآخرة، ويأمر بالتزود بما يستطاع من الزاد قبل أن يخترم الحِمَامُ الأجل، ويقف المرء بين يدي المنتقم الجبار فيحاسبه علىٰ أعماله صغيرها وكبيرها، حقيرها وعظيمها، فإن كانت حسنة أدخل جنات



النعيم، وإن كانت الأخرىٰ زج في الجحيم. قال النابغة:

أَلَا أَيُّهَا الإِنسانُ هل أنتَ عاملٌ ... فإنك بعد الموت لابُدَّ نَاشرُ

أَلَمْ تَر أَنَّ الخيرَ والشرَ فتنةٌ؟ ... ذَخَائِرُ مَجزِيٌ بِهِنَّ ذَخائرُ

وَمَن يَعمَل الخَيراتِ أو يَخْطِ خاليا ... يُجَازَىٰ بها أيامَ تُبلَىٰ السَّرَائِرُ

وَجَدتُ الثَّرَاءَ والمُصِيبَاتِ كلَّها ... يجيءُ بها بعد الإله المقادرُ

فإن عُسرَةٌ يومًا أضَرَّت بأَهلِها ... أتت بعدها مما وُعِدْنَا المَيَاسرُ

وهو يشير في الشطر الأخير إلىٰ قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

وما ترك النابغة الشباب ينهمك في ملذاته، ويعكف علىٰ شهواته دون أن يعظه بالإقلاع، وينهاه عن مطاوعة داعي الصبابة، لأن الشباب لا يلبث أن يزايله فيشيب ويثوب إليه رشده، ويستيقظ ضميره، فينحىٰ علىٰ نفسه باللائمة، ويظل في شجن وأسىٰ حتىٰ يلعق أصبعه. وإليك ما قال:

ذَرِ الشَّبَابَ فلا تَتْبَع لَذَاذَتَه ... إن الذي يَتْبَعُ اللذاتِ مُقتَرِفُ

إن الشبابِ جُنُونٌ شَرْخُ بَاطِلِهِ ... يُقِيمُ غَضًا زَمَانًا ثُمَّ يَنْكَشِفُ

مَنْ يَعْلُهُ الشَّيْبُ لم يُحدِثْ له عِظَةً ... فذاك من سَوْسِهِ الإِفراطُ والتَّلَفُ

الصداقة والصديق:

ولما كان الإنسان لا غنىٰ له في حياته عن خل يشاطره آلامه، ويفضىٰ إليه بذات نفسه، لم يترك النابغة - وهو الواعظ الحكيم - مسألة الصداقة دون أن يدلي فيها



برأيه السديد، وينير حلكتها بقوله الفصل، وهاك بعض ما قال:

عليكَ بِكُلِّ ذي حَسَبٍ ودينٍ ... فإنهمُ هُمُ أَهْلُ الوَفَاءِ

فإن خُيِّرتَ بينهَمُ فلاصق ... بأهل العَقْلِ منهم والحياءِ

فإن العقلَ ليس له إذا ما ... تَفَاضَلِتِ العُقُولُ من كِفَاءِ

ولا تَثِقَنَّ بالنَّمَامِ فيما ... حَبَاكَ به من النصيحةِ في الخَلاءِ

وأَيْقَنْ أَنَّ ما أُفنـ[illegible] الـ[illegible] ... من الأَسْرارِ مُنكَشِفُ الغِطَاءِ

هذه بعض الشروط التي اشترطها الشاعر في الصديق، وزاد عليها في قصائد أخر: أن يكون كريمًا حسن الأخلاق جميل الصفات، شهمًا جسورًا لا يخاف في الله لومة لائم إلىٰ غير ذلك من الشيم التي يندر أن يوجد بعضها في إنسان، والتي تمثل بمجموعها المثل الأعلىٰ للإنسانية الكاملة، وأين هو الإنسان الكامل الصديق الوفي. إنه ذهب مع الحياء ليبحثا عن القارظين فلم يؤوبا، ولن يؤوبا إلا إذا بدلت الأرض غير الأرض وكانت الجبال كثيبًا مهيلًا.

فخره:

الفخر سجية جبلت العرب عليها، وطبيعة صقلوا علىٰ غرارها، حبتهم إياها طبيعة بلادهم، واقتضته ظروف معيشتهم في هذه البلاد التي لم يتقيد أهلوها بأحكام، ولم يغل أعناقهم فيها لنظام، وقد أكثر النابغة الفخر وأسهم فيه إسهامًا عظيمًا، لأنه من قبيلة عظيمة أثيلة المجد، كريمة النجار، لها شرف في الجاهلية والإسلام، ولأن سوق الفخر نفقت أيام بني أمية، وأول من أقامها معاوية بن



أبي سفيان(١)، فقد رأىٰ أن في شغل الناس بالتفاخر بالأحساب و التباهي بالأنساب، مصلحة كبرىٰ له، إذ ذلك يلهي الناس عن مشكلة الخلافة، ويكفيه مؤنة إرضائهم أو إرغامهم، وبذلك استطاع أن يسير دفة البلاد، في خضم الفتنة المائجة الهائجة، واقتفىٰ أثره الأمراء من بعده فكانوا يحرضون الشعراء علىٰ الفخر والهجاء، حتىٰ تحولت حال الأدب إلىٰ فخر وهجاء.

ولقد سار النابغة في فخره علىٰ نهج من سبقه من الشعراء يعدد أسماء آبائه وأجداده ويذكر مآثرهم ويباهي بمفاخرهم، وأنهم كانوا غرًا كرامًا يغذون الضيف من سنام البعير، ويختصونه بشحمه حتىٰ يتخم، وأنهم شجعان بواسل يضربون في حومة الوغىٰ قائد الجيش، يقتلون من تعرض لهم جهارًا لا يبالون لعزتهم ومنعتهم ما يصنعون، وغير ذلك من المحامد والمكارم التي وصفهم بها وتغنىٰ بجلالها.

وكان طبيعيًا أن يشيد النابغة بمفاخر قبيلته وهو لسانها الناطق، وقلبها الخافق، وشاعرها الذائد عن حماها، والمدافع عن حوزتها، والحامي لحقيقتها، الذي يرد

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن البراك في كتاب الاستدراك (١/ ١١٦): «في هذا القول مجازفة وافتراء، ودعوىٰ لم يُقِم عليها صاحبُها دليلًا، وقد وَصَم بها ابتداءً معاوية ﷺ - صاحبَ رسول الله ﷺ - ثم سحبها علىٰ خلفاء بني أمية من بعده دون استثناء، وإذا صحت هذه الدعوىٰ في بعض خلفاء بني أمية أو في كثير منهم؛ لم تصح في عمر بن عبدالعزيز ﷺ، فإنه الخليفة الراشد البريء من هذا الزعم.

وأما معاوية ﷺ: فَمَنْ هم الشعراء الذين كان يغريهم بنظم قصائد الفخر والهجاء؟ وأشهر الشعراء في الفخر والهجاء في عهد الأمويين هم جرير والفرزدق والأخطل، ولم تكن مقاولاتهم إلا في عهد عبدالملك وما بعده. وهذا الزعم علىٰ معاوية ﷺ من نَفَس التَّشَيُّع البغيض.

هذا: والفخر، والهجاء، والمدح الكاذب، هو شيمة الشعراء الذين لا يضبطهم دين، كما كانت عليه الحال في الجاهلية، وهي حال من ضعف دينهم من شعراء المسلمين، فكيف يُسَبُّ بهذا صاحب رسول الله ﷺ ولم يُعْرَف عنه ما رماه به صاحب هذه الدعوىٰ؟»

عنهم غائلة أعدائهم، ويرد كيدهم في نحورهم و ينقض نقائضهم.

ولذا كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أتت إليها الوفود مهنئين، ونحروا الذبائح، وأقاموا الولائم، وعزفت لهم القيان علىٰ المزاهر، ولم لا؟ أليس الشاعر لسان حال القبيلة؟

وهاك أنموذجًا لفخر النابغة بقبيلته:

أَهِشُّ لحَمْدِ قومِي كُلَّ يومٍ ... ولستُ إلىٰ مَلَامَتِهِم بَهَشِّ

وَجَدتُ أبا ربيعةَ فوق بكرٍ ... كما عَلَتْ البِلادَ بناتُ نَعْشِ

نُغَذِّي الضيفَ من قَمحِ المَثَالِي ... سَدَيفًا مُشبِعًا منه يُعَشِّي

ونَحمِلُ كُلَّ مُضْلَعَةٍ و عَقْلٍ ... ونضرب في الكتيبةِ كُلَّ كَبْشِ

ونضرب من تَعَرَّضَ مُوضِحَاتٍ ... علانيةً جهارًا غيرَ غُطْشِ

هُمُ المُتَقَدِّمُونَ إلىٰ المَنَايَا ... وقد لَبِسُوا سلاحًا غير وَخْشِ

سأَعنِي من عَنَىٰ قومي بسوء ... ولا يَبْلَىٰ إذا رُجِمَتْ بِخَدْشِي

هذا مثال من فخر الشاعر بقومه، وهناك أمثلة أخرىٰ بل قصائد طنانة، ومقطعات رنانة، وقعها النابغة علىٰ قيثارة الفخر القبلي، تلفيها مثبتة ثَم في ديوانه فارجع إليه إن أردت المزيد، فإنك لن تندم علىٰ ساعة تقضيها في صحبة هذا الشاعر المجيد.

فخره بنفسه:

افتخر النابغة بنفسه كما افتخر بقومه ولكنه لم يسرف هنا كما أسرف هنالك فقد وصف نفسه بالشجاعة وثبات الجنان في يوم الكريهة والطعان، وأنه قتال لقواد



الجيوش، جواب للفهامة والقفار التي يحار فيها القطا، وأنه باسل يكشف عن أصحابه غما : الخوف من الحرب والردىٰ، ويقودهم إلىٰ المعامع علىٰ فرس سابح موار، يَرُضُّ الحَصَىٰ في عدوه رَضًا مع القض، ووصف نفسه أيضًا بالحلم والتقىٰ وأنه سهل القيادة لمن والاه، مخلوع الرَّسَن لمن عاداه، فمن فخره بنفسه قوله:

أَلِينُ لمن صادقتُ من حُسْنِ شِيمَتِي ... وأُكحِلُ مَن عَاديتُ بالكُحلِ الُممْضِ

وإني لَصَبَّارٌ إذا خُشِيَ الرَّدَىٰ ... ولم يبق إلا كُلُّ ذي حَسَبٍ مَخْضِ

وأَكشِفُ عن صَحْبِي غَمًّا الخوفِ والرَّدَىٰ ... إذا نَدَبَت خَيلُ الطَّلِيعةِ للنَّفْضِ

وأَضرِبُ رِأَسَ الكَبْشِ بِالسَّيْفِ فِي الوَغَىٰ ... إذا ما اعْتَصَوْا بالبِيضِ بعد قنًا رَفْضِ

وأَقتُلُ جَهلَ المرءِ بالحِلمِ والتُّقَىٰ ... وإن رَامَ قَرضِي حَالَ مِن دونِه قَرضِي

وأَشْدَخُ هَامَاتِ الأَعَادِي بِوَطْأَتِي ... ولَستُ عَن الأَوتارِ ما عِشْتُ بالمُغْضِي

والبيت الأخير يمثل لك حدة عاطفة الأخذ بالثأر عند العرب أحسن تمثيل، فالعربي إذا وتر يجن جنونه، وينبو به وساد، ولا يطرق النوم جفنه حتىٰ يموت أو يأخذ بثأره.

(٨ - ١٠)

وهناك ناحية لهج بها الشاعر، وأولاها قسطًا وافرًا من عنايته، وهي فخره بشعره، وهذا أمر طبيعي في كل الشعراء، إذا الشعر بنات أفكار المرء وكل إنسان ببنات فكره مفتون. ويزداد افتتان الشاعر بشعره إذا كان سليم الذوق، صفي الطبع، خصب القريحة، قد حباه الله شاعرية وقادة مواتية تواتيه بما يستهوي



الأفئدة ويختلب الألباب، من كل معنىٰ رائع طريف قد كساه اللفظ نضارة، وألبسه غضارة تروق في أعين الناظرين.

ولقد افتخر النابغة بأن شعره جزل رصين خال من الفحش والبذاءة، وهذا حق لا مراء فيه، ولئن صح أن الشعر مرآة الشاعر فشعر النابغة مرآة صافية مجلوة تتجلىٰ فيها أخلاقه واضحة جلية وتستبين فيها شيمه حتىٰ تكاد تلمس. وعنده أن الشعر الجيد ما كان لرجال كرام، وأما الشعر الفج الغثاء فلا تنطق به إلا حثالة الرجال:

وإنّي حَاكِمٌ في الشّعر حُكْمًا ... إذا ذُكِرَ القَوَافي والنَّشيدُ

فخيرُ الشّعر أكرَمُه رِجَالًا ... وشَرُّ الشّعر ما نَطَقَ العَبِيدُ

وتراه بجانب ذلك قد أطنب في تقسيم الشعر إلىٰ أهاذ يهذي بها صاحبها، وإلىٰ سهل ممتع وجزل رصين. وأطنب أيضًا في قسيم الشعراء إلىٰ شاعر لا يقيم الشعر وثان منتحل وثالث مقلد ورابع مبتكر، ومن ذلك قوله:

والشّعْرُ شَتَّىٰ يَهِيمُ الناطقون به ... منه غُثَاءٌ ومنه صَادِقٌ مَثَلُ

منه أَهَاذٍ تُشَجّي مَن تَكَلَّفَها ... والبَسْطُ والفَخْمُ والتَّقْييدُ والرَّمَلُ

والناسُ في الشِّعْرِ فَرَّاثٌ ومُجْتَلِبٌ ... وناطقٌ مُحتَذٍ مِنْهم ومُفْتَعِلُ

وقوله:

من الشعر سُمٌ يقتلُ المرءَ طَعمُهُ ... كما تقتل الصُمُّ الأساودُ بالعَضِّ

ومنه غُثَاءٌ لا يُفَارِقُ أَهْلَهُ ... كمِثْلِ الحَرَونِ لا يَكُرُّ ولا يَمضِي

ويُعرِبُ أَقْوامٌ ويَلحَنُ مَعْشَرٌ ... مرِارًا وبَعْضُ اللَّحْنِ أَكثرُ مِن بَعضِ

يَزِلُّ الفَتَىٰ عما يقول لسانُه ... كما زل من يَهوَي عَن الزَّلَقِ الدَّحِضِ



وقوله:

مِـن الـشـعـراءِ أَكْـفَـاءٌ فُـحُـولُ وفَـرَّاثُـونَ إن نَـطَـقَـوا أَسَـاءُوا

فهل شعران: شعرُ غِنًا وحِكَمٌ وشِعرٌ لا نَصيحَ به سواء؟

ومذهب النابغة في الشعر الروية والتثقيف، لا يقبل كل ما تمليه عليه قريحته، بل ينتقي منها الدرر ويقذف بالمدر، يدلك علىٰ ذلك قوله:

فـشِـعـري كُـلُّـه بـيـتـان بـيـتٌ أُثـقِّـفُـهُ وقـافـيـةٌ شَـرُودُ

وقوله:

ثُم قُل للمُريدِ حَوْكَ القَوَافي إن بعض الأشعَارِ مِثلُ الخَبَالِ

أُثَقِّفُ الشِّعرَ مرتين وأُطْنِبُ في صُنُوفِ التَشبِيبِ والأمثَالِ

ثم أليس هو القائل:

ذَرْ ذَا ورَشِّحْ بيوتًا أنت قائلُها لابُدَّ منها كِرَامًا حين تَرتَحِلُ

وعنده أن الشاعر لابد له من أن يتغنىٰ بشعره، فيعرف جيده من رديئه، لأنه بكثرة المعاودة يعرف عيوبًا لا تليق بالشاعر مثل الإِكْفَاء وهو مخالفة حركات الروي رفعًا ونصبًا، وإلىٰ ذلك يشير قوله:

وحَوْكُ الشِّعرِ ما أنشدتَ منه يُزَايِلُ بيـن مُكْفَـئِهِ الـغِـنَـاءُ

فـيَـنْـفِـي سَـيِّءَ الإِكْـفَـاءِ مـنـه كما يُنْفَى عن الحَدَبِ الغُثَاءُ

هجاؤه:

ضن التاريخ علينا بأنباء الذين هجوا النابغة وهجاهم، ولولا أبيات مبعثرة هنا وهناك لما علمنا من أمر ذلك الهجاء شيئًا ومما يدلنا علىٰ وقوع المهاجاة قوله:



أُضَاحِكُ أَعدَائِي وآدُوا لِسُخطِهِم | وقد وَغِرَت منهم عَلَيَّ صُدُورُ
رَمَيتُ فاقصَدتُ الذي يَستَيِصُني | بِغُرٍ أَبَرَّتْ ما تزال تُغِيرُ

وقوله:

فإن يَكُ شَاعِرٌ يَغوِي فإنِي | وجدتُ القَلبَ يقتُلُهُ العُوَاءُ
وإِن جَرِبَتْ بَوَاطِنُ حَالِبِيهِ | فإن العَرَّ يَشفِيهِ الهَنَاءُ

وقد حدا به إلىٰ ولوج هذا الباب أنه شاعر بني شيبان، وقبيلة كهذه لا مناص لها من العداء و الهجاء؛ فكان لزامًا علىٰ لسان حالها أن يدافع عنها ويذود عن حماها كما قال:

أولئك سُرَاتِي سَأَذُودُ عَنهُم | إذا ما حَامَ عَنْهُمْ من يذُودُ
بِغُرٍ من قَوافٍ نَافِذَاتٍ | جَوَارِحَ فِي الصُدُورِ لَها خُدُودُ

هذا ونحوه ما نعلمه من مهاجاة شاعرنا، ولا زلتُ جادًا في البحث علني أظفر بأسماء الذين ناقضوه وناقضهم، وعسىٰ أن يتكرم أحد الأدباء بتبيان هذه المسألة علىٰ صفحات الهداية الغراء وله منا جزيل الشكر.

(٩ - ١٠)

من فنون القريض التي طرقها النابغة وكان له فيها قسم وافر: فن الوصف، وطبيعي أن يكون واصفًا أو وصافًا ولم لا؟ أليس هو عربيًا خالصًا، والعربي بفطرته مطبوع علىٰ (تمرين حواسه) لا يكاد يلمس شيئًا أو يراه حتىٰ يصفه أجل وصف بأدق تعبير وأروع قول، وإنك لو نظرت إلىٰ تراثهم الأدبي لوجدت أن ثلاثة أرباعه وصفًا.



وقد وصف شاعرنا المهامة والفيافي والأطلال والدِّمَن وتعفية الرياح السوافي لها، ووصف الأمطار والأنواء وسهول الأرض وأحزانها ومرابعها ومصايفها، وأفتن في وصف الناقة وسيرها، وابتكر من صنوف التشبيه في ذلك ما ابتكر. ووصف المرأة وجمالها ودلها ودلالها وأتىٰ في ذلك بالعجب العجاب، كما وصف الخلفاء وأخلاقهم وأفعالهم، في حلهم وترحالهم، مسالمين أو محاربين، وكان يذكر ضمن ذلك الجيوش الغازية والمواقع وحالة المنكوبين فيها. وبجانب ذلك خلد لنا صورة شعرية رائعة للجامع الأموي سنلمع إليها بعد.

فمن قوله يصف قفرًا جابه في سفرة سافرها، وهي من أبدع ما قيل في هذا المعنىٰ وأروعه:

وبَلْدَةٍ مُقْفِرٍ أَصواءُ لَاحِبِها ... يَكَادُ يَشْمَطُ مِن أَهوَالِها الرَّجُلُ[1]

سَمِعتُ مِنهَا عَزِيفَ الجنِّ سَاكِنِها ... وَقَد عَرَانِيَ من لَونَ الدَّجَىٰ طَفَلُ[2]

تُجَاوِبُ البُومَ أَصْدَاءٌ تُجَاوِبُها ... والذِّئبُ يَعوِي بها في عَينِه حَوَلُ[3]

حتىٰ إذا الصبحُ سَاقَ الليلَ يَطرُدُه ... والشَّمسُ في فَلَكٍ تَجْرِي لها حُوَلُ

تَشْوِي جَنَادِبَها شَيًّا إذا صَهَدَتْ ... تَكَادُ مِنها ثِيَابُ الرَّكبِ تَشتَعِلُ[4]

تَرَىٰ الحَرَابِيَّ فيها وهي خَاطِرَةٌ ... وكُلَّ ظِلٍ قَصَيرٍ حِينَ يَعْتَدِلُ[5]

---

(١) الأصواء: جمع صُوَّة، وهو الحجر يكون علامة في الطريق.

(٢) الطَفَل: لون صفرة الشمس قبيل غروبها.

(٣) الأصداء: جمع صدىٰ وهو طائر كانت العرب في جاهليتهم يزعمون أنه يخلق من رأس القتيل ويظل يقول: اسقوني اسقوني.. حتىٰ يؤخذ بثأر المقتول، والحول: التحرك.

(٤) الجنادب: جمع جندب وهي الجرادة الصغيرة، ومعنىٰ صهدت: اشتد حرها.

(٥) الحَرَابِيُّ: جمع حرباء وهي دويبة تدور مع الشمس متلونة.



ظَلَّت عَصَافِيرُهَا فِي الأَرْضِ حَاجِلَةً لمَاً تَوَقَّدَ منها القَاعُ والقُلَلُ

قَد جُبْتُها وظَلامُ الليلِ أَقْطَعُهُ بِجَسْرَةٍ لَم يُخَالِطْ رِجْلَها عُقَلُ(١)

ويمضي الشاعر في وصف ناقته حتىٰ يقول:

كَأَنَّهَا وَنِيَاقُ القَوْمِ تَتْبَعُهَا نَوَّاحَةٌ قَدْ شَجَاهَا مَأْتَمٌ ثُكُلُوا

ومن قوله يصف الغيث وقد أبدع في تشبيه الرعد والبرق:

وَغَيْثٌ سِمَاكِيٌّ رُكَامٌ سَحَابُه دَلُوحٌ مِن الوَسْمِيِّ بالماءِ باكرُ(٢)

يَبِيتُ إذا أَبْدَىٰ بُرُوقًا كَأَنَّها سُيوفُ زُحوفٍ جَرَّدَتْها الأَسَاوِرُ(٣)

كَأَنَّ طُبُولًا فوقَ أَعْجَازِ مُزْنِهِ يُجَاوِبُها من آخرِ الليلِ زَامِرُ

كَأَنَّ حَنِينَ وُلَّهٍ في سَحَابِهِ يُجَاوِبُها خُلْجٌ وعُطْفُ جَرَاجِرُ

لـه زِبْـرِجٌ بَـرْقٌ وَرَعْـدٌ كَـأَنَّـهُ مَزَاهِيرُ جُونٍ هَيَّجَتْهَا مَزَاهِرُ

وصف النابغة للجامعة الأموي:

عني الوليد بن عبدالملك بتشييد المساجد الفاخرة التي منها أو واسطة عقدها المسجد الأموي، غريبة الغرائب وأحدوثة المتحدثين، يعتبر هذا المسجد من أجمل المساجد الإسلامية وأفخمها، والكتاب الخالد الذي نرىٰ في صحائفه مبلغ ما وصل إليه الفن المعماري العربي في القرن الأول من الجمال والجلال، وقد

---

(١) الجسرة: الناقة القوية، والعقل: التواء في الرجل شائن.

(٢) الغيث السماكي: المنسوب إلىٰ السماكين وهما كوكبان، الركام: المتراكم بعضه علىٰ بعض. الدلوح: السحاب الكثير الماء. الوسمي: أول مطر للربيع.

(٣) الزحوف: جمع زحف وهو الجيش، والأساور جمع أسوار، وهو قائد الجيش من الفرس.



بلغت نفقات هذا المسجد العظيم ثلاثة ملايين من الجنيهات.

زاره الرحال الأندلسي ابن جبير سنة ٥٨٠هـ و وصفه وصفًا بديعًا منه قوله: «هو من أشهر جوامع الإسلام حسنًا، وإتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه. انتدب لبنائه الوليد بن عبدالملك رَحِمَهُ اللَّهُ، ووجه إلىٰ ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص اثني عشر ألفًا من الصناع من بلاده؛ وتقدم إليه بالوعيد إن تأخر!!!!!.

فامتثل أمره مذعنًا بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التاريخ... وشرع في بنائه وبلغ الغاية في التأنق فيه، وأنزلت جدرانه كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء وخلطت بها أنواع من الأصبغة الغريبة، قد مثلت أشجارًا وفرعت منظومة بالفصوص ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف، فجاء يعيش العين وميضًا وبصيصًا».

وقد رأىٰ نابغة بني شيبان هذا الجامع غب بنائه فوصفه، ومن قوله فيه:

فيه الزَّبَرجَدُ واليَاقُوتُ مُؤتَلِقٌ ... والكِلْسُ والذَّهَبُ العِقْيَانُ مَرصُوفُ[(١)]

تَرَىٰ تَهَاوِيلَه مِن نَحْو قِبلَتِنَا ... يَلُوحُ فيه من الألْوَانِ تَفْوِيفُ[(٢)]

يَكَادُ يُعْشِي بَصِيرَ القَومِ زِبْرِجُهُ ... حتىٰ كَأَنَّ سَوادَ العَينِ مَطْرُوفُ[(٣)]

وَفِضَّةٌ تُعجِبُ الرَّائِينَ بَهجَتُها ... كَرِيمُها فَوقَ أَعلَاهُنَّ مَعْطُوفُ

وَقُبَّةٌ لا تَكادُ الطَّيرُ تَبلُغُهَا ... أَعْلَىٰ مَحَارِيبُها بِالسَّاجِ مَسْقُوفُ[(٤)]

---

(١) مؤتلق: مضيء، الكلس: البياض، العقيان: الخالص.

(٢) التهاويل: التصاوير، التفويف: التشويه.

(٣) يعشي: يضعف عن الأبصار، الزبرج: الزينة من الجواهر.

(٤) الساج: خشب أسود لا يكاد يبلىٰ.



لهَا مَصَابِيحُ فِيهَا الزَّيتُ مِن ذَهَبٍ يُضِيءُ مِن نُورِهَا لُبنَانُ والسِّيفُ[١]

فَكُلُّ إقبَالِه - والله زَيَّنَهُ - مُبَطَّنٌ بِرُخَامِ الشَّامِ محَفُوفُ[٢]

في سَبْرةِ الأَرْضَ مَشْدُودُ جَوَانِبُهُ وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الأَنْهَارُ والرِّيفُ[٣]

فِيهِ المَثَانِي وآياتٌ مُفَصَّلَةٌ فِيهِنَّ مِن رَبِّنَا وَعْدٌ وَتَخْوِيفُ

وبهذا البيت ينتهي هذا الوصف الفريد......

وقد وصف المسجد الأموي غير شاعرنا كثير من الشعراء كجمال الدين بن نباته وابن الحلبي وبرهان الدين القيراطي وصلاح الدين الصفدي وابن الساعاتي وغيرهم ولكنهم لم يلحقوا غبار النابغة، ومن العبث أن نعقد مقارنة بين أوصافهم ووصفه، وإن تطلبت برهانًا علىٰ ذلك فإليك واسطة عقدهم وهي نتفة ابن الحلبي:

يا جَامِعًا في دِمشق في حُسنِهِ قَدْ تَفَرَّدْ

لَمْ تُطْرِبِ النَّاسَ طُرًّا إلا لِأَنَّكَ مَعْبَدْ

وغاية ما في هذه النتفة من الظرف والجمال: التورية باسم معبد الموسيقي العربي الشهير، وكذلك تجد جل أوصافهم: عبارة عن تورية - بباب أو منارة - وما شاكل ذلك من محسنات البديع، وكفىٰ الله المؤمنين القتال.

(١٠ - ١٠)

غزله:

أجل ولابد من الكلام علىٰ غزل هذا الشاعر المجيد في هذه المجلة الموقرة

---

(١) السيف: من سواحل بحر فارس.

(٢) إقبال المسجد: ما استقبلك منه.

(٣) سبرة الأرض: جوفها.



وإن كره الذين يزعمون تحريم الغزل في الإسلام، وإنهم - هداهم الله - لو رجعوا إلىٰ أوثق المصادر لعلموا أن أصحاب الرسول تغزلوا وسمع غزلهم ﷺ ولم يحرمه، وتغزل من بعدهم التابعون والأئمة المجتهدون، فهذا عبدالله بن عباس كان يستمع لغزل ابن أبي ربيعة في مسجد الرسول ﷺ ولا يرىٰ في ذلك غضاضة، وكان إذا سئل عن الغزل وهل هو من رفث القول أنشد بيتًا من الغزل ثم أحرم للصلاة ليعلمهم بأن حكمه الإباحة. وهذا أبو السائب المخزومي - وهو من هو في شرفه وجلاله وفضله علىٰ العلم - سأله سائل فقال: أترىٰ أحدًا لا يشتهي النسيب؟ فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا. وهذا عروة بن أذينة أحد فقهاء المدينة وعبادها يقول:

إذا وَجَدتُ أُوَارَ الحُبِّ فِي كَبِدِي ... غَدَوتُ نَحْوَ سِقَاءِ المَاءِ أَبْتَرِدُ

هَذَا بَرَدْتُ بَبَرْدِ الماءِ ظَاهِرَهُ ... فَمَن لِنَارٍ عَلَىٰ الأَحْشَاءِ تَتَّقِدُ؟

وهذه الشواهد تدل دلالة قاطعة علىٰ أنه لا حرج من أن يتغزل المسلم الوقور، وعلىٰ ذلك تغزل النابغة الشيباني وأتىٰ بطرائف من القول تمتزج بالنفس وتختلط بالوجدان.

تغزل النابغة في بدء قصائده بليلىٰ وأروىٰ وسليمىٰ وهند والرباب وزينب، ويلوح أن هذه الأسماء خيالية لا حقيقة لها ولا وجود، كما هي في شعر غير واحد من الشعراء.

وطالما ردد الشاعر في شعره ذكر سلمىٰ، وذكر أنها خَوْدٌ حوراء المدامع مُرْشِق، إذا ابتسمت خلت أسنانها الفُلْجَ كأنها زَهْرُ الأَقَاحِ، وأنها عفيفة، ورُضَابُهَا ماء الحياة ولكنها لا تبذله لطالبيه:

حَمَتْهُ مِن الصَّادِي فَلَيس تُنِيلُهُ ... وإنْ مَاتَ ما غَنَّىٰ الحَمَامُ المُطَوَّقُ



وإنها ناعمة ناضرة فاتنة ساحرة:

تَبُذُّ العَيْنَ إنْ قَعَدَتْ جَمالًا   وتُنْطِقُ مَنْ رَآهَا حِينَ تَمشِي

وإنها تأسر قلوب العاشقين بأناملها المخضوبة:

تُبْدِي أكُفًّا تَصِيدُ العَاشِقِينَ بِهَا   مِنهَا خَضِيبٌ وَمِنْهَا غيرُ مَخْضُوبِ

والظاهر من آثاره الوجدانية أنه كان شاعرًا يهيم بالجمال، طالما أسره وغلبه وهز مشاعره وأثار شاعريته المتدفقة، فتغنىٰ به، وافْتَنَّ في وصف مظاهره في لغة عذبة سلسلة ظريفة خفيفة كقوله:

وحِسَانٍ آنِسَاتٍ وعَذَارَىٰ في خُدُورِ

قَاصِراتٍ نَاعِمَاتٍ في نَعِيمٍ وسُرُورِ

وفُرُوعٍ كالمثَانِي زَانَها حُسنُ جَمِيرِ

وأُنُوفٍ وخُدُودٍ ولِثَاتٍ وثُغُورِ

رَائِعَاتٍ وَاضِحَاتٍ كالأقَاحِيّ المُنِيرِ

ومن قوله يصف حالته عندما نأت عنه سليمىٰ:

أَبيتُ ظهرًا لبطنٍ مِن تَذَكُّرِها   كَمَا تَقَلَّبُ مما يشتكي المَغِلُ

قَلبِي يَئِبُ إليها مِن تَذَكُّرِها   كما يَئِبُ إلىٰ أوطَانِه الجَمَلُ

وغزل النابغة كما ترىٰ ليس بمبتكر، وما حاد فيه عمل سنه الأولون إلا قليلًا، فقد وصف المرأة كما وصفوا، وأضفىٰ عليها من جلابيب الثناء مثل ما أضفوا، ووصف ظعنها في هودجها، وحالته إثر ارتحالها، وما كان يعتريه من حزن ممض إذا ما وقف علىٰ رسوم دارها وبكىٰ لأقفارها من قاطنيها، كأن لم يكن فيها من



الحي سامر. ويذكر أنه كان يسائل الرسوم عن الأنبياء كما قال:

وَقَفْتُ بِها وَدَمْعُ العينِ بجرِي ... تَحادُرُ لُؤلُؤٍ من وَهْيَ سِلْكِ

وَمَن يَسَلِ الرُّسُومَ فلا تُجِبْهُ ... يَحِنُّ كَمَا حَنَنْتُ بِهَا وَيَبْكِي

أو كما يقول:

فَقَد بَكَيْتُ علىٰ رَسَمٍ لِدَمْنَتِها ... فالقَلْبُ من ذِكْرِها ما عِشْتُ مُخْتَبَلُ

كَأَنَّنِي نَصِبٌ مُضْنَىٰ تُمَاطِلُهُ ... حُمَّىٰ تَخَوَّنُه حُمَّىٰ وَتَنْدَمِلُ

لَوْ مَاتَ حيٌّ من الأَطْلَالِ تَقتُلُه ... إذًا لَمِتُّ وعَينِي دَمعُها سَبِل

ومن قوله في مهجة قلبه هند وهو يكاد يسيل رقة وظرفا:

أَلَا يا هِندُ هل تُحيِينَ مَيْتًا ... وهـل لِـفُـرُوضِـنـا أبـدًا أَداءُ؟

أَحَـلَّات الـنُّـفُوسَ لـتَـقـتُـلِـيـهَا ... وَهُـنَّ إلىٰ مَـنَـاهِـلِـكُـم ظِـمَـاءُ

أُدِيـمُ صَـفَـاءَهـا وَيَـدُومُ عَـهْـدِي ... وإِنْ طَـالَ الـتَّـعَـاشُـرُ وَالـصَّـفَـاءُ

علىٰ أن شاعرنا كان في غزله عفيفًا، وإن كان يعبر عن رغبات النفس الإنسانية، وليس يضيره أن يكون قد تغنىٰ بمشاعر الحسن والجمال ما دام نقي الجيب، بريء الساحة، لا يطيع اللعوب، لئلا يزل حلمه أو يناله عُذَّاله، وهو أحرص الناس علىٰ أن تكون سمعته حسنة، وسيرته وطيبة، وقد سجل ذلك فقال:

كُلُّ ما اختَصَّنِي به اللّه ربي ... ليس من قُوَّتِي ولا باحتيالي

لو أُطيعُ الشَمُوعَ أَو تعتَلِينِي ... زَلَّ حِلْمِي ونَالَنِي عُذَّالِي

وحسبنا الآن كلامًا في غزله فقد طال المقام وإلىٰ اللقاء.



عمرو بن الأهتم[1]

سأحدثك اليوم عن رجل نبيل من أصحاب رسول الله ﷺ، ذلك هو عمرو بن سِنان بن سُمَي بن سِنَان بن خالد بن مِنْقَر التميمي.

وكان عمرو - تغمده الله برحمته - كريمًا سَمَيْذَعا، سليم الذوق، صفي الطبع، ذكي الفؤاد، ذَرِب اللسان، ثابت الجنان، حاضر البديهة، سريع الخاطر، قوي الحجة، يختلب الألباب بطلاوة حديثه، ويستهوي الأفئدة بسحر بيانه. وكفاه فخرًا أن قال له الرسول ﷺ لما سمعه: «**إن من البيان لسحرًا** ... ».

نشأ ابن الأهتم في بادية نَجْدٍ في أواخر القرن السادس الميلادي وشهد أكبر انقلاب في تاريخ البشر ألا وهو ظهور الإسلام، فوفد مع قومه بني تميم وأسلم معهم، وكان إذ ذاك حدثا فأعطاه الرسول ﷺ مثل ما أعطىٰ لسائر قومه وأَنْفُ قيس ابن عاصم راغم...!

جلس عمرو ذات يوم في مجلس المصطفىٰ ﷺ ومعه الزِّبْرِقان بن بدر، وكانا إذ ذاك حديثَيْ عهد بالإسلام، فقال الزبرقان: يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم، والمجاب فيهم، آخذ لهم بحقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم - يشير إلىٰ عمرو.

فقال عمرو: أجل يا رسول الله إنه مانع لحوزته، مطاع في عشيرته، شديد العارضة فيهم.

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية، عدد رمضان، المجلد السادس، سنة ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٦م، ص ١٨١ .



فقال الزبرقان: أما إنه قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي.

فقال عمرو: أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضَيِّقَ العَطَنْ، زَمِنَ المروءة، أحمق الأب، لئيم الخال، حديث الغنىٰ، وما كاد يتم مقالته حتىٰ تربد وجه النبي وظهرت الكراهة في عينيه لاختلاف قوله، وحينئذ أسرع عمرو ببيان وجهة نظره في كلامه فقال: يا رسول الله رضيتُ فقلت أحسن ما علمتُ، وغضبتُ فقلت أقبح ما علمتُ، وما كذبت في الأولىٰ، ولقد صدقت في الثانية، فأعجب الرسول ببلاغته وصفاء قريحته وتوقد ذهنه، فقال: (إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة).

وقد جمع عمرو إلىٰ كمال الخُلُق وجمال النثر؛ جمال الخَلْق فكان يسمىٰ (المُكَحَّل) لوضائة وجهه وحسن تقاسيمه.

وكان إلىٰ ذلك شاعرا مُحَسَّنًا، بديع اللفظ، مؤنق المعنىٰ، فخم الديباجة، رائع الأسلوب، ولذا قالت الجهابذة في وصف شعره: كأنه الحُلَلُ المُنَشَّرَةُ عند الملوك تأخذ منه ما شاءت.

وقد جال عمرو في كثير من فنون الشعر؛ فتغزل وافتخر وهجا وعاتب ونصح وقال في الحكم والقصص، ومن أبياته السائرة:

وكُلُّ كَريمٍ يَتَّقِي الذَّمَ بالقِرَىٰ ... ولِلخيرِ بين الصالحينِ طَرِيقُ

لَعَمرُكَ ما ضَاقَتْ بِلادٌ بأهلِها ... ولكنَّ أَخلاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

ومن قوله يلوم ستِّيرَتَه إذ عذلته علىٰ كرمه، وحضته علىٰ الإقتار:

ذَريني فإن البُخْلَ يا (أم هيثمٍ) ... لِصَالِحِ أَخلاقِ الرجالِ سَرُوقُ

ذَرِيني وحُطِّي في هَوَايَ فإنَّني ... علىٰ الحَسَبِ الزَّاكِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ

ما أجمل معنىٰ هذين البيتين وألطفه! وما أجمل قوله في الفخر بحسبه ونسبه:



نَمَتْنِي عُرُوقٌ من زُرَارَة للعُلا ... ومِن فَدَكَي والأُشُدُّ عُرُوقُ
مَكَارِمُ يَجْعَلنَ الفتىٰ في أرومةٍ ... يَفَاعٍ وبعضُ الوَالِدِينَ دَقِيقُ

ولقد أوصىٰ ابنه (ربعيا) بوصية جميلة جامعة للكثير من أحكام الاجتماع؛ فأوصاه بألا يفسد مجد قومه، وألا يهين جاره، وأن يكرم ضيفه لأنه سيرتحل وسيحدث بما لاقىٰ وإن لم يُسأل:

لَقَد أَوصيتُ رِبْعِيَّ بنَ عمروٍ ... إذا حَزَبَت عشيرتَك الأُمورُ
بأن لا تُفسِدَنْ ما قد سَعَينا ... وحِفْظُ السَّوْرةِ العُلْيَا كَبِيرُ
وجاري لا تُهِنْهُ وحَيِّ ضَيفِي ... إذا أَمْسىٰ وَرَاء البيت كُورُ
أَصِبْهُ بالكَرامِة واحتَفِظْهُ ... عَلَيكَ فَإِنَّ مَنطِقَهُ يَسِيرُ

وأوصاه بغير ذلك مما يطول بنا المقام لو سردناه.

وتشاء الأقدار[١] أن يرتد عمرو عن الإسلام بعد موت النبي ﷺ ويتبع (رسولة ربه سَجَاحًا التميمية، ولكنه لم يلبث أن ثاب إليه رشده، فتاب إلىٰ ربه وأناب.

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن البراك في كتاب الاستدراك (١/ ١١٧): " قول القائل: شاءت قدرة الله أو شاء القدر أو شاءت الأقدار؛ خطأ لا يجوز، فإن إضافة المشيئة إلىٰ القدرة - أو غيرها من صفات الله - يشعر باستقلال الصفة عن الموصوف، ويستلزم وصف القدرة مثلًا بصفات أخرىٰ كالحياة والعلم، ويستلزم جواز دعاء الصفة، ودعاءُ الصفة يتضمن أنها إلهٌ، ولهذا قال العلماء: إن دعاء الصفة كفر، وهكذا القول في إضافة المشيئة إلىٰ القدر أو إلىٰ الأقدار، ولكن القدر يراد به تارة التقدير الذي هو فعل الرب تعالىٰ، وتارة يراد به الشيء المقدر، والمخلوقات التي قدرها الله: منها ما له مشيئة كالإنسان، ومنها ما لا مشيئة له وهي أكثر المخلوقات، والغالب أن من يطلق هذا اللفظ يريد بالقدر أو الأقدار تقدير الله للكائنات، فإضافة المشيئة إلىٰ القدر كإضافته إلىٰ القدرة، والواجب إضافة المشيئة إلىٰ الله فإنه الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﷻ ".



وفي خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وفد إليه هو والأحنف بن قيس، وأراد عمر أن يقرع بينهما في الرياسة، فقال الأحنف:

لَوَىٰ قَدَحٌ عن قَومِه طَالَما نَوَىٰ فَلَمَّا أَتَاهَمْ قَالَ قُومُوا تَنَاجَرُوا

ولما سمع هذا البيت من الأحنف قال له: كنا وأنتم في دار جاهلية فكان الفضل فيها لمن جهل، فسفكنا دماؤكم وسبينا نساءكم، وإنا اليوم في دار الإسلام، والفضل فيها لمن حلم فغفر الله لنا ولك.

ولما وقعت القرعة علىٰ عمرو، وغُلِّبَ يومئذ علىٰ الأحنف قال في ذلك:

لَمَّا دَعَتْنِي لِلرِّيَاسَةِ مِنقَرٌ لَدَىٰ مَجلِسٍ أَضحَىٰ به النَّجْمُ بَادِيَا

شَدَدتُ لها أَزرِي وَقَدْ كُنتُ قَبلَهَا لِأَمْثَالِهَا مِمَّا أَشُدُّ إِزَارِيَا

وقد لبث عمرو حتىٰ سنة سبع وخمسين من هجرة المصطفىٰ، فاصطفاه الله إلىٰ جواره، أمطر الله علىٰ جدثه شآبيب المغفرة الرضوان.





بمناسبة أسبوع الجاحظ: في البيان والتبيين[(١)]

أقامت كلية الآداب بالجامعة المصرية أسبوعًا لأبي عثمان الجاحظ، بمناسبة مرور أحد عشر قرنًا علىٰ وفاته، وكان ضمن برنامج اليوم الرابع محاضرة للأستاذ مصطفىٰ السقا عن كتاب (البيان والتبيين)، ولست أريد مناقشة الأستاذ فيما ذهب إليه، فإن ذلك يحتاج إلىٰ شرح طويل، وإن كان لا مناص من ذكر خطأ طريف وقع فيه الأستاذ، وتكرر منه ولم ينتبه إليه، ذلك أنه قال: «وذكر الجاحظُ تعريف أرسطو للإنسان بأنه الحي الناطق (الميت)» وكرر ذلك في محاضرته مرتين، ومما يشهد بصدق ما أدعي أني حدثت الأستاذ أحمد أمين عقب هذه المحاضرة وقلت له: أسمعت تعريف أرسطو للإنسان؟ فقال: أجل، هو الحي الناطق الميت. فقلت: كيف يكون حيًا ميتًا؟ إن النسخة التي اعتمد عليها المحاضر محرفة وصوابها: «الإنسان هو الحي الناطق المبين»، وقال الأستاذ: هذا توجيه ظريف!!

وقد أحببت بهذه المناسبة أن أنبه علىٰ بعض أخطاء وقع فيها الأديب حسن السندوبي مصحح الكتاب في طبعته الأخيرة (١٣٥١هـ- ١٩٣٢م)، فإنها أخطاء عريضة تغير وجه الحق، وتحمل الجاحظ وزر خطأ لم يقع فيه، وإليك البيان:

١- قال الجاحظ (١: ٣٠٢): «قال أبو الحسن: دخل يزيد بن أبي مسلم علىٰ سليمان بن عبدالملك - وكان دميمًا - فلما رآه قال: علىٰ رَجُلٍ أَجَرَّكَ رَسَنَك وسلطك علىٰ المسلمين؛ لعنةُ الله. فقال: يا أمير المؤمنين إنك رأيتني والأمر عني مدبر، ولو رأيتني والأمر عَلَيَّ مقبل لاستعظمت من أمري ما استصغرت، فقال

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية، عدد جمادىٰ الأولىٰ، سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، ص ٦٨٨ .



سليمان: أفترىٰ الحجاج بلغ قعر جهنم بعد؟ فقال يزيد: يا أمير المؤمنين؛ يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك، قابضًا علىٰ يمين أبيك وشمال أخيك، فضعه من النار حيث شئت. وقال: وذكر يزيدُ بن عبدالملك يزيدَ بن أبي مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم، وهَمَّ أن يستكفيه مهمًا من أمره، فقال عمر بن عبدالعزيز - رَحِمَهُ اللَّهُ - ألا أدلك علىٰ من هو أزهد في الدينار والدرهم منه وهو شر الخلق؟ قال: بلىٰ، قال: إبليس.»

وعلق علىٰ ذلك مصحح الكتاب فقال: «كان بالأصل يزيد بن المهلب (وهو خطأ) والصواب ما أثبتناه، لأن عمر بن عبدالعزيز لا يجلس في حضرة يزيد بن المهلب ولا يكون مستشاره».

وقد أخطأ المصحح في تصحيحه، ووقع به في خطأ أشنع، ذلك أنه جعل يزيد بن عبدالملك هو الذي هم باستخدام يزيد بن أبي مسلم، فمنعه من ذلك عمر بن عبدالعزيز - مع أن يزيد ولي الخلافة سنة ١٠١هـ بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز، فهل قام عمر من رمسه ومنعه؟ لست أدري!

ومصدر خطأ المصحح أنه حسب أن يزيد بن المهلب هو الذي ذكر عفة يزيد بن أبي مسلم لعمر بن عبدالعزيز، وهذا وهم منه. والحق أنه ذكرها لسليمان بن عبدالملك، وصحة عبارة الجاحظ فيما أرىٰ: «وذكر يزيدُ ابن المهلب يزيدَ بن أبي مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم، فهم سليمان بأن يستكفيه مهمًا من أمره، فقال له عمر . . . الخ».

ومما يؤيد ما ذهبت إليه ما قاله ابن خلكان في وفيات الأعيان بعدما ذكر محاورة يزيد بن أبي مسلم لسليمان في شأن الحجاج قال (ج٢ص٤١١): «ثم كشف عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة لا درهمًا ولا دينارًا، فهم باستكتابه، فقال له عمر بن عبدالعزيز: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحيي ذكر الحجاج



باستكتابك كاتبه، فقال: يا أبا حفص إني كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة، فقال عمر: أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار منه، فقال سليمان: من هو؟ فقال: إبليس، ما مس دينارًا ولا درهمًا بيده، وقد أهلك هذا الخلق. فتركه سليمان انتهىٰ». وكذلك في سراج الملوك للطرطوشي ص ١٣٢.

٢- قال الجاحظ وهو يقص أخبار الوليد بن عبدالملك ج٢ص١٦٤: «ودخل علىٰ الوليد فتىٰ من بني مخزوم فقال له: زوجني ابنتك، فقال: هل قرأت القرآن؟ قال: لا. قال: أدنوه مني، فأدنوه، فضرب عمامته بقضيب كان في يده، وقرع به قرعات ثم قال لرجل: ضمه إليك فإذا قرأ زوجناه. ولما استعمل يزيدُ بنَ أبي مسلم بعد الحجاج قال: أنا كمن سقط منه درهم فوجد دينارًا».

والعبارة بهذا الرسم بريئة من الخلل، سليمة من الأود، ولكن المصحح صرفها بضبطه وشرحه، فقد ضم دال يزيد فجعله فاعلًا، وعلق عليه فقال: «هو يزيد بن عبدالملك»، وفتح نون ابن فجعله مفعولًا، وعلق عليه فقال: «هو يزيد بن أبي مسلم»، وبذلك خلق الأستاذ من اسم (يزيد ابن أبي مسلم) اسمين، وهو خطأ صراح، والصواب فتح دال يزيد لأنه مفعول، والفاعل الوليد بن عبدالملك المذكور قبيل ذلك بسطرين فقط!!.

ولست أدري ما الذي جعل المصحح يقحم هنا يزيد بن عبدالملك مع أن السياق يأباه، والتاريخ يلفظه!! أما درىٰ - هداه الله - أنه بتصحيحه هذا؛ أخطأ خطًا أكثر شناعة من سابقه، وافترىٰ علىٰ التاريخ فرية بلقاء، إذ زعم أن يزيد بن عبدالملك المتولي سنة ١٠١هـ عزل الحجاج المتوفىٰ سنة ٩٥ واستعمل مكانه يزيد بن أبي مسلم، أي أنه عزله بعد وفاته بأكثر من خمس سنين!!!.

حقًا إن هذا لشيء عجيب، ومما يزيده عجبًا وغرابة أن الجاحظ قال في هذا الكتاب نفسه ج١ص٢٣٧: «وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن أبي



مسلم فقال: إنما مثلي ومثل يزيد بن أبي مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهمٌ فأصاب دينارًا»!!.

٣- وقد أوقعه هذا الخطأ في خطأ آخر جاء كالنتيجة اللازمة له، جاء في البيان بعد قوله: «... فوجد دينارًا، وقال (يزيد) لابن أبي مسلم: قال أبي للحجاج: إنما أنت جلدة ما بين عيني، وأنا أقول: إنك جلدة وجهي كله»، ولم يعلق المصحح علىٰ هذه الجملة بحرف واحد كأنه لم يحرفها، ومن المؤكد عندي أنه غير فيها وبدل، ليستقيم له شرحه الثاني الذي جعل فيه الاسم اسمين.

وأصل العبارة فيما أرىٰ: «وقال (أي الوليد) ليزيد (بن أبي مسلم) قال أبي للحجاج ... الخ»، لأن التاريخ يحدثنا أن الوليد لما استعمل يزيد بن أبي مسلم بعد الحجاج سر به كثيرًا، ويحدثنا التاريخ أيضًا أن يزيد بن عبدالملك لما ولىٰ يزيد بن أبي مسلم إمارة إفريقية سنة ١٠١هـ لم يستطع أن يحكمها: فقتله جماعة من أهلها سنة ١٠١هـ، فهل يعقل أن يقول له يزيد بعد ذلك: أنت جلدة وجهي كله، كيف ولماذا؟ لست أدري!!.

وأظن أنك بعد الذي قدمته لك من البيان تعتقد معي أن الجاحظ لم يخطئ، وإنما أخطأ ناشركتابه، وللناشر أخطاء أخرىٰ ربما عدت إلىٰ تبيانها في فرصة أخرىٰ إن شاء الله.





حياة علقمة وآراء الأدباء في شعره(١)

طَحَا بي في علقمة قلبٌ نابض؛ كَلَّفني صَوْغَ قريضه، وجَشَّمَني تِبيان غريبه، وحدا بي إلىٰ نشر ديوانه علىٰ أبناء الفصحىٰ ذوي الحرص والكَلَب علىٰ تراث الأجداد. فصَدَعتُ بأمره، واستسلمتُ لوحيه، وشَرَعتُ أُنَقِّبُ عن درره المتناثرة حتىٰ جمعتُها، ونظمتُها في هذا العِقْد، مُزَيَّلة بشرح موجز يذلل من شَامِسِها، ويُسلِسُ من قيادها، ويدني من بعيدها، وصدَّرتُه بمقدمة مُبتدَعَة في تاريخ الشاعر وأنبائه وآراء الأدباء في شعره.

ولقد عَنِيتُ به علىٰ كثرة العوائق والبوائق حتىٰ يبرز مجلوا في هذا الثوب القشيب، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. نسأله جل شأنه أن ينفع به، ويوفقنا إلىٰ تقفيته بغيره مما اعتزمناه خدمة للعلم والأدب إنه سميع مجيب(٢).

---

(١) مقدمة شرح ديوان علقمة الفحل، جمع وشرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، تقديم: الدكتور زكي مبارك، المطبعة المحمودية - مصر - القاهرة، مجلد واحد، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م، وقد رأيت نشر هذه المقدمة في هذا الجزء من المقالات من أجل الوحدة الموضوعية لهذا الجزء، وهو الأدب والشعر، وقد جعلتها في هذا الموضع لأنها كُتبت في الفترة نفسها علىٰ وجه التقريب.

(٢) نشر العلامة محمد الخضر حسين كَلَّلهُ - شيخ السيد أحمد صقر - في مجلة الهداية الإسلامية التي يرأس تحريرها تقريظًا وثناءًا علىٰ هذا الشرح، قال فيه: «عُنِيَ حضرة الشاب الأديب الفاضل الشيخ السيد أحمد صقر بالبحث عن شعر علقمة الفحل، فجمعه في ديوان، وتناوله بشرح موجز نفيس، وصدره بمقدمة في تاريخ حياة ذلك الشاعر وآراء الأدباء في شعره، وقد أطلعنا عليه فرأيناه شاهد صدق علىٰ ألمعية المؤلف وحسن بيانه، فنشكر حضرته علىٰ الجمع والتحرير والطبع، ونحث أهل العلم علىٰ اقتناء هذا الكتاب العامر بالفوائد اللغوية والأدبية».



علقمة الفحل:

هو علقمة بن عَبَدَة، بن النعمان، بن نَاشِرَة، بن قيس، بن ربيعة، ابن مالك، بن زيد مناة، بن تميم، بن مُرٍّ، بن أُدٍّ، بن طابخة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار.

شب وترعرع في بادية نجد، تحت سمائها الصافية الأديم؛ وفوق أرضها المترامية الأطراف الموطأة الأكناف، ذات الأنهار الجارية؛ والأمطار الهاطلة، والهواء الجيد، والمناخ المعتدل، والزرع الوفير، والضرع الغزير، وكان لهذه البيئة تأثير جميل في شاعرنا فأرهفت حسه؛ وصقلت خياله؛ وجلت قريحته؛ وألهمته الشعر الرصين، الرائع الديباجة، الفخم الأسلوب، الذي يمتلك المشاعر، ويستلب الحواس، الحقيق بأن يلقب صاحبه بـ (الفحل).

وسبب تلقيبه بهذا اللقب - في رأي بعضهم - أنه بَزَّ امرئ القيس وخلفه علىٰ طَلَّتِه بعد محاكمتهما إليها؛ وتفصيل الخبر أن علقمة ضاف امرأ القيس -وكان له صديقا- فتذاكرا القريض وادعاه كل منهما علىٰ صاحبه، ولجا في ذلك، فقالت لهما (أم جندب) - وكانت امرأة صفية الطبع سليمة الذوق-: قولا شعرًا تصفان فيه الخيل، وتذكران الصيد، علىٰ قافية واحدة، ورَوِيٍّ واحد، لأنظر أيكما أشعر. فرضيا بحكمها وأنشداها علىٰ البديهة قصيدتين كبيرتين؛ تدلان علىٰ رسوخ قدمهما في الشعر وامتلاكهما زمام البيان.

وأول قصيدة امرئ القيس:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي علىٰ أُمِّ جُندِبِ ... لِنَقْضِ لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

وأول قصيدة علقمة:

ذَهَبتَ مِن الهِجرانِ في غَيرِ مَذهَبِ ... ولَم يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذا التَّجَنُّبِ



ولما فرغا من إنشادهما قالت أم جندب لبعلها: علقمة أشعر منك.

فقال - وهو يكاد يتميز من الغيظ -: وكيف ذاك؟

قالت: لأنك قلت:

فَلِلسَّوطِ أُلْهُوبٌ ولِلسَّاقِ دُرَّةٌ ... ولِلزَّجرِ منه وَقْعُ أَهوَجَ مُتْعِبِ

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك.

وقال علقمة:

فـأَدْرَكَـهُنَّ ثـانيًـا مِـن عِـنَـانِـهِ ... يَـمُرُّ كَـمَرِّ الرَّائِـحِ الـمُـتَحَلِّـبِ

فأدرك الطريدة وهو ثان من عنان فرسه، ولم يضربه بسوط، ولا مراه بساق ولا زجره.

فتربد وجهه وقال لها: ما هو بأشعر مني، ولكنكِ له وامق، وطلقها فخلفه عليها علقمة، وسُمِّيَ لذلك (الفحل).

ولا تحسبن أن أم جندب حكمت عن هوىٰ؛ ونطقت عن قِلَىٰ، ولكنها كانت صائبة في حكمها، صادقة في قولها؛ لم تحد عن جادة الحق قيد أنملة، ونظرة فاحصة إلىٰ كلتا القصيدتين تثبت لك ما قلنا.

علقمة الخصي:

وقيل إن علقمة لقب بالفحل تمييزا له عن سمي من قومه: هو علقمة بن سهل، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وكان شاعرا مثله، ومن شعره:

يَقُولُ رجَالٌ مِن صَدِيقٍ وَصَاحِبٍ ... أَرَاكَ أَبَا الوَضَّاحِ أَصْبَحْتَ ثَاوِيَا

فَلَنْ يَعْدِمَ البَاقُونَ قَبْرًا لِجُثَّتِي ... وَلَنْ يَعْدِمَ المِيرَاثَ مِنِّي المَوَالِيَا



وَخَفَّتْ عُيُونُ البَاكِيَاتِ وَأَقْبَلُوا إِلَىٰ مَالِهِم قَدْ بِنْتُ عَنْهُ بِمَالِيَا

حِرَاصًا عَلَىٰ مَا كُنْتُ أَجْمَعُ قَبْلَهَمْ هَنِيئًا لَهُم جَمْعِي وَمَا كُنْتُ وَالِيَا

رحلة علقمة إلىٰ ملك الشام:

رحل علقمة بن عبدة إلىٰ ملك الشام الحارث بن أبي شَمِرٍ الغَسَّانِي يمدحه ويسأله فك أخيه شَأسٍ وكان قد أسره في يوم (عين أباغ ٥٦٢ م) فأنشده قصيدته البائية التي أولها:

طَحَا بِكَ قَلبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشبابِ عَصرَ حَانَ مَشيبُ

ولما وصل إلىٰ قوله:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

قال له: أي والله! ثم أطلق له شَأسًا وخيره بين الحباء وبين إطلاق أسراء قومه، فقال: أيها الملك ما كنت لأختار علىٰ قومي شيئا، فسر منه وأطلق له الأسرىٰ من تميم، وكساه وحباه، وفعل ذلك بالأسرىٰ جميعهم. ولما وصلوا ديارهم أعطوا جميع ما معهم لشأس، وقالوا: أنت كنت السبب في إطلاقنا فاستعن بهذا علىٰ دهرك، فتقبله شاكرا.

ويروي أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني عن أبي عمرو الشيباني أن الممدوح عمرو بن الحارث الأعرج، ويروي أيضا أنه جبلة بن الأيهم الغساني وأنه أنشدها بحضور حسان بن ثابت والنابغة الذبياني.

ارآء الأدباء في شعر علقمة:

رأي ربيعة الأسدي:

اجتمع الزِّبْرِقَان بنُ بدر، وعمرو بن الأَهْتَم، والمُخَبَّلُ السَّعْدِي، وعلقمة



الفحل، قبل أن يسلموا وبعد مبعث النبي ﷺ. فنحروا جزروا واشتروا خمرا ببعير، وجلسوا يشوون ويأكلون فقال أحدهم - وقد لعبت برأسه سَوْرَةُ الحُمَيَّا -: لو أن قوما طاروا من جودة أشعارهم لطرنا، وقال كل منهم لصاحبه: أنا أشعر منك، ثم تحاكموا إلىٰ أول من يطلع عليهم، ومن غرائب المصادفات أن يكون أول طالع حكم العرب وقاضيها الحصيف ربيعة بن حذار الأسدي، ولما طلع رحبوا به وقالوا له: أخبرنا أينا أشعر؟ قال: أخاف أن تغضبوا. فأمنوه من ذلك.

فقال: أما أنت يا زِّبْرِقان: فإن شعرك كلحم لا أُنْضِجَ فيُؤْكَل، ولا تُرِك نَيْئًا فيُنْتَفَعُ به. وأما أنت يا عمرو: فإن شعرك كبُرْدٍ حَبْرَة يتلألأ فيه البصر فكلما أعدته نقص. وأما أنت يا مُخَبَّل: فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها علىٰ من يشاء. وأما أنت يا علقمة: فإن شعرك كمِزَادَة قد أُحْكِمَ خَرزُها فليس يقطر منها شيء.

رأي ابن الأعرابي:

قال الإمام ابن الأعرابي (١٥٠- ٢٣٠ هـ): لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج الىٰ أبي دؤاد، ولا وصف الخمر إلا احتاج إلىٰ أوس بن حجر، ولا وصف أحد النعامة إلا احتاج إلىٰ علقمة بن عبدة. ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلىٰ النابغة الذبياني.

رأي ابن سلَّام:

قال أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي المتوفىٰ (٢٣٢ هـ) في كتابه طبقات الشعراء: ولابن عبدة ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر، الأولىٰ (طَحَا بِكَ قَلبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ)، والثانية (ذَهَبتَ مِن الِهجرِان في غَيرِ مَذهَبِ)، والثالثة (هَلْ ما عَلِمتَ وما استُودِعتَ مَكتُومُ). وقد شارك ابن سلام في رأيه هذا النقادة ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة.



رأي ابن المغربي:

قال ابن سعيد المغربي (٦١٠- ٦٩٣ هـ) في كتابه (عنوان المرقصات والمطربات): «معاني الغوص في شعر علقمة معدومة، وأقرب ما وقع له قوله:

أَورَدتُها وصُدُورُ العِيسِ مُسنَفَةٌ والصبحُ بالكوكبِ الدُرِيِّ مَنحُورُ

يشير إلىٰ كوكب الصبح مثل سنان الحربة طعن به فسال منه دم الشفق، وإذا تبين المعنىٰ كان من المرقصات... وقوله:

يَحمِلنَّ أُترُجَّةً نَضْحُ العَبِيرِ بها كأَنَّ تَطْيَابَها في الأَنْفِ مَشمُومُ

يشير إلىٰ أن ما نال هذه المرأة من مضض السير، واصفرار لونها كالأترجة، وأنها ما تحركت تزيد طيبا خلافا للتحرك البشري! ومنه أخذ ابن الرومي وغيره تشبيه المرأة بالروضة لطيب ثغرها...».

رأي ابن أبي العلاء:

قال الإمام الراوية أبو عمرو بن العلاء (٦٨- ١٥٤ هـ): أعلم الناس بالنساء علقمة بن عبدة حيث يقول:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

إِذَا شَابَ رَأْسُ المَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وِدِّهِنَّ نَصِيبُ

يُرِدْنَ ثَرَاءَ المَالِ حَيْثُ عَلِمْنَه وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

رأي الفرزدق:

وقد عده الفرزدق من جهابذة الشعر الذين تتلمذ لهم في مناقضة له ناقض بها جريرًا إذ يقول:



وَهَبَ النَّوابغُ لي القَصَائدَ إذْ مَضَوا وأبو يَزيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ[١]

والفَحْلُ عَلقمةُ الذي كانت له حُلَلُ الملوك كلامُه يُتَمَثَّلُ

سِمْطَا الدهر[٢] :

كانت العرب تعرض أشعارها علىٰ قريش، فما قبلوا منها كان مقبولا وما ردوا منها كان مردودا. فقدم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي أولها:

هَلْ ما عَلِمتَ وما استُودِعتَ مَكتُومُ؟ أم حَبْلُها إذ نَأَتْكَ اليومَ مَصرُومُ؟[٣]

فقالوا: هذا سِمْطُ الدهر.

ثم عاد إليهم في العام المقبل فأنشدهم درته التي مطلعها (طَحَا بِك) فقالوا: هاتان سِمْطَا الدهر.

حديث علقمة مع ابن القارح:

قال أبو العلاء المعري في رسالة الغفران: «ويَنظُر فإذا علقمة بن عبدة فيقول: اعزُز عليَّ بمكانك، ما أغنىٰ عنك سمطا لؤلئك[٤]، ولو شفعت لأحد أبيات صادقة، ليس فيها ذكر الله سبحانه، لشفعت لك أبياتك في وصف النساء أعني قولك:

---

(١) أبو يزيد: المُخَبَّلُ السَّعْدِي، وذو القروح: امرؤ القيس، وجَرْوَل: الحطيئة الشاعر المشهور.

(٢) السِّمْط: العقد.

(٣) أنشد هذا البيت رجل من مُزَيْنَة وقد مر علىٰ باب رجل من الأنصار وكان يتهم بإمرأته، فتعلق به وشكاه إلىٰ عمر، فقال له المُتَمَثِّل: وما عَلَيَّ أن أنشدت بيت شعر؟! فقال له عمر: مالك لم تنشده قبل أن تبلغ بابه! ولكنك عرضت به مع ما تعلم من القالة فيك... ثم أمر به فضرب عشرين سوطا.

(٤) يريد بذلك قصيدته التي أولها: (طَحَا بِكَ)، وقصيدته التي أولها: (هَلْ مَا عَلِمْتَ).



فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي   بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ المَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ   فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وِدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المَالِ حَيْثُ عَلِمْنَه   وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ»

وقد ذكر أبو العلاء علقمة أيضا في مقدمة رسالة الغفران إذ يقول: «وتجري في أصول ذلك الشجر أنهار تختلج (تتحرك) من ماء الحيوان والكوثر يمدها في كل أوان، من شرب منها النُّغْبَةَ (الجرعة) فلا موت، قد أمن هنالك الفوت، وسعد من اللبن مختلفات لا تتغير بأن تطول الأوقات، وجعافر من الرحيق المختوم كما قال علقمة:

تَشْفِي الصُّدَاعَ ولا يُؤْذِيكَ صَالبُها   ولا يخُالِطُ منها الرَّأسَ تَدوِيمُ

ويعمد إليها المغترف بكؤوس من العسجد، وأباريق خلقت من الزبرجد، ولو نظر إليها لبَرِق وفَرَقَ وعلم أنه قد طَرَق[1]، ما ابن عَبَدَة وما فَرِيقُه؟ قد خَسِرَ وكُسِرَ إبرِيقُه[2]».

وفاته وعقبه:

يؤخذ من المصادر التي بين أيدينا أن علقمة عمر طويلا، وأدرك بعثة النبي ﷺ، ولكنه لم يدرك الهجرة، إذ عاجله ريب المنون سنة خمس وعشرين وستمائة من الميلاد.

وقد أعقب علقمة ولدين شاعرين: عليا وخالدا.

---

(١) بَرِق: تَحيَّر، وفَرَقَ: اشتد فزعه، : و طَرَق: ضعف عقله.

(٢) يريد قوله:

كَأَنَّ إِبرِيقَهُم ظَبْيٌ عَلَىٰ شَرَفٍ   مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ



وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلا وَشِيجُه؟ وتُغرَسُ إلا في منابتها النخل؟

ولا غرابة في كونهما شاعرين وأبيهما شاعرًا، ومن كان من ذريتهما شاعرًا، فالشعر سجية في العرب فطروا عليها وطبعوا، لملائمة بيئتهم لتربية الخيال وتنمية المشاعر. قال ابن حجر في الإصابة في القسم الثالث فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره: «علي بن علقمة التميمي الشاعر الجاهلي المشهور. ولعلي هذا ولد اسمه عبدالرحمن. ذكره المرزباني في معجم الشعراء. فيلزم من ذلك أن يكون أبوه من أهل هذا القسم. لأن عبدالرحمن لم يدرك النبي ﷺ».

ومن أبيات علي الخالدة قوله:

ولا تَسْأَلِ الأضيافَ مَن هُم فإنَّهم هُمُ الناسُ من مَعروفِ وجه ومُنكِرِ!

والآن نمسك بالقلم عن استرساله في التعريف بالشاعر وشعره. إذ كفانا ذلك فخر الشباب العصامي الناهض الأستاذ النابغة الدكتور زكي مبارك[١]، فقد تفضل - حفظه الله- بكتابة بحث قيم، وفصل ضاف ممتع، حَلَّيْنَا به صدر الكتاب.

---

(١) قال الدكتور زكي مبارك في مقدمته: " أي والله! هذه مقدمة ديوان! ولكن هل هذا ديوان؟ نحن في بلد الأحجام والمكاييل والموازين، والديوان فيه ديوان! أما القصائد التي تعد أبياتها عدا فليست بديوان، وليست خليقة بأن يهتم بها ناشر أو شارح، وإن تكلف الغيرة علىٰ الأدب والبيان! كذلك حدثتُ نفسي حين زارني الأديب السيد احمد صقر وطلب مني أن اكتب مقدمة لهذا الديوان.
فقد كنت طالبا في الأزهر قبل أن يولد هذا الأديب، وكان الأزهر لذلك العهد لا يعترف بالذاتية الأدبية، ولا يشجع أحدًا علىٰ رواية الشعر، ولا يمر فيه البيت إلا باسم الإعراب!
وكنت وأنا طالب في الأزهر احفظ الشعر سرا وأنظمه سرا، لأن نظم الشعر كان ينافي الأزهرية الصحيحة، وكان الاهتمام به من سمات الغافلين عن حقائق المتون والشروح والحواشي والتقارير. !
لذلك طربت حين سئلت كتابة هذه المقدمة، فقد تيقنت أن الأزهر رفع الرقابة عن النزعة الأدبية، وبدا يبتسم لمن يشرحون دواوين الأدب وهم طلاب. =



. . . .

= ولأقيد أن شارح هذا الديوان طالب بالقسم الثانوي ولما يبلغ العشرين، والعشرون ليست بالسن القليل، أو القليلة إن شئتم، لكنها في حي الأزهر أقل من القليل!

ولأقيد أيضا أن في مقدور هذا الشاب أن يكون أديبا، إن جرىٰ علىٰ الفطرة، وأطاع الطبع، وفهم أن الأدب بحر عجاج، وأن لا سبيل إلىٰ الفوز إلا بالجد الموصول.

ولأقيد أيضا أن دنيا الأزهر دنيا ضيقة الأرجاء، ولا مفر للأديب من تنسم الهواء في جو أنقىٰ و أوسع. فليتذكر ذلك أدباء الشباب في الأزهر الشريف، وليعرفوا أن في مصر معاهد تعرف الأدب خير مما يعرفون، وتدرس العربية خيرا مما يدرسون، وتعرف فوق هذا وذاك أن في الشرق والغرب علوما يجب أن تدرس؛ وأن في كل شيء مجالا للتأمل والدرس والاستقراء.

مالي ولهذا؟ إنما أمهد لشرح ديوان (علقمة الفحل)، فلنترك الأزهرين إلىٰ المقادير ولنعد إلىٰ الديوان. قلت إن هذا الديوان صغير، فلأنص علىٰ أن العناية به تدل علىٰ فهم وذكاء. أليس علقمة قريع امرئ القيس؟ فهو إذا من أعلام الشعراء الذين شغلوا الناس في أيام الجاهلية، وكان شعراء الجاهلية قدوة في البيان. والأدب الجاهلي هو الأصل الأصيل للغة العربية، والأديب مسئول عن تعرف ذلك الأصل وإن بدا له غريب الوجه، في زمن قل فيه من يحفظ الأصول. فلا تستقلوا هذه القصائد والمقطوعات والأبيات، فإن الجوهر الجيد ليس فيه قليل. وتذكروا أن أسلافكم كانوا يتواصون بحفظ الذخائر الأدبية واللغوية؛ والشعر الأصيل من أنفس الذخائر والأعلاق، وإن عز عليكم فهمه في بعض الأحيان.

إن كلية الاداب بالجامعة المصرية تفرض علىٰ طلبة اللغة العربية التعرف إلىٰ العبرية والسريانية، فإن فاتكم ذلك يا أهل الأزهر، فلا يفتكم أن تتعرفوا إلىٰ شعر علقمة وأمثاله من الذين كادوا يعاصرون لغة القران.

قد تقولون: إن علقمة شغل نفسه بوصف الناقة في أكثر القصائد، وقد تعدون هذا من التوافه في عالم البيان. فاعرفوا الآن أن وصف الناقة لم يكن من اللغو والفضول: فالناقة في بلاد العرب حيوان جميل جدا. ومن (الجمل) جاء (الجمال) لو تعلمون إن أهل مصر ينظرون إلىٰ الجمل فلا يرون فيه جمالا. وفاتهم أن الجمل في بلادهم يأكل غير طعامه، فيكبر بطنه من وفرة البرسيم والماء، وتنمحي منه آيات الجمال؛ والجمل في مصر غريب لم يعرفه المصريون في الزمن القديم، ولكنه في بلاد العرب حيوان جميل عرف البادية وعرفته منذ ألوف السنين. فان رابكم الإكثار من وصف الناقة فلا تلوموا الشاعر، ولكن لوموا أنفسكم فأنتم الذين اكتفيتم بمرابض (القبلة القديمة)، ولم تسيروا في الأرض فتنظروا كيف أنعم الله علىٰ (الجِمال) بالجَمال. =



الإسلام والمرأة(١)

كانت المرأة قبل ظهور الإسلام ذليلة محتقرة في جميع الأمم، مهضومة الحق، مسلوبة الإرادة، تباع في الأسواق كما تباع السائمات. وليس أدل علىٰ تعاسة المرأة وشقائها في القرون الأولىٰ من أن يعقد الفرنسيون مؤتمرًا عام ٥٨٦م يتباحثون فيه فيما يندىٰ منه وجه الإنسانية خجلًا، إذا كان موضوع بحثهم هو: هل تعد المرأة إنسانًا أو غير إنسان؟

وكانت العرب تبالغ في مقتها وازدرائها مبالغة عظيمة قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، كانوا يئدون البنات، ويعضلون النساء، ويمنعونهن من الإرث بحجة أنهن لا يحاربن ولا يقاتلن، وفضلًا عن ذلك كانوا يرثونهن كرهًا، وذلك بأن يلقي الوارث ثوبه علىٰ امرأة الموروث ويقول

= علىٰ أن أهلينا في (سنتريس) لم يفتهم هذا المعنىٰ، وعهدي بهم يقولون في وصف الفتاة الهيفاء: (صبية كالناقة)، ولولا جمال الناقة ما شبهوا بها الخريدة العطبول.

ومعاذ الأدب أن نقول أن هذا خير ما عرف علقمة الفحل، ففي ديوانه إشارات نفسية واجتماعية، وجديرة بأن تقربه من أذهان أهل العصر الحديث. أليس هو الذي يقول:

وقد يَعقِلُ القُلُّ الفتىٰ دونَ هَمِّهِ ... وقد كان لولا القُلّ طَلَّاعَ أَنجُدِ

وله من أمثال هذه الحكمة أشياء كثيرة لا يزال يرحب بها الذوق، يجدها القارئ في ثنايا الديوان. أما بعد: فإني أشكر لهذا الشاب عنايته بشرح هذا الديوان ونشره، وأرجو أن يكون قدوة لأمثاله من طلبة الأزهر الشريف... والسلام.

(١) مجلة الأزهر، عدد رجب، سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، ص. ٤٠



ورثتها كما ورثت ماله! وبهذا يتملكها، ويتصرف فيها كيف شاء؛ إن شاء تزوجها بدون صداق، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها وأنفقه علىٰ ملذاته وشهواته، وإن لم يشأ لا هذا ولا ذاك أمسكها حتىٰ تفيض روحها إلىٰ بارئها فيصير إليه مالها.

وكان العربي إذا أراد أن يستبدل زوجه رماها بالفاحشة لتفتدي نفسها بما تملك، ويصرف ما أخذه منها علىٰ من يريد الاقتران بها!. وبذلك كانوا يتزوجون العشرات منهن ولا يعدلون بينهن لا في قسم ولا في نفقة.

هذا قل من كثر، ونقطة من بحر، مما كانت المرأة تعانيه من الويلات والمصائب قبل ظهور الإسلام.

ولما بعث ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، وجاء الإسلام بتعاليمه السامية، وتشريعه الحكيم رفع شأن المرأة، وانتشلها من هوة الشقاء، وأنقذها من حضيض الذل والتعاسة، وأخذ بيدها إلىٰ أوج العلا والسعادة.

فحرم وأد البنات، وتوعد فاعل هذه الفعلة الشنيعة عذابًا أليمًا يجزاه يوم تبلىٰ السرائر فما له من قوة هنالك ولا ناصر، وبذلك انقرضت عادة الوأد وطهرت من رجسها بلاد العرب. وشدد النكير علىٰ من يعضلون النساء وفرض لهن نصيبًا من الإرث يتصرفن فيه كيف شئن، ولما فرض هذا النصيب ثارت ثائرة العرب لزعمهم أن المرأة لا تستحق إرثًا.

وحبب الإسلام إلىٰ قلوب الناس احترام المرأة ورعاية حقوقها وكلف الأب بالنفقة علىٰ ابنته حتىٰ تتزوج من رجل ليس لوليها أن يجبرها علىٰ التزوج منه مالم تكن صغيرة، ولم يخول لأي إنسان كائنا من كان أن يكرهها علىٰ الزواج ممن لا ترضىٰ به بعلًا، كما لم يخول لأبيها الحق في حملها علىٰ كسب معيشتها بحرفة تحترفها، كما خوله حق حمل ابنه علىٰ ذلك. وحرم الإسلام الزواج بأكثر من أربع



زوجات، وقيد زواج الأربع بقيود كثيرة لئلا يتلاعب الرجال بالنساء، وأوجب علىٰ الزوج دفع الصداق، والقيام بما تقتضيه المعيشة الزوجية من نفقة وكسوة وغيرهما، ولم يكلف المرأة بشيء ما، ولم يهضمها حقًا كما زعم الجاهلون الذين يهرفون بما لا يعرفون، و يقولون مالا يعلمون.

كلف الإسلام الرجل بالنفقة علىٰ أولاده ولم يكلفها بشيء من ذلك ولو كانت ثرية وكان هو فقيرًا معدمًا حتىٰ إنه لم يكلفها برضاعة فلذات كبدها، أفبعد ذلك يقول الجاهلون إن الإسلام ظلم المرأة وهضمها حقها؟.

لقد دلل الإسلام المرأة، وجعلها ملكة متوجة في بيتها. أفبعد هذا يقول عاقل إن الإسلام ظلم المرأة وهضمها حقها؟ كلا. إن الإسلام منح المرأة حقوقًا عظيمة لم تمنحها إياها أو بعضها أيه شريعة سماوية، حقوقًا لو علمها الجاهلون لما قالوا بذلك البهتان المبين ولقالوا معنا: «إن الإسلام أكرم المرأة وبالغ في إكرامها، ودللها وبالغ في تدليلها، فسواها بالرجل في جميع الحقوق، وميزها بميزات جمة، وبوأها في المجتمع مكانًا عاليًا، بعد أن كانت مجهولة القدر ضائعة الحقوق».





في بلاغة القرآن
رأي جديد في بعض مناحيها[١]

(١ - ٣)

يطيب لنفسي أن أتعمد مأدبة الله كلما استطعت إلىٰ ذلك سبيلًا، فألتهم من طعامها الشائق، واحتسي من شرابها الرائق، ما أعتقد أن فيه غذاء لروحي الساغبة وريًّا، وما أكاد أن أنفتل عنها حتىٰ أحس برغبة جامحة في العودة، فأعود الكرة ابتغاء الافترار وإزالة العطاش، ولكن هيهات، فكلما ازددت منها ازددت شوقًا إليها، وحرصًا عليها:

إِذَا ازْدَدْتُ مِنهَا زَادَ وَجْدِي بِقُربِها　　　فَكَيفَ احتِرَاسِي مِن هَوَىٰ مُتَجَدِّدِ

هيهات هيهات أن تقنع روحي من مأدبة الله، وطعامها شفاء للنفس، وشرابها طهور للحس، وغشيانها جلاء للقلب وصقال للضمير. كيف أقنع من القرآن مأدبة الله، كما سماه رسول لله فكانت تسمية فذة بارعة، أصاب بها ﷺ شواكل المراد، وطبق مفاصل السداد، بإيجاز وإعجاز لم نر لهما ضريبًا إلا في القرآن الكريم.

والقرآن كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، وفضله علىٰ سائر الكلام معروف غير مجهول، وظاهر غير خفي، يشهد بذلك عجز المتعاطين،

---

(١) مجلة الأزهر، عدد ربيع الأول وما بعده، سنة ١٣٥٩هـ، ص ٢٣ .



ووهن المتكلفين، وتحير الكاذبين، وهو المبلغ الذي لا يمل، الجديد الذي لا يخلق، والحق الصادع، والنور الساطع، والماحي لظلم الضلال، ولسان الصدق النافي للكذب، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك، وناعي الدنيا المنقولة، وبشير الآخرة المخلدة، ومفتاح الخير، ودليل الجنة، إن أوجز كان كافيًا، وإن أكثر كان مذكرًا، وإن أومئ كان مقنعًا، وإن أطال كان مفهمًا، وإن أمر فناصحًا، وإن حكم فعادلًا، وإن أخبر فصادقًا، وإن بين فشافيًا، سهل علىٰ الفهم، صعب علىٰ المتعاطي، قريب المأخذ، بعيد المرام.

لا تستسفه النظرة الأولىٰ، وقد تكون الثانية مبعث توهيم، وإذا ما هجس التوهيم في نفس، لا يقر لها قرار أو تكون علىٰ بينة من أمره، فتبحث وتنقب ما وسعها البحث والتنقيب، وترهف الذهن وتحد الخاطر، ولا تزال تدير الرأي، وتجيل عيون الفرض لتعلم سر توهمها، ولاسيما إذا كان هذا التوهيم في كتاب أحكمت آياته وأعجزت، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكثيرًا ما نظرتُ في آيات منه فتوهمتُ، فبحثت فأسفر البحث عن حقائق تجعل القلب خاشعًا متصدعًا من خشية الله، مؤمنًا إيمانًا قويًا صادقًا لم تشبه شائبة من شوائب التقليد بأنه معجز حقًا، تتعاقب عليه الأيام، وتتعاور الأفهام، فما تزيده الأيام إلا جدة ونضارة، وتنحسر عنه العقول ظالعة حسيرة وما تنفد كلماته، ولا تفرع أسرار بلاغتها ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

من تلك الآيات التي نظرت فيها فتوهمت، قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾، فلقد خيل إِلَيَّ أنه لو قيل: «لا تجوع ولا تظمأ، ولا تضحىٰ ولا تعرىٰ» لكان ذلك جاريًا علىٰ ما تقتضيه البلاغة من الملاءمة بين الأشباه



والنظائر، ولكنها لم تجئ كذلك فلابد لهذا من سر بل من أسرار، لأن الكلمة في القرآن ليست كما تكون في غيره «بل السمو فيها على الكلام أنها تحمل معنىٰ، وتومئ إلىٰ معنىٰ، وتستتبع معنىٰ، وهذا ما ليس في طاقة البشرية، وهو الدليل علىٰ أنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت». فما سر مجيئها هكذا؟

نظرت في كتب التفسير التي بين يدي، وهي الكشاف والطبري والنسفي والجلالين والبحر المحيط، فما ألفيت كتابًا منها حاول أن يكشف عن سر نظم الآية، بيد أني وجدت فيما كتبه الصاوي علىٰ الجلالين كلامًا ليس له ضحىٰ، فهو يقول: «قابل بين الجوع والعري، والظمأ والضحو، وإن كان الجوع يقابل بالعطش، والعري يقابل الضحو، لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر، والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر، فنفىٰ عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن، وحر الظاهر الباطن». ووجدت ابن المنير يقول في كتاب الانتصاف: «والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها، ولو قرن كلًا بشكله لتوهم أن المعدودات نعمة واحدة، علىٰ أن في الآية سرًا زائدًا علىٰ ذلك وهو قصد تناسب الفواصل، ولو قرن الظمأ بالجوع لانتثر سلك رؤوس الآي، وأحسن به منتظمًا».

وهذا الكلام ليس له نصيب كبير من الوجاهة والرجاحة، ولذلك لم ترتح إليه نفسي ولم تقنع به، وإنما قنعت برأي حلو جميل أنساب في أعطافها، ودب في ثناياها دبيب الكرىٰ في المفاصل، ففرحت به وآثرته، وصارت به حفية، وله وامقة، ولنشره تائقة، ويتلخص هذا الرأي في أنه لو جاء النظم هكذا: وأنك لا تجوع فيها ولا تظمأ، لوجب أن يقال: وأنك لا تعرىٰ فيها ولا تضحىٰ، ولو كان ذلك كذلك لفسد المعنىٰ، لأن التضحي هو البروز للشمس بغير سترة كما في اللسان وغيره، وإذا كان التضحي هو البروز للشمس بغير سترة كان معناه العري،



فيصير معنىٰ الكلام (وأنك لا تعرىٰ فيها ولا تعرىٰ) وهو فساد بين، ولما كان هذا الفساد في النظم مرجعه ضم الأشباه والنظائر، فرقها وجاء بها علىٰ هذا النسق البديع: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾، وضم سبحانه لنفي الجوع نفي العري، لتطمئن النفس بسد الجوع وسترة العورة الذين تدعو إليهما ضرورة الحياة ونَحِيزَةُ الإنسانية. ولما كان الجوع مقدمًا علىٰ العطش كتقديم الأكل علىٰ الشراب، كان من مقتضىٰ البلاغة أن يتأخر ذكر الظمأ عن الجوع، وأن يتقدم علىٰ التضحي لأنه مهم يجب أن يتقدم الوعد بنفيه كما تقدم الوعد بنفي الجوع، وأن يتأخر ذكر التضحي كما تأخر ذكر العري عن الجوع، لأن التضحي من جنس العري والظمأ من جنس الجوع.

ولعلك إذا بلغت هذا الموضع من مقالي تسائلني فيما بينك وبين نفسك، أو فيما بينك وبين غيرك، وتقول: إذا كان الأمر كما بينت، وكان سر التفريق بين الأجناس كما جلوت، فلم ذكر التضحي وهو عري كما أثبت، وقد أغنىٰ عنه ذكر العري؟ ولعلي أبلغ الغاية من إقناعك ومرضاتك، أو لعلي أوفر عليك مؤنة السؤال أو التساؤل إذا قلت لك: في ذكر التضحي فائدة كبيرة وهي وصف الجنة بأنها لا شمس فيها ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، فإن التضحي عري مخصوص مشروط بالبروز للشمس وقت الضحىٰ، ولذلك سمي تضحيًا، وسميت الشمس ضحىٰ لظهورها في ذلك الوقت، والانتقال من الأعم إلىٰ الأخص بلاغة، لاختصاص الأخص بما لا يوجد في الأعم كما يقولون.

وفي القرآن الكريم آية أخرىٰ تشبه هذه الآية في التوهيم كل المشابهة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، خيل إِلَيَّ أن هذه الآية قد أتت علىٰ غير طريق البلاغة، فإن طريق البلاغة أن يقال: «كالأعمىٰ والبصير، والأصم والسميع» لتلتئم الألفاظ وتأتلف بمعانيها،



وليكون في كل جملة من الجملتين طباق لفظي. وأخيرًا تبين لي أن مجيئها على النظم الذي توهمته وزينه لي الطباق المزدوج؛ يفسد المعنىٰ الذي جاءت الآية لتقريره. وبيان ذلك أن الله ﷻ قال: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ فاقتضىٰ ذكر الفريقين تفسيرهما، فقال: ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ ليكون المشبه به قسمين، والمشبه وفق عدد الفريقين، أحد القسمين مبتلىٰ والآخر معافىٰ، للتضاد بين القسمين حتىٰ يصح السؤال عن التسوية بينهما مع تضادهما. ولو قيل «كالأعمىٰ والبصير» لكانت هذه الجملة فريقين، ثم يعود فيقول: «والأصم والسميع» فيكون في الجملة الأخرىٰ فريقان آخران، فيكون قد فسر الفريقين بأربعة، وهذا فساد واضح، فلذلك عدل الملاءمة في ظاهر الكلام إلىٰ ما هو أهم منها، وهو تصحيح المعنىٰ المراد.

ولقد أذكرتني هذه الآية والتي قبلها - والشيء بالشيء يذكر، والحديث شجون - بقصة طريفة جرت بين سيف الدولة والمتنبي، توهم فيها سيف الدولة عدم المناسبة بين أبيات، فكشف له المتنبي عن المناسبة وأبان له سرها، روىٰ البكري أن المتنبي وقف ينشد سيف الدولة قصيدته التي مطلعها:

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَىٰ قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

حتىٰ وصل إلىٰ قوله:

وَقَفْتَ وَمَا فِي المَوتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَىٰ وَهُوَ نَائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَىٰ هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

فأنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجز البيتين علىٰ صدريهما، وقال له: ينبغي أن تطبق عجز الأول علىٰ الثاني، وعجز الثاني علىٰ الأول. ثم قال له: وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله:



كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلَذَّةٍ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتِ خِلْخَالِ
وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ لَخَيلِيَ كُرِّي كَرَّةً بَعدَ إِجْفَالِ

ووجه الكلام في البيتين علىٰ ما قاله أهل العلم بالشعر: أن يكون عجز الأول علىٰ الثاني والثاني علىٰ الأول ليستقيم الكلام، فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر، وسبء الخمر مع تبطن الكاعب. فقال له المتنبي: أدام الله عز مولانا، إن صح أن الذي استدرك علىٰ امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا، ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب مثل معرفة الحائك، لأن البزاز يعرف جملته، والحائك يعرف جملته وتفصيله، لأنه أخرجه من الغزلية إلىٰ الثوبية. وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة ركوب للصيد، وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردىٰ ليجانسه، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسًا، وعينه من أن تكون باكية قلت: ووجهك وضاح؛ لأجمع بين الأضداد في المعنىٰ. فأعجب سيف الدولة ووصله بخمسمائة دينار.

قال أبو الفتح بن جِنِّي - فيما نقله الواحدي: وليس الملك والشجاعة في شيء من صناعة الشعر، ولا يمكن أن يكون في ملاءمة العجز الصدر مثل هذين البيتين، لأن قوله: كأنك في جفن الردىٰ، هو معنىٰ قوله: وقفت، فلا معدل لهذا العجز عن هذا الصدر، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحدق الجفنة بما يتضمن من جميع جهاتها، فهذا هو حقيقة الموت. وقوله: تمر بك الأبطال، هو النهاية في التطابق للمكان الذي تكلم فيه الأبطال فتكلح وتعبس. وهذا كلام رائق معجب يدل علىٰ حصافة وتفطن، وبصر بدقائق المعاني ومنازع الكلام.



(٢- ٣)

«اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنك علىٰ كل شيء قدير»

عمر بن الخطاب

جلوت لك في الحديث السابق بعض ما تهدىٰ إليه عقلي، واستطف لي بيانه من أسرار البلاغة في آيتين من آي الذكر الحكيم، ولعلك عجبت منها العجب كله، وأي شيء أعجب من أن تتجاذبك معاني الوضع في ألفاظ القرآن، فترىٰ اللفظ قارًا في موضعه لأنه الأليق في النظم، ثم لأنه مع ذلك الأوسع في المعنىٰ، ومع ذلك الأقوىٰ في الدلالة، ومع ذلك الأحكم في الإبانة، ومع ذلك الأبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية مما يتقدمه أو يترادف عليه.

وهذا من أظهر الفروق بين أنوع البلاغة في القرآن وبين هذه الأنواع في كلام البلغاء. فنظم القرآن يقتضي كل ما فيه منها اقتضاء طبيعيًا، بحيث يبنىٰ هو عليها، لأنها في أصل تركيبه، ولا تبنىٰ هي عليه، فليست فيه استعارة ولا مجاز ولا كناية، ولا شيء من مثل هذا يصح في الجواز أو فيما يسعه الإمكان أن يصلح غيره في موضعه إذا تبدلته منه، فضلًا عن أن يفي به، وفضلًا عن أن يربي عليه، ولو أدرت اللغة كلها علىٰ هذا الموضع. فكأن البلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه، بخلاف ما أنت واجد من كلام البلغاء، فإن بلاغته إنما تصنع لموضعها، وتبنىٰ عليه، فربما وفت وربما أخلفت، وهي لو رفعت من نظم الكلام ثم نزل غيرها في مكانها لرأيت النظم نفسه غير مختلف، بل لكان عسىٰ أن يصح ويوجد في مواضع كثيرة من كلامهم.



كم حارت العقول الواصفة في وصفه، وكلت الألسنة البارعة عن نعته، لأنه المطمع بظاهره في نفسه، والممتنع في باطنه بنفسه، ولأنه لا يشبه كلامًا تقدمه ولا يشبه كلامًا تأخر عنه، ولا يتصل بما قبله، ولا يتصل به ما بعده، فهو الكلام القائم بنفسه، البائن من جنسه، العالي علىٰ كل كلام قرن إليه وقيس به. وإنه ليرىٰ فيه عند الانفراد بتلاوته من غرائب الفصاحة، وثواقب البلاغة، ونوادر الكلم، وينابيع الحكم، ما يعجز الخواطر عن الكلام فيه، والإيضاح عن عجائب ما فيه، حقًا إنك لتحار إذا تأملت تركيب القرآن ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها، وتقعد بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه، حتىٰ لا ترىٰ في اللغة كلها أدل علىٰ غرضك، وأجمع لما في نفسك، وأبين لهذه الحقيقة غير كلمة (الإعجاز).

ثم ماذا يبلغ القول من صفة هذا التركيب العجيب وأنت ترىٰ أن أعجب منه مجيئه علىٰ هذا الوجه الذي يستنفد كل ما في العقول البيانية من الفكر، وكل ما في القوىٰ من أسباب البحث، كأنما ركب علىٰ مقادير العقول والقوىٰ، وآلات العلوم وأحوال العصر المغيبة.

ولن تجد في وصفه كلاماً أدق ولا أبرع، ولا أخصر ولا أجمع مما وصفه به من أوتي الحكمة وجوامع الكلم، الذي لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه، من كلامه ﷺ كثيرًا، فهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف، وهو الذي ألقىٰ الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام.

ولعل بعض من لم يتسع في العلم، ولم يعرف مقادير الكلام، يظن أنا تكلفنا له من الامتداح والتشريف، ومن التزيين والتجويد، ما ليس عنده، ولا يبلغ قدره،



كلا والذي حرم التزيد على العلماء، وقبح التكلف عند الحكماء، وبهرج الكذابين عند الفقهاء!! لا يظن هذا إلا من ضل سعيه[(١)].

لن تجد في وصف القرآن أحسن من وصفه ﷺ: حدث الترمذي أن ابن أبي طالب رضي الله عنه سمع الرسول وهو يقول: «**أما إنها ستكون فتنة**»، فقال له: فما المخرج منها يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله تعالىٰ، ومن ابتغىٰ الهدىٰ من غيره أضله الله تعالىٰ، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق علىٰ كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتىٰ قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعي إليه هدي إلىٰ صراط مستقيم).

أضف إلىٰ هذا أنه كلما دار الزمان، وتقدمت العلوم، وتكشفت للإنسان أسرار الكون، استبان للناس من عظمة القرآن، واتضح لهم من وجوه إعجازه مالم يدر لهم ولا لآبائهم بخلد. فهذه أسرار طبية، وهذه أسرار فلكية، وتلك أسرار زراعية كشف عنها العلم الحديث، وإلىٰ الأخيرة نلفت النظر لطرافتها وغضارتها:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

لقد ساءلت نفسي وأنا أتدبر هذه الآية: لماذا كانت هذه الجنة بربوة؟ ولماذا

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ.



عبر الله عن سقياها بإصابة الوابل؟ وهل لذلك من فائدة في كونها تؤتي أكلها ضعفين؟

قال الخليل: الربوة: أرض مرتفعة طيبة، وخص الله بالذكر التي لا يجري فيها ماء من حيث العرف في بلاد العرب، فمثل لهم ما يحسونه ويدركونه، وله رحمه الله:

تَرَفَّعَتْ عَن نَدَىٰ الأعمَاقِ وَانْخَفَضَتْ عَنِ المَعَاطِشِ وَاسْتَغْنَتْ بِسُقْيَاهَا

فَمَالَ بِالخَوْخِ وَالرُّمَانِ أَسْفَلَها وَاعْتَمَّ بِالنَّخْلِ وَالزَّيتونِ أَعْلَاهَا

وقال ابن عباس: الربوة: المكان المرتفع الذي لا يجري فيه الأنهار، لأن قوله: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ يدل علىٰ أنها ليس فيها ماء جار. قال أبو حيان: وتفسير ابن عباس الربوة بالمكان المرتفع الذي لا يجري فيه ماء إنما يريد المذكورة هنا، لقوله: أصابها وابل، فدل علىٰ أنها ليس فيها ماء جار، ولم يرد جنس الربوة لا يجري فيها ماء، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾؟ وخصت بأن سقياه الوابل لا الماء الجاري فيها علىٰ عادة بلاد العرب بما يحسونه كثيرًا، وخص الربوة لحسن شجرها وزكاء ثمرها».

فهل من الحق أن القرآن عبر بإصابة الوابل عن السقيا لأن هذه الربوة التي أشار إليها لا تجري فيها الأنهار كما روي عن ابن عباس، أم جريًا علىٰ عادة بلاد العرب، وتمثيلًا لهم بما يحسونه ويدركونه كما يقول غيره من المفسرين؟.

عندي أن القرآن لم يرد ذلك، ولم يذهب إليه، وإنما ذهب إلىٰ سر عظيم كشف عنه العلم الزراعي: فقد أثبت علماء النبات بعد تجارب أخطأها الحصر وما أخطأها الصواب، أن الحدائق التي تنشأ في الأراضي المرتفعة تغل أحسن من الحدائق المنشأة في الأراضي الواطئة، لأنها بعيدة عن الرشح الزائد، والماء



الراكد، ولأن الهواء يتخلل بين طبقاتها في يسر وسهولة، فيساعد علىٰ التأكسد وصلاح المواد الغذائية، التي تمتصها الشعيرات الجذرية طيبة سائغة وتغذي بها الساق، والأوراق والزهور، فيزكو الزرع ويستغلظ ويستوي علىٰ سوقه يعجب الزراع، ويؤتي أكله ضعفين بإذن الله.

ولقد أثبت هؤلاء العلماء أيضًا أن أحسن طريقة للسقي، طريقة المطر الصناعي، لأنه يزيل ما علىٰ الأشجار من أوضار، فتتفتح مسام الأوراق، وتسهل عليها التفتح والتنفس، أو (التمثيل الكلوروفلي).

ولأنه ينشر الماء علىٰ سطح الأرض بالتساوي، فتأخذ منه كل بقعة حاجتها، ولا تتعرض الأشجار والنباتات للأذىٰ، فهذا سر إيثار (الربوة) وسر (إصابة الوابل) كما بينه العلم الحديث، وجاء بيانه مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

(٣ - ٣)

حدثتك في حديث مضىٰ عن بعض الأسرار البلاغية في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾، ولست أزعم أني أشرفت علىٰ الأمد، وأوفيت علىٰ معجزة الأبد فيما أفضت القول فيه: «فإن هذا أمر ضيق كثير الالتواء لمن تلمس جوانبه، واقتحم مصاعبه، وما أشبه القرآن في تركيب إعجازه، وإعجاز تركيبه، بصورة كلامية عن نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة، وتعاوروه من كل ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثًا وتفتيشًا، ثم هو بعد لا يزال عندهم علىٰ كل ذلك خلقًا جديدًا، ومرامًا بعيدًا، وإنما بلغوا منه إذ بلغوا نزرًا تهيأت لضعفه أسبابه، وقليلًا عرف لقلته حسابه، وبقي وراء ذلك من الأمر المتعذر الذي وقفت عنده الأعذار، والابتغاء المعجز الذي انحط عنده قدر الإنسان، لأنه مما سمت به الأقدار».



وإنما الذي أستطيع أن أزعمه في غير ما خيلاء ولا تطاول، أني استطعت بتوفيق الله أن أتوسم هذه الآية علىٰ ضوء العلم الحديث، وأن ألقي علىٰ هذا التشبيه المعجب الذي احتوته، بصيصًا من النور، إخاله أضاء جوانبه، وبيَّن دقائقه، وجعلها علىٰ أعين الناس لعلهم يشهدون أن هذا القرآن (لا تنقضي عجائبه) كما قال الصادق الأمين ﷺ، وأن الكلمة فيه ليست كما تكون في غيره: «بل وجه السمو فيها علىٰ الكلام أنها تحمل معنىٰ، وتومئ إلىٰ معنىٰ، وتستتبع معنىٰ، وهذا ما ليس في طاقة البشر، وهو الدليل علىٰ أنه ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

لقد جاء هذا المثل العبقري متممًا للصورة البيانية الرائعة التي رسمها الله لمن أنفق ماله رئاء الناس، وهو غير مؤمن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾، فإنه سبحانه لما ضرب مثل من أنفق ماله رئاء الناس وهو غير مؤمن، ذكر ضده بتمثيل محسوس للذهن، كي يتصور السامع تفاوت ما بين الضدين، ويختار لنفسه أنسب الأمرين، وأطيب المنزلتين، وهذا من بديع أساليب فصاحة القرآن الكريم. ومن يقايس بين المثلين يجد أنه تعالىٰ لما وصف صاحب النفقة بوصفين قابل ذلك هنا بوصفين، فقوله: ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ مقابل لقوله: ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، وقوله: ﴿وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ مقابل لقوله: ﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾، لأن المراد بالتثبيت توطين النفس علىٰ المحافظة عليه وترك ما يفسده، ولا يكون إلا عن يقين بالآخرة. وهنا بدأ بالوصف الثابت وهو كونها بربوة، ثم بالوصف المعارض وهو أصابها وابل، وجاء في وصف صفوان قوله: ﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ﴾ ثم عطف عليه بالتاء، وهنا لم يعطف بل أخرج صفة، علىٰ ما ذهب إليه (أثير الدين)، ولو أمعن الناس



النظر في هذه الصورة البيانية الرائعة، وجعلوها نصب أعينهم، وتفطنوا لأسرارها، لحُبِّبَت إليهم البذل في ابتغاء مرضاة الله، وكُرِّهت إليهم المن والأذىٰ، فرَقًا من أن يبطل الله بذلهم، ويأباه عليهم كما أباه علىٰ الكفار والمنافقين: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

لقد توهمت في هذه الآية الأخيرة أنها أتت علىٰ غير وجهها البلاغي، ولو جاءت عليه لقيل: «لو افتدىٰ به» بدون الواو... فما سر هذا القلب؟ وما معنىٰ مجيء هذه الواو؟ ذهب كثير من العلماء إلىٰ أنها زائدة، وأنا أرىٰ في هذا الموطن رأي أبي العباس المُبَرَّد، فإن له مذهبًا سديدًا في جملة الحروف التي يقولون عنها أنها مزيدة في القرآن، وهو أنه ليس شيء من الحروف جاء في القرآن إلا لمعنىٰ مفيد، ولا يجوز أن يكون لقًا مطرحًا، ولا خاليًا من الفائدة صفرًا، وذلك أن الزيادات والنقائص في الكلام إنما يضطر إليها ويحمل عليه الشعر الذي هو مقيد بالأوزان والقوافي، وينتهي إلىٰ غايات ومرام، فإذا نقصت أجزاء كلامه قبل لحاق القافية اضطر الشاعر إلىٰ أن يزيد في الحروف فيمد المقصور، ويقطع الموصول، وما أشبه ذلك. وإذا زاد كلامه - وقد هجم علىٰ القافية فاستوقفته عن أن يتقدمها، وأخذت بمخنقه دون تجاوزها - اضطر صاحبه إلىٰ النقصان من الحروف، فقصر الممدود، ووصل المقطوع، وما أشبه ذلك حتىٰ يعتدل الميزان، وتصح الأوزان؛ فأما إذا كان الكلام محلول العقال، مخلوع العذار، ممكنا من الجري في



مضماره، غير محجور بينه وبين غاياته، فإن شاء صاحبه أرسل عنانه فخرج جامحًا، وإن شاء قدع لجامه فوقف جانحًا، لا يحصره أمد دون أمد، ولايقف به حد دون حد، فلا تكون الزيادات الواقعة فيه إلا عيا واستراحة، ولغوبًا وإلاحة، وهذه منزلة ترفع عنها كلام الله سبحانه، الذي هو المتعذر المعوز، والممتنع المعجز، وكل كلام إنما هو مصل خلف سبقه، وقاصر عن بلوغ أدنىٰ غاياته، بل قد يرتفع عن هذه المنزلة كلام الفصحاء المتقدمين، والبلاغاء المحذقين، فضلًا عما هو أعلىٰ طبقات الكلام، وأبعد مقدورات الأنام.

وإذا كان ذلك كذلك فما معنىٰ هذه الواو؟

ما كدت أوجه هذا السؤال إلىٰ جائشتي حتىٰ تذكرت - وللذكرىٰ شجون - سؤالًا من هذا القبيل وجه إلىٰ أبي العباس المُبَرِّد، وقد قرأ قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ سأله سائل فقال: قد علمنا أن هذه اللام لام كي فما معنىٰ إدخال الواو عليها إن لم نقدرها مزيدة؟ فقال له المُبَرِّد: ألست تعلم أن قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ﴾ مصدر، وقوله: ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ فعل موضوع في موضع المصدر، لأن الأفعال تدل علىٰ مصادرها؟ فالتقدير: هذا بلاغ للناس وإنذار، فبطل أن تكون الواو جاءت لغير معنىٰ.

وقد أحسن المُبَرِّد في هذا الجواب غاية الإحسان. فما أحسن جواب في واو الآية التي نحن بصددها؟ قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف موقع قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾؟ قلت: هو كلام محمول علىٰ المعنىٰ كأنه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدىٰ بملء الأرض ذهبًا» وهذا المعنىٰ الذي ذكره لا يتسق ونظم الكلام، والذي يقتضيه التركيب وينبغي أن يحمل عليه، أن الله تعالىٰ أخبر أن من اخْتُرِمَ كافرًا لا يقبل منه ما يملأ الأرض من ذهب، علىٰ كل حال يقصدها، ولو في حالة الافتداء به من العذاب. ومن المعروف في النحو: أن (لو) تأتي منبهة علىٰ أن ما



قبلها جاء علىٰ سبيل الاستقصاء وما بعدها جاء تنصيصًا علىٰ الحالة التي يظن أنها لا تندرج فيما قبلها كقوله: (أعطوا السائل ولو جاء علىٰ فرس، وردوا السائل ولو بظلف محرق)، كأن هذه الأشياء مما كان لا ينبغي أن يؤتىٰ بها، لأن كون السائل علىٰ فرس يشعر بثرائه، فلا يناسب أن يعطىٰ، وكذلك الظلف المحرق لا غنىٰ فيه. فكان يناسب أن يقبل منه ملء الأرض ذهبًا لكنه لا يقبل، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾، لأنهم نفوا أن يصدقهم علىٰ كل حال حتىٰ في حالة صدقهم، وهي الحالة التي ينبغي أن يصدقوا فيها، ولو هنا لتعميم النفي والتأكيد له، فكأن الله سبحانه لما قال: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ عمم وجوه القبول بالنفي، ثم فصل سبحانه لزيادة الإيضاح والبيان... ولو لم ترد هذه الواو لم يكن النفي عامًا لوجوه القبول، وكان القبول كأنه مخصوص بوجوه الفدية دون غيرها من وجوه القربة...

وهكذا تتكشف لك دقائق الإعجاز في القرآن إذا أعملت الفكر، وأرهفت الخاطر، ويتبين لك جليًا أن: «الحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها، ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، ولأنه ما من حرف إلا ومعه رأي يسنح في البلاغة من جهة نظمه، أو دلالته أو وجه اختياره بحيث يستحيل البتة أن يكون فيه موضع قلق، أو حرف نافر، أو جهة غير محكمة، أو شيء مما تنفذ في نقده الصنعة الإنسانية من أي باب من أبواب الكلام إن وسعها منه باب». وهذا هو السر في إعجاز عامته، والدليل الناصع علىٰ أنه: ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾.





رجل الضمير[1]

عظيم تنوعت مناحي عظمته، جعل الحق علىٰ لسانه وقلبه، فكان رائده في كل قول وعمل، وفيما هو دون القول والعمل.

سر هذه العظمة النادرة، التي تخلب الألباب، وتملأ الأبصار، يرجع إلىٰ شيء يسير أشد اليسر، معقد أشد التعقيد، ملك عليه أقطار نفسه، وغلبه علىٰ عقله وحسه، هذا الشيء اليسير المعقد، الذي كان مصدرًا لعظمة الفاروق، هو (الضمير اليقظ الباسل).

ومما يستلفت النظر حقًا أنه كان يدرك خطر الضمير، ويعرف أثره القويم في الحياة، فابتهل إلىٰ الله في أول خطبة خطبها بعد أن صارت إليه الخلافة، أن يرزقه هذا الضمير الباسل فقال: «اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوىٰ، وذكر المقام بين يديك، والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي». وقد استجاب الله دعاءه، ويسر له إلىٰ ما أراغه كل سبيل.

هذا الضمير اليقظ الباسل هو الذي صور للفاروق هذه الصورة الرائعة للخلافة، فهي عنده امتحان للحاكم والمحكوم علىٰ السواء: «إني قد بقيت فيكم بعد صاحبي فابتليت بكم وابتليتم بي». وهو الذي ذاد الكَرَىٰ عن عينه إن ألم بها، مخافة أن تشيل كفته في هذا الامتحان العظيم، حدثنا أسلم مولاه: «إنه كان يبيت عنده مع (يرفأ)، وأنه كان يقوم الليل إلا قليلًا، وكان كثيرًا ما يستيقظ في هذا القليل فيرتل

---

(١) مجلة الأزهر، عدد جمادىٰ الأولىٰ، سنة ١٣٦١هـ، ص ٢٣٠.



القرآن ترتيلًا، حتىٰ إذا كان ذات ليلة فقام فصلىٰ ثم قال: قوما فصليا فوالله ما أستطيع أن أصلي، ولا أستطيع أن أرقد، وإني لأفتتح السورة فما أدري في أولها أنا، أو في آخرها. قلنا: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: من همي بالناس». يريد من اهتمامي بما يصلحهم، وما يدفع السوء عنهم.

وهو الذي يقلق باله، ويشغل خاطره كلما فرغ إلىٰ نفسه ساعة من النهار. قال حذيفة: دخلت علىٰ عمر فرأيته مهمومًا حزينًا، فقلت له: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيمًا لي. فقلت له: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك، فإن لم تنته ضربناك بالسيف، ففرح عمر، وقال: «الحمد لله الذي جعل لي أصحابًا يقومونني إذا اعوججت».

وأنا لا يخالجني أقل شك في أن عمر فرح حقيقة بهذا الجواب الغليظ، واغتبط به، لأن ضميره اليقظ الباسل يأبىٰ عليه ألا يفرح، ألم يقل في خطبته: «إذا رأيتم فيَّ اعوجاجًا فقوموني»؟ أولم يقاطعه أحد السامعين بقوله: والله يا عمر لو رأينا اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا؟. بل قد قال، وقد قوطع، ولم يكتف بإقراره العمل علىٰ تقويم المعوج، بل أعلن اغتباطه علىٰ رؤوس الأشهاد بذلك فقال: «الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه».

اعترف الفاروق بسلطان الأمة عليه، وأعلن خضوعه لرقابتها، بل جرد الأمة من كل خير إذا تهيبت معارضة الحاكم، وجرد الحاكم من كل خير إذا لم يتقبل المعارضة من المحكومين.

جرىٰ مرة بينه وبين رجل كلام فقال له الرجل: اتق الله يا عمر، وأكثر من قولها حتىٰ ضجر رجل من الحاضرين، فقال له: أتقول لأمير المؤمنين اتق الله!! فنهره عمر وقال له: «دعه فليقلها لي، نِعْمَ ما قال! لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نتقبلها».



وجاءته بُرُودٌ من اليمن ففرقها علىٰ الناس بُرْدًا بُرْدًا، ثم صعد المنبر يخطب وعليه حُلَّةٌ منها، والحلة بردان، فقال: «اسمعوا رحمكم الله» فقام إليه سلمان الفارسي وقاطعه قائلًا: والله لا نسمع، والله لا نسمع. فقال عمر وهو هادئ: ولم يا أبا عبدالله؟ فقال سلمان: يا عمر تفضلت علينا بالدنيا ففرقت علينا بردًا بردًا، فقال: أين عبدالله بن عمر؟ فقال له ولده: ها أناذا يا أمير المؤمنين. قال عمر: لمن أحد هذين البردين الذين عليَّ؟ «فقال: لي، فتوجه عمر إلىٰ سلمان وقال: عجلت عَلَيَّ يا أبا عبدالله، إني كنت غسلت ثوبي الخلق، فاستعرت ثوب عبدالله! فقال سلمان: أما الآن فقل نسمع ونطع، واستأنف عمر خطبته وهو هادئ البال مرتاح الضمير...

وكان من عادة عمر أن يمر بالأسواق ويضرب التجار بدرته إذا تكدسوا في الطرقات، حتىٰ يدخلوا سكك (أسلم) ويقول: «لا تقطعوا علينا سابلتنا»، روىٰ إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر بي عمر وأنا قاعد في السوق، ومعه درته فقال: هكذا يا سلمة عن الطريق، فَغَفَقَنِي[1] بها فما أصاب إلا طرفها ثوبي، فأمطت عن الطريق فسكت عني، حتىٰ إذا كان العام المقبل لقيني في السوق فقال: يا سلمة أردت الحج العام؟ فقلت: نعم. فأخذ بيدي فما فارقت يده يدي حتىٰ أدخلني بيته، فأخرج كيسًا فيه ستمائة درهم وقال: يا سلمة خذها فاستعن بها علىٰ حجك، واعلم أنها من الغَفْقَةِ التي غَفَقْتُكَ عامًا أول! فقلت: يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتىٰ ذكرتنيها. فقال عمر: وأنا والله ما نسيتها!.

وكيف ينساها عمر ذو الضمير اليقظ الباسل الذي يحاسبه علىٰ كل شيء صغير أو كبير، آونة رقيقًا رفيقًا كما في هذه المرة، وآونة عنيفًا كل العنف، شديدًا كل

(١) الغفق الضرب الخفيف.



الشدة، مؤلمًا كل الإيلام، كما في قصته مع ذلك الذي لقيه في الطريق فقال له: يا أمير المؤمنين انطلق، فأعدني علىٰ فلان فإنه قد ظلمني، فرفع عمر درته، فخفق به رأسه وقال: «تدَعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتىٰ إذا اشتغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه، اعدني اعدني». فانصرف الرجل وهو يتذمر، وقام الضمير الباسل يعمل عمله في سرعة فائقة، وما هي إلا لحظة حتىٰ قال عمر: عليَّ بالرجل عليَّ بالرجل» فجاء فألقىٰ إليه الدرة وقال: «امتثل». فقال الرجل لا والله، ولكن أدعها لله ولك. فقال عمر: «ليس هكذا إما أن تدعها لله إرادة ما عنده، أو تدعها لي فاعلم ذلك». فقال الرجل: ادعها لله!

ولما قفل عمر إلىٰ منزله ومعه الأحنف بن قيس وجميع من حضر هذه المحاورة، صلىٰ ركعتين وجلس وأطرق وأطرقوا، ثم أنشأ يقول بصوت جهير ملؤه الغيظ والغضب: يابن الخطاب كنت وضيعًا فرفعك الله، وكنت ضالًا فهداك الله، وكنت ذليلًا فأعزك الله، ثم حملك علىٰ رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربته، ماذا تقول لربك غدًا إذا أتيته؟!

وظل الضمير اليقظ الباسل يعمل عمله والقوم خشع قد عقل جلال الموقف مزاودهم عن الكلام!.

وكما كان عمر ذو الضمير اليقظ الباسل، والعقل العبقري يعنىٰ بتنظيم حركة المرور في الشوارع، كذلك كان يهتم بالنظافة ويأمر أهل كل منزل أن يكنسوا أمام بيتهم، ويفتش بنفسه ليرىٰ من لم يمتثل ومن امتثل. حدث الأصمعي عن جويرة بن أسماء: «أن عمر قدم مكة فجعل يجتاز في سككها فيقول لأهل المنازل: قُمُّوا أفنيتكم، فمر بأبي سفيان فقال يا أبا سفيان: قموا فناءكم. فقال: نعم يا أمير المؤمنين؛ يجيء مهاننا، ثم إن عمر اجتاز بعد ذلك فرأىٰ الفناء كما كان، فقال: يا أبا سفيان ألم آمرك أن تقموا فناءكم؟ فقال: بلىٰ يا أمير المؤمنين، ونحن نفعل إذا



جاء مهاننا، فعلاه عمر بالدرة بين أذنيه فضربه، فسمعت هند زوجته فقالت: أتضربه؟ أما والله لرب يوم لو ضربته لاقشعر بك بطن مكة! فقال عمر: صدقت، ولكن الله ﷺ رفع بالإسلام أقوامًا ووضع به آخرين».

مضىٰ عمر لشأنه وقال لنفسه وقالت له، والضمير اليقظ الباسل من ورائهم رقيب، وما هي إلا ساعة أو بعضها حتىٰ نادىٰ عمر: الصلاة جامعة، وصعد المنبر ليخطب، والناس من حوله ينظرون، وينتظرون، وما لبث عمر أن شرع يخطب فقال: «أيها الناس لقد رأيتني وأنا أرعىٰ علىٰ خالات لي من بني مخزوم، فيقبض لي القبضة من التمر أو الزبيب». ولم يزد علىٰ ذلك حرفًا حتىٰ نزل، فشده الحاضرون وظنوا الظنون، وتهامس المتهامسون، ولكن لم يصل إلىٰ سر هذا الخطاب الغريب أحد، وهابوا أن يستفسروه، إلا عبدالرحمن بن عوف، وكان أجرأ الناس عليه، فقد سأله: ما أردت إلىٰ هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: في صراحة وإخلاص: ويحك! يابن عوف، خلوت بنفسي فقالت لي أنت أمير المؤمنين، وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها قدرها!

رحم الله عمر، فقد كان للحق حصنًا، وللإسلام عزًا، وكان بحق رجل الضمير.





في النقد الأدبي: على هامش النثر الفني[1]

الإعجاب بالنفس أخطر ما يصيب الباحث المفكر، لأنه يخيل إليه التفوق والنبوغ، ويزين له الغرور بما يكون منه من عمل، والفتون بما يرىٰ من رأي أو يلفظ من قول، وكلما تتابعت الأيام تمكن منه، وغلبه علىٰ عقله، وران علىٰ فكره، وغطىٰ علىٰ بصره، فلا يبصر إلا محاسنه، ولا يفكر إلا في عظمته، ولا يعقل إلا ما يتصل بهذه المحاسن، وتلك العظمة من قريب أو بعيد.

ومن هنا كانت خطورته علىٰ المفكر لأنه ليس كغيره من الناس يفكر لنفسه ويحبس عليها تفكيرها، أو يذيعه في تلك البيئة اليسيرة القصيرة التي تحيط به من المعارف والأصدقاء؛ وإنما هو مولع بالتفكير للناس لا يكاد ينتهي إلىٰ رأي في العلم، أو نظرية في الفن، أو نظرة عابرة فيما دون ذلك إلا هو آخذ بأسباب إذاعتها، عامل علىٰ نشرها بين الناس جميعا، لا يهدأ له بال، ولا يطمئن له خاطر حتىٰ يعرض فكره وعقله وقلبه ويظهر الناس علىٰ ما كان يعتلج فيها من أسرار، ويختلج من آراء، ويضطرب من مشاعر. فإذا لم يأخذ الباحث حذره من شيطان الإعجاب ويتهم نفسه في رغائبها، ويجادلها عن منازعها؛ ويفاتش ضميره جاهدا، ويراجع عقله، ويقايس بين أفكاره حتىٰ يميز الخبيث من الطيب؛ أهلكه الإعجاب، وأخمل ذكره، وعرضه لألوان من النقد اللاذع، وفنون من التهكم المرير لا قبل له بتحملها، ولا صبر له علىٰ بأسها، وإن بأسها لشديد.

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي، سنة ١٩٤٦م، المجلد الحادي والعشرون، صفحة ٤٣٦.



والحق الذي لا مرية فيه أن ألوان الخطأ التي يدفع إليه الإعجاب علىٰ عظمها وغرابتها ما كانت لتقع لولا تلك الحجب الكثيفة التي يضربها علىٰ العقل، ويحول بها بين المرء وقلبه، لا تكاد الفكرة تطرق ذهن المعجب بنفسه حتىٰ تستحيل إلىٰ رأي، ولا يلبث الرأي حتىٰ يستحيل إلىٰ عقيدة تملأ مسارب النفس، وتأخذ بمسالك الوجدان فيعتنقها ويجادل عنها ما وسعته المجادلة وأمده البيان، وإن كان خطؤها باديا للعيان لأنها وليدة الإعجاب الفتان.

ومن هذا القبيل تلك الفكرة التي اعتقدها الدكتور زكي مبارك في أبي حيان التوحيدي، وكانت مبعث خطئه في أحكامه عليه.

اعتقد أنه رجل أنشأه الحقد علىٰ الموهوبين من أهل العلم والأدب والجاه، وأديب متشردٌ أَفَّاقٌ، يرجع نبوغه إلىٰ حسده وحقده وثورته علىٰ الحياة والأحياء، وهو فوق هذا وذاك مُفْتَرٍ كذاب، أنطق معاصريه بما شاء من الأقوال والآراء، وسجلها في كتبه معزوة لهم زورًا وبهتانًا، وإنه لصاحبها ومختلقها، فعليه وحده تقع تبعتها، وإليه يرجع نقد الناقدين، وطعن الطاعنين وفي ضوء تلك الفكرة أو في ظلامها كتب الدكتور ما كتب عن أبي حيان، وحكم عليه بما حكم، فجاءت أحكامه بعيدة عن الصواب بعد الفكرة التي صدرت عنها.

حكم الدكتور علىٰ التوحيدي بأنه متحامل علىٰ معاصريه وضرب لذلك أمثالا لا تؤيد حكمه، وإنما تؤيد ظلمه العنيف له وقسوته عليه. ومن ذلك ما كتبه في ترجمة أبي عبدالله المرزباني (٣/ ١٢): «كان معروفا بسعة المعرفة وكثرة السماع، وكان معاصروه يرونه من محاسن الدنيا، ومنهم من يقدمه علىٰ الجاحظ. ولعل ذلك هو السبب في تحامل بعض المغرضين عليه كأبي حيان التوحيدي الذي كان يقارنه بابن شاذان وابن الخلال ممن كان لهم جمع ورواية وليس لهم فيما جمعوه نقط ولا إعجام، ولا إسراج ولا إلجام». ومن المدهش حقا أن الدكتور ينقم علىٰ



التوحيدي هذا الرأي ويتهمه من أجله بالتحامل، ثم لا يلبث إلا قليلا حتىٰ يعرضه علينا علىٰ أنه رأيه الذي ارتآه بعد طول البحث وكثرة المراجعة، كتب في (ص١٢٣) في نقد بعض كتب المرزباني يقول: «وبعد المراجعة المتعددة لم نظفر بما يميزه عن غيره من مصنفي الروايات والأخبار». وليس بين الرأيين من فرق إلا أن الثاني نفس الأول وقائله الدكتور فهو وليد الإنصاف وحسن النية، وصاحب الأول أبو حيان فهو إذا دليل التحامل وسوء الطوية.

ومن ذلك ما كتبه الدكتور في ترجمة ابن مسكويه (٢/ ١٤٦): «قد أولع التوحيدي بمهاجمة ابن مسكويه، ورماه بمدح الجود باللسان، وإيثار الشح بالفعل، وادعاء الحكمة، والتكلف في الأخلاق. ولننظر كيف يقول: قال لي مسكويه مرة: أما ترىٰ إلىٰ خطأ صاحبنا ابن العميد في إعطائه فلانا ألف دينار ضربة واحدة! لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق، فقلت بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف: أيها الشيخ، إني أسألك عن شيء واحد فاصدق فإنه لا مَدَبَّ للكذب بيني وبينك: لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء، وبأضعافه وأضعاف أضعافه، أكنت تخيله في نفسك مخطئا ومبذرا ومفسدا أو جاهلا بحق المال؟ أو كنت تقول: ما أحسن ما فعل، وليته أربىٰ عليه! فإن كان الذي تسمع علىٰ حقيقته فاعلم أن الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه، وأنت تتدعي الحكمة وتتكلف في الأخلاق، وتزيف الزائف وتختار المختار، فافطن لأمرك، واطلع علىٰ سرك وشرك».

طار الدكتور فرحا بهذا الحديث ونقله مرتين (في ص ١٣٠ وفي ص١٤٧) وعقب عليه في الأولىٰ بقوله: «ولو أنه حاسب نفسه بمثل ما حاسب به ابن مسكويه لرأىٰ ثورته علىٰ أهل زمانه تأخذ وقودها من قلب حاسد حقود» وعقب في الثانية بقوله: «ونحن نعرف سر هذا التحامل من جانب التوحيدي، فقد كان شديد الحقد



علىٰ المجدودين من أهل زمانه وخاصة من اتصلوا بالملوك والرؤساء. ولنا أن نضيف إلىٰ ذلك نجاح ابن مسكويه في حياته العملية فقد كان الرجل فيما يظهر متين الأخلاق، ومتانة الخلق قوة مرعبة يرعد لها الأدباء المساكين الذين ابتلوا بالطمع في هدايا الملوك والوزراء، وألفوا التزلف والتودد إلىٰ أقطاب المال والجاه، والأديب الذي يعتمد علىٰ نفسه وخلقه وعلىٰ كفايته الذاتية يعيش في الأغلب غريبا بين معاصريه من الأدباء، فليس عجيبا أن يتحامل أديبٌ متشردٌ أَفَّاقٌ كالتوحيدي علىٰ أديب موفق مطمئن يعيش كابن مسكويه، ولو شئنا لأضفنا نزعة ابن مسكويه الفلسفية فهي كذلك من أسباب حقد التوحيدي عليه فقد كان التوحيدي واسع الثقافة إلىٰ حد مدهش، وكان يطمع في التفرد بالسمعة العلمية والأدبية والفلسفية بين رجال ذلك العهد».

ليس فيما قاله أبو حيان لابن مسكويه وهو يحاوره في جائزة ابن العميد تحامل دفعه إليه الحسد والحقد كما يقول الدكتور، وإنما فيه الصدق والإنصاف اللذان يحمد عليهما أجل الحمد. أما الصدق فلأنه صارح ابن مسكويه برأيه، وأبان له خطأه في لوم ابن العميد علىٰ إجزال عطيته لمن رآه أهلا لها، وأما الإنصاف ففي دفاعه عن تصرف ابن العميد مع ما بينهما من ألوان العداء وصنوف الشحناء، وإن كان هناك حسد وحقد فيجب أن يوصف بهما ابن مسكويه الذي حسد صاحب الجائزة علىٰ جائزته، وثارت ثائرته علىٰ صاحبه ابن العميد ونال منه علىٰ ما بينهما من صفاء وولاء، ومع هذا يصفه الدكتور بأنه متين الأخلاق! ويصف التوحيدي بالحسد والحقد والتحامل! وهذا تحامل عنيف وإسراف في اختلاق المحاسن والمساوئ وتوزيعهما وفق ما تشتهيه النفس المغرضة، ويمليه الهوىٰ الجموح.

وقد دفعه تحامله إلىٰ أن يصف التوحيدي بأنه أديب متشرد أَفَّاق، ألف التزلف والتودد إلىٰ أقطاب المال والجاه، قد تحامل علىٰ ابن مسكويه لأنه أديب مطمئن



العيش قد اعتمد علىٰ نفسه وعلىٰ خلقه وعلىٰ كفايته الذاتية ولم يطمع في هدايا الملوك والوزراء. وليس ذلك من الحق في شيء، فقد تزلف ابن مسكويه وتودد إلىٰ أقطاب المال والجاه، عاش علىٰ مال الأمراء والوزراء الذين صحبهم وعمل لهم؛ خدم الوزير المهلبي، ولما توفي سافر إلىٰ ابن العميد وظل في خدمته حتىٰ قضىٰ نحبه، فاتصل من بعده بابنه أبي الفتح ابن العميد، ولما دالت دولته سارع إلىٰ عضد الدولة بن بويه. وهكذا كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات في خدمة الأمراء والوزراء. فلا يفضل أبا حيان من تلك الناحية، ولكن الهوىٰ الغلاب يسبغ علىٰ من يشاء ما شاء من الصفات والميزات وإن لم تثبت للنقد إلا بمقدار ما يلقفها.

ولعل أعظم دليل علىٰ إغراق الدكتور في التحامل علىٰ أبي حيان وإسرافه في ظلمه؛ ما عقب به علىٰ رأي ابن خلكان الذي نقله عنه (١٩٦/٢)، روىٰ ابن خلكان أن ابن نُبَاتة السعدي مدح ابن العميد بقصيدة مطلعها:

بَــرْحُ اشـتِـيـاقٍ وادِّكَـارِ ... ولَـهِـيـبُ أَنْـفَـاسٍ حِـرَارِ

ولما تأخرت صلته عنه شفعها بأخرىٰ، وأتبعها برقعة فلم يزده علىٰ الإهمال، فضاق بذلك ذرعا ودخل عليه فأغلظ له القول حتىٰ قال له: إن الغني إذا مطل لئيم، فغضب ابن العميد وقال: ما استقدمتك بكتاب، ولا استدعيتك برسول، ولا سألتك مدحي، ولا كلفتك تقريظي. فقال: صدقت أيها الرئيس، ولكن جلستَ في صدر ديوانك بأبهتك وقلتَ: لا يخاطبني أحد إلا بالرياسة، ولا ينازعني خلق في أحكام السياسة. . . فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال. فثار ابن العميد مغضبا، ولما سكت عنه الغضب التمسه ليعتذر إليه فكأنما غاص في سمع الأرض وبصرها. قال ابن خلكان بعد ذلك: «ثم إني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين إلىٰ غير ابن نُبَاتة، وكشفت في ديوانه فلم أر هذه القصيدة فيه، ثم وجدت في كتاب مثالب الوزيرين لأبي حيان التوحيدي هذه



القصيدة لأبي محمد عبدالرزاق بن الحسن المعروف بابن السياب اللغوي المنطقي الشاعر، وهذه المخاطبة لشاعر من أهل الكرخ يعرف بموتة والله أعلم».

عقب الدكتور علىٰ هذا بقوله: «ونحن نأسف علىٰ أن لم نتمكن من الاطلاع علىٰ مثالب الوزيرين ولو أتيح لنا الاطلاع عليه لاستطعنا تخطئة ابن خلكان فإننا نجزم جزما قاطعا أن هذا المجلس من صنع التوحيدي، ولا يضيرنا أن النسبة لم تصح بطريقة علمية فإنا نعرف التوحيدي معرفة قوية لطول ما صاحبناه وعشرناه، ولو ألقيت جملة من كلامه في أكداس من الورق لميزناها لأول نظرة، فليكن الشاعر من يكون، وليكن المخاطب من يكون فإن واضع المجلس هو التوحيدي علىٰ كل حال. ولا يبقىٰ إلا أن نرجح أنه أداره علىٰ ابن العميد لا علىٰ غيره، لأن هذه الحفيظة ما كانت لتثور في هذه القوة علىٰ رئيس غير ابن العميد الذي شغل بثلبه وتجريحه حينا من الزمان».

ولست أدري ما الذي يستفيده الدكتور من الاطلاع علىٰ هذا الكتاب في تخطئة ابن خلكان ولا في ماذا يخطئه؟ أيكذبه في أنه رأىٰ القصيدة فيه منسوبة لابن السياب اللغوي والمخاطبة للشاعر الكرخي؟ لا سبيل إلىٰ تكذيبه في ذلك ففي ماذا يخطئه إذن؟ لست أدري واعتقد أن الدكتور نفسه لا يدري! ثم يجزم الدكتور جزما قاطعا بأن المجلس من صنع التوحيدي مع اعترافه الصريح بأن نسبته إليه لم تصح بطريقة علمية؟ وهذا دليل وهاج علىٰ أن الدكتور لا يقيم للعلم وزنا، ولا يسلك سبيله إلا إذا وافق ما يزينه شيطان الإعجاب، أما إذا خالف عن أمره، ولم يؤيد منطق الهوىٰ، فإنه يتنكبه فخورا، ويتبع الظن الذي يغني - عنده - عن العلم والحق كل الغناء. ولا تثريب عليه من متابعة هذا الظن الذي يناهضه العلم ولا يقره بحال من الأحوال، فإنه - بزعمه - يعرف التوحيدي معرفة قوية لطول ما صاحبه وعاشره، ومن أدرىٰ بالصاحب من صاحبه، وأعرف بالعشير من معاشره. ولو كان



لهذا الادعاء العريض نصيب من الصدق لما أسرف في ثلب أبي حيان ووقف منه موقف العدو الذي لا يرقب في عدوه إلًّا ولا ذمة، ولو راجع عقله، وفاتش ضميره، ونهىٰ النفس عن الهوىٰ لقضىٰ في أمره بالحق والعدل كما يصنع العلماء المنصفون.





بشرى لعشاق الأدب:
ديوان بشار موجود[1]

أحس بشار بحسن اختراعه، وجميل ابتداعه وغزارة بحره، ففتن ببنات فكره، وأعجب بثمرات لبه، وذهب يخايل ويفاخر حتىٰ قال: «إن لي اثني عشر ألف قصيدة لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت فرد».

ولو فرضنا أن الاثني عشر ألف قصيدة هي كل ما لبشار من شعر، وفرضنا أن كل قصيدة عدتها سبعة أبيات فقط - وهو حد القصيدة الأدنىٰ عند العروضيين -، وحسبنا ذلك، لكان مجموع شعره أربعة وثمانين ألف بيت! وهذا مقدار لم يك لشاعر في القديم ولا في الحديث.

ولكن أين هذه الثروة الضخمة؟

لقد ذهب بها الزمان فيما ذهب به من روائع الآثار وجميل الأشعار، ولم يبق منها إلا نتف مبعثرة في الكتب جهد الأدباء في جمعها وزفها إلىٰ جمهور القراء المتعطشين لشعر بشار.

وأول مجموعة ظهرت هي مجموعة الأستاذ أحمد حسنين القرني التي سماها (بشار ابن برد - شعره وأخباره) طبعت عام ١٩٢٥م، وقفاه الأستاذ حسين منصور بكتابه: (بشار بين الجد والمجون) الذي طبعه عام ١٩٣٠م، وفي العام الماضي ١٩٣٥ طبعت لجنة التأليف والترجمة والنشر مجموعة هامة من شعره باسم

---

(١) مجلة الرسالة، السنة الرابعة، عدد ١٤٨، سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، ص ٧٥٤ .



(المختار من شعر بشار) اختارها من مختار الخالديين شارحها الأستاذ اسماعيل القيرواني أحد علماء القرن الخامس، وكان القائم بنشر هذا الكتاب الأستاذ بدر الدين العلوي المدرس في كلية عليكرة بالهند، وقد أثار طبع هذا الكتاب الصغير كوامن الأشواق إلىٰ شعر بشار، وتساءل الناس بحسرة ولهفة عن ديوانه، وكثرت حوله الأقاويل، وأجمع الناس أو كادوا علىٰ أنه انسلك في سلك الفناء.

وقد أخبرني فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو مجمع اللغة الملكي أن جزءًا كبيرًا من ديوان بشار موجود في تونس عند صديقه الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي، وأطلعني علىٰ الخطاب الذي ورد إليه حديثًا من صديقه يخبره فيه بوجود الديوان عنده، وأنه ورثه عن جده المرحوم الشيخ محمد عبدالعزيز أبو عتور. وهو يشتمل علىٰ سبعة الآف وثلثمائة بيت مرتبة علىٰ حروف المعجم مكتوبة بخط مصري جميل. وذكر الأستاذ ابن عاشور أنه عني بشرح غريب ألفاظه، وتبيان دقائق معانيه، وذيله بمجموعة من شعر بشار لم ترد فيه وعددها ثمانمائة بيت معزوة إلىٰ مواضعها من كتب العلم والأدب، وأنبأ أنه عازم علىٰ طبعه في مصر طبعة أنيقة تليق بما لبشار من المكانة السامية في الأدب العربي. وقد استخبر الأستاذ من صديقه عن شؤون تتعلق بالطبع فأخبره مستنجزًا...

ويا حبذا لو عنيت لجنة التأليف وعلىٰ رأسها الأستاذ أحمد أمين بأمر هذا الديوان، وتولت هي طبعه بمعونة الأستاذ أو وحدها. إنها لو فعلت لأسدت إلىٰ الأدب العربي خدمة جليلة تكون قلادة فخر لها. ولا ريب في أن نشر هذا الجزء الكبير سيلقي كثيرًا من الضوء علىٰ تاريخ بشار وشعره وشاعريته. ولا ريب في أنه سيغير من أحكام التاريخ عنه، ويقلب تلك الآراء الظنية الشائعة رأسًا علىٰ عقب. وسيكون ظهوره - وأرجو أن يكون قريبًا - فتحًا جديدًا في تاريخ الأدب العربي.



القياس في اللغة العربية[1]
للأستاذ محمد الخضر حسين
عضو مجمع اللغة العربية الملكي[2]

القياس فن واسع الأطراف، متشعب المسالك، يمت إلىٰ كل باب من أبواب اللغة بصلة، ويكاد يجري ذكره عند كل مسألة، ولولاه لضاقت الفصحىٰ علىٰ أبنائها، وقعدت بهم عن مسايرة ركب الحياة. لم يؤلف فيه - علىٰ ما أعلم - غير هذا الكتاب.

وسبب تأليفه أن مؤلفه البحاثة الأستاذ محمد الخضر حسين كان يمر أثناء دراسته لعلوم العربية علىٰ أحكام تختلف فيها آراء العلماء فيقصرها بعضهم علىٰ السماع، ويراها آخرون من مواطن القياس، وقد يحكىٰ بعضهم المذهبين دون أن يذكر الأصول التي قام عليها ذلك الاختلاف. فرأىٰ فضيلته أن التمسك بمثل هذه الأقوال من المتابعة التي لا ترتاح إليها نفس العالم الحر، ولاسيما أن الكتب التي اعتمد عليها أصحاب هذه الأقوال قد أصبحت في متناول أيدينا. فأخذ يوجه نظره الثاقب إلىٰ الأصول العالية التي يراعونها في أحكام القياس والسماع حتىٰ ظفر بقواعد صريحة أضاف إليها غيرها مما استنبطه أو ابتدعه فكان من ذلك (كتاب القياس).

---

(١) هذا الكتاب مطبوع في المطبعة السلفية ويقع في ١١٥ صفحة من القطع المتوسط وثمنه أربعة قروش.

(٢) مجلة الرسالة، السنة الرابعة، عدد ١٤٩، سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص ٨٠٠ .



شرح الأستاذ في هذا الكتاب حقيقة القياس، وفصل شروطه، وجمع أصوله، وضم أشتاتها، وأبرزها في ثوب قشيب، سهلة القطاف للراغبين، وقدم له بمقدمة رائعة في فضل اللغة العربية ونشأتها ومسايرتها للعلوم المدنية، وحاجتها إلىٰ المجتمع، وتأثيرها في الفكر، وتأثير الفكر فيها، إلىٰ غير ذلك من الأبحاث الموجزة الشائقة، ثم تكلم عن القياس ووجه الحاجة إليه، وذكر أقسامه وخص منها بالبحث القياس الأصلي وقياس التمثيل، وتكلم عن الأمور المشتركة بينهما كالقياس في الاتصال، والترتيب والحذف والفصل إلىٰ آخر تلك المباحث التي طبق فيها المؤلف مفاصل السداد، وأصاب شوا كل المراد، ودل بها علىٰ تبحره في علوم اللغة، وتمكنه من ناصيتها.

بيد أني كنت أحب أن يطلق الأستاذ ليراعته العنان، ويبسط القول بعض البسط، ويكثر من المثل والشواهد لتكون الفائدة بكتابه أعم وأعظم. وإن كان للأستاذ العذر فيما ذهب إليه من الإيجاز.





من أدبنا المجهول - شاعر يرثي ولده بديوان
اقتراح القريح واجتراح الجريح
لأبي الحسن علي الحُصْرِي[١]

(١ - ٣)

(للأستاذ الزيات عزاء وسلوة[٢])

من أغرب الظواهر في الأدب العربي - إن لم يكن في الغربي - أن يرثي الشاعر

---

(١) مجلة الرسالة، السنة الرابعة، عدد ١٥١ وما بعدها، سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص ٨٥٧ وما بعدها.

(٢) كان الأستاذ أحمد حسن الزيات رئيس تحرير مجلة الرسالة؛ قد كتب في افتتاحية الرسالة، عدد (١٤٤) رسالة رثاء باكية في ابنه رجاء الذي رزئه بسبب المرض، فأثار المقال الرحمة والمودة في قلب السيد أحمد صقر فشرع بتسطير هذه المقالة عزاءً وسلوةً للأستاذ الزيات، وقد آثرت نقل مقالة الزيات بكاملها لنفاستها:

"يا قارئي أنت صديقي فدعني أرق علىٰ يديك هذه العبرات الباقية! هذا ولدي كما ترىٰ (ونشر صورته بالعدد)، رزقته علىٰ حال عابسة كاليأس، وكهولة باقية كالهرم، وحياة باردة كالموت، فأشرق في نفسي إشراق الأمل، وأورق في عودي إيراق الربيع، وولد في حياتي العقيمة معاني الجدة والاستمرار والخلود!

كنت في طريق الحياة كالشارد الهيمان، أنشد الراحة ولا أجد الظل، وأفيض الحب ولا أجد الحبيب، وألبس الناس ولا أجد الأنس، وأكسب المال ولا أجد السعادة، وأعالج العيش ولا أدري الغاية!!

كنت كالصوت الأصم لا يرجعه صدىٰ، والروح الحائر لا يقره هدىٰ، والمعنىٰ المبهم لا يحدده خاطر!! =



ولده الصغير بديوان كبير، ثم يظل مجهولًا طيلة ثمانية قرون ونصف قرن، لم يحاول أحد خلالها نشره أو التعريف به.

= كنت كالآلة نتجتها آلآلة واستهلكها عمل، فهي تخدم غيرها بالتسخير، وتميت نفسها بالدءوب، ولا تحفظ نوعها بالولادة، فكان يصلني بالماضي أبي، ويمسكني بالحاضر أجلي، ثم لا يربطني بالمستقبل رابط من أمل أو ولد.

فلما جاءني (رجاء) وجدتني أولد فيه من جديد، فأنا أنظر إلىٰ الدنيا بعين الخيال، وأبسم إلىٰ الوجود بثغر الأطفال، وأضطرب في الحياة اضطراب الحي الكامل، ثم يدفعه من ورائه طمع، ويجذبه من أمامه طموح! شعرت بالدم الحار يتدفق نشيطًا في جسمي، وبالأمل القوي ينبعث جديدًا في نفسي، وبالمرح الفتي يضج لاهيًا في حياتي، وبالعيش الكئيب تتراقص علىٰ حواشيه الخضر عرائس المنىٰ!

فأنا ألعب مع رجاء بلعبه، وأتحدث إلىٰ رجاء بلغته، وأتبع عقلي هوىٰ رجاء، فأدخل معه دخول البراءة في كل ملهىٰ، وأطير به طيران الفراشة في كل روض، ثم لم يعد العمل الذي أعمله جديرًا بعزمي، ولا الجهد الذي أبذله كفاء لغايتي، فضاعفت السعي، وتجاهلت النصب، وتناسيت المرض، وطلبت النجاح في كل وجه! ذلك لأن الصبي الذكي الجميل، أطال حياتي بحياته، ووسع وجودي بوجوده، فكان عمري يغوص في طوايا العدم قليلًا قليلًا ليمده عمره بالبقاء، كما يغوص أصل الشجرة في الأرض ليمد فروعها بالغذاء.

شغل رجاء فراغي كله، وملأ وجودي كله، حتىٰ أصبح شغلي ووجودي! فهو صغيرًا أنا، وأنا كبيرًا هو، يأكل فأشبع، ويشرب فأرتوي، وينام فأستريح، ويحلم فتسبح روحي وروحه في إشراق سماوي من الغبطة لا يوصف ولا يحد!!

ما هذا الضياء الذي يشع في نظراتي؟ ما هذا الرجاء الذي يشيع في بسماتي؟ ما هذا الرضا الذي يغمر نفسي؟ ما هذا النعيم الذي يملأ شعوري؟ ذلك كله انعكاس حياة علىٰ حياة، وتدفق روح في روح، وتأثير ولد في والد!!

ثم انقضت تلك السنوات الأربع! فصوحت الواحة وأوحش القفر، وانطفأت الومضة وأغطش الليل، وتبدد الحلم وتهجم الواقع، وأخفق الطب ومات رجاء!!

يا جبار السماوات والأرض رحماك!!

أفي مثل خفقة الوسنان تبدل الدنيا غير الدنيا، فيعود النعيم شقاء والملاء خلاء والأمل ذكرىٰ؟!

أفي مثل تحية العجلان يصمت الروض الغرد، ويسكن البيت اللاعب، ويقبح الوجود الجميل!!

حنانيك يا لطيف! ما هذا اللهيب الغريب الذي يهب علىٰ غشاء الصدر ومراق البطن فيرمض الحشا ويذيب لفائف القلب؟ =



ومازالت خزائن الأدب العربي ملآىٰ بالآثار الرائعة التي خلفها لنا الأجداد، تجاذب الأحداث أسباب البقاء، حتىٰ إذا ما صرعها الزمان وقفنا علىٰ أطلالها نندبها ونبكيها، ونقول كان لنا وكان. . .

ومن تلك النفائس المشرفة علىٰ الفناء ديوان فذ في بابه، غريب في اسمه وموضوعه، نظمه أبو الحسن الحُصْرِي صاحب القصيدة المشهورة: (يَا لَيلُ الصَّبِّ مَتَىٰ غَدُهُ) ؛ سماه (اقتراح القريح واجتراح الجريح) وكل قصائده في رثاء ابنه

= اللهم هذا القضاء فأين اللطف؟ وهذا البلاء فأين الصبر؟ وهذا العدل فأين الرحمة؟

إن قلبي ينزف من عيني عبرات بعضها صامت وبعض معول! فهل لبيان الدمع ترجمان، وهل لعويل الثاكل ألحان؟ إن اللغة كون محدود فهل تترجم اللانهاية؟ وإن الآلة عصب مكدود فهل تعزف الضرم الواري؟ إن من يعرف حالي قبل رجاء وحالي معه يعرف حالي بعده! أشهد لقد جزعت عليه جزعًا لم يغن فيه عزاء ولا عظة! كنت أنفر ممن يعزيني عنه لأنه يهينه، وأسكن إلىٰ من يباكيني عليه لأنه يكبره، وأستريح إلىٰ النادبات يندبن الكبد الذي مات والأمل الذي فات والملك الذي رفع!

لم يكن رجاء طفلًا عاديًا حتىٰ أملك الصبر عنه وأطيع السلوان فيه، إنما كان صورة الخيال الشاعر ورغبة القلب المشوق! كان هو في سنه التي تراها يعرف أوضاع الأدب، ويدرك أسرار الجمال، ويفهم شؤون الأسرة، ويؤلف لي (الحواديت) كلما ضمني إياه مجلس السمر!

كان يجعل نفسه دائمًا بطل (الحدوتة) فهو يصرع الأسود التي هاجمت الناس من حديقة الحيوانات، ويدفع (العساكر) عن التلاميذ في أيام المظاهرات، ويجمع مساكين الحي في فناء الدار ليوزع عليهم ما صاده ببندقيته الصغيرة من مختلف الطير!

والهف نفسي عليه يوم تسلل إليه الحمام الراصد في وعكة قال الطبيب إنها البرد، ثم أعلن بعد ثلاثة أيام انها (الدفتيريا)! لقد عبث الداء الوبيل بجسمه النضر كما تعبث الريح السموم بالزهرة الغضة! ولكن ذكاءه وجماله ولطفه ما برحت قوية ناصعة، تصارع العدم بحيوية الطفولة، وتحاج القدر في حكمة الحياة والموت!!

والهف نفسي عليه ساعة أخذته غصة الموت، وأدركته شهقة الروح، فصاح بملء فمه الجميل: (بابا! بابا!) كأنما ظن أباه يدفع عنه مالا يدفع عن نفسه!

لنا الله من قبلك ومن بعدك يا رجاء، وللذين تطولوا بالمواساة فيك السلامة والبقاء!



الوحيد (عبدالغني)، رُزِقَهُ وقد بلغ من الكبر عتيًا، و رُزِئَهُ وقد أتم التاسعة من عمره. وكان موته بالنزيف؛ فسالت حشاشة نفسه من أنفه، وفي ذلك قوله:

لَستُ أَنسَىٰ مَقَامَهُ وَمَقَامِي   وَكِلَانَا مِثلُ القَتِيلِ خَضِيبًا

أَنفُهُ يَنثُرُ العَقِيقَ وَعَينِي   تَنثُرُ الدَّمعَ بِالعَقِيقِ مَشُوبَا

ليس للحصري غير هذا الديوان علىٰ كثرة شعره، ووفرة أدبه، يدلنا علىٰ ذلك قوله في مقدمة الكتاب: «والقرآن شعاري، ولذلك لم أجمع أشعاري، سحرت بها العقول فحبذتها، ووراء ظهري نبذتها، تركتها لمن يعيها، فيسرقها أو يدعيها، يرثني بغير نسب، ويملكها بغير نشب، حاشا ما في كتابي هذا».

لم يطبع هذا الكتاب ولم يشتهر أمره بين الأدباء، ولم يجر ذكره علىٰ أسلات أقلام المؤرخين ولعل ذلك راجع إلىٰ ندرة وجوده، وقلة ذيوعه. . .

وفي دار الكتب المصرية نسخة فريدة من هذا الديوان النفيس مخطوطة بخط معتاد، فرغ ناسخها من نسخها في سادس ربيع الأول سنة سبع وستمائة، عدد صفحاتها **٢٦٢**من القطع الكبير، بها خرم وخروق وآثار عرق لا تمكن القارئ من متابعة قراءته.

قدم الناظم بين يدي ديوانه ثلاث خطب، أولاها مهملة الحروف قد بدأها بقوله: «الحمد لله مالك الملك ولا أمد، وممسك السماء ولا عمد، سمكها فأطلع مهلها، وعلم آدم الأسماء كلها، ووعد لأعمال الطاعة، وواعد لأهوال الساعة، لا أمر إلا أحكمه، ولا مراد إلا حكمه، لا إله إلا هو إله واحد، لا ولد له ولا والد، أحمده لآلاء أولاها، وأدعوه ملك الأملاك ومولاها. . . الخ»، وهي تملأ عشر صفحات وقد عقبها بقوله: «نثرت فأبلغت، ونظمت فتفننت، وهذه الخطبة علىٰ بلاغتها، وإبداع صياغتها، حليتها من بدر بحري ملقوط، وأخليتها من



كل حرف منقوط، وأردت أن أشفعها بأخرىٰ منقوطة الحروف، فوجدتني أخرج فيها عن الرسم المعروف، إذ استفتاح الخطب بحمد الله والثناء عليه، وذلك في المنقوطة لا سبيل إليه، غير أني اختصرت، فأثبت منها ملحا في لمح، ورب دليل في قليل، ورب عثار في إكثار».

ويلي هذا التعقيب الخطبة الثانية وأولها: «بثثت بثي... الخ»، وهي تقع في ثلاث صفحات، وبعدها الخطبة الثالثة وهي أهمها من الوجهة التاريخية والأدبية، وهي في ٢٩ صفحة، وقد أحببت أن أنقل لك منها شذرات لتعرف قصة الرجل وعقله وتفكيره وأسلوبه في النثر.

قال بعد كلام طويل لا وحدة تجمعه ولا سبب يربطه: «ولما أنقض ظهري، ما وزرت في سري وجهري، وهدم الموت في ابني، ما كنت من الأمل أبني، سألت الله له الانتجاب، فقال لابد أن تجاب، وأنجبه طفلًا، وأتاني به كفلًا، فنمىٰ مهذبًا في مهده، وما زال ينمي بعهده، حتىٰ أكمل تسعة، ورامت سعيه الكبار فلم تسعه، كان يروق هلالًا، ويشوق زلالًا، فقالوا يافعك نافعك، وقال الله بل هو شافعك. أعطانيه بفضله، وأخذه بعدله، فجرحتني أنياب النوائب، وقرحتني أوصاب المصائب، نثرت شاكيًا ما اجترحت إلىٰ فاطري، ونظمت باكيًا ما اقترحت علىٰ خاطري، وقلت عسىٰ الله أن يرحم الناظر الناثر، فيسلي المحزون ويقيل العاثر، وسميت هذا الكتاب (اقتراح القريح، واجتراح الجريح)، وضمنته قصائد علىٰ حروف المعجم، وإن كنت من الأحزان كالملجم، ومقطعات تقفو كل قصيدة في قافيتها، علىٰ أنها مثيرة الأحزان غير شافيتها، ونظمت من فصول المنثور، مقطعات في الزهد المأثور. علىٰ أن خطبي جليل، وخطابي كليل. فتنزهت في حديقتين، زهراوين أنيقتين، وبحت بما كان مكتتمًا، ونحت مفتتحًا ومختتمًا، وأنا أستغفر الله من تشحطي في تسخطي، ومن عاري الأشعار،



الكاسدة الأسعار، وصفت فيها المقبوحين بالجمال والمنقوصين بالكمال. . . وكنت نظمت هذه الأشعار إذ قلبي مشتعل، ثم أخرتها خمس سنين إذ لبي مشتغل، وفكرت في صرعة الموت، وفي سرعة الفوت، فبادرت الآن إملاء هذا الكتاب، إذ رغب إِلَيَّ فيه بعض الكتاب، رجوت به الترحم علىٰ كل من يقرؤه، وعسىٰ الله إن استحققت العذاب يعفو عني ويدرؤه. . .».

«ابني متىٰ أبني مجدًا هدمه الدهر يوم مصابك؟ ومتىٰ أخصب في ربع أمحله الدمع غب غيابك؟ تركتني في الأظلام نهارًا، وأجريت دمعي أنهارًا، فأي مرثية فيك أسلو بها، وإن أعجب الناس بأسلوبها، وأي عيشة بعدك ألهو بها، وحسرتك لا يطفأ حر ألهوبها؟ أستغفر الله قد سلوت بعض السلو، بأم العلو، أتتني بعدك علىٰ الكبر، فحمدت الله وعددتها من الحسنات الكبر، ثم قلت بديهًا:

يَهَبُ اللهُ لمن شَاءَ إِنَاثًا وذُكُورًا
فَإِذَا أَعْطَاكَ بِنْتًا فَكُنْ الرَّاضِي الشَّكُورَا
وَاسْأَلِ اللَّه - لَكَ الخَيرَ رَوَاحًا وَبُكُورًا
وَأَقِم فِي العُسرِ وَاليُسرِ وذَرْ عَنْسًا وكُورَا
فَعَلَىٰ الأفراخ حُبًّا تَألَفُ الطَيرُ الوُكُورَا

وما أتت إلا ورزقها معها، وما أقنط نفس المرء وما أطمعها، ساعة أفرح بها فأسلو، وساعة بالحزن فيك وفيها أخلو، وطورًا أمر أخلاقًا وطورًا أحلو، إذا ذكرت الموت اشتغل بال أمها بل بالي، وإن نظرت محاسنك فيها اهتاج بلبالي، فَتَرْحَتِي أكثر من فرحتي، وسبيل الدنيا هذي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

حَبَبْتُ ابنَتِي وابنِي فَقَد عَاشَت ابنَتِي لِهَمِّي وَمَاتَ ابنِي وَلَمْ يَمُتِ الحُبُّ



وَمَا ذَكَرٌ يَشْفِي كَأُنثَىٰ تَهُمُّنِي ... وَلَكِنَّنِي رَاضٍ بِمَا صَنَعَ الرَّبُّ»

وبهذا البيت تنتهي الخطبة الثالثة، ويليها شعر الديوان مرتبًا علىٰ حروف المعجم في ١٨٢ صفحة، ويليه مندمجًا فيه مجموعة صغيرة من الشعر في نفس الموضوع التزم فيها لزوم مالا يلزم، مرتبة علىٰ حروف المعجم كل حرف فيه ١٥ بيتًا، وتقع في ٣٨ صفحة وبانتهائها ينتهي الديوان.

الآن وقد قصصت عليك بإيجاز قصة اقتراح القريح المجهولة، أرىٰ لزامًا علي أن أقص عليك قصة ناظمه الحصري المجهول، وموعدنا العدد القادم إن شاء الله.

(٢ - ٣)

الحُصْرِي المجهول:

هناك بين طيات القرون الغابرة، ثبت ضخم حافل بكثير من نوابغ الأدباء، وعباقرة الشعراء ذوي الجد العاثر، والطالع النكد، الذين جار عليهم الزمان فطوىٰ ذكرهم وطمر تراثهم. ولو عني الناس بأمر هؤلاء المحدودين، وبعثوهم من مراقدهم ونشروا آثارهم، لكان للأدب من ذلك ثروة طائلة.

من هؤلاء الشعراء المجهولين أبو الحسن علي بن عبدالغني الفِهْرِيُّ الحُصْرِيُّ القيرواني الضرير، صاحب كتاب (اقتراح القريح واجتراح الجريح)، والحُصْرِي - بضم الحاء وإسكان الصاد - نسبة إلىٰ عمل الحصر أو بيعها.

ويشترك مع أبي الحسن هذا في لقبه معاصر آخر، كان بينه وبينه وشيجة نسب، أعني به ابن خالته الأستاذ إبراهيم الحُصْرِي صاحب كتاب (زهر الآداب) المتوفىٰ سنة ٤٥٣ من الهجرة (١٠٦١ م). وقد اشتبه أمرهما كثير من الناس فحسبوا ذاك هذا، ونسبوا آثار هذا لذاك، وأرخوا لأحدهما بتأريخ الآخر، ولكن الأمر لم يشتبه علىٰ الراسخين في العلم، فوضعوا الحق في نصابه.



اكتنف الغموض حياة أبي الحسن الحصري من كل ناحية، فلسنا نعرف نشأته ولا ثقافته، وليس فيما بين أيدينا من المصادر ترجمة دقيقة شاملة نعتمد عليها في تأريخنا له، وكل ما وجدناه نتف متشابهة، وشذرات مقتضبة، لا تجدي نفعًا، وقد أحببت أن أنقلها للقراء علها تلقي شيئًا - ولو ضئيلًا - من الضياء على حياة ذلك الشاعر العبقري، وترسم صورة - ولو شاحبة - لذلك الأديب المجهول.

١- ذكره ابن بسام في ذخيرته، فقال: «كان بحر براعة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة، طرأ على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان، والأدب يومئذ بأفقنا نافق السوق، معمور الطريق، فتهادته ملك طوائفها، تهادي الرياض بالنسيم، وتنافسوا فيه تنافس الدار في الأنس بالمقيم، على أنه كان فيما بلغني ضيق الطعن، مشهور اللسن، يتلفت إلى الهجاء، تلفت الظمآن إلى الماء، ولكنه طوي على غرة، واحتمل بين زمانه وبعد قطره، ولما خلع ملوك الطوائف بأفقنا، اشتملت عليه مدينة طنجة، وقد ضاق ذرعه وتراجع طبعه. . .»[١].

٢- وذكره ابن بَشْكُوَال في الصلة فقال: «علي بن عبدالغني الفِهْرِيُّ المُقْرِئ الحُصْرِي القيرواني يكنى أبا الحسن، ذكره الحميدي وقال: «شاعر أديب، رخيم الشعر، دخل الأندلس ولقي ملوكها، وشعره كثير، وأدبه موفور، وكان عالمًا بالقراءات وطرقها، وأقرأ الناس القرآن بسبتة وغيرها. أخبرنا عنه أبو القاسم بن صواب بقصيدته التي نظمها في قراءة نافع، وهي مائتا بيت وتسعة أبيات، قال: لقيه بمرسية سنة ٤٨١هـ، وتوفي بطنجة سنة ٤٨٨هـ»[٢] الموافقة لسنة ١٠٩٥ م.

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٢ .

(٢) صفحة ٤٢٥ من المجلد الثاني طبع مجريط ١٨٨٣م.



٣- وذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان، فأورد قول ابن بسام ثم قال: «قلت: وهذا أبو الحسن ابن خالة أبي إسحاق الحصري صاحب كتاب زهر الآداب». ونقل كلام ابن بَشْكُوَال والحميدي ثم قال: وله ديوان شعر، فمن قصائده السائرة قصيدته التي أولها:

يَا لَيلُ الصَّبِّ مَتَىٰ غَدُهُ ... أَقِيامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ؟

رَقَدَ السُّمَّارُ وَأَرَّقَهُ ... أَسَفٌ لِلبَيْنِ يُرَدِّدُهُ

إلىٰ أن قال: وحكىٰ تاج العلاء أبو زيد المعروف بالنسابة قال: حدثني أبو أصبغ نباتة بن الأصبغ بن زيد بن محمد الحارثي عن جده زيد بن محمد قال: بعث المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية إلىٰ أبي العرب الزبيدي خمسمائة دينار وأمره بأن يتجهز بها ويتوجه إليه وكان بجزيرة صقلية، وبعث مثلها إلىٰ أبي الحسن الحصري وهو بالقيروان فكتب إليه أبو العرب:

لَا تَعْجَبَنَّ لِرَأْسِي كَيْفَ شَابَ أَسَىٰ ... وَأعْجَبْ لِأَسْوَدَ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبِ

البَحْرُ لِلرُّومِ لَا يَجْرِي السَّفِينُ بِهِ ... إِلَّا عَلَىٰ غَرَرٍ وَالبَرُّ لِلعَرَبِ

وكتب إليه الحصري:

أَمَرْتَنِي بِرُكُوبِ البَحْرَ أَقْطَعُهُ ... غَيرِي -لَكَ الخَيرُ- فَاخْصُصْهُ بِذَا الدَاءِ

مَا أَنتَ نُوحٌ فَتُنجِيَنِي سَفِينتُه ... وَلَا المَسِيحُ أَنَا أَمْشِي عَلَىٰ المَاءِ

ثم دخل الأندلس بعد ذلك وامتدح المعتمد وغيره، وتوفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بطنجة رحمه الله تعالىٰ»[١].

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٣ .



٤- وذكره ابن العماد الحنبلي في كتاب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) عند كلامه علىٰ حوادث سنة ٤٨٨هـ فقال: «فيها أبو الحسن الحصري المقرئ الشاعر نزيل سَبْتَة - علي بن عبدالغني الفِهْرِي -، كان مقرئًا محققًا، وشاعرًا مفلقًا، مدح ملوكًا ووزراء، وكان ضريرًا». ثم نقل قول ابن بسام المتقدم، وعقبه بقول ابن خلكان، ثم قال وله أيضًا:

أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حَيَّا بِكَأْسٍ ... لَها مِن مِسكٍ رِيقَتِه خِتَامُ
أَمِن خِدَّيكَ تُعصَرُ؟ قَالَ كَلَّا ... مَتَىٰ عُصِرَت مِنَ الوَرْدِ المَدَامُ[1]

ولما كان بمدينة طنجة أرسل غلامه إلىٰ المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية - واسمها في بلادهم حمص - فأبطأ عنه وبلغه أنه ما احتفل به فقال:

نَبِّهِ الرَّكْبَ الهُجُوعَا ... وَلُمِ الدَّهرَ الفَجُوعَا
حِمْصُ الجَنَّةِ قَالَت ... لِغُلَامِي لَا رُجُوعَا
رَحِمَ اللهُ غُلَامِي ... مَاتَ فِي الجَنَّةِ جُوعَا

وقد التزم في هذه الأبيات لزوم مالا يلزم رحمه الله تعالىٰ[2].

٥- وذكره الصلاح الصفدي في كتابه نكت الهميان، وكل ما أتىٰ به منقول عن ابن خلكان وابن بَشْكُوَال، وزاد عليهما فذكر البيتين اللذين ذكرهما ابن العماد: (أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حَيَّا بِكَأْسٍ)[3].

---

(١) يذكرني هذا البيت بقول المرحوم حافظ بك إبراهيم في وصف الصهباء:

خمرة قيل إنهم عصروها ... من خدود الملاح في يوم عرس

(٢) شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٥.

(٣) انظر نكت الهميان في نكت العميان ص ٢١٣.



٦- وذكره ابن الجزري في كتابة غاية النهاية فقال: «علي بن عبدالغني أبو الحسن الفهري القيراوني الحصري أستاذ ماهر، أديب حاذق، صاحب القصيدة الرائية في قراءة نافع، وناظم السؤال الدالي ملغزًا: (سَأَلْتُكُمُ يَا مُقْرِئِي الغَربِ كُلِّهِ)، وهي في سوءات أجابه عنه الشاطبي ومن بعده.

قرأ علىٰ عبدالعزيز بن محمد صاحب أبي سفيان، وعلىٰ أبي علي بن حمدون الجلولي، والشيخ أبي بكر القصري، وروىٰ عنه أبو القاسم بن الصواف قصيدته، وأقرأ الناس بسبته وغيرها. توفي بطنجة سنة ثمان وستين وأربعمائة. ثم نقل قول ابن خلكان في وفيات الأعيان(١). وقول ابن الجزري : إن الحصري الأعمىٰ توفي سنة ٤٦٨هـ، قول لم يشاركه فيه غيره من المؤرخين، ولعله وهم أو تحريف من الناسخين.

٧-وذكره العماد الكاتب في كتاب (خريدة القصر وجريدة أهل العصر)، فقال: الحصري الأعمىٰ المريني: هو أبو الحسن علي بن عبدالغني من الأندلس (!) صاحب تصنيفات وإحسان في النظم، قال في غلام اسمه هارون:

يَا غَزَالًا فَتَنَ النَّـ ... ـاسَ بِعَيْنَيهِ فُتُونَا
أَنْتَ هَارُوتُ وَلَكِنْ ... صَحَّفُوا تَاءَكَ نُونَا

وقال يهجو أبا العرب الصقلي:

مُعْجَبٌ كَالمُتَنَبِّي ... وَهُوَ لَا يُحْسِنُ شَيًّا
إِنَّ هَذَا يَحْيَوِيٌّ ... أُوتِيَ العِلْمَ صَبِيًّا

---

(١) راجع غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٥٥١ .



وقال:

كَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ كَانَ عِندِي شَهْدَةً ... حَتَّىٰ بَلَوتُ المُرَّ مِنْ أَخلَاقِهِ

كَالمِلْحِ يُحْسَبُ سُكَّرًا فِي لَوْنِهِ ... وَمَجَسِّهِ وَيَحُولُ عِنْدَ مَذَاقِهِ

وقال يرثي المعتضد أبا المعتمد:

مَاتَ عَبَّادٌ وَلَكِنْ ... بَقِيَ الفَرْعُ الكَرِيمُ

فَكَأَنَّ المَيْتَ حَيٌّ ... غَيرَ أَنَّ الضَّادَ مِيمٌ

وقال: أقول له وقد حيا... الخ البيتين

وقال:

وَشَاعِرٌ مِنْ شُعَرَاءِ الزَّمَانِ ... يَفْخَرُ عِنْدِي بِالمَعَانِي الحِسَانِ

وَإِنَّمَا أَطْيَبُ أَشْعَارِهِ ... نِصْفُ خَرَاسَانِ وَالقَيْرَوَانِ (؟)

وقال:

إِذَا كَانَ البَيَاضُ لِبَاسَ حُزْنٍ ... بِأَندَلُسٍ فَذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ

وقال:

مِمَّا يُبَغِّضُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ ... سَمَاعُ مُعْتَصِمٍ فِيهَا وَمُعْتَضِدِ

أَسْمَاءُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيرِ مَوضِعِهَا ... كَالهِرِّ يَحْكِي اِنْتِفَاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ[1]

وقوله: إذا كان البياض... الخ، ذكره المقري في نفح الطيب وزاد عليه قوله:

أَلَمْ تَرَنِي لَبِسْتُ بَيَاضَ شَيْبِي ... لِأَنِّي قَدْ حَزِنْتُ عَلَىٰ شَبَابِي

---

(١) انظر الخريدة ص ٢٣ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب.



وذكر أيضًا أن من عادة أهل الأندلس لبس البياض في الحزن بخلاف أهل المشرق، وذكر لبعضهم أبياتًا في ذلك[١]:

أَلَا يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ فَطِنْتُم ... بِلُطفِكُمُ إِلَىٰ أَمْرٍ عَجِيبِ

لَبِسْتُم فِي مَآتِمِكُم بَيَاضًا ... فَجِئْتُم مِنهُ فِي زِيٍّ غَرِيبِ

صَدَقْتُم فَالبَيَاضُ لِبَاسُ حُزْنٍ ... وَلَا حُزْنٌ أَشَدُّ مِنَ المَشِيبِ

٨- وذكره المراكشي عَرَضًا عند كلامه علىٰ نزول المعتمد مدينة طنجة قال: «فأقام بها أيامًا، ولقيه الحصري الشاعر، فجرىٰ معه علىٰ سوء عادته من قبح الكدية، وإفراط الإلحاف، فرفع إليه أشعارًا قديمة كان مدحه بها، وأضاف إلىٰ ذلك قصيدة استجدها عند وصوله إليه، ولم يكن عند المعتمد في ذلك اليوم مما زود به - فيما بلغني - أكثر من ستة وثلاثين مثقالًا، فطبع عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها، سقطت من حفظي، ووجه بها إليه فلم يجاوبه عن القطعة علىٰ سهولة الشعر علىٰ خاطره، وخفته عليه. وكان هذا الرجل - أعني الحصري الأعمىٰ - أسرع الناس في الشعر خاطرًا إلا أنه كان قليل الجيد منه، فحركه المعتمد علىٰ الله علىٰ الجواب بقطعة أولها:

قُلْ لِمَنْ قَدْ جَمَعَ العِلْـ ... ـمَ وَمَا أَحْصَىٰ صَوَابَه

كَانَ فِي الصُّرَّةِ شِعْرٌ ... فَتَنَظَّرْنَا جَوَابَه

قَد أَثَبْنَاكَ فَهَلَّا ... جَلَبَ الشِّعْرُ ثَوَابَه

ولما اتصل بزعانفة الشعراء وملحفي أهل الكدية ما صنع المعتمد - رَحِمَهُ اللَّهُ - مع الحصري تعرضوا له بكل طريق، وقصدوه من كل فج عميق، فقال في ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٩٠٦ طبع بولاق.



شُعَرَاءُ طَنْجَةَ كُلُّهُم وَالمَغْرِبِ ... ذَهَبُوا مِن الإِغْرَابِ أَبْعَدَ مَذْهَبِ

سَأَلُوا العَسَيرَ مِنَ الأَسِيرِ وَإِنَّهُ ... بِسُؤَالِهِم لَأَحَقُّ فَاعْجَبْ وَاعَجَبِ

لَوْلَا الحَيَاءُ وَعِزَّةٌ لَخْمِيَّةٌ ... طَيَّ الحَشَا سَاوَاهُمُ فِي المَطْلَبِ[1]

هذه هي كل النتف والشذرات التي عثرت عليها في كتب التراجم لذلك العهد السحيق، وكل هذه التراجم - إن صحت تسميتها بذلك - لا تكشف لنا عن حياة الشاعر، ولا تبين مقدار قوة شاعريته أو ضعفها، ولا توضح أثره في الأدب، ولا تتناول أدبه بالنقد والتحليل. والذي يستوقفني منها بصفة خاصة قول المراكشي: «كان هذا الرجل أسرع الناس خاطرًا في الشعر» وقول ابن بَشْكُوَال نقلًا عن الحميدي: «إن شعره كثير، وأدبه موفور»، فأين ذلك الأدب الموفور والشعر الكثير الذي واتاه به طبعه الدافق في يسر وسهولة؟

أين قصائده في الهجاء الذي «كان يتلفت إليه تلفت الظمآن إلىٰ الماء؟»

أين قلائده التي قلد بها ملوك الطوائف حتىٰ تهادته تهادي الرياض بالنسيم، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس بالمقيم؟

أين خرائده في الوزراء الذين أغدقوا عليه بالنعم؟ أين أين ذلك الشعر الرخيم؟؟

لقد غمره طوفان الفناء فيما غمر، ولم يبق له جرس ولا أثر، والمسؤول عن ذلك هو الحُصْرِيُّ نفسه، فهو الذي أهمل ولم يحسب لذلك الطوفان حسابًا، ولم يدون من شعره غير كتاب (اقتراح القريح واجتراح الجريح)، ولدينا مجموعة صغيرة من شعره في الغزل والنسيب اسمها (معشرات الحصري) سنتكلم عنها بعد أن نروي لك كثيرًا من شعره في اقتراح القريح. . .

---

(١) انظر المعجب ص ٧٧ طبع مصر.



(٣ - ٣)

نموذج من شعره:

قال أبو الحسن علي الحصري من قصيدته - وهي الأولىٰ -:

حَاشَاكَ مِن نَارٍ عَلَىٰ الأَحْشَاءِ يَزْدَادُ ضِعْفًا حَرُّهَا بِالمَاءِ

عَزَّيْتَنِي فِيمَا تَرىٰ وَعَزَوْتَنِي لِلصَّابِرِينَ وَلَاتَ حِينَ عَزَاءِ

مَنْ لِي بِأَجْرِ الصَّابِرِينَ وَأَعْظُمِي مَوْهُونَةٌ مِن أَعْظَمِ الأَرْزَاءِ

هَلْ مُسْتَطِيعٌ أَن يُكَفْكِفَ دَمْعَهُ مَن لَا بَرَاحَ لَهُ عَلَىٰ البُرَحَاءِ

لَهَفِي عَلَىٰ رَيْحَانَةٍ رَاحَت إِلَىٰ مَثْوَىٰ ثَوَابٍ لَيتَ فِيهِ ثِوَائِي

سَالَتْ حَشَاشَةُ نَفْسِهِ مِن أَنْفِهِ فَشَهِدتُ مِنهُ مَصْرَعَ الشُّهَدَاءِ

وَنَظَرتُ فِي قِطَعِ الرُّعَافِ فَلَمْ تَمِطْ حُكْمُ المَنِيَّةِ حِيلَةَ الحُكَمَاءِ

فَإِذَا أَرَادَ اللهُ مِيتَةَ مُذْنِفٍ أَخفَىٰ عَلَىٰ الآسِي دَوَاءَ الدَّاءِ

دَاوَاهُ مَن أَدْوَاهُ حَتَّىٰ قَالَ لِي لَا تَأْتِنِي مَنْ ذَا الرَّدَىٰ بِدَوَاءِ

لَا أَشْتَكِي أَنِّي حُرِمتُ إِجَابَةً لَوْلَا شَعُوبٌ لَدَعَّ عَنهُ دُعَائِي

وَالخَيرُ فِيما اخْتَارَ خَالِقُهُ فَقَد آلَتْ بِهِ الضَّرَّاءُ لِلسَّراءِ

وَلَقَد يَسُرُّ اللَّه بِالبَأْسَاءِ فِي أَحْكَامِهِ وَيَضُرُّ بِالنَّعْمَاءِ

❊ ❊ ❊

عَرَضَتْ لَهُ تُفَّاحَةٌ نَفَّاحَةٌ ... بَعضُ الإِمَاءِ فَرَدَّ بالإِيمَاءِ

وَلَوِ استَطَاعَ القَولَ قَالَ مُشَافِهًا ... تُفَّاحُ جَنَّاتِ الخُلودِ شِفَائِي

عَبدَالغَنِيِّ لَكَ المَسَرَّةُ غَائِبًا ... وَلِيَ المَسَاءَةُ مَصبَحِي وَمَسَائِي

وقال من قصيدة:

كَانَ عبدالغَنِي لِلعَينِ نُورًا ... وَلِقَلْبِي هُدَىٰ وِلِلعَيْشِ طِيبَا

كَانَ شَيْبِي بِهِ شَبَابًا فَلَمَّا ... بَانَ رَدَّ الشَّبَابَ مِنِّي مَشِيبَا

كُنْتُ فِي غُرْبَتِي كَأَنِّي بِه فِي ... وَطَنِي، فَانْقَضَىٰ فَعُدْتُ غَرِيبَا

لَمْ يَدَعْ فَقْدُهُ لِمَغْنَايَ مَغْنَىٰ ... فَحَلَا آهِلًا وَضَاقَ رَحِيبَا

لَسْتُ أَنْسَىٰ مَقَامَهُ وَمَقَامِي ... وَكِلَانَا مِثْلُ القَتِيلِ خَضِيبَا

أَنْفُهُ يَنْثُرُ العَقِيقَ وَعَيْنِي ... تَنْثُرُ الدَّمْعَ بِالعَقِيقَ مَشُوبَا

ضَمَّنِي شَاكِيًا إِلَيَّ فَقَلْبِي ... كُلَّمَا يَشْتَكِي يَطِيرُ وَجِيبَا

وَبِوِدِّي لَوْ احْتَمَلْتُ فِدَاءً ... عَنهُ ذَاكَ الضَّنَىٰ وَتِلكَ الكُرُوبَا

لَمْ أَطِقْ فِيهِ حِيلَةً غَيرَ أَنِّي ... مُذْ قَضَىٰ نَحْبَهُ أَلِفْتُ النَّحِيبَا

مَاتَ مَن كُنتُ أَقْطَعُ البِيدَ جَرًّا ... هُ وَأَرْجُو المُنَىٰ وَأَخْشَىٰ الخُطُوبَا

مَا أَعَزَّ الحَياةَ لِلمَرْءِ! مَا أَبْـ ... ـعَدَ آمالَهُ وَأَدْنَىٰ شَعُوبَا

مَا أَقَلَّ الوَفَاءَ، مَا أَضْعَفَ الطَّـ ... ـالِبَ فِي ذَا الزَّمَانِ وَالمَطْلُوبَا

يَا حَبِيبَ الإِلَهِ لَوْلَا المَنَايَا ... لَشَفَىٰ مِنْكَ مَا أَعَلَّ الطَّبِيبَا



يَوْمَ نَادَيْتَ: (فَرَّجَ اللّه كَرْبِي ... إِنَّنِي اشتَقْتُ مَسجِدِي وَالأَدِيبَا

وَلِدَاتٍ سَبَقْتُهُم لَحِقُونِي ... صَارَ مَن كَانَ غَالِبًا مَغْلُوبَا

طَالَ سُقْمِي فَارْفَعْ دَوَاتِي وَأَقْلَا ... مِي وَلَا تَمْحُ لَوْحِيَ المَكْتُوبَا

فَإِذَا مَا أَفَقْتُ أَدْرَكْتُ مَنْ فَا ... تَ وَعَادَتْ عَنْقَاؤُهُم عَنْدَلِيبَا)

قُلتَ ما قُلتَ ثُمَّ زَادَ سِقَامٌ ... وَدَمٌ غَادَرَ البَيَاضَ شُحُوبَا

فَجَرَتْ عَبْرَتِي وَأَحسَبُ نَفْسِي ... فَجَرَتْ، كَانَ بِرُّهَا أَنْ تَذُوبَا

وَلَدِي! كَيْفَ نَسْتَوِي؟ أَنَا فِي حَرٍّ ... الرَّزَايَا وَأَنْتَ فِي ظِلِّ (طُوبَىٰ)

أَنْتَ حَيثُ المُقَرَّبُونَ فَأَبْشِر ... وَسَلْ اللهَ أَنْ أَرَاكَ قَرِيبَا

خَضَعَتْ بَعْدَهُ رِقَابُ لِدَاتٍ ... كَانَ فِيهِم مُعَظَّمًا وَمَهِيبَا

كَانَ يَهْدِي قُلُوبَهُم ثُمَّ وَلَّىٰ ... فَعَمُوا الآن أَعْيُنًا وَقُلُوبَا

حُقَّ لِي أَنْ أَشُقَّ قَلْبِي بُكَاءً ... لَا أُوَفِّيكَ إِنْ شَقَقْتُ الجُيُوبَا

وقال:

إِنَّ قُلُوبًا وَجَبَتْ ... حُقَّ لَهَا أَنْ تَجِبَا

مِثْلُكَ يَا عبدالغَنِيِّ ... البَرَّ لَنْ أَنْتَحِبَا

وقال من قصيدة:

يَا نُورَ عَيْنِي فَقَدتُهُ ... فَفِي الفُؤَادِ وَجَدْتُهُ

يَا كَوْكَبًا لَقَّبُونِي ... بِالبَدْرِ يَوْمَ وَلَدتُهُ



لَمْ يَهْدِ رُكْنِي سَنَاهُ حَتَّىٰ خَبَا فَلَحَدْتُهُ
أَنْتَ النَّجِيبُ وَلَكِنْ أَبَىٰ الرَّدَىٰ مَا أَرَدْتُهُ
حَلَّتْ يَدُ الدَّهْرِ عِقْدًا قَدْ كُنْتُ قَبْلُ شَدَدْتُهُ
أَعَارَنِي مِنْكَ عِلْقًا ثُمَّ اقْتَضَىٰ فَرَدَدْتُهُ
بَلْ سَرَّنِي فِيكَ رَبِّي وَسَاءَنِي فَحَمِدْتُهُ
تَقَاصَرَ الْيَوْمَ بَاعٌ لِلْفَخْرِ فِيكَ مَدَدْتُهُ
سِهَرتْ بَعْدَكَ لَيْلِي وَطَالَمَا قَدْ رَقَدْتُهُ
وَكَم نَضَحْتُ بِدَمْعِي حَرَّ الْحَشَا لَوْ بَرَدْتُهُ
يَا رَبِّ وَفِّ الْمُرَا دِي بِوَلَدِهِ مَا وَعَدْتَهُ
لَا ضَيَّعَ اللهُ أَجْرِي فَأَيُّ وَجْدٍ وَجَدْتُهُ
أَيَومَ مَصْرَعِهِ أَمْ يَومَ الْحِسَابِ شَهِدْتُهُ؟
كَانَ ابنُ تِسْعٍ وَلَكِنْ فِي الأَكْثَرِينَ عَدَدْتُهُ
لَا حَبَّذَا الْعَيْشَ إِنِّي عَلَىٰ الْمَمَاتِ حَسَدتُهُ

❦ ❦ ❦

عبد الغَنِيِّ مُفِيدِي مِنَ الغِنَىٰ مَا أَفَدْتُهُ
بِيُمْنِهِ كُنْتُ مَهْمَا نَصَبْتُ لِلَّيْثِ صِدْتُهُ



وَمَـا زَرَعْـتُ رَجَـائِـي فِـي الصَّـلْـدِ إلا حَـصَـدْتُـهُ

يَـا ابْنِـي الـذي كَـانَ يَبْنِـي مَـجْـدِي وإِنْ كُـنـتُ شِـدْتُـهُ

حَـطَـطْـتَـنِـي يَـومَ أَوْدَيْـ ـتَ مِـن مُـنِـيـفٍ صَـعَـدْتُـهُ

قَـمِـيـصُ مُـصْـطَـبَـرِي مِـن قَـبْـلُ عَـلَـيْـكَ قَـدَدْتُـهُ

وَفِـي جِـوَارِكَ أَحْـبَـبْـتُ مَـضْـجَـعِـي لَـوْ مَـهَـدْتُـهُ

لَـعَـلَّ قُـرْبَـكَ يَـشْـفِـي كَـرْبِـي كَـمَـا قَـدْ عَـهِـدْتُـهُ

إِنِّـي وَرَبِّـي هَـدَانِّـي لِـنُـورِهِ فَـتَـبِـعْـتُـهُ

مَـا غَـاضَ بَـعْـدَكَ ثُـكْـلَـىٰ إلا بَـكَـيـتُ فَـزِدْتُـهُ

وقال:

بَكَيْتُ مَنْ سَكَنَ فِي أَضْلُعِي سَكَنًا لَو عَاشَ لِي لَكَفَانِي الدَّهْرَ أَوْقَاتَا

فِي كُلِّ وَقْتٍ عَلَىٰ فَقْدِيهِ أَذْكُرُهُ وَرُبَّمَا نَسِيَ الأَحْبَابُ أَوْقَاتَا

وقال من قصيدة:

دَهْرٌ حَوَادِثُهُ شَتَّىٰ الأَحَادِيثِ فَاسْمَعْ بِمَا شِئْتَ عَن نُوحٍ وَعَن شِيثِ

تَغُرُّنَا دَارُنَا الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا وَنَحْنُ فِي طَلبِ لِلمَوتِ مَحْثُوثُ

تُوفِّيَ الخَلَفُ الزَّاكِي وَعِشْتُ كَمَا تَرْضَىٰ العِدَىٰ عَيْشَ مَكْرُوبٍ وَمَكْرُوثِ

حَتَّىٰ أَعَافَ شَرَابًا لَستُ أَمزِجُهُ بِعَبْرَتِي وَطَعَامًا غَيرَ مَغْلُوثِ

وَكُنتُ فِي جَنَّةٍ حُفَّتْ جَوَانِبُهَا بِالزَّرْعِ وَالنَّخْلِ وَالأَعْنَابِ وَالبُوثِ

فَأَصْبَحَتْ يَومَ أَوْدَىٰ وَهِيَ خَاوِيةٌ جَرْدَاءُ مِنْ كُلِّ مَغْرُوسٍ وَمَحْرُوثِ
وَيْلَاهُ وَيْلَاهُ لَا أُشْفَىٰ بِتَثْنِيَةٍ حَتَّىٰ أَزِيدَ وَلَا أُشْفَىٰ بِتَثْلِيثِ
بَكَيْتُ مُسْتَسْقِيًا لِلدَّمْعِ حِينَ جَرَىٰ فَلَمْ أَزِدْ نَارِ قَلْبِي غَيْرَ تَأْرِيثِ
أُحِبُ لُقْيَاهُ وَالبُقْيَا لِأَنْدَبَهُ فَيَا شَعُوبُ اعجِلِي إِنْ شِئْتِ أَو رِيثِي

❊ ❊ ❊

أَهُمُّ بِنَبْشٍ قَبرِكَ الطَّيِّبِ الثَّرِىٰ لَعَلِّي استَشْفِي وَإِن حُرِّمَ النَّبْشُ
كَأَنِّي وَقَد أَوْدَعْتُكَ القَبرَ طَائِرٌ كَسِيرُ جَنَاحٍ لَا فِرَاخٌ وَلَا عُشُّ

إلىٰ العيد

قَدْ كُنتُ هَيْمَانَ مَهمُومًا بِلَا جَلَدٍ فَزِدتُ ضِعْفَينِ فِي هَمِّي وَتَهْيَامِي
عَهِدتُ لَيْلَتَكَ البَيْضَاءَ نَيِّرَةً فَمَا لَهَا كَحَّلَتْ عَينِي بِإِظْلَامِ
حَتَّىٰ تَنَاسَيتُ مَا عُوِّدتُ مِن فَرَحٍ وَقُبْحُ يَومٍ يُنسِي حُسْنَ أَيَّامِ
فَمَا لَبِستُ سِوىٰ الأَحْزَانَ سَابِغَةً وَلَا نَحَرْتُ سِوىٰ إِنْسَانِيَ الدَّامِي
وَلَا بَرَزْتُ لِزُوَّارِي مَخَافَةَ أَنْ أَسَاءَ مِنْهُم بِطَلْقِ الوَجْهِ بَسَّامِ
وَرَافِلٍ فِي جَدِيدٍ كَانَ يَرْفُلُ فِي مِثَالِه ابنِي غَدَاةَ العِيدِ مُذْ عَامِ

❊ ❊ ❊



حَبِيبَ نَفْسِيَ لَوْ أُعطيتَ سَاكِنَها ... أَصَابَ نَحرِي وَأَخْطَا نَحرَك اَلدَّامِي

كَأَنَّنِي لَمْ أُكَلِّمْ مِنكَ نَابِغَةً ... وَلَا رَأَيتُكَ مِلءَ العَينِ قُدَّامِي

وَلَا سَمِعتُكَ تَتْلُو الذِّكْرَ فِي سَحَرٍ ... بِصَوتِ دَاوُدَ فِي إِفْصَاحِ هَمَّامِ

مَخَايِلٌ فِيكَ رَاقَتْنِي مَحَاسِنُهَا ... سَرَتْ بِبَدْءٍ وَلَمْ تَسْرُرْ بِإِتْمَامِ

الحَمْدُ للهِ عَدْلٌ مِنكَ مَا نَفَذَتْ ... بِهِ المَقَادِيرُ مِن نَقْضٍ وَإِبْرَامِ



الفلسفة الشرقية
تأليف الدكتور محمد غلاب[١]

الدكتور محمد غلاب في طليعة رجالنا الممتازين الذين جمعوا بين الثقافة العربية، والثقافة الغربية، وتذوقوا ما جمعوا، وهضموا ما تذوقوا، وأنتجوا مما هضموا نتاجًا شهيًا ، يمتاز بالعمق، وجدة العرض، وغزارة المادة، ورشاقة الأسلوب.

ويمتاز الدكتور غلاب من بين هؤلاء الأفذاذ بميله الشديد للفلسفة، ولعل لوظيفته في ذلك أكبر الأثر. فهو أستاذ الفلسفة في كلية أصول الدين إحدىٰ كليات الأزهر. ولقد كان الأزهر إلىٰ عهد غير بعيد يحرم الفلسفة ويقذف المشتغلين بها بالزندقة والمروق، أما اليوم فقد صارت الفلسفة بأنواعها تدرس فيه، ووجد من رجاله من يؤلف فيها كتبًا قيمة كهذا الكتاب الذي ألفه الدكتور ليسد ثغرة كانت مفتوحة في الحياة العقلية المصرية، إذ أن ثقافتنا قد بلغت في العلوم الطبيعية شأوًا يسمح لنا بالوقوف في صفوف الأمم الراقية، ولكنها في العلوم العقلية ليست شيئًا مذكورًا، «فلا تزال مصر مقفرة في الفلسفة إقفارًا يندىٰ له جبين الإنسانية خجلًا، ولا تزال معارفنا الفلسفية بالقياس إلىٰ أوروبا تعد جسمًا بلا روح، أو كائنًا أعجم إلىٰ جانب إنسان»[٢].

لذلك اعتزم الدكتور القيام بهذه المحاولة الخطيرة مسترشدًا بنور الحق

---

(١) مجلة الرسالة، السنة السابعة، عدد٢٧١، سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٨م، ص ١٥١٧ .

(٢) مقدمة الفلسفة الشرقية ص ٧ .



والواجب، ففكر وقدر ثم نظر فألفىٰ الشرق - وهو منبع الحكمة، ومصدر العرفان - مغموط الحق، مطمور المجد، مجحود العظمة، في هذه الناحية، فأراد أن يُصحر من مجده، ويظهر من حقه، ويجلو من عظمته بكتاب الفلسفة الشرقية.

والفلسفة الشرقية ليست كما يصورها (بارتلمي سانت هلير) عديمة النفع: «لا تفيدنا دراستها إلا من جهة إرضاء النزعة في الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيرًا، فليس علينا أن نصمد إليها لنعرف من نحن ومن أينا جئنا»[١].

بل هي جمة المنافع، حرية بالبحث والتحليل. والواجب علىٰ من أراد دراسة الفلسفة أن يبدأ بها ليكون علىٰ بينة من العناصر الأساسية التي تكون منها الجسم المراد درسه من جهة، ولكي يصل أوائل حلقات السلسلة العقلية بأواخرها من جهة ثانية»[٢].

يقع هذا الكتاب في ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير، وهو مصدر بمقدمة اشتملت علىٰ مناهج البحث في العصر الحديث وعلىٰ ما يجب أن يسلكه الفيلسوف في استعراض المذاهب الفلسفية، وما يجب أن يكون عليه من الصفات، وما يجب أن يلاحظ من ترتيب الحوادث بعضها علىٰ بعض تبعًا لقانون المنطق القويم حتىٰ تكون نتائجه سليمة قويمة، واشتملت فوق ذلك علىٰ بحث مشكلتين عويصتين طال فيهما لجاج العلماء. وهما: أصل الفلسفة وهل هي إغريقية مبتدعه أم شرقية متبعة، وتسلسل الثقافات بعضها من بعض.

أما الكتاب نفسه فقد عرض في تفصيل وتحليل دقيقين للفلسفات المصرية، والهندية، والفارسية، والصينية، والكلدانية، والعبرانية، فدرس في مصر الحياة

---

(١) مقدمة الكون والفساد لأرسطو ترجمة الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا.

(٢) الفلسفة الشرقية ص ١٧



العقلية منذ نشأتها، وتعقب التفكير وتطوره في عصر ما قبل التاريخ، ثم في عصور: منفيس، ومدينة الشمس، وطيبة، فأبان بإسهاب التطورات التي تعاقبت علىٰ آراء المصريين في الإلوهية، والنفس، والآخرة، والسؤال، والميزان، والعقاب والثواب، والأخلاق، والآداب، والفنون والعلوم. ولعل من الطريف أن نذكر هنا أن الدكتور قال: عرف المصريون الضمير منذ أقدم عصورهم، ووصفوه وصفًا فلسفيًا فقال فيه قائلهم: إن قلب الإنسان هو إلهه الخاص، وإن قلبي قد رضي عن كل ما عملته وكل من رضي قلبه عن عمله التحق بمرتبة الآلهة»[١].

ثم انتقل الدكتور إلىٰ الهند فتناول فيها أربعة عشر مذهبًا - بين ديني وفلسفي - بتحليل ونقد لو أننا حاولنا تعقبهما لطال بنا الكلام ولكنا نكتفي بالإشارة إلىٰ مدرسة (ساسكيهيا) التي وجد فيها المنطق قبل أن يوجد أرسطو بأمد بعيد، ولم يذر الحديث عن الهند حتىٰ قرر «أن الفلسفة بجميع أقسامها قد أزهرت فيها إزهارًا فائقًا، وأن اليونان مدينة لتلك البلاد بكثير من نظرياتها التي يعتقد السطحيون أنها مبتدعة» ، وحسبك أن تعلم أنهم «وصلوا إلىٰ نظرية الذر أو الجوهر الفرد قبل (يموقريت) و (لوسيب) وأنهم أساتذة (فيثاغورث) أكبر رياضيي اليونان علىٰ الإطلاق»[٢].

وبعد أن فرغ من الهند انتقل إلىٰ الكلام عن الفرس. فدرس الديانات القديمة ومذاهب (زرادشت) و (ماني) و (مزدك) دراسة وافية ممتعة.

ثم عرج علىٰ الصين فتناول عصر ما قبل التاريخ، ثم العصر المنهجي، حيث درس في عمق مذاهب: (لا هو - تسيه) و (كونفيشيوس) و (مانسيوس) والمدرسة

---

(١) المصدر السابق ص ٧٨

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٨ وما بعدها



السوفسطائية والمنطق في الفلسفة الصينية إلىٰ غير ذلك من المباحث القيمة. ثم عرض بما يشبه ذلك إلىٰ الفلسفتين: الكلدانية والعبرية، وبالأخيرة ينتهي الكتاب.

ولا إخالني بحاجة إلىٰ أن أقول إن الدكتور أجاد العرض وأحسن القول فقرب الفلسفة إلىٰ الناس، بعد طول نفور وشماس، فذلك معروف له من الفصول التي نشرتها الرسالة من الكتاب قبل ظهوره. بيد أني بحاجة إلىٰ أن أقول كلمة صغيرة لا أجد مناصًا من قولها الخاص[١] كما يسميه ذلك القديم:

ذهب الدكتور إلىٰ أنه هو الذي أثبت بالأدلة القاطعة «سذاجة أرسطو وأذنابه في دعواهم أن الفلسفة نشأت للمرة الأولىٰ في (إيونيا) في القرن السادس قبل المسيح، وأن أول فيلسوف في الدنيا هو (تاليس المليتي[٢]). والحق أن هذا الإثبات قديم الميلاد، وليس أدل علىٰ ذلك مما قاله الدكتور عن (ديوجين لا إرس) أنه أثبت في كتابه (حياة الفلاسفة): أن الشرق قد سبق الغرب في النظر العقلي وأنه كان أستاذه وملهمه[٣]، وقد عاش هذا المؤرخ الإغريقي في القرن الثالث قبل المسيح.

وبعد فهذه كلمه عابرة أردنا بها التعريف بهذا الكتاب العظيم الذي سيكون - إن شاء الله - عظيم الأثر في حياتنا العقلية عامة، وفي نهضتنا الفلسفية خاصة.



(١) كذا في الأصل (الحازمي)

(٢) ص ٣٤٤

(٣) ص ١٤



من أدبنا المجهول:
المنصف لابن وكيع المصري المتوفى سنة ٣٩٣هـ[1]

كان أبو الطيب المتنبي (٣٥٤هـ) يرسل قصائده الفرائد فتسري في أرجاء العالم العربي مسرىٰ الأضواء، حاملة بين أطوائها بذور نقدها، فتملأ الدنيا بدويها، وتشغل الناس بحديثها، فمنهم من يكبرها ويغلو في إعظامها والإعجاب بها، حتىٰ يملك عليه الإعجاب أقطار نفسه، ويأخذ بمسارب حسه، ومنهم من يحقرها، ويغض من شأنها، ويسرف في ثلبها، حتىٰ ليكاد يخرجها من حلبة الشعر، ويسلّ صاحبها من بين الشعراء، وبين أولئك وهؤلاء أقوام قد تفاوتت حظوظهم من المودة والبغضاء، والإعجاب والإزراء، فيكثرون من الحديث عنها والجدل فيها كما قال المتنبي:

أَنَامُ مِلءَ جُفُونِي عَن شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

ولعل أهم مسألة شغلت النقاد، واستأثرت بنشاط أفكارهم مسألة سرقات المتنبي، فقد كان الرجل واسع الثقافة، دائب الاطلاع علىٰ أشعار الشعراء، يجيل النظر فيها، ويعمل العقل، ويدير الفكر بنفس مشوقة وحس جميع، فكان إذا جاشت نفسه بالقريض ربما ألم بهذا المعنىٰ أو ذاك، وطاف بهذه الفكرة أو تلك شاعرًا بما صنع أو غير شاعر.

وقد اهتبل النقاد مسألة السرقات هذه، وحاول بعضهم أن يصدم بها المتنبي في

(١) مجلة الرسالة، السنة السابعة عشرة، عدد ٨١٠ و٨١١، سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م، ص ٧٧٢ .



مجالس الإنشاد، واتخذها الحساد غرضًا يصوبون إليه سهامهم المسمومة لعلهم ينالون من عظمته، ويديلون من ذكره، فيشفوا بذلك نفوسهم، ويذهبوا غيظ قلوبهم. وكان أول من عرض لها وكتب فيها الصاحب ابن عباد وأبو علي الحاتمي (٣٨٨هـ). ولما ألف الجرجاني (٣٦٦ هـ) كتاب (الوساطة) أدار الحديث فيه عن هذه السرقات، وأفاض حتىٰ أنفق فيها أكثر صحائف الكتاب. وجاء معاصره ابن وكيع المصري فألف كتاب (المنصف في الدلالات علىٰ سرقات المتنبي).

وابن وكيع هذا : «شاعر بارع، وعالم جامع، قد برع علىٰ أهل زمانه، فلم يتقدمه أحد في أوانه، وله كل بديعه تسحر الأوهام، وتستبعد الإفهام» وله ديوان شعر جيد[1]، ولد في مدينة تِنِّيس بالقرب من دمياط، ومات بها في جمادىٰ الأولىٰ سنة ٣٩٣هـ، وقد ضاع ديوان شعره، ولم يبق من كتاب المنصف إلا نسخة واحدة فيما يقول بروكلمان، محفوظة في مكتبة برلين برقم ٧٥٧٧، وهي تقع في ١٦٧ لوحة، وفي كل لوحة صفحتان، يستغرق الجزء الأول منها ١٤٨ لوحة، واللوحات الباقية من الجزء الثاني. . . ، وهو كتاب نفيس حقًا أضعه في ثقة وأمن في طليعة كتب النقد الأدبي، وأعدَّ مؤلفه في مقدمة الطبقة الأولىٰ من أعلام النقد، لا في القرن الرابع وحده بل في كل العصور. ولنفاسة هذا الكتاب وطرافته، لا أريد أن أحدثك عن فكرته وأسلوبه ومنهجه، بل أذر مؤلفه يحدثك عن ذلك كله لتتبين بنفسك أغراضه ومقاصده، وتتعرف بذوقك رأيه وتفكيره، ولئن كان الكتاب يعرف من عنوانه كما يقال فإنه أيضًا يفهم من مقدمته.

قال ابن وكيع: «أما بعد : حمدًا لله والصلاة علىٰ رسوله الكريم، وعلىٰ آله المصطفين الأخيار الطيبين الأبرار، فإنه وصل إليَّ كتابك الجليل الموضع،

---

(١) يتيمة الدهر ١ / ٣١٧ .



اللطيف الموقع، تذكر إفراط طائفة من متقدمي عصرنا في مدح أبي الطيب المتنبي وتقديمه، وتناهيهم في تعظيمه وتفخيمه، وأنهم قد أفنوا في ذلك الأوصاف وتجاوزوا الإسراف، حتىٰ لقد فضلوه علىٰ من تقدم عصرُه عصرَه وأبرّ علىٰ قدرِه قدرُه. وذكرت أن القوم شغلهم التقليد فيه عن تأمل معانيه، فما ترىٰ من يُجَوّزُ عليه جهل الصواب، في معنىٰ ولا إعراب. وذكرت أنهم لم يكتفوا بذلك حتىٰ نفوا عنه ما لا يسلم فحول الشعراء من المُحْدَثِين والقدماء منه، فقالوا: ليس له معنىٰ نادر، ولا مثل سائر، إلا وهو من نتائج فكره، وأبو عذره، وكان لجميع ذلك مبتدعًا، ولم يكن متبعًا، ولا كان لشيء من معانيه سارقًا، بل كان إلىٰ جميعها سابقًا، فادّعوا له من ذلك ما ادعاه لنفسه علىٰ طريق التناهي في مدحها، لا علىٰ وجه الصدق عليها فقال:

أَنَا السَّابِقُ الهَادِي إِلَىٰ مَا أَقُولُه ... إِذَا القَوْلُ قَبْلَ القَائِلِينَ مَقُولُ

وهذا تناه ومبالغه منه كاذبة، وقد يأتي الشاعر بضد الحقائق، ويتناهىٰ في الوصف وهو غير صادق.

وذكرت أنك عارضت دعواهم بأبيات، وجدتها في شعره مسروقات، فادعوا فيها اتفاق الخواطر، ومواردة شاعر لشاعر. واحتجوا عليك بامرئ القيس في قوله:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُم ... يَقُولُون لَا تَهْلِكْ أَسَىٰ وَتَجَمَّلِ

فوافق خاطره خاطر طَرَفَة في قوله:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُم ... يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَىٰ وَتَجَلَّدِ

وأحببت إنهاء ما عندي إليك، غير متحيف لك ولا عليك، فأقول والله الموفق للصواب.



إن القوم لم يصفوا من أبي الطيب إلا فاضلًا ، ولم يشهروا بالتقريظ منه خاملًا ، بل فضلوا شاعرًا مجيدًا ، وبليغًا سديدًا ، ليس شعره بالصعب المتكلف ، ولا اللين المستضعف ، بل هو بين الرقة والجزالة ، وفوق التقصير ودون الإطالة ، كثير الفصول ، قليل الفضول . لكنه بعد هذا لا يستحق التقديم علىٰ من هو أقدم منه عصرًا ، وأحسن شعرًا ، كأبي تمام والبحتري وأشباههما ، فإني لا أزال أرىٰ من منتحلي الآداب من يعارض شعريهما بشعره ، ويزن قدريهما بقدره ، من غير انتقاء للشعر استعمل فيه كد فكره ، ولا استقصاء نظره ، وإنما قلد الخطوة الرافعة ، والشهرة الذائعة ، والنفوس مولعة بالاستبدال والنقل ، لهجة بالاستطراف والملل ، ولكل جديد لذة ، فلما كان شعره أجدّ فيهم عهدًا ، كانوا له أشد ودًّا .

وهبنا أغضينا لهم عن تفضيلهم إياه علىٰ من لا يشق غباره ، ولا يعشر مقداره ، مع علمنا في ذلك أن مذهبهم أوضح فسادًا من أن نطلب لهم المعارضة ، أو نتكلف من أجلهم المناقضة ، فكيف بالإغضاء عن نفيهم عنه ما لا يسلم منه بدوي أو حضري ، جاهلي أو إسلامي ، من استعارة الألفاظ النادرة ، أو الأمثال السائرة . وإذا كانت مستعملة في أشعار جميع الناظمين من القدماء والمحدثين . وسلمنا لهم نفيهم عن أبي الطيب ذلك كنا قد سلمنا لهم أنه أفضل أهل الشعر في كل أوان وعصره . وهذه دعوىٰ لا بد من كشف أسرارها وإظهارها ، وهي بالعناية أولىٰ من الأولىٰ ، لأن تلك دعوىٰ خصت طائفة ، وهذه تعم جميع القائلين من الأولين والآخرين . ولقد ادعىٰ قائلها إفكًا واسعًا ، وظل للحق فيها دافعًا ، لأنه ادعىٰ وقوع جميع الشعراء فيما سلم أبو الطيب منه ، وفقرهم إلىٰ ما غني عنه ، وهذه صفة تتجاوز الصفات ، وتكاد تشبه المعجزات . ولو علم صدقها أبو الطيب من نفسه لجعلها آية له عند تنبيه ، ودلالة علىٰ صحة ما ادعاه من تنويه ، يتحدىٰ بها أهل دعوته .



أولم يسمع النافون عنه، أَخْذَ الكلام من النثر والنظام، قول الفرزدق: «نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة»؟ أو ما سمعوا قول الحكماء: «من العبارة حسن الاستعارة؟».

وما شيء بأعجب من وقوع جملة الشعراء في أمر يشترك فيه قديمهم ومُحْدَثهم من استعارة الألفاظ والمعاني علىٰ مر الزمان بتحكيك الفحول منهم الشعر وتنقيتهم إياه، حتىٰ إنهم كانوا يسمون قصائدهم الحوليات، لأنهم كان يعيدون فيها النظر حولًا حولًا قبل ظهورها، فلم يعصمهم طول النظر، وكد الخواطر والفكر، من أن يلم بعضهم بكلام بعض.

ثم لا يرضىٰ مقرظ أبي الطيب حتىٰ يدعي له السلامة الكاملة من عيب لم يتكامل في أحد قط تكامله فيه. وأنىٰ له بالسلامة من ذلك وقد جاء علىٰ ساقة أهل الشعر بعد استيلاء الناس علىٰ حلو الكلام ومره، ونفعه وضره، وهذا الظلم الواضح والإفك الفاضح.

وسأدل أولًا علىٰ استعمال القدماء والمحدثين أخذ المعاني والألفاظ، ثم أعود إلىٰ تنخل شعر أبي الطيب ومعانيه، وإثبات ما أجده فيه من مسروقات قوافيه، التي لا يمكن فيها اتفاق الخواطر، ولا تساوي الضمائر، لأن ذلك يسوغ في النزر قليل، ويمتنع في المتواتر الكثير. وسأنصفه في كل ذلك، فما استحقه علىٰ قائله سلمته إليه، وما قصر فيه لم أدع التنبيه عليه، لئلا يظن بنا الناظر في كتابنا خورًا في قصد، أو تقصيرًا في نقد. وذلك يلزمنا إلحاق ما فيه عيب غير السرقة بالمسروق، خوفًا من أن يقول قائل قد تجاوز عن أشياء من الغثاثات واللحون والمحالات كانت أولىٰ من الذكر للمسارقات. هذا إن لم يعبر عنا بالغفلة عنها إلا لتجاوز لها.

وينبغي إذا علمنا علىٰ تسليم ما له من السرقات إليه، ورد المقصر منها عليه، أن أثبت لك وجوه السرقات، محمودها ومذمومها، وصحيحها وسقيمها، وأعرفك ما



يوجب للسارق الفضيلة، وما يلحقه الرذيلة، ليكون ما نورده له وعليه مقيسًا علىٰ أس قد أحكمناه، ونهج قد أوضحناه، وما غرضنا في ذلك الطعن علىٰ فاضل، ولا التعصب لقائل، وإنما غرضنا إفادتك ما استدعيناه، وكفايتك الفحص عما استكفيناه، لتظهر علىٰ خصمك، وتزداد قوة في علمك، وبالله نستعين، وعليه نتوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

هذه هي المقدمة الرائعة التي قدم بها ابن وكيع المصري بين يدي كتابه، وفيها كل الغناء لمعرفة قيمة الكاتب والكتاب.

وقد تحدث ابن وكيع بعد ذلك عن السرقات ووجوهها العشرة المحمودة، ومثيلاتها المذمومة حديثًا معجبًا مطربًا مركزًا شاملًا، ثم قال: «وقد عرفتك الآن وجوه السرقات محمودها ومذمومها، لتسلم من الحيف عليه، وتقضي في الحقائق بما له وعليه، مما أوجبه حكم السرقة من الإنصاف، ولقبنا كتابنا (المنصف) لما قصدنا من إنصاف السارق والمسروق منه».

وعقد بعد ذلك فصلًا ضافيًا عن أنواع البديع أو وجوهه، كما يعبر، ثم عقب عليه بقوله: «وقد قدمت لك من هذه الأقسام ما تقوىٰ به معرفتك بنقد الشعر فائقه ومقصره، وأطلعتك علىٰ سرائر رذله ومتخيره، لتفاضل بين الشعراء بأصل، وتنطق بعدل».

ثم شرع في مقصوده الأصيل، وهو بيان سرقات المتنبي. وقد نهج في تبيانها منهاجًا ممتازًا ذلك أنه تتبع شعر المتنبي تتبعًا تاريخيًا، وسايره بالنقد من أبياته الأولىٰ إلىٰ آخر قصيدة قالها. . .

وقد خلا كتاب المنصف من ذلك الثقل البغيض الذي يشيع الملل في نفس القارئ، والذي تحسه واضحًا قويًا في كتاب الوساطة. وما كان خلوه من ذلك



الثقل مصادفة ولا عفوًا، وإنما كان أمرًا قصد إليه المؤلف قصدًا، واحتال للخلاص منه احتيالًا، بإيراد الأخبار النادرة والمعاني الباهرة، كاملة غير مخدجة كلما اقتضىٰ المقام إيرادها، واستدعت المناسبة القوية ذكرها.

وقد نبه علىٰ صنيعه هذا في مواطن كثيرة يقول في أحدها: «وإنما قصدناه قصدًا، وأتيناه عمدًا، لأن موضوع الكتاب الفائدة للقارئ، ولسنا نأمن عليه من الإكثار عاقبة الإضجار بمعنىٰ واحد من السرقات، فنريد أن ننقله إلىٰ استماع شعر مطرب، أو خبر معجب، لنروح عن قلبه، ونجلو صدره، بما في الانتقال، من حال إلىٰ حال، من مداواة القلوب من الأملال».

ومما هو جدير بالذكر أن ابن وكيع قد اعتمد علىٰ ذوقه الخاص في نقد شعر المتنبي، ولم يقتصر علىٰ سرد أقوال السابقين من النقاد، كما صنع غيره من المؤلفين، وإنما أجال نظره، وأعمل فكره، وأدار عقله في شعاب شعره، ثم عبر عن مشاعره وآرائه وأحاسيسه وأفكاره في قوة ووضوح وثقة واعتزاز، ومن هنا كانت نفاسة الكتاب، وسمو منزلته بين كتب النقد الأدبي.

وقد حرص ابن وكيع في كتابه علىٰ أمرين عظيمين: نقد الصورة الشعرية ومحاولة إصلاحها، والموازنة المفصلة بين المعاني التي يتوارد عليها الشعراء. فقد ضرب في هذين اللونين من ألوان النقد بسهام وافرة، وأتىٰ فيها بما يعجب ويطرب، ويلذ ويشوق.

قرأ ابن وكيع قول المتنبي:

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزَالَا

فلم ترقه الصورة الشعرية، لأن المتنبي قد أفسدها بإقحامه (العنبر) بين المشبهات التي شبه بها محبوبته، وهي القمر، والغصن، والغزال، فقال: ووقوع



(فاحت عنبرًا) بين هذه التشبيهات التي هي أعضاء، قلة صنعة، وضيق عطن بما يليق في البيت، ولو قال (وماجت لجة) يريد رِدْفَهَا، كان البيت كله تشبيهات، وكان أحسن في صنعة الشعر، ولو جعل البيت بثلاثة تشبيهات فقال: (تثني مائدًا ورنت غزالا) لاكتفىٰ بذلك. وجميع البيت موجود في قول ابن الرومي:

إِنْ أَقْبَلَتْ فَالبَدْرُ لَاحَ وَإِنْ مَشَتْ فَالغُصْنُ مَالَ وَإِنْ رَنَتْ فَالرِّيمُ

وقال البحتري:

فَهِيَ الشَّمْسُ بَهْجَةً وَالقَضِيبُ الـ ـنَضْرُ لِينًا وَالرِّيمُ طَرْفًا وَجِيدَا

ويقرأ قول المتنبي:

بَكَيْتُ يَا رَبْعُ حَتَّىٰ كِدْتُ أَبْكِيكَا وَجُدْتُ بِي وَبِدَمْعِي فِي مَغَانِيكَا

فَعِمْ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي شَجَنًا وَارْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحِبُّوكَا

بِأَيِّ حُكْمِ زَمَانٍ صِرتَ مُتَّخِذَا رِئْمَ الفَلَا بَدَلًا مِنْ رِئْمِ أَهْلِيكَا

أَيَّامُ فِيكَ شُمُوسٌ مَا انْبَعَثْنَ لَنَا إِلا ابْتَعَثْنَ دَمًا لِلحَظِّ مَسْفُوكَا

فلا يعجبه البيت الأخير لأنه لا يشاكل البيت الذي قبله، ولا تتسق به الصورة الشعرية فيقول: «هذا بيت رديء الصنعة، لأنه كان في حديث الوحش ثم قال: (شموس) ولو قال (ظباء) كان قد أورد ما يجانس البيت الأول، وأحسن من قوله في بقية البيت قول أشجع:

وَإِذَا نَظَرتَ إِلَىٰ مَحَاسِنِها فَلِكُلِّ مَوضِعِ نَظْرَةٍ قَتْلُ

وقال أبو نواس:

رَسْمُ الكَرَىٰ بَينَ الجُفُونِ مَحِيلُ عَفَّىٰ عَلَيهِ بَكًا عَلَيهِ طَوِيلُ



يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعَتْ لَحَظَاتُهُ ... إِلَّا تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ

قال ابن وكيع: وقد أخذتُ هذا المعنىٰ فقلت:

لَا وَوَجْهٍ لَكَ يُبْدِي ... صَفْحَةَ السَّيْفِ الصَّقِيلْ

وسوادُ الشَّعْرِ الأسـ ... ـوَدِ فِي الخَدِّ الأَثِيلْ

وَعُيُونٌ لُكَ لَا تَطْـ ... ـرُفُ إِلَّا عَنْ قَتِيلْ

مَا جَمِيلُ الصَّبْرِ عَنْ مِثْـ ... ـلِكَ عِنْدِي بِجَمِيلْ

ومن ميز بن اللفظين عرف الفرق بينهما.

ويقرأ ابن وكيع قول المتنبي:

شَابَ مِن الهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ ... فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أَسْوَدُهَا

فيقول: «تخصيصه الشيب في فرق اللِّمَّة ضيق عطن بلفظ يعم جملة اللِّمَّة، وكان ينبغي إذا خصص فرق اللِّمَّة بالشيب أن يقول: (فصار مثل الدمقس أسوده) لعود الهاء علىٰ المذكر، ولو قال:

شَابَتْ لِهَجْرِ الحَبِيبِ لِمَّتُهُ ... فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أَسْوَدُهَا

كان في الصنعة أملح، وهو مأخوذ من قول القائل:

بَيْنِي عَنْهَ أَبَانَ فِي شَعْرِي ... أَبْيَضُهُ بَعْدَ حُسْنِ أَسْوَدِهِ

في هذا البيت مجانسة من ذكر البين والإبانة وفيه مطابقة، وفيه ضرب من استخراج معنىٰ احتذىٰ عليه، وإن فارق ما قصد به إليه، ومن ذلك قول امرئ القيس:

فَظَلَّ العَذَارَىٰ يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا ... وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ



فشبه الأبيض بالأبيض، فنقل أبو الطيب هذا التشبيه من الشحم إلىٰ الشيب وشبه الأبيض بالأبيض، ففي هذا البيت رجحان علىٰ ما قاله أبو الطيب، والسابق أولىٰ به.

ويقف ابن وكيع عند قول المتنبي:

وَقَابَلَنِي رُمَّانَتَا غُصْنِ بَانَةٍ ... يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ

ويقول: «إضافة الرمانتين إلىٰ غصن البانة تدل علىٰ أن أغصان البان من ثمرها الرمان، وقد عرفنا مقصده، إنما شبه الثديين بالرمانتين، وقدها بالغصن، وأرانا جمع خلفها غرائب لا تجتمعن ولا تقع إلا فيه، ولو أمكنه أن يقول: (رمانتان في غصن بانة) كان أسوغ في مقصده كما قال ابن الرومي:

أَغْصَانُ بَانٍ عَلَيْهَا الدَّهْرُ فَاكِهَةٌ ... وَمَا الفَوَاكِهُ مِمَّا يَحْمِلُ البَانُ

فكل يعجب مما ليس في العادة اجتماعه. فأما إطلاقه اللفظ علىٰ الرمان أنه من ثمر البان بغير مقدمة توضح مراده فلا أستحسنه ها هنا. وقوله: (يميل به بدر) فالبدر وجهه، وليس يميل وجهه بقده، لأن قده إذا مال، مال يوجهه حيث يميل. وابن الرومي أشعر منه في إثباته أن الفواكه ليست مما يحمل البان، فدل علىٰ أن المراد التشبيه لا الحقائق، وهو أولىٰ به. وهذه معان متداولة إذا نشط لأحدها فلابد من إخراج مواضعها، ومع ذلك فقد عرفتك نقصان صنعته فيها، وكلاهما بالسلامة أرجح وهما أولىٰ بما قالا».

ويوازن ابن وكيع بين قول المتنبي:

هُمُ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُم مِنْ مَكَارِمٍ ... تُغَنِّي بِهِم حَضَرٌ وَيَحْدُو بِهِم سُفْرُ

وبين قول ابن الرومي:

وَقَدْ سَارَ شِعْرِي شَرْقَ أَرْضٍ وَغَربِهَا   وَغَنَّىٰ بِهِ الحَضَرُ الْمقِيمُونَ وَالسُّفْرُ

فيقول: «فألفاظ بيت ابن الرومي يأخذ بعضها بأعناق بعض، وقد عرف (الحضر والسفر) بالألف واللام، فيمكن أن يقال: إن الناس كلهم قد عنوا به، وأبو الطيب نكر، فأمكن أن يكون المعنىٰ فرقة من الحضر وفرقة من السفر. وإذا كان كلام ابن الرومي أشرح وأمدح بإمكان العموم فيما خص فيه أبو الطيب، فابن الرومي أحق بما قال. ولعل قائلا أن يقول: جمع أبو الطيب حالتي الغناء والحداء فصارت له زيادة، فإنه إنما يحتسب له بذلك لو كان الغناء لا يكون إلا في الحضر، فإذا صلح للحضر والسفر، لم يصح تقسيمه، وقد قال عمر بن الخطاب: نعم زاد الراكب، فجعله بمنزلة الزاد للمسافر».

ويقرأ ابن وكيع قول المتنبي يخاطب حَادِيِي عِيرَ حبيبته:

قِفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَلَا   أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُهَا

فيقول: «معنىٰ هذا البيت غير غريب، ولكن أبا الطيب لا يحقر شيئًا، بل يأخذ الشعر الرفيع والوضيع، وهو في هذا الأخذ كما قال ابن المعتز في العشق:

قَلْبِي وَثَّابٌ إِلَىٰ ذَا وَذَا   لَيْسَ يَرَىٰ شَيْئًا فَيَأْبَاه

يَهِيمُ بِالحُسْنِ كَمَا يَنْبَغِي   وَيَرْحَمُ القُبْحَ فَيَهْوَاه

فيجب علينا الاهتمام بما اهتم، وهذا البيت من قول ذي الرُّمَّة:

فَإِنْ لَم يَكُنْ إِلَّا تَعَلُّلَ سَاعَةٍ   قَلِيلٍ فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

وهو من قسم المساواة، وقال ابن أبي فنن:

مَا ضَرَّ لَوْ زَوَّدْتَ خِلَّكَ نَظْرَةً   قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقُلْتَ قَوْلًا يَجْمُلُ



إلىٰ آخر ما هنالك من النفائس التي تضمنها كتاب (المنصف)[١].



(١) سقط سهوًا أثناء جمع القسم الأول من كلمتي عن كتاب (المنصف) لابن وكيع المصري جملة لا مناص من ذكرها، وهي: " وعند صديقي الدكتور خليل محمود عساكر المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول صورة من هذه النسخة الفريدة ظفر بها قبيل الحرب الأخيرة بأيام قلائل، وقد كتب علىٰ الصديق الفاضل أن يظل في ألمانيا مدة الحرب كلها ". وإني انتهز فرصة هذا التصويب وأتوجه إلىٰ الدكتور خليل بخالص الشكر وجزيل الثناء.



رسالة النقد:
نظرات في كتاب الأشربة[1]

(١ - ٧)

اختلفت كلمة العلماء في (الأشربة) منذ فجر الإسلام، وذهبوا في موقعها من الحل والحرمة مذاهب شتىٰ، ولجت بينهم الخصومة وابتغىٰ كل فريق أن يظهر علىٰ خصمه، ويدفع عن رأيه، فماج الشك في عقول الناس وأفكارهم وتداخلتهم الحيرة، وتنازعتهم الروايات المتشاجنة، والأحاديث المتباينة، وكانوا منها في أمر مريج.

وقد ألف في الأشربة كثير من العلماء وممن ألف فيها أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفىٰ سنة٢٧٦هـ، وقد ظل هذا الكتاب مطويا في الخزائن حتىٰ عثر عليه المستشرق الفرنسي (أرتوركي) فأعجب به ونشر أكثره في سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م في مجلة (المقتبس) التي كان يصدرها في القاهرة الأستاذ محمد كرد علي. وقد رأىٰ الأستاذ أن الكتاب خليق بالعناية، جدير بأن يطبع مستقلا، فبذل وسعه في تحقيقه وأدرجه في مطبوعات المجمع العلمي، وقدم له بمقدمة طويلة يبدو أنها جاءت وحي ساعتها، وفيض جلستها، لم يجمع لها عزما، ولم يشحذ فهما، ولم يعمل فكرا؛ وإنما أطلق لقلمه العِنان يجول هنا وهناك حسبما توحي به

(١) مجلة الرسالة، السنة السابعة عشرة، عدد ٨٢٩ وما بعده، سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ٩٠٢.



النظرة الطائرة، والفكرة العابرة، والهوىٰ الجموح.

ومما جاء في هذه المقدمة العجيبة قول الأستاذ في ص٤: «اشتد ابن قتيبة علىٰ مخالفيه ولاسيما المعتزلة منهم، وفي كتابه تأويل مختلف الحديث طعن مبرح في الجاحظ قال فيه: «إنه أكذب الأمة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل»، فتجلىٰ حسده تجليا ظاهرا. هجن ابن قتيبة الجاحظ وكفره، ورماه بأعظم كبيرة وهي الكذب، وسجل عليه أنه أكذب واحد في الأمة، لأنه كتب أشياء تنفع في تربية العقول في الدنيا، كما كتب كل ما ينفع في الدين، وابتدع أدبا يسلي ويعلم، فهل من العدل أن يرمىٰ بوضع الحديث، وتشدده وتشدد أهل مذهبه في تحري السليم من السقيم في الحديث لا يحتاج إلىٰ دليل؟».

إن ابن قتيبة لم يظلم الجاحظ، ولم يهجنه حسدا من عند نفسه، ولم يتهمه بالكذب لما زعمه الأستاذ، بل أنصفه وقال فيه ما له كاملا غير منقوص، ونقده في بعض رأيه بما لا يسع المسلم الحقيقي إلا نقده ورده علىٰ قائله كائنا من كان. وإليك نص كلام ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث، جاء في ص٧١ من هذا الكتاب ما يلي: «ثم نصير إلىٰ الجاحظ وهو آخر المتكلمين، والمعاير علىٰ المتقدمين، وأحسنهم للحجة استثارة، وأشدهم تلطفا لتعظيم الصغير حتىٰ يعظم، وتصغير العظيم حتىٰ يصغر، ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشيء ونقيضه، وتجده يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبيذ، ويستهزء من الحديث استهزاء لا يخفىٰ علىٰ أهل العلم؛ كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان، وذكر الحجر الأسود أنه كان أبيض فسوده المشركون وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا، ويذكر الصحيفة التي كان فيها المنزل في الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة، وأشياء من أحاديث أهل الكتاب في تنادم الديك والغراب، ودفن الهدهد أمه في رأسه، وتسبيح الضفدع وطوق الحمامة، وأشباه



هذا مما سنذكره فيما بعد إن شاء الله، وهو مع هذا من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل».

هذا هو رأي ابن قتيبة في الجاحظ وهو يلقف ما يقوله عنه الأستاذ. ولست أدري كيف استباح لنفسه الطعن في ابن قتيبة بذلك الأسلوب التهكمي مع أنه لم يستطع أن ينقد مما قاله حرفا واحدا، أتراه كان ينتظر منه تقريظ الجاحظ لاستهزائه بحديث الرسول؟

وإن تعجب فعجب قول الأستاذ بعد ذلك: «وكيف لعمري قضىٰ ابن قتيبة علىٰ خصمه في مذهبه هذا القضاء وهو القائل في عيون الأخبار من تأليفه: وليس الطريق إلىٰ الله واحدا، بل الطرق إليه كثيرة، وأبواب الخير واسعة، وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير».

ما هذا الكلام؟ وماذا يريد الأستاذ بإيراده؟ بل ما معناه؟ وما علاقته بالموضوع؟ ولست أدري ولعل الأستاذ وحده يدري!

وأعجب مما سبق قول الأستاذ بعد ذلك عن ابن قتيبة: «ورمىٰ أيضا أبا الهذيل العلاف بما ليس فيه ووصفه بأنه كذاب أفاك، وطعن فيه أشنع طعن. وكذلك كان حظ ثمامة بن الأشرس منه وهما الأئمة؛ ورمىٰ هذا برقة الدين وتنقص الإسلام والإستهزاء به. وطعن في النظام أيضا وهو الذي رد علىٰ الملحدين والدهريين شطرا كبيرا من عمره».

من أين علم الأستاذ أن ابن قتيبة افترىٰ علىٰ أبي الهذيل الكذب ووصفه بما ليس فيه؟ هل قرأ كتب التوحيد وألفىٰ فيها ما يكذبه؟ هل قرأ كتب التراجم ووجد فيها تكأة له في تكذيبه؟ إنه لم يقرأ شيئا من هذه ولا تلك! وآية ذلك أن وصف ابن قتيبة



له بالبخل ورقة الدين مسطور فيها جميعا، وقد كرر الجاحظ في كتبه وصفه له بالبخل وقال عنه: «إنه كان أبخل الناس»، ووصفه كذلك بأوصاف كثيرة وفي طليعتها النفاق، واتفق المترجمون له والباحثون لمذهبه في كتب التوحيد علىٰ أن دينه كان أوهىٰ من بيت العنكبوت. قال الخطيب البغدادي في ترجمته ٣/ ٣٦٦: «وكان أبو الهذيل خبيث القول، فارق إجماع المسلمين ورد نص كتاب الله إذ زعم أن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيها حتىٰ لا ينطقوا ولا يتكلموا بكلمة، فلزمه القول بانقطاع نعيم الجنة عنهم والله يقول: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾، وجحد صفات الله التي وصف بها نفسه، وزعم أن علم الله هو الله، وقدرة الله هي الله، فجعل الله علما وقدرة، تعالىٰ الله عما وصفه علوا كبيرا».

ومذهب أبو الهذيل في انتهاء حركات أهل الجنة والنار قريب من مذهب جهم بن صفوان الذي زعم أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنىٰ من فيهما حتىٰ لا يبقىٰ إلا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه. بل إن مذهبه شر من مذهب جهم كما يقول البغدادي في (الفَرْق بين الفِرَق): «لأن جهما وإن قال بفناء الجنة والنار فقد قال: إن الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما. وأبو الهذيل زعم أن ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات علىٰ تحريك ساكن أو إحياء ميت أو إحداث شيء»، ويقول البغدادي عنه أيضا في ص٧٢: «وفضائحه تترىٰ، تكفره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه في الاعتزال ومن غيرهم».

أفبعد ذلك يصر الأستاذ علىٰ اتهام ابن قتيبة بأنه وصف أبا الهذيل بما ليس فيه طعنا بغير الحق وتشنيعا؟

وكما كان بن قتيبة صادقا منصفا في حكمه علىٰ أبي الهذيل العلاف فإن كان كذلك صادقا منصفا في حكمه علىٰ ثمامة بن الأشرس بأنه كان ينتقص الإسلام ورسول الإسلام ويحقد عليهما حقدا غليظا، ولا أريد أن أنقل من حصائد لسانه



في ذلك شيئا، وحسبي أن أنقل للأستاذ الناشر ماذا قاله البغدادي عنه في ص١٠٢، ١٠٤: «وكان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق، وانفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما».

وأما طعن ابن قتيبة في النظام فيكفي في تبريره فوق ما ذكره بالتفصيل في كتابه؛ قول البغدادي في ص٨٠: «وجميع فرق الأمة من فريقي الرأي والحديث مع الخوارج والشيعة والنجارية وأكثر المعتزلة متفقون علىٰ تكفير النظام».

ولعل الأستاذ (محمد كرد علي) يؤمن بعد هذا بأن ابن قتيبة لم يغال «في طعنه بما لا يناسب عظمة علمه وأخلاقه» وإنه إنما انتهج النهج الذي رسمه لنفسه وهو أن يصحر برأيه فيما ارتأىٰ، لا يظلم الخصم ولا يؤثر الهوىٰ. . .

(٢ - ٧)

ثم يقول الأستاذ محمد كرد علي: «ولما عزمت هذه الأيام علىٰ طبعه، تفضل صديقي الأستاذ عباس العزاوي وأرسل لي نسخة من مخطوطة خزانته من هذا الكتاب، معارضة علىٰ نسخة أخرىٰ، وبوجود ثلاث نسخ منها سهل الاهتداء إلىٰ أصح روايات المؤلف، فجاءت هذه الطبعة صحيحة علىٰ ما يحب المؤتمنون علىٰ نصوص القدماء».

حسب الأستاذ أن ظفره بهذه النسخ قد هداه إلىٰ أصح روايات الكتاب ومكنه من نشره نشرا علميا صحيحا يرضي النقاد الأمناء علىٰ تراث العرب، وليس ذلك من الحق في شيء. فإنه لم يفطن إلىٰ أصح الروايات إلا قليلا، وخرج الكتاب من بين يديه مفعما بالتحريف، مترعا بالتصحيف، ووقعت في حواشي الكتاب التي صنعها أوهام لغوية غريبة عجيبة ما كنت لأعني لتبيانها لولا أن الأستاذ رئيس للمجمع العلمي العربي بدمشق وعضو في مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة.



١- جاء في ص٧٤: «وماذا يقولون في رجل زنىٰ وهو لا يعلم أن الله حرم الزنا؟ وآخر زنىٰ وهو يعلم أن الزنا من الكبائر التي تسخط الرب وتوجب النار؟ أيهم أقرب إلىٰ السلامة وأولىٰ من الله بالعفو؟ أو ليس أهلَ العلم علىٰ أن الذي لا يعلم لا حد عليه من جلد وتعزير ولا رجم؟ وأن علىٰ الآخر حد البكر إن كان بكرا وحد المحصن إن كان محصنا؟ فهذه أحكام الدنيا وأما أحكام الآخرة فلولا كراهة التَّأَلّي علىٰ الله لقلنا في الذي ركب الفاحشة وهو لا يعلم أن الله حرمها، معفو عنه».

وعلق الأستاذ علىٰ ذلك بقوله: «التألي: التكبر»!!!

وهذا شرح ينبو عنه الذوق، ولا يسوغ في شرعة العقل والدين، ولا يتصور أن يكون التكبر علىٰ الله قد دار بخلد ابن قتيبة أو طاف بفكره عندما كتب هذا الكلام، إن ابن قتيبة لم يقصد بكلمة (التألي) إلا معناها المشهور وهو القسم والحكم علىٰ الله. جاء في لسان العرب: «وقد تَأَلَّيْتُ، وائْتَلَيْتُ: أَقْسَمْتُ، وفي الحديث: (من يتأل علىٰ الله يكذبه): أي من حكم عليه وحلف، كقولك: والله ليدخلن الله فلانا النار، وينجحن الله سعي فلان، وفي الحديث: (ويل للمتألين من أمتي)، يعني الذين يحكمون علىٰ الله ويقولون: فلان في الجنة وفلان في النار».

وسيرىٰ القارئ بإذن الله من أمثلة هذا الشرح العجيب ما يستنفد عجبه ويستفرغ دهشته.

٢- ص١٥: يقول ابن قتيبة في معرض حديثه عن الله وإكرامه لأمة محمد ﷺ: «وأوسع لنا من طيب الرزق، وحرم علينا الخبائث، ولم يجعل في الدين من حرج، ولا خطر بالاستعباد إلا ما جعل معه الخلف الأطيب والبذل الأوفر رحمة منه وبرا ولطفا وعطفا». وليس للبذل هنا أي معنىٰ، والصواب (البدَل الأوفر).



٣- ص١٦: تحدث ابن قتيبة عن اختلاف الناس في الأشربة: «حتىٰ يحتاج ابن سيرين مع ثاقب علمه وبارع فهمه إلىٰ أن يسأل عَبِيدَةَ السَّلْمَاني عن النبيذ، وحتىٰ يقول له عَبِيدَةُ - وقد لحق خيار الصحابة وعلماءهم منهم علي وابن مسعود -: اختلف علنا في النبيذ - وفي رواية أخرىٰ - آخذت الناس أشربة كثيرة فمالي شراب منذ عشرين سنة إلا من لبن أو ماء أو عسل».

وعلق الأستاذ ذلك بقوله: «في ع: علينا والغالب أنها علنًا» ، وقد أخطأ في تصويبه، ولم يدرك أن (اختلف) مبني للمجهول. والصواب «اختُلف علينا في النبيذ - وفي رواية أخرىٰ - أحدث الناس أشربة كثيرة...».

وابن سيرين هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري، روىٰ عن مولاه أنس بن مالك وزيد بن ثابت وأبو هريرة وعائشة وطائفة من كبار التابعين. قال ابن سعد: وكان ثقة مأمونا غاليا رفيعا فقيها إماما كثير العلم. مات سنة عشر ومائة.

وقد ترجم ابن قتيبة لعَبِيدَةَ السَّلْمَاني في كتاب المعارف ص١٨٨ فقال: «هو عبيدة بن قيس السلماني من مراد. قال ابن سيرين: قال عبيدة : أسلمت قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين فصليت ولم ألق رسول الله. ومات سنة اثنتين وسبعين».

٤- ص١٧ : ذكر ابن قيبة أنه بين مذاهب الناس في الشراب وحجة كل فريق: «لعل الله يهدي به مسترشدا، ويكشف من غمة، وينقذ من حيرة، ويعصم شاربا ما دخل علىٰ الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة...».

والصواب: «ويعصم شاربا مما أُحِلَّ علىٰ الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة...». قال ابن قتيبة ص٣٦ «... وتتابع الناس في الأشربة المسكرة علىٰ التأويل...».

٥- ص١٧ يقول ابن قتيبة: «قد أجمع الناس علىٰ تحريم الخمر بكتاب الله إلا



قوما من مَجّان أصحاب الكلام وفساقهم لا يعبأ الله بهم. . .».

هكذا ضبط الأستاذ (مَجان) بفتح الميم والصواب ضمها.

٦- ص١٨: ذكر ابن قتيبة بعض أقوال هؤلاء المُجّان ثم عقب عليه بقوله: «وليس للشغل بهؤلاء وجه، ولا لتشقيق الكلام بالحجج عليهم معنىٰ؟ إذ كانوا ممن لا يُجْعَلُ حجة علىٰ إجماع، و إذ كان ما ذهبوا إليه لا يختل علىٰ عاقل ولا جاهل».

والصواب (لا يُخِيلُ) أي: لا يشكل من قولهم، هذا شيء لا يخيل علىٰ أحد: أي لا يلتبس أو يجوز عليه.

٧- ص٢١: قال الشاعر:

نَبِيذٌ إِذَا مَرَّ الذُّبَابُ بِدَنِّه تفطر أَوْ خَرَّ الذُّبَابُ وَقِيذَا

والصواب (تَقَطَّرَ) بالقاف لا بالفاء، جاء في لسان العرب: «طَعَنَهُ فَقَطَّرَهُ، أي ألقاه علىٰ قُطرِهِ أي جانبه، فَتَقَطَّرَ أي سقط. وقال الليث إذا صرعت الرجل صرعة شديدة قلت قطرته وأنشد:

قَدْ عَلِمَت سَلْمَىٰ وَجَارَاتُها مَا قَطَّرَ الفَارِسَ إِلَّا أَنَا

٨- ص٢١: وقال آخر:

تَرَكْتُ النَبِيذَ وَشُرَّابَهُ وَصِرتُ حديثا لِمَنْ عَابَهُ

شَرَابًا يَضِلُّ سَبِيلَ الرَّشَادْ وَيَفْتَحُ لِلشَّرِ أَبْوابَهُ

والصواب كما في العقد الفريد ٤/٣١٩: «وَصِرْتُ خَدِينًا» و «شَرَابٌ يَضِلُّ».

٩- ص ٢١: «عن عمر بن شيبة بن أبي كبير الأشجعي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «خدر الوجه من النبيذ تتناثر منه الحسنات».



والصواب عن عمر بن شيبة بن أبي كثير الأشجعي ، كما في الإصابة ٣/ ٢١٨ - ٢١٩، ولسان الميزان ٤/ ٣١٢، ومجمع الزوائد ٤/ ٢٣٠، والجرح التعديل ٣/ ١١٥ من القسم الأول. والحديث مذكور في الإصابة ٣/ ٢١٩ وفي لسان الميزان ٤/ ٤٨٢ - ٤٨٣ وهو حديث منكر. وشيبة بن أبي كثير هذا هو الذي داعب امرأته فماتت من وقع يده عليها في غزوة تبوك. وقد سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: (لا ترثها)، كما في الإصابة ومجمع الزوائد من رواية ابنه عمر عنه.

١٠- ص٢٢: «وحدثني سبابة عن عمرو بن حميد عن كبير بن سليم قال: حدثني أصحاب أنس عنه أنه كان شرب النبيذ الصلب الذي يكون في الخوابي».
والصواب: «وحدثت شَبَّابَةُ. . . عن كَثِيرِ بنِ سَلِيم». وهو شَبَّابَةُ بنُ سَوَّارٍ المتوفىٰ ست ومائتين كما في تهذيب التهذيب ٤/ ٣٠٠، والمعارف لابن قتيبة ص٢٢٩، وخلاصة تهذيب الكمال ص١٤٢، وطبقات ابن سعد ٧/ ٦٦ .

وأما كَثِيرُ فهو كما جاء في خلاصة تذهيب الكلام ٢٧٢: «كَثِيرُ بنُ سَلِيمِ الضبي، أبو سلمة المدائني، روىٰ عن أنس، قال أبو حاتم: وهو منكر الحديث.

١١- ص ٢٢، ٢٣: قال ابن قتيبة: «وأما المسكر فإن فريقا يذهبون إلىٰ أن كل شيء أسكر كثيره كائنا ما كان ولو بلغ فرقا فقليله كائنا ما كان ولو كان مثقال حبة من خردل حرام. . . عن عائشة رحمة الله عليها أن النبي ﷺ قال: **«كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق فالحسوة منه حرام»** ».

شرح الأستاذ كلمة (الفرق) بقوله: «الفرق بكسر الفاء القسم من كل شيء».
والصواب (الفَرَق) بفتح الفاء والراء قال ابن قتيبة في ص١٠٩ من هذا الكتاب: «والعوام يقول الفَرْق بسكون الراء، ويذهبون إلىٰ أنه مائة وعشرون رطلا علىٰ ما اصطلحوا عليه في فَرْقِ الدَّوْشَاب. ومن في وسعه أن يشرب مائة وعشرين رطلا حتىٰ يعلم ما يسكر منه هذا المقدار من الشراب؟ وإنما هو الفَرَق بنصب الراء،



وهو ستة عشر رطلا قال خِدَاشُ بنُ زُهَيْر:

يَأْخُذُونَ الأَرْشَ مِنْ إِخْوانِهِم فَرَقَ السَّمْنِ وَشَاةً فِي الغَنَم

وللعرب أربعة مكاييل مشهورة: المد، والصاع، والقِسْط، والفَرَقُ، وهو ستة عشر رطلا، ستة أقساط في قول الناس جميعًا».

١٢- ص ٢٥: «قيل للعباس بن مِرْدَاس - بعدما آمن وأسلم -: قد كبرت سنك، ودق عظمك، فلو أخذت من هذا النبيذ شيئا يقويك! فقال: أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم! وآليت ألا يدخل رأسي ما يحول بيني وبين عقلي».
والصواب: (ورق عظمك... سفيههم آليت...)

١٣- ص٢٧: «ودخل أمية بن خالد بن أسيد علىٰ عبدالملك بن مروان وبوجهه آثار فقال: ما هذا؟ فقال: قمت الليل فأصاب الباب وجهي، فقال عبدالملك:

رَأَتْنِي صَرِيعَ الخَمْرِ يَومًا فَسُؤْتُهَا وَلِشَارِبِيهَا المُدْمِنِيهَا مَصَارِعُ

فقال أمية: لا آخذني الله بسوء ظنك يا أمير المؤمنين. فقال: بل لا آخذني الله بسوء مصرعك».

والصواب: «ودخل أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد». والقصة موجودة في العقد ٤/ ٣٢١، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣٢٦، وقد ذكر ابن قتيبة (أمية بن عبدالله) في عدة مواضع من كتاب عيون الأخبار، وقد ورد في الجزء الأول منه ص١٦٦ هذا النص: «وقال عبدالملك بن مروان في أمية بن عبدالله بن خالد:

إِذَا صَوَّتَ العُصْفُور طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِندَ الثَّرَائِدِ

وهو خطأ لأن عبدالملك لم يقل هذا البيت وإنما قاله عمرو بن حرثان. روىٰ العُتْبِيُّ أن عبدالملك بن مروان قال لأمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد: مالك



بعمرو بن حرثان حيث يقول فيك:

إِذَا هَتَفَ العُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ ... وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ

فقال: يا أمير المؤمنين، وجب عليه حد فأقمته.

فقال: هلا درأت عنه بالشبهات؟

فقال: الحد أبين، وكان رَغْمُهُ عَلَيَّ أهون.

فقال عبدالملك: يا بني أمية أحسابكم وأنسابكم لا تعرضوها للهجاء، وإياكم وما سار به الشعر، فإنه باق ما بقي الدهر، والله ما يسرني أني هجيت بهذا البيت وأن لي ما طلعت عليه الشمس:

يَبِيتُونَ فِي المَشْتَىٰ مِلَاءً بُطُونُهُم ... وَجَارَاتُهُم غَرْثَىٰ يَبِتْنَ خَمَائِصَا

وما يبالي من مدح بهذا البيتين ألا يمدح بغيرهما:

هُنَالِكَ إِنْ يُستَخْبَلُوا المَالَ يُخْبَلُوا ... وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا

عَلَىٰ مُكْثِرِيهِم رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهُمُ ... وَعِندَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالبَذْلُ

راجع أخبار أمية بن عبدالله مع أبي فديك الخارجي في الطبري ٧/ ١٩١-١٩٥ .

١٤- ص٢٨: «وكان ابن هَرْمَةِ الشاعر في شرفه ونسبه وجوده يشرب الخمر بالمدينة ويسكر فلا يزال الشُّرَط وقد أخذوه ورفعوه إلىٰ الوالي في المدينة فحده...» والصواب: «فلا يزال الشرط قد أخذوه... في المدينة يحده».

١٥- ص٣٠: «وحدثنا الرِّيَاشِي عن الأصمعي قال: كان عقيل بن علقمة المري غيورا...».

والصواب: (عَقِيل بنُ عُلَّفة). قال البغدادي في خزانة الأدب ٢/ ٢٨٧: «و



عقيل بفتح العين، وكسر القاف، وعلفة بضم العين المهملة، وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء، وهو عَلَم منقول من واحد العَلَفِ وهو ثَمَرُ الطَّلْعِ».

ونقل الشريف المرتضىٰ في آمالية ٢/ ٤٠ معنىٰ (العُلَّفَة) عن ابن الأعرابي وأبي سعيد السكري، وكرر ابن قتيبة ذكر عَقِيلِ بنِ عُلَّفَة في عيون الأخبار، وقد ترجم له أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ترجمة طويلة ١١/ ٨٥ - ٩٣ قال فيها: «وعقيل شاعر مجيد مقل، من شعراء الدولة الأموية، وكان أعرج جافيا شديد الهوج والعجرفية والبذخ بنسبه في بني مرة، لا يرىٰ أن له كفؤا، وكانت قريش ترغب في مصاهرته، تزوج إليه حلفاؤها وأشرافها».

(٣ - ٧)

١٦- ص٣١: يقول ابن قتيبة: «وقد فضح الله بالشراب أقواما من الأشراف فحدوا، ودونت في الكتب أخبارهم، ولحقت بتلك السبة أعقابهم، منهم الوليد بن عقبة، شهد عليه أهل الكوفة بشرب الخمر، وأنه صلىٰ بهم الغداة وهو سكران وقال: أزيدكم يشهد الله بذلك، وبمنادمة أبي زُبَيْدٍ الشاعر - وكان نصرانيًا - فحده هناك عمرو بن العاص سرًا، فلما قدم علىٰ عمر ﷺ جلده حدًا آخر».

وهذا نص مضطرب أشد الاضطراب؛ يشوه وجه الحق والتاريخ معًا. فإن الوليد بن عقبة لم يكن واليًا للكوفة في عهد عمر، وإنما وليها في عهد عثمان بن عفان، ولم يذهب عمرو بن العاص إلىٰ الكوفة ليحده هناك، ولم يُحد الوليد في الكوفة وإنما حد في المدينة، ولم يشترك عمرو بن العاص في حده بسبب من الأسباب. والذي حده عمرو في مصر سرًا وأعاد عليه عمر بن الخطاب هو عبيد الله بن عمر بن الخطاب، كما ذكر المؤرخون، وكما ذكر ابن قتيبة نفسه في هذا الموضع من كتاب الأشربة.



وقد ضلت تلك الحقائق التاريخية عن ذهن كرد علي، ولو وجد ريحها لأحس أن في الكلام سقطًا لا يستقيم معناه إلا بذكره. وهو كما جاء في العقد نقلًا عن ابن قتيبة: «... وأنه صلىٰ بهم الغداة وهو سكران ثم التفت إليهم فقال: إن شئت زدتكم. فجلده علي بن أبي طالب بين يدي عثمان وكان نديمه أبو زُبَيْدٍ الطائي، وفيه يقول الحطيئة:

شِهَدَ الحُطَيْئَةُ يَومَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ ... أَنَّ الوَلِيدَ أَحَقُّ بِالعُذْرِ

نَادَىٰ وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمُ ... لِيَزِيدَهُم خَيرًا وَلَا يَدْرِي

لِيَزِيدَهُم خَيرًا وَلَو قَبِلُوا ... لَجَمَعْتَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالوَتْرِ

كَبَحُوا جِمَاحَكَ إِذْ جَرَيتَ وَلَو ... تَرَكُوا عِنَانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي

ومنهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحده هناك عمرو بن العاص سرًا. فلما قدم علىٰ عمر رضي الله عنه جلده حدًا آخر».

١٧- وفي ص ٣٢: ذكر ابن قتيبة أبيات الأخطل في نديمه العباس بن عبدالله بن العباس التي أولها:

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَىٰ التِّجَارِ بِمُسْمِحٍ ... هَرَّتْ عَوَاذِلُهُ هَرِيرَ الأَكْلُبِ

خَضْلُ الكِّيَاسِ إِذَا تَمَشَّىٰ لَمْ يَكُنْ ... خُلُفًا مَوَاعِدُهُ كَبَرْقِ خُلَّبِ

وَإِذَا تغورت الزُّجَاجَةُ لَمْ يَكُنْ ... عِنْدَ الشَّرَابِ بِفَاحِشٍ مُتَقَطِّبِ

مر الأستاذ علىٰ البيتين الأخيرين ولم يعقب، لأنه لم يدرك معناهما، ولو أدركه لأصلح ما فيهما من خطأ. وصواب البيت الأول منهما: (خَضْلُ الكِّيَاسِ إِذَا تَشَتَّىٰ) والخضل: النَدِيّ، والكياس جمع كأس، وتشتىٰ: أي دخل في الشتاء. وصواب البيت الثاني: (وإذا تُعِوِّرَت الزُّجَاجَة)، من التعاور وهو التداول.



١٨- ص ٣٢: ذكر ابن قتيبة أن من المفضوحين بشرب الخمر: «عبدالرحمن بن عبدالله الثقفي القاضي بالكوفة، فُضِح بمنادمة سَعْدِ بنِ هُبَار، فقال حارثة بن بدر:

نَهَارُهُ فِي قَضَايَا غَيرُ عَادِلَةٍ ... وَلَيْلُهُ فِي هَوَىٰ سَعْدِ بنِ هُبَارِ

مَا يَسْمَعُ النَّاسُ أَصْوَاتًا لَهَا عَرَضَتْ ... إِلَّا دَوِيًّا دَوِيِّ النَّحْلِ فِي الغَّارِ

فَأَصْبَحَ القَومُ أطلاقًا أَضَرَّ بِهِم ... حَثُّ المَطِيِّ وَمَا كَانُوا بِسُفَّارِ

يَدِينُ أَصْحَابُهُ فِيمَا يَدِينَهُمُ ... كَأْسًا بِكَأْسٍ وَتَكْرَارًا بِتَكْرَارِ

ولست أدري كيف فهم (كرد علي) معنىٰ أن القوم أصبحوا (أطلاقًا)، وهي لا معنىٰ لها لأنها محرفة وصوابها: (فَأَصْبَحَ القَوْمُ أَطْلَاحًا)، جاء في لسان العرب: «الطَّلْحُ والطَّلَاحَة: الإعياء، وجمع طَلْح: أَطْلَاح وَطِلَاح».

١٩- ص ٣٤: يتابع ابن قتيبة حديثه عمن فضح بالشراب فيقول: «ومنهم خالد بن عمرو الزبير، وفيه يقول القائل:

إِذَا أَنْتَ نَادَمْتَ العَتِيرَ وَذَا النَّدَىٰ ... حبيرًا وَعَاطَيْتَ الزُّجَاجَةَ خَالِدَا

أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللهِ أَنْ تُقْرَعَ العَصَا ... وَأَنْ يُوقِظُوا مِن رقدة السُّكْرِ رَاقِدَا

وَصِرْتَ بِحَمْدِ اللهِ فِي خَيرِ فِتْيَةٍ ... حِسَانِ الوُجوهِ لَا تَخَافُ العَرَابِدَا

والعجب عندي من قوله: وأن يوقظوا من نومة السكر راقدًا، وأكثر ما يوقظ السكران للصلاة، أفتراهم حمدهم علىٰ تركه إيقاظه للصلاة إذا سكر».

والصواب: (وَذَا النَّدَىٰ جُبَيْرًا)، والرواية الصحيحة التي رواها ابن قتيبة كما ذكرها في الجملة السابقة هي: (وَأَنْ يُوقِظُوا مِنْ نَوْمَةِ السُّكْرِ رَاقِدَا). ولكن الأستاذ لم يفطن لذلك التخالف البَيِّنْ بين رواية البيت والرواية التي يتحدث عنها ابن قتيبة.



وصواب الجملة الأخيرة: «. . . أفتراه حمدهم. . .». علىٰ أن في هذا النص خطأ تاريخيًا كبيرًا لم يلحظه الأستاذ، وهو من أوهام الناسخين الماسخين وليس من أوهام المؤلف، فإن ابن قتيبة لم يقل: (ومنهم خالد بن عمرو بن الزبير) وإنما قال: (ومنهم خالد بن أبي أيوب الأنصاري) وقد أشار إلىٰ ذلك في كتاب المعارف ص ١٠٥، ١٠٦ في ثنايا حديثه عن سُهَيْلِ بن عبدالرحمن بن عوف، قال: «ولسهيل عقب بالمدينة، منهم عَتِيرُ بنُ سُهَيْلٍ وكان صاحب شراب وفيه يقول الشاعر:

إِذَا أَنْتَ نَادَمْتَ العَتِيرَ وَذَا النَّدَىٰ جُبَيْرًا وَعَاطَيْتَ الزُّجَاجَةَ خَالِدَا

وجبير هو ابن أيمن ابن أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، وخالد هو ابن أبي أيوب الأنصاري».

ولم يسم ابن قتيبة قائل هذا الشعر لا في كتاب المعارف ولا في كتاب الأشربة، وهو السَّرِّيُّ بن عبدالرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري. قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ١٨/ ٢٥: «والسَّرِّيُّ شاعر من شعراء أهل المدينة، وليس بمكثر ولا فحل، إلا أنه كان أحد الغزلين، والفتيان المنادمين علىٰ الشراب، كان هو وعَتِير بن سهيل بن عبدالرحمن بن عوف، وجبير ابن أيمن، وخالد بن أبي أيوب الأنصاري يتنادمون، وفيهم يقول:

إِذَا أَنْتَ نَادَمْتَ العَتِيرَ وَذَا النَّدَىٰ جُبَيْرًا وَعَاطَيْتَ الزُّجَاجَةَ خَالِدَا

وذكر بقية الأبيات ثم أعاد روايتها مرتين في ص ٦٧، ٦٦ وروىٰ في هذه الصفحة أنهم قالوا له: قبحك الله ماذا أردت إلىٰ التنبيه علينا، والإذاعة لسرنا؟ إنك لحقيق أن لا ننادمك، قال: والله ما أردت بكم سوءًا، ولكنه شعر طفح فقتله من صدري. . .».



٢٠- ص ٣٤: يقول ابن قتيبة «وهذا أبو محجن الثقفي شهد يوم القادسية وأبلىٰ بلاء حسنًا، شهر، وكان فيمن شهد ذلك اليوم عمرو بن معدي كرب فقال عليه، وهو القائل:

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَىٰ أَصْلِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا

وَلَا تَدْفِنَنِّي بِالفَلَاةِ فَإِنَّنِي ... أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقَها».

وهذا نص مضطرب جدًا لا معنىٰ له وقد مر عليه الأستاذ مرور الكرام كما يقال، وكأنه قد فهمه، ما معنىٰ (فقال عليه)، وما معنىٰ إقحام (عمرو بن معدي كرب) هنا؟ لست أدري ولعل الأستاذ يتفضل علينا وعلىٰ القراء ببيان معناه.

٢١- ص ٣٥: «قال العُتْبِيُّ شعرًا ذكر فيه كثيرًا من مقابح السكر:

دَعِ النَّبِيذَ تكُنْ عَذلًا وَإِن كَثُرَت ... فِيكَ العُيوبُ وَقُلْ مَا شِئْتَ يُحْتَمَلُ

هُوَ المُشِيدُ بِأَسْرَارِ الرِّجَالِ فَمَا ... يَخفَىٰ عَلَىٰ النَّاسِ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا

كَمْ زَلَّةٍ مِنْ كَرِيمٍ ظَلَّ يسبرها ... مِن دُونِها سُتَرُ الأَبْوَابِ وَالكِلَلُ

أَضْحَتْ كَنَارٍ عَلَىٰ عَلْيَاءَ مُوقَدَةً ... مَا يَسْتَتِرُّ لَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلُ

والصواب: «... ظل يسترها»، ثم يقول العُتْبِيُّ:

وَالعَقْلُ عِلْقٌ مَصُونٌ لَوْ يُبَاعُ لَقَدْ ... أَلْفَيْتَ بُيَّاعه يُعْطُونَ مَا سألوا

والصواب: (أَلْفَيْتَ بُيَّاعَهُ بِبُطونِ ما سألوا).

فَاعْجَبْ لِقَوْمٍ مُنَاهُمْ فِي عُقُولِهِمُ ... أَنْ يُذْهِبُوهَا بِعَلٍ بَعْدَهُ نَهَلُ

قَدْ عُقِدَتْ لِخَمَارِ السُّكْرِ أَلْسُنُهُمْ ... عَنِ الصَّوابِ وَلَمْ يُصْبِحْ بِهَا عِلَلُ

والصواب: «قد عقدت بخمار...».

وازورت بِسِنَاتِ النَّومِ أَعْيُنُهُم   كَأَنَّ أَحْدَاقَهَا حُوَلٌ وَمَا حَوِلُوا

والصواب: «. . . وازْاوَرَت بِسِنَاتِ النَّوْمِ أَعْيُنُهُم»، أي مالت.

٢٢- ص ٢٦، ٢٧: «وكتب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ عدي بن أرطأة حين تتابعت الأخبار عليه، وتتابع الناس في الأشربة المسكرة علىٰ التأويل: أما بعد فإنه قد كان من أمر هذا الشراب أمر ساءت فيه رغبة الناس حتىٰ بلغت بهم الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام، وهم يقولون: شربنا شرابًا لا بأس به. وإن شرابًا حمل الناس علىٰ هذا؛ لبأس شديد وإثم عظيم، وقد جعل الله عنه مندوحة وسعة من أشربة كثيرة، ليس في الأنفس منها حاجة: الماء العذب، واللبن والعسل والسويق، وأشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب في أسقية الأدم التي لا زفت فيها، فإنه بلغني أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن نبيذ الضروف المزفتة وعن الدنان والجرار».

والصواب: «أمر ساءت فيه رعيتهم. . .»، جاء في سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ١٠١: «كان في الناس من هذا الشراب أمر ساءت فيه رعيتهم، وغشوا فيه أمورًا انتهكوها عند ذهاب عقولهم، وسفه أحلامهم، بلغت بهم الدم الحرام. . .»، وهذه الجملة أدق من الجملة التي نقلها ابن قتيبة. والصواب أيضًا: «من أشربة كثيرة ليس في الأنفس منها جائحة»، والصواب أيضًا: «. . . فإنه بلغني أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن نبيذ الجر والدُّبَّاءِ والظروف المزفتة»، وليس لكلمة (الضروف) أي معنىٰ في لغة العرب.

٢٣ - ص ٣٧، ٣٨: «وقد شُهِرَ المتعاشرون علىٰ الشراب بسوء العهد، وقلة الحفاظ، وأنهم صديقك ما استغنيت حتىٰ تفتقر، وما عوفيت حتىٰ تنكب، وما غلت دنانك حتىٰ تنزف، وما رأوك بعيونهم حتىٰ يفقدوك، قال الشاعر:

أَرَىٰ كُلَّ قَوْمٍ يَحْفَظُونَ حَرِيمَهُم   وَلَيْسَ لِأَصْحَابِ النَّبِيذِ حَرِيمُ



إِذَا جِئْتَهُمْ حَيَّوْكَ أَلْفًا وَرَحَّبُوا وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُمْ سَاعَةً فَذَمِيمُ
إِخَاؤُهُمْ مَا دَارَتِ الكَأْسُ بَيْنَهُمْ وَكُلُّهُم رَثُّ الوِصَالِ سَؤُومُ
فهذا ثباتي لَمْ أَقُلْ بِجَهَالَةٍ وَلَكِنَّنِي بِالفَاسِقِينَ عَلِيمُ

والصواب (فَهَذَا ثَنَائِي)، كما في العقد الفريد ٤/ ٣٢١، وليس للثبات هنا أي معنىً يستقيم به نظم الكلام، ويقوم عليه بناء معناه.

(٤ - ٧)

٢٤- ص٣٨ «وقال آخر:

بَلَوتُ النَّبِيذِيينَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ فَلَيسَ لِأَصْحَابِ النَّبِيذِ حِفَاظُ
إِذَا أَخَذُوهَا ثُمَّ أَغْرَوْكَ بِالمُنَىٰ وَإِن فَقَدُوهَا فَالوُجُوهُ غِلَاظُ
مَوَاعِيدُهم رِيحٌ لِمَنْ يَعِدُونَه بِهَا قَطَعُوا بَرْدَ الشِّتَاءِ وَقَاظُوا
بِطَانٌ إِذَا مَا اللَّيلُ أَلْقَىٰ رُوَاقَهُ وَقَدْ أَخَذُوهَا فَالبُطُونُ كِظَاظُ
يراعٌ إِذَا مَا كَانَ يَومَ كَرِيهَةٍ وَأُسْدٌ إِذَا أُكِلَ الثَّرِيدُ فِظَاظُ

وعلق الأستاذ علىٰ هذه الكلمة بقوله «في ع: يراعوا».

والصواب (يَرَاعٌ إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ) جاء في لسان العرب: (اليَرَاعُ: القَصَبُ، واحدته يَرَاعَة ، واليَرَاعُ: الجبان الذي لا عقل له ولا رأي ، مشتق من القَصَب. أنشد ابنُ بَرِّي لكعب الأمثال:

وَلَا تَكُ مِن أَخْدَانِ كُلِّ يَرَاعَةٍ هَوَاءٍ كَسَقْبِ البَانِ جَوْفٍ مَكَاسِرُه

٢٥- يقول ابن قتيبة: «وربما بلغت جناية الكأس إلىٰ عقب الرجل ونجله، قال المأمون لقوم: يا نطف الخمار، ونزاع الظؤور، وأشباه الخؤولة».



وعلق الأستاذ علىٰ ذلك بقوله «في الأصل ونرالع الصؤور والذي أثبتناه رواية ع». والصواب (. . . ونزائع الظؤورة).

٢٦- ص٣٨ «وقال مسلم بن قتيبة: إن آل فلان أعلاج أوباش لئام غدر، شرابون ما نقع. ثم هذا يعد في نفسه نطفة خمار في رحم صناجة».

وقد علق الأستاذ علىٰ ذلك بقوله «في الأصل بأنقع، ولعل الصواب ما اخترناه». وقد اخطأ الأستاذ في تغييره العبارة عن أصلها ولم يفطن إلىٰ أن (شَرَّابُونَ بِأَنْقُعْ) تعبير فصيح، ولم يعرف أنه مثل عربي مشهور جاء في لسان العرب: «ومن أمثال العرب: إنه لشَرَّابٌ بِأَنْقُعْ، وورد أيضا في حديث الحجاج: إنكم يا أهل العراق شرابون عَلَيَّ بِأَنْقُعْ. قال ابن الأثير: يضرب للرجل الذي جرب الأمور ومارسها، وقيل للذي يعاود الأمور المكروهة، أراد أنهم يجترئون عليه عليه ويتناكرون. وقال ابن سِيدَه: وهو مثل يضرب للإنسان إذا كان معتادا لفعل الخير والشر». وصواب عبارة مسلم بن قتيبة «. . . شرابون بِأَنْقُع، ثم هذا بَعْدُ في نفسه نطفة خمار. . .».

٢٧- ص٣٩ يقول ابن قتيبة: «وربما بلغت جناية الكأس زوال النعمة وسقوط المرتبة وتلف النفس، فإن الرجل ربما استخلصه السلطان لمنادمته وأدخله في موضع أنسه، فيزين له الكأس غمز القينة».

والصواب: «فتزين له الكأس»، لأن الكأس مؤنثة. ومثل ذلك ما جاء في ص٤١ «ومن شربة النبيذ الشطار، والخلعاء والمجان، فحملهم الكأس علىٰ المجون» والصواب: (تحملهم الكأس علىٰ المجون).

٢٨- ص٣٩ : «وقد كان عمرو بن هند استخلص طَرَفَة بن العبد لندامته، فبينا هو معه يوما يشرب، أشرفت أخته عليهما فرأىٰ طَرَفَةُ ظلها في الجام فقال:



أَلَا أَيُّهَا المَلِكُ الـ ذي يَبْرُقُ شَنْفَاه

وَلَوْلَا المَلِكُ القَاعِدُ قَدْ أَلْثَمَنِي فَاه

والصواب: «استخلص طرفة بن العبد لِنَدَامِهِ»، أي منادمته. وقد شرح الأستاذ كلمة الشَّنْفِ بقوله: «الشَّنْف بفتح الشين أعلىٰ القُرْط»!!!، ولما كنت لا أعرف أن لأجزاء القُرْط أسماء خاصة بها، فقد سألت صديقي الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر عما قاله الأستاذ فقال: «هذا كلام لا معنىٰ له، وكل ما قاله اللغويون أن الشَّنْف هو القُرْطُ الذي يلبس في أعلىٰ الأذن، والرَّعْثَة: هو الذي يلبس في أسفل الأذن، ولعل صاحبك قرأ ما جاء في القاموس واللسان والصحاح من قولهم: الشَّنْفُ القُرْطُ الأعلىٰ، فلم يدرك ما يريدون وصحح لهؤلاء العلماء الأجلاء هذا الخطأ فجعل للقُرْطِ أعلىٰ وأسفل علىٰ ما يتوهم، وأبىٰ إلا أن يكون الصواب أعلىٰ القرط».

٢٩- ص٤٨ «واحتجوا بقول النبي ﷺ: (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، وما أسكر الفَرْقُ منه فملء الكف حرام). فإن هذا منسوخ، نسخ بشربه الصلب يوم حجة الوداع».

وعلق الأستاذ ذلك بقوله: «في النهاية لابن الأثير: في حديث أبي عبيدة: تمر ذخيرة مُصَلَّبَةٌ أي صُلْبَة وتمر المدينة صُلْب. وقد يقال رطب مُصَلِّب بكسر اللام أي يابس شديد»، فيكون معنىٰ كلام ابن قتيبة علىٰ شرح الأستاذ (فإن هذا منسوخ نسخ بشربه التمر).

ولو رجع الأستاذ إلىٰ صفحة ٢٠ من هذا الكتاب لوجد ابن قتيبة يقول: «وأما النبيذ فاختلفوا في معناه فقال قوم: هو ماء الزبيب وماء التمر من قبل أن يغليا فإذا اشتد ذلك وصلب فهو خمر»، وجاء في صفحة ٢٢ «حدثني أصحاب أنس عنه أنه



كان يشرب النبيذ الصلب الذي يكون في الخوابي)، وفي ص٢٩: «. . . وبأن عمر كان يشرب علىٰ طعامه الصلب ويقول: يقطع هذا اللحم من بطوننا». ويمنعني احترامي للأستاذ محمد كرد علي من أن أعقب علىٰ شرحه هذا بحرف واحد. . .

٣٠- ص٤٨: «وبأن ابن مسعود قال: شهدت التحريم وشهدت التحليل وغبتم، وبأنه كان يشرب الصلب من النبيذ الجر حتىٰ كثرت الروايات عنه. . .»، والصواب: (كان يشرب الصلب من نبيذ الجر. . .).

٣١- ص٤٨: «عن عبدالملك بن أخي القعقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال: كنا عند النبي ﷺ، فَأُتي بقدح فيه شراب، فقربه إلىٰ فيه ثم رده ، فقال بعض جلسائه: أحرام هو يا رسول الله؟ فقال: ردوه، فردوه ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال: (انظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء)».

وقد علق الأستاذ علىٰ ذلك بقوله: «في قول عمر ﷺ إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاكسروها بالماء قال أبو العباس: يقول إذا جاوزت حدها الذي لا يسكر إلىٰ حدها الذي يسكر».

أخطأ الأستاذ في فهم النص السابق وحسب أن عمر بن الخطاب هو الذي قال: إذا غتلمت عليكم الأشربة فاكسروها بالماء. ولست أدري كيف أقحم الأستاذ عمر بن الخطاب هنا وليس في النص ما يشير إليه؟ ولعله يوهم أن ابن عمر روىٰ ذلك عن أبيه أو لعله يقصد أن ابن عمر هو الذي قال هذه الكلمة. وسواء علينا أتوهم الأستاذ ذلك أم قصد هذا فإنه مخطئ لا محالة، وقائل هذه العبارة حسب تلك الرواية هو النبي ﷺ: (... فقال بعض جلسائه أحرام هو يا رسول الله؟ فقال ردوه فردوه ثم دعا بماء فصب عليه ثم شرب وقال : انظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء).



وهذا حديث مكذوب علىٰ النبي ﷺ، وسنده يحمل في أطوائه دليل وضعه : (عن عبدالملك بن أخي القعقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال كنا عند النبي الخ) ، جاء في خلاصة تهذيب الكمال ص٢٠٨: «عبدالملك بن نافع أو ابن القعقاع عن ابن عمر. قال أبو حاتم لا يكتب حديثه»، علىٰ أن في الكلام تحريفًا لم يتبينه الأستاذ وهو (القعقاع بن ثور) والصواب (القعقاع بن شَوْرٍ) بالشين لا بالثاء ، قال ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار ١/ ٣٠٦، ٣٠٧: «كان القعقاع بن شَوْر إذا جالسه رجل، فعرفه بالقصد إليه ، جعل له نصيبا في ماله ، وأعانه علىٰ عدوه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا. وقسم معاوية يوما آنية فضة ودفع إلىٰ القعقاع حظه منها، فآثر به القعقاع أقرب القوم إليه فقال:

وَكُنتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بنِ شَوْرٍ ... وَلَا يَشْقَىٰ بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ

ضَحُوكُ السِّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ ... وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

راجع القاموس وتاج العروس في مادتي (شَوْرٌ وقَعْقَعَ) ولسان الميزان ٤/ ٤٧٤، والبيان والتبيين ٣/ ٢٠٣، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٣٠، وثمار القلوب ص١٠٠، والتاريخ الكبير ٤/ ١٨٨ من القسم الأول، وتهذيب التهذيب ٦/ ٤٢٧ .

٣٢- ص ٤٧ : «. . . عن ابن جرير عن عطاء أن عمر وقف السقاية فوضع يده علىٰ بطنه فقال: هل من شراب؟ فإني أجد في بطني غمزا، فأتي بشربة من السقاية فشربها. . .».

وعلق الأستاذ علىٰ ذلك بقوله: «في البغدادية: عن أبي جريج»، والصواب: «عن ابن جريج عن عطاء. . .»، وابن جريج كما في المعارف للمؤلف ص ٢١٤، وخلاصة تهذيب الكمال ص ٣٢٥: هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي المكي، قال ابن المديني: لم يكن في الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جريج،



توفي سنة خمسين ومائة، وكانت وفاة عطاء بن أبي رباح القرشي في سنة ١١٤هـ، كما في تهذيب التهذيب، أو في سنة ١١٥ كما ذكر ابن قتيبة في المعارف ص ١٩٦ .

(٥ - ٧)

٣٣- ص٤٩ يقول ابن قتيبة: «وحدثني محمد بن خالد بن خداش عن سالم بن قتيبة قال: حدثنا حمزة الزيات...».

والصواب «... عن سَلْمِ بن قتيبة...»، وهو سلم بن قتيبة الشَعِيري - بفتح المعجمة وكسر العين - أبو قتيبة الخراساني نزيل إبصرة. قال ابن أبي عاصم: مات سنة مائتين، كما في خلاصة تذهيب الكمال ١٢٤ ، وأما حمزة الزيات: فهو كما قال ابن قتيبة في المعارف ص٣٢٠ «حمزة بن حبيب بن عمارة ويكنىٰ أبو عمارة، مولىٰ لآل عكرمة بن ربعي التيمي، مات بحلوان سنة ست وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر».

٣٤- ص٥٠: «وكذلك قال الأشج لبنيه: لا تشربوا ولا تثجروا ، ولا تعاقروا فتسكروا»، والصواب «لا تَبْسُرو ولا تَثْجُرُوا...»، جاء في لسان العرب: «البُسْرُ هو خلط البُسْر بالرطب أو بالتمر وانتباذهما جميعا. والثَّجْر: أن يؤخذ ثَجِيرُ البُسْر فيلقىٰ مع التمر، والثَّجِير ثُفْل البسر»، والحديث بتمامه في الفائق للزمخشري مادة بَسَرَ، راجع ترجمة الأشج في الإصابة وابن سعد ٧/ ٦٠، وأسد الغابة١/ ٩٦، وقد روىٰ ابن سعد عن عبدالرحمنِ بن أبي بكرة عن الأشج قال: قال لي رسول الله ﷺ: (إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله، قلت: وما هما؟ قال: الحلم والحياء، قلت: قديما كانا في أو حديثا؟ قال: بل قديما، قلت: الحمد لله الذي جبلني علىٰ خلقين يحبهما الله ورسوله).



٣٥- ص٥٢ «. . . وقال أبو الغالية الرياحي: اشرب النبيذ ولا تمزز، والتمزز أن يشرب قليلا قليلا».

والصواب (أبو العالية) بالعين لابالغين، واسمه رُفَيْعُ بن مِهْرَان الرِّيَاحِي البصري وهو من الأئمة المخضرمين صلىٰ خلف عمر، ودخل علىٰ أبي بكر، وتوفي في شوال سنة تسعين، وكان ثقة كثير الحديث، وهو من موالي بني رياح، اشترته امرأة منهم ثم انطلقت به إلىٰ المسجد الجامع بالبصرة في يوم جمعة والإمام علىٰ المنبر فقبضت علىٰ يده وقالت: اللهم اذخره عندك ذخيرة، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله ليس لأحد عليه سبيل إلا سبيل معروف.

وقد حدث أبو العالية عن نفسه قال: كنت مملوكا أخدم أهلي فتعلمت القرآن ظاهرًا والكتابة العربية، وقرأت المحكم بعد وفاة نبيكم بعشر سنين، فقد أنعم الله علي بنعمتين لا أدري أيتهما أفضل: أن هداني للإسلام أم لم يجعلني حروريا، ثم يقول: وكنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فلم نرض حتىٰ ركبنا إلىٰ المدينة فسمعنا من أفواههم. ويقول: لما كان زمن علي ومعاوية وإني لشابٌ القتال أحب إلي من الطعام الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتىٰ أتيتهم، فإذا صفان لا يرىٰ طرفاهم، إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء وإذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء، فراجعت نفسي فقلت: أي الفريقين أنزله كافرا؟ وأي الفريقين أنزله مؤمنا؟ أو من أكرهني علىٰ هذا؟ فما أمسيت حتىٰ رجعت وتركتهم.

وكان ابن عباس أيام أمارته بالبصرة يكرمه ويجلسه معه علىٰ سريره. وكان أبو العالية يبعث بصدقة ماله إلىٰ المدينة فتدفع إلىٰ أهل النبي فيضعونها في مواضعها. ومن كلامه إذا سمعتم الرجل يقول: إني أحب في الله وأبغض في الله فلا تقتدوا به. راجع ترجمته في تهذيب التهذيب، وميزان الإعتدال ١/ ٣٤٠



وطبقات ابن سعد ٧/ ٨١ -٨٥، وحلية الأولياء ٢/ ٢١٧-٢٢٤، وصفة الصفوة ٣/ ١٣٥ والمعارف لابن قتيبة ص٢٠٠ .

٣٦- ص٥٢ : «وقيل لمحمد بن واسع: أتشرب النبيذ؟ قال نعم، قيل: وكيف تشربه؟ قال: علىٰ غدائي وعشائي وعند ظمأي، قيل فما تركت منه؟ قال النكات ومحادثة الرجال».

وقد علق الأستاذ علىٰ ذلك بقوله: «النكات جمع نكته وهي هنا الجملة المنقحة المحذوفة الفضول». ولست أرىٰ رأيه في هذه الكلمة وهي عندي محرفة، بيد أني لم أدرك وجه تصويبها. ويرىٰ صديقي الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر أن صوابها (التُّكَأَة) يريد بها الجلوس المطمئن وإدارة الأقداح. ويستدل بما رواه المؤلف في ص٦٠ من قول جميل ابن معمر:

فَظَلَلْنَا بِنِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِنْ قُلَلِهِ

ومحمد بن واسع - قائل هذه الكلمة فيما يقال - من كبار الزهاد العابدين الورعين توفي في سنة عشرين ومائة. راجع ترجمته في صفة الصفوة ٣/ ١٩٠- ١٩٥، والمعارف ٢٠٩ .

٣٧- ص٥٣ : «وقيل لسعيد بن سالم: أتشرب النبيذ؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: تركت كثيره لله وقليله للناس». والصواب «وقيل لسعيد بن سلم». كما في عيون الأخبار ٤/ ٣٧، وقد مدحه أعرابي فقال:

أَيَا سَارِيًا بِاللَّيلِ لَا تَخْشَ ضُلَّةً سَعِيدُ بنُ سَلْمٍ ضَوءُ كُلِّ بِلَادِ

لَنَا سَيِّدٌ أَرْبَىٰ عَلَىٰ كُلِّ سَيِّدٍ جَوَادٌ حَثَا فِي وَجْهِ كُلِّ جَوَادِ

فلم يعطه شيئا فقال:

لِكُلِّ أَخِي مَدْحٍ ثَوَابٌ يَعُدُّهُ وَلَيسَ لِمَدْحِ البَاهِلِيِّ ثَوَابُ

مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ وَالمَدِيحُ مَهَزَّةٌ فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيهُ تُرَابُ

وسعيد بن سلم هو القائل: إذا لم تكن المحدِّث أو المحدَّث فانهض وراجع. وقد هجاه أبو الشمقمق، ومسلم بن الوليد، ورثاه عبدالصمد بن المعذل بأبيات جيدة تجدها في الكامل للمُبَرِّد مع شيء من أخباره في ص٧١٢ - ٧١٨ من طبعة الشيخ أحمد محمد شاكر.

٣٨- ص٥٨: «ولو كان تحريم الخمر للسكر لم يطلقها الله تعالىٰ للأنبياء والأمم قبلنا، فقد شربها نوح حين خرج من السفينة واعترس الحبلة حتىٰ سكر منها».

وجد الأستاذ هذه الكلمة بهذا الرسم فلم يفهم معناها ولم يفطن إلىٰ وجه الصواب فيها، وعلق علىٰ الجملة بقوله «كذا في الأصل والحَبَلَةُ: العنب وفي الحديث: لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا العنب والحَبَلَة. الحَبَلَةُ: بفتح الحاء والباء وربما سكنت».

والصواب (واغْتَرَسَ الحَبَلَة) بمعنىٰ غَرَسَ، وكذلك رويت، جاء في لسان العرب «وفي الحديث: (لما خرج نوح من السفينة غَرَسَ الحَبَلَةَ)».

٣٩- ص٥٨ في الحديث عن الخمر والنبيذ «وأما قولهم الخمر ما خمر، والمسكر مخمر فهو خمر مثله...». والصواب (والنبيذ مخمر فهو مخمر مثلها) كما في العقد الفريد ٤/ ٣٣٦.

٤٠- ص٥٩ «ولو كان الله حين أحل النبيذ أحل منه السكر الذي يكون منه الخمار، وكان شربة النبيذ من الصحابة والتابعين سكروا فأصابهم ذلك، للزمنا أن يقال: نباذ ولا يقال فيجب ما ذهبوا به». وعلق الأستاذ علىٰ (ولا يقال) بقوله: «وفي الأصل أو، وما أثبتناه رواية ع». والصواب: «للزمنا أن يقال نباذ ولا يقال: خمار فيجب ما ذهبوا إليه».



٤١- ص٦٢ ففي شعر بعض الأشراف:

تَلَمُّ بِنَا الخَصَاصَةُ ثُمَّ تعفي عَلَىٰ اقْتَارِنا حَسَبٌ وَدِينُ

والصواب: «ثم يعفي».

٤٢- ص٦٢ وقال يحي بن نوفل اليماني:

وَيَغْتَبِقَانِ الشَّرَابَ الذِي يَحِلُّ بِهِ الجَلْدُ لِلْجَالِدِ

شَرَابٌ يُوَافِقِ فِهْرَ اليَهُود وَيُكْرَهُ لِلْمُسْلِمِ العَابِدِ

وقد ضبط الأستاذ كلمة (فهر) بكسر الفاء، والصواب ضمها كما في لسان العرب، وجاء في القاموس: «وَفُهْر بالضم مدارس اليهود تجتمع إليه في عيدهم أو هو يوم يأكلون فيه ويشربون».

٤٣- ص٧٠ «وقال الأعشىٰ:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ثَمَانِيًا وَثَمَانِيَا وَثَمَانَ عَشْر وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعَا

مِنْ قَهْوَةٍ بَاتَتْ بِبَابِلَ صَفْوَةٍ تَدَعُ الفَتَىٰ مَلِكًا يَمِيلُ مُصَرَّعَا

والصواب: «وثمان عشرة...».

٤٤- ص٧٥ «وقال رسول الله ﷺ: (البِرُّ ما سكنت إليه القلوب واطمأنت إليه النفوس والإثم ما حاك في صدرك فكرهت أن تطلع عليه الناس). وقال ابن مسعود: الإثم جواز القلوب، وهي الهوادج فيها بالشكوك، فإذا كان الإثم يكون بما قدح في القلب من الشك فكيف هو فيما يتيقنه القلب، أو ليست الأعمال بالنيات، ونية المؤمن خير من عمله». وعلق الأستاذ علىٰ ذلك بما يلي: «الهودج: مراكب النساء، وهَدَجَ الظَّلِيمُ: مشىٰ وسعىٰ وعدا، وكل ذلك إذا كان في ارتعاش،



وظليم هداج ونعام هداج وهوادج، وتقول: نظرت إلىٰ الهوادج كما في التاج»

وهذا شرح عجيب غريب لست أدري كيف ارتضاه الأستاذ في هذا المقام، والذي أوقع الأستاذ في هذا الخطأ الطريف أنه اعتقد أن (الهوادج) هنا كلمة صحيحة قالها ابن مسعود، وهي محرفة وصوابها: (القوادح)، كما أن (جواز) محرفة أيضا وصوابها: (حُزَّاز)، جاء في لسان العرب: «وفي الحديث عن ابن مسعود ﷺ: (الإثم حُزَّازُ القلوب)، وهي الأمور التي تحز فيها، أي تؤثر كما يؤثر الحز في الشيء، وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصي لعقد الطمأنينة إليها، وهي بتشديد الزاي جمع حاز، يقال إذا أصاب مرفق البعير طرف كِرْكِرَتِهِ فقطعه وأدماه: قيل به حاز. وقال الليث يعني: ما حز في القلب وحك. وقال العَدَبَّسُ الكِنَانِيُّ: العَرَك والحاز واحد، وهو أن يحز في الذراع حتىٰ يخلص إلىٰ اللحم، ويقطع الجلد بحد الكِرْكِرَة، وقال ابن الأعرابي: إذا أثر فيه قيل: ناكت، فإذا حز به قيل: حاز، فإذ لم يدمه فهو الماسح. ورواه شَمِر: الإثم حوَّاز القلوب بتشديد الواو أي يحوزها ويمتلكها ويغلب عليها، ويروىٰ الإثم حزاز بزايين الأولىٰ مشددة، وهو فعال من الحز».

(٦ - ٧)

يجمل بي قبل أن استأنف كتابة الحلقة السادسة من هذا البحث أن أعرض بالنقد لما نُقِدت به في بريد الرسالة.

أما النقد الأول: فقد كتبه الأستاذ عدنان وجعل عنوانه (لفظة في بيت)، قال «في مقال للأستاذ السيد أحمد صقر حول كتاب (نظرات في كتاب الأشربة) للأستاذ كرد علي بك». وفي هذه الجملة خطأ طريف فإني لا أنقد كتابا اسمه (نظرات في كتاب الأشربة) للأستاذ كرد علي بك، وإنما أنقد كتاب (الأشربة) لابن قتيبة الذي نشره الأستاذ كرد علي.



ولكي يستطيع القارئ متابعة النقاش في يسر وسهولة أنقل ما قلته أولا وما عقب به الأستاذ عدنان ثانيا.

قلت (ع٨٣١ ص٩٦٣): «في ص٣٧، ٣٨ من الأشربة: وقد شهر المتعاشرون علىٰ الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ وأنهم صديقك ما استغنيت حتىٰ تفتقر، و ما عوفيت حتىٰ تنكب، وما غلت دنانك حتىٰ تنزف، وما رأوك بعيونهم حتىٰ يفقدوك، قال الشاعر:

أَرَىٰ كُلَّ قَوْمٍ يَحْفَظُونَ حَرِيمَهُم ... وَلَيْسَ لِأَصْحَابِ النَّبِيذِ حَرِيمُ

إِذَا جِئْتَهُمْ حَيَّوْكَ أَلْفًا وَرَحَّبُوا ... وإِنْ غِبْتَ عَنْهُمْ سَاعَةً فَذَمِيمُ

إِخَاؤُهُمْ مَا دَارَتِ الكَّأْسُ بَيْنَهُمْ ... وَكُلُّهُم رَثُّ الوِصَالِ سَؤُومُ

فهذا ثباتي لَمْ أَقُلْ بِجَهَالَةٍ ... وَلَكِنَّنِي بِالفَاسِقِينَ عَلِيمُ

والصواب (فَهَذَا ثَنَائِي) كما في العقد الفريد ٤/ ٣٢١، وليس للثبات هنا أي معنىٰ يستقيم به نظم الكلام ويقوم عليه بناء معناه». وقال الأستاذ عدنا في تعقيبه: «بل للثبات هنا معنىٰ يستقيم به نظم الكلام وهو إلىٰ الصواب أقرب مما ورد بالعقد وذلك لسببين: الأول أن الشاعر يقرر حالة هي إلىٰ قدح القادح أقرب منها إلىٰ (ثناء) المادح، وأي (ثناء) ذلك الذي يوجه إلىٰ قوم لا يحفظون الحريم وينقلبون بين الجيئة والذهاب من حب إلىٰ بغضاء ومن وفاء إلىٰ عداء. والثاني: أن الأستاذ الناقد فهم من (الثبات) أنه الدوام والاستقرار ومن ثم كتب ما كتب معتمدا علىٰ رواية العقد وهي كما سبق رواية لا يزكيها واقع الحال. وإنما يقال في مقام التصحيح أن (الثبات) بمعنىٰ الحجة والبرهان تقول: لا أحكم بكذا إلا بثبت أو بثبات أي بحجة وبرهان ودليل».

ليس في كلام الأستاذ عدنان ما يجعلني أعدل عن رأيي في أن الثبات ليس لها



هنا أي معنىٰ يستقيم به نظم الكلام ويقول عليه بناء معناه، وأما تفسيره له بمعنىٰ الحجة والبرهان فتكلف وتمحل وتعمل، ينبو عنه الذوق الشعري. وهل يقول شاعر (فهذا ثباتي؟) وليس في كتاب اللغة التي بين أيدينا (ثبات) بمعنىٰ الحجة والبينة وقد جاء في اللسان: «الثَّبَت بالتحريك الحجة وتقول أيضا لا أحكم إلا بثبت أي حجة» ولست أدري من أين جاء الأستاذ (بثبات). والذي حمل الأستاذ علىٰ أن يتكلف في تصحيح (الثبات) هذا التكلف البعيد أنه لم يفهم معنىٰ (الثناء)، وعجب من أن أقول إن الصواب (فهذا ثنائي) فقال: «وأي ثناء ذلك الذي يوجه إلىٰ قوم لا يحفظون الحريم. . . الخ» ولو قد عرف الأستاذ حقيقة الثناء لما قال ذلك، بل لما كتب من نقده حرفا واحدا. إن الثناء ليس مدحا فقط بل هو ذم أيضا، يستعمل في الخير والشر علىٰ السواء وقد ورد في شعر زهير:

سَيَأْتِي آلَ حِصْنٍ أَيْنَ كَانُوا ... مِنَ الْمَثُلَاتِ مَا فِيهَا ثَنَاءُ

وفسر بالوجهين: فمن قال إن (ما) نافية قال: إن الثناء بمعنىٰ المدح، ومن قال إنها موصولة قال: إنه بمعنىٰ الهجاء. جاء في لسان العرب: «الثناء ما اتصف به الإنسان من مدح أو ذم وخص بعضهم به المدح. الثناء ممدود: تعمدك لتثني علىٰ إنسان بحسن أو قبيح، أثنىٰ يثني إثناء أو ثناء يستمل في القبيح من ذكر في المخلوقين وضده».

وإذا كان الثناء يستعمل في الذم في أصل اللغة فليس هناك ما يدفع قولي إن الصواب (فهذا ثنائي)، علىٰ أني وجدت للبيت رواية أخرىٰ حبت إليها نفسي وهي كما نهاية الأرب ٤ / ١٠٨:

فَهَذَا بَيَانِي لَمْ أَقُلْ بِجَهَالَةٍ ... وَلَكِنَّنِي بِالفَاسِقِينَ عَلِيمُ

يراع لا يراعوا:

أما النقد الثاني، فقد كتبه الأستاذ عمر إسماعيل منصور وجعل عنوانه (يراعوا



لا يراع)، وأنا أورد ما قلتُه وما قاله علىٰ نحو ما فعلت في سالفه.

قلت في العدد ٨٣٣ وفي ص ٣٨ من الأشربة: وقال آخر:

بَلَوتُ النَّبِيذِيينَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... فَلَيسَ لِأَصْحَابِ النَّبِيذِ حِفَاظُ

إِذَا أَخَذُوهَا ثُمَّ أَغْرَوْكَ بِالمُنَىٰ ... وَإِن فَقَدُوهَا فَالوُجُوهُ غِلَاظُ

مَوَاعِيدُهم رِيحٌ لِمَنْ يَعِدُونَه ... بِهَا قَطَعُوا بَرْدَ الشِّتَاءِ وَقَاظُوا

بِطَانٌ إِذَا مَا اللَّيلُ أَلْقَىٰ رُوَاقَهُ ... وَقَدْ أَخَذُوهَا فَالبُطُونُ كِظَاظُ

يراعٌ إِذَا مَا كَانَ يَومَ كَرِيهَةٍ ... وَأُسْدٌ إِذَا أُكِلَ الثَّرِيدُ فِظَاظُ

وعلق الأستاذ محمد كرد علي علىٰ هذه الكلمة بقوله: «في ع: يراعوا». والصواب: (يَرَاعٌ إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ) جاء في لسان العرب: «اليَرَاعُ: القَصَبُ واحدته يَرَاعَة. واليَرَاعَةُ واليَرَاعُ: الجبان الذي لا عقل له ولا رأي، مشتق من القصب. أنشد ابنُ بَرِّي لكعب الأمثال:

وَلَا تَكُ مِن أَخْدَانِ كُلِّ يَرَاعَةٍ ... هَوَاءٍ كَسَقْبِ البَانِ جَوْفٌ مَكَاسِرُه»

هذا ما قلته، ولكن الأستاذ (عمر) لم يرقه قولي واتهمني بعدم الفهم وقلة الإدراك بل بعدمه أيضًا وإليك ما قال: «وأقول إن يراعوا هي الصواب، وهي من الروع بمعنىٰ الفزع، قال قَطَرِيُّ بنُ الفُجَاءَة:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شُعَاعًا ... مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي

ولو قرأ الأستاذ الفاضل هذه الأبيات لأدرك أن الكلام عن جماعة لا عن فرد، وأن يراعا بمعنىٰ جبان لا تصدق علىٰ الجماعة إذ تأتي للمفرد فقط. قال في الأساس: «ومن المجاز قولهم للجبان الذي لا قلب له هو يراعة ويراع، قال: فارس في اللقاء غير يراع».



ولست أدري كيف يكون (فاضلًا) من ينقل أبياتًا لشاعر يقول فيها: (بَلَوْتُ النَّبِيذِيِّينَ) و (مَوَاعِيدُهُم رِيحٌ) و (قَطَعوا بِهَا بَرْدَ الشِّتَاءِ وَقَاظُوا)، ثم لا يدرك (أن الكلام عن جماعة لا عن فرد) كما يقول الناقد، ونضرب صفحًا عن هذا اللغو ونأخذ في مناقشة كلامه فإن ذلك أخلق بنا وأحجىٰ.

يزعم الناقد المدرك أن الصواب (يراعوا) من الروع بمعنىٰ الفزع ولو كان يعرف أن يراعوا فعل مضارع، وأن كل مضارع اتصلت بها واو الجماعة يرفع بثبوت النون وينصب ويجزم بحذفها لما قال إن الصواب (يراعوا) ولساءل نفسه: أين النون؟ ولم ذهبت؟

ويزعم الناقد صاحب المدارك الثاقبة (أن يراعا بمعنىٰ جبان لا تصدق علىٰ الجماعة إذ تأتي للمفرد فقط)!! وهذا زعم لا حقيقة له، لم يقله أحد علماء العربية، ولكن الناقد افْتَرَاهُ وأوهم القارئ أنه اعتمد في نفيه علىٰ الأساس حيث يقول: «قال في الأساس ومن المجاز قولهم للجبان الذي لا قلب له هو يراعة ويراع». وأنا أنقل للقارئ نص كلام الزمخشري في الأساس ليعلم كيف دلس الناقد في نقله وكيف فهم منه ما افتراه. قال الزمخشري في ص ٥٦١ «وقع الحريق في اليراع: في القصب، قال المُسَيَّبُ ابنُ عَلَسٍ:

وَمَهْمَا يَرِفُّ كَأَنَّهُ إِنْ ذُقْتَهُ ... عَانِيَّةٌ شُجَّتْ بِمَاءِ يَرَاعُ

أراد قصب السكر.

ونفح الراعي في اليراعة، وكتب الكاتب باليراعة، قال:

أَحِنُّ إِلَىٰ لَيْلَىٰ وَقَدْ شَطَّتِ النَّوَىٰ ... بِلَيْلَىٰ كَمَا حَنَّ اليَرَاعُ المُثَقَّبُ

أي المزامير. وغشىٰ اليراع الوجوه، وهو شبه البعوض. ومن المجاز قولهم للجبان الخ».



وهذا النص صريح في أن اليراع: هو القصب، وأن اليراع المثقب المراد به المزامير، وأن واحدة هذا كله يراعة. ولست أدري كيف قرأ الأستاذ هذا الكلام ولا كيف طواه لئلا يناقض دعواه، ولكن الذي أدريه أن الأستاذ لم يفهم كلامي ولم يفطن إلىٰ معنىٰ النص الذي نقلته عن اللسان، وكان فيه الغناء لو تدبره. لقد قلت: «إن الصواب (يراع) ونقلت ما في اللسان من أن اليراع: القصب واحدته يراعة، واليراعة واليراع الجبان الذي لا عقل له ولا رأي، مشتق من القصب». ولكن الناقد المدرك لم يفطن إلىٰ أن هذا النص صريح في أن اليراع اسم جنس. واسم الجنس هو ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء، جاء في المخصص ١٦/ ١٠٠: «باب دخول التاء فرقًا بين الجمع والواحد منه، وذلك نحو تمر وتمرة، وبقر وبقرة، وشعير وشعيرة، وجراد وجرادة، فالتاء إذا ألحقت في هذا الباب دلت علىٰ المفرد وإذا حذفت دلت علىٰ الجنس والكثرة، وإذا حذفت التاء ذكر الاسم وأنث، وجاء التنزيل بالأمرين جميعًا...».

واليراع واليراعة كالزَّبَاب والزَّبَابة جاء في اللسان: «الزَّبَابُ: جنس الفأر لا شعر عليه. قال الحَارِثُ بنُ حِلِّزَة:

وَهُـمْ زَبَـابٌ حَـائِـرٌ لَا تَـسْـمَـعُ الآذَانُ رَعْـدَا

أي لا تسمع آذانهم صوت الرعد لأنهم صم طرش، والعرب تضرب بها المثل فتقول أسرق من زَبَابَة، ويشبه بها الجاهل، واحدته زبابة».

علىٰ أن جو الأبيات يتطلب كلمة (يراع) ولو جاز أن يقع الفعل موقعها، لأن الشاعر وصف النبيذيين قبل ذلك بأنهم (بطان) ووصفهم بعد ذلك بأنهم (أسد)، وسبيل (يراع) في المجاز كسبيل (أسد)، ومع ذلك فإننا إذا نحينا المجاز جانبًا ولجأنا إلىٰ الحقيقة وسمينا الجبان باسم (يراع أو يراعة) كان الجبان فيهما (يراع ويرعات). ورحم الله الشافعي إذ يقول: «فالواجب علىٰ العالمين ألا يقولوا إلا



من حيث علموا، وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولىٰ به، وأقرب إلىٰ السلامة له». ونرجع إلىٰ ما كنا فيه من بيان الأوهام في كتاب (الأشربة) فنقول:

٤٥- جاء في ص ٢٤: «قال عثمان رحمة الله عليه: ما تغنيت ولا تفتيت، ولا شربت خمرًا في جاهلية ولا إسلام». وشرح الأستاذ كرد علي معنىٰ (ولا تفتيت) بقوله: «ولا تشبهت بالفتيان»!

ومعاذ الرجولة أن يقول ذلك عثمان عن نفسه، ومعاذ الأدب أن يظن به ظان أنه يمكن أن يقوله، وبمن يتشبه عثمان إذا لم يتشبه بالفتيان؟ إن في العبارة خطأ لم يفطن إليه الأستاذ، وصوابه: (ما تغنيت ولا تمنيت) أي ولا كذبت، جاء في النهاية ٤ / ١١٩ «وفي حديث عثمان: ما تغنيت ولا تمنيت ولا شربت خمرًا في جاهلية ولا إسلام. وفي رواية: ما تمنيت منذ أسلمت، أي ما كذبت. التمني: التكذب، تَفَعُّل من مَنَىٰ يَمْنِي إذا قَدَّرَ، لأن الكاذب يُقَدِّرُ الحديث في نفسه ثم يقوله. قال رجل لابن دأب وهو يحدث: أهذا شيء رويته أم شيء تمنيته؟ أي اختلقته ولا أصل له».

وقد كان ابن دأب هذا - واسمه عيسىٰ بن يزيد - من أحسن الناس حديثًا وبيانًا، وكان شاعرًا راوية وافر الأدب، صاحب رسائل وخطب غير أنه كان يضع الأشعار ويزيد في الأحاديث ما ليس منها. وناهيك برجل يسمه خلف الأحمر بالكذب ويصفه بأنه آفة، وفيه يقول ابن مناذر:

وَمَنْ يَبْغِ الوَصَاةَ فَإِنَّ عِنْدِي ... وَصَاةً لِلْكُهُولِ وَلِلشَّبَابِ

خُذُوا عَنْ مَالِكٍ وَعَنْ ابنِ عَوْنٍ ... وَلَا تَرْوُوا حَدِيثًا لابن دأب

تَرَىٰ الهُلَّاكِ يَنْتَجِعُونَ مِنْهَا ... مَلَاهِيَ مِنْ أَحَادِيثٍ كِذَابِ



إِذَا طُلِبَت مَنَافِعُهَا اَضْمَحَلَّتْ   كَمِا يَرْفَضُ رَقْرَاقِي السَّحَابِ

وقد توفي ابن دأب في سنة إحدىٰ وسبعين ومائة في أول خلافة الرشيد. وترجمته في لسان الميزان ٤/٤٠٨، وتاريخ بغداد ١١/١٤٨، والمعارف ٢٢٤، ومعجم الأدباء ١٦/ ١٥٢.

(٧ - ٧)

٤٦- ص ٧٦: «ومن عجيب شأنهم أيضًا شربهم منه الغليظ الكاظ، القبيح منظرًا، الرديء مخبرًا، الذي نشوته سُدُد، وعاقبته داء».

وعلق الأستاذ علىٰ ذلك بقوله: «السُدُد: بضمتين العيون المفتوحة لا تبصر بصرًا قويًا، وهي عين سادة، أو التي ابيضت ولا يبصر بها، ولم تنفقئ بعد، كما في القاموس». والصواب: (الذي نشوته سَدَر)، والسَّدَر كما في اللسان: هو ما يصيب شارب الخمر من الدوار وتحير البصر.

٤٧- ص ٧٧: «وقال أعرابي:

صَلَّىٰ فَأَعْجَبَنِي وَصَامَ فَرَابَنِي   نَحِّ القَلُوصَ عَنِ المُصَلِّي الصَائِمِ

وقال آخر:

شَمِّر ثِيَابَكَ واستَعِدَّ لِقَابِلٍ   وَاحْكُكْ جَبِينَكَ لِلقَضَاءِ بِثُوْمِ

وَامْشِ الدَبِيبَ إِذَا مَشَيْتَ لِحَاجَةٍ   حَتَىٰ تُصِيبَ وَدِيعَةً لِيَتِيمِ

ورواية البيت الأول في العقد (صَلَّىٰ فَأَزْعَجَنِي وَصَامَ فَرَاعَنِي)، وقد رواه الجاحظ في البيان والتبيين ٣/١١١ كما هنا، ولكنه ذكر سبب قوله وهو: «نظر أعرابي في سفره إلىٰ شيخ قد صحبه فرآه يصلي فسكن إليه، فلما قال: أنا صائم، ارتاب به وأنشأ يقول: صلىٰ.. الخ».



ولم يسم ابن قتيبة قائل (شَمِّرْ ثِيَابَكَ) وهو مُسَاوِرُ الوَرَّاق كما ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ٣/ ١١٥، ورواية البيت الأول عنه (وَاستَعِدَّ لِقَائِلٍ) ورواية الشطر الأول من البيت الثاني هكذا (وَعَلَيْكَ بِالغَنَوِيِّ فَاجْلِسْ عِنْدَهُ)، وكذلك رواها أبو الفرج في ترجمة مساور ١٧/ ١٦٨. قال أبو الفرج: «مساور بن سوار بن عبدالحميد من آل قيس بن عيلان ابن مضر، ويقال: إنه مولىٰ خويلد من عدنان. كوفي قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته، وقد روىٰ عن صدر من التابعين وروىٰ عنه وجوه أصحاب الحديث.. وقال لابنه يوصيه:

شَمِّرْ ثِيَابَكَ وَاستَعِدَّ لِقَائِلٍ ... وَاحْكُكْ جَبِينَكَ لِلقُضَاءِ بِثُومِ

إِنَّ العُهُودَ صَفَتْ لِكُلِّ مُشَمِّرٍ ... دَبْرَ الجَبِينَ مُصَفَّرٍ مَوْسُومِ

أَحْسَنْ وَصَاحِبْ كُلَّ قَارٍّ نَاسِكٍ ... حَسَنَ التَّعَهُّدِ لِلصَّلَاةِ صَؤُومِ

مِنْ حِزْبِ حَمَّادٍ هُنَاكَ وِمِسْعَرٍ ... وَسِمَاكٍ العُتْكِيِّ وابنِ حَكِيمِ

وَعَلَيْكَ بِالغَنَوِيِّ فَاجْلِسْ عِنْدَهُ ... حَتَّىٰ تُصِيبَ وَدِيعَةً لِيَتِيمِ

تُغْنِيكَ عَنْ طَلَبِ البُيُوعِ نَسِيئَةً ... وَتَكُفُّ عَنْكَ لِسَانَ كُلِّ غَرِيمِ

وَإِذَا دَخَلْتَ عَلَىٰ الرَّبِيعِ مُسَلِّمًا ... فَاخْصُصْ شَبَابَةَ مِنْكَ بِالتَّسْلِيمِ

٤٨- ص ٨٣: «وكان أيوب يلبس قلنسوة أفراب وقال: لأن ألبسها لعيون خير أحب إلي من أدعها لعيون الناس». وعلق الأستاذ علىٰ ذلك بقوله: «هكذا بدون نقط في المخطوطتين المصرية والبغدادية».

ولو علم الأستاذ من هو أيوب لاستطاع أن يهتدي إلىٰ وجه الصواب في هذه الكلمة، وهو أيوب السختياني، راجع ترجمته في حلية الأولياء ٣/٣ - ١٤، وروىٰ أبو نعيم عن حماد بن زيد قال: قدم أيوب من مكة فخرج إلىٰ الجمعة وعليه



كمة أفواف، فقيل له فيها، فقال: قدمت ولم يكن عندي غيرها فلم أر بها بأسًا وكرهت أن أدعها لأعين الناس»، وفي النهاية: «أفواف جمع فوف، وهو القطن». وعلىٰ ذلك فصواب العبارة: «. . . قلنسوة أفواف وقال: لأن ألبسها لعيون الناس أحب إلىٰ من أن أدعها لعيون الناس». راجع المعارف للمؤلف ص ٢٠٧ .

٤٩- ص ٨٤: «قال حفص بن عتاب: كنت عند الأعمش وبين يديه نبيذ، فاستأذن عليه قوم من طلبة الحديث فسترته، فقال لي: لم سترته؟ فكرهت أن أقول لئلا يراه من يدخل، فقلت كرهت أن يقع فيه ذباب، فقال لي: هيهات إنه أمنع من ذلك جانبًا». والصواب: (قال حفص بن غياث)، قال ابن قتيبة في كتاب المعارف ص ٢٢٢: «حَفْصُ بنُ غِياثِ بنِ طَلْقٍ. هو من النَّخَعِ مِنْ مُذْحِج، ويكنىٰ أبا عمر، وولاه هارون الرشيد القضاء ببغداد بالشرقية، ثم ولاه الكوفة فمات بها سنة أربع وتسعين ومائة. . .»، وترجمته في طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٣، وتاريخ بغداد ٨/ ١٨٨ .

٥٠- ٨٤: «وحضر ابن أبي الجواري بالشام، وكان معروفًا بالرقائق والزهد، مائدة صالح العباسي مع فقهاء البلد، فحدثني من حضر المجلس وهو البحتري بن عبدالله أنه بعث إليه بقدح من نبيذ فشربه ابن أبي الجواري. . .».

وابن أبي الجواري: هو أبو الحسين أحمد ابن أبي الجواري من أهل دمشق توفي سنة ثلاثين ومائتين كما في رسالة القشيري ص ١٧، وأما البحتري ابن عبدالله فلم أعرف من هو، وقد رجعت إلىٰ العقد فألفيت فيه ص ٤/ ٣٤٣: «فحدثني البحتري عن عبادة وكان ممن حضر المجلس»، ويخيل إلي أن الاسم محرف في الكتابين وأن صوابه (البحتري أبو عبادة)، وقد كان البحتري معاصرًا لابن قتيبة، وكان بينهما صلات ومراجعات، وقد جاء في عيون الأخبار ٣/ ١٦١: «وقال بعض الشعراء المُحْدَثِين، وقيل: إنه للبحتري، فبعثت إليه أسأل عنه،



فأعلمني أنه ليس له:

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِين ... إِذَا مَـا تَـأَمَّـلَـهُ الـنَّـاظِـرُ
لَـبَـيَّـنْـتُـهُ لَـكَ حَـتَّـىٰ تَـرَاه ... فَـتَـعْـلَـمُ أَنِّـي امـرُؤٌ شَـاكِـرُ
وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ فِي الضَّمِيرِ ... يُـحَـرِّكُـهُ الـكَـلِـمُ الـسَّـائِـرُ

وبمناسبة ذكر (الرقائق والزهد) و(العقد) هاهنا أذكر أنها قد وردت في الطبعة الجديدة من العقد وشرحت بغير المراد منها. قال ابن عبدربه ٥/ ٢٨٥: «ومن شعراء الفقهاء المبرزين عبدالله بن المبارك صاحب الرقائق»، وعلق عليها الناشرون بقولهم: «يريد الرقائق من نسيبه وانظر ما سيأتي من شعره»، فإذا نظرنا في ص ٢٩٠ وجدنا فيها ما يلي: «ومن قول عبدالله بن المبارك، وكان فقيهًا ناسكًا شاعرًا رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول:

زَعَـمُـوهَـا سَـأَلَـتْ جَـارَتَـهَـا ... وَتَـعَـرَّتْ ذَاتَ يَـومٍ تَـبْـتَـرِدْ
أَكَـمَـا يَـنْـعَـتُـنِـي تُـبْـصِـرْنَـنِـي ... عَمَرَكُنَّ اللهُ لَمْ لَا يَقْتَصِدْ
فَتَضَاحَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا ... حَسَنٌ فِي كُلِّ عَينٍ مَنْ تَوَدْ
حَسَدًا حُمِّلْنَهُ مِنْ شَأْنِهَا ... وَقَدِيمًا كَانَ فِي الحُبِّ الحَسَدْ»

ولم يعلق الناشرون علىٰ هذا بشيء، وكان خليقًا بهم أن يفعلوا فإن هذه الأبيات ليست لابن المبارك وإنما هي لعمر بن أبي ربيعة من قصيدة مشهورة مطلعها:

لَيْتَ هِنْدًا أَنجَزَتْنَا مَا تَعِدْ ... وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدْ
وَاسْـتَـبَـدَّتْ مَـرَّةً وَاحِـدَةً ... إِنَّما العَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدْ
وَلَـقَـد قَـالَـتْ لِجَارَاتٍ لَـهَـا ... وَتَـعَـرَّتْ ذَاتَ يَـومٍ تَـبْـتَـرِدْ



أَكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرْنَنِي عَمْرَكُنَّ اللهُ لِمَ لَا يَقْتَصِدْ
فَتَضَاحَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَينٍ مَنْ تَوَدْ
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ مِنْ شَأْنِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي الحُبِّ الحَسَدْ

وللقصيدة بقية تجدها في ديوانه ص ١٤٦، وأما شرح الناشرين للرقائق بأنها رقائق النسيب فإنه شرح بعيد عن الصواب، والرقائق جمع رقيقة وأصلها الأحاديث التي ترقق القلب، وقد أفردها البخاري في صحيحه بكتاب سماه كتاب (الرقائق) قال ابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٨٠: «والرقائق والرقاق: جمع رقيقة، وسميت هذه الأحاديث بذلك لأن في كل منهما ما يحدث في القلب رقة...»، وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في تاريخ بغداد ١/ ١٦٧: «ولابن المبارك كتاب اسمه الزهد والرقائق. قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقائق يصير كأنه ثور منخور من البكاء»، وقال أيضًا في ترجمة ابن أبي الدنيا ١٠/ ٨٩: «صاحب الزهد والرقائق»، وقال في ترجمة ابن الخبازة الشاعر ٥/ ٤٢٥: «وله شعر كثير في الزهد والرقائق».





تعقيب على استخدام كلمة بواسل وتعبير ذهب توًا[1]

١ - بواسل ليست من لحن القول:

كتب الأستاذ أنور المعداوي في بعض تعقيباته يقول: «أنا شديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البواسل من يقرأ الرسالة ويعشق الأدب»، وقد حسب الأستاذ عبدالجليل السيد حسن أن جمع باسل علىٰ بواسل من لحن القول الذي شاع استعماله في هذه الأيام بين عامة الكتاب، فكتب في البريد الأدبي كلمة يعلم بها السادة الأفاضل الكُتَّاب صواب هذا اللحن، قال فيها: «هذا الجمع غريب شاذ، فلا المعاجم تذكره، ولا القياس يبرره، ولا السماع يؤيده، فلم لا نقتله ونحيي لفظين رشيقين صحيحين يَسْتَعْذِبُهُمَا الذوق وهما: بُسْلٌ وَبُسَلَاء».

وهذا قول كما تعوده بعض المصححين من جرأة بالغة علىٰ اللغة وعلىٰ ما لا يعلمون، إن (بواسل) كلمة عربية رشيقة فصيحة صحيحة، مسموعة عن العرب الخلص منذ الجاهلية الأولىٰ، قال بَاعِثُ بنُ صُرَيْمٍ اليَشْكُرِي يذكر يوم الحاجز:

وخِمَارِ غَانِيَةٍ عَقَدْتُ بِرَأْسِهَا ... أُصُلًا وكَانَ مُنَشَّرًا بِشِمَالِهَا

وَعَقِيلَةٍ يَسْعَىٰ عَلَيْهَا قَيِّمٌ ... مُتَغَطْرِسٌ أَبْدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِهَا

وَكَتِيبَةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ (بَوَاسِلٍ) ... كَالأُسْدِ حَينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِهَا

قَدْ قُدتُ أَوَّلَ عُنْفوانِ رَعِيلِهَا ... فَلَفَفْتُهَا بِكَتِيبَةٍ أَمْثَالِهَا

---

(١) مجلة الرسالة، السنة السابعة عشرة، عدد ٨٤٥، سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م، ص ١٣٥٨.



وتمر الأبيات في ديوان الحماسة ٢ / ١١ .

وقال المحاربي كما روىٰ ابن الشجري في حماسته ص ٧٣:

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ خِدَاشًا وَعبداللهِ مَا أَنَا قَائِلُ

فَلَا تُوَاعِدُونَا بِالحُرُوبِ فَإِنَّنَا لَدَىٰ الحَربِ أُسْدٌ خَادِرَاتٌ (بَوَاسِلُ)

٢ - ذهب توا:

وكما جانب المعقب الصواب في إنكار (بواسل) فقد جانبه كذلك في إنكار (ذهب توا) حيث يقول: «ومما يقلبه الكتاب عامتهم قلبًا ويمسخونه مسخًا ويسلخونه سلخا استعمالهم توا بمعنىٰ الساعة وحالًا، فيقولون ذهب توا وذهب لتوه. وهذا المعنىٰ تلفظه المعاجم وتنبذه اللغة، وما قالته هو: التو بمعنىٰ الفرد فذهب توا أي فردًا أو لم يلوه شيء. والصواب توه» وهذا الذي قاله غير صحيح أيضًا، قال الزمخشري في الفائق: «ومنه قولهم سافر توًا إذا لم يعرِّج في طريقه علىٰ ما كان» وفي القاموس: «التو الفرد، والحبل، وبهاء الساعة، وجاء توا: إذا جاء قاصدًا لا يعرجه شيء فإن أقام ببعض الطريق فليس بتو».

هذا وإني أنصح الأستاذ المعقب بنصيحة خالصة نصحني بها منذ أكثر من عشرة أعوام صديقي الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر ونحن نقرأ حماسة ابن الشجري، قال لي عندما قرأت قول باعث اليشكري: (وَكَتِيبَةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَوَاسِلٍ): «وهذه كلمة أغفلتها المعاجم فيما أغفلت من أوابد اللغة وشواردها، ومن ثم أنصح لك ألا تقطع برأي فيما لا تجده في المعاجم إلا بعد تثبيت، فإن كثيرًا من ألفاظ اللغة موجود في الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي ولم يقيده الرواة في معاجم اللغة، واقتصروا أيضًا في شرح بعض الكلمات علىٰ ما ورد في أبيات بعينها مما رووه، وفيما لم يرووه ولم يشرحوه كثير مما ينبغي أن يشرح مرة ثانية



بدلالة هذا الشعر». هذه نصيحة صديقي الأستاذ محمود محمد شاكر وهي نصيحة قيمة تعصم من اتبع هداها من التردي في مهاوي العثرات.

وإني لأرجو من المعقبين اللغويين أن يلقوا إليها أسماعهم ليجنبوا القراء متاعب (الجعاجع) الفارغة التي يثيرونها كل حين باسم الحفاظ علىٰ العربية، وما بالعربية إلا قلة بصرهم بها، وذهابهم توا إلىٰ إنكار مالا يعلمون من ألفاظها، ونضر الله وجه الشافعي إذ يقول: «ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء علىٰ عامتها حتىٰ لا يكون موجودًا فيها من يعرفه».





أبو الفرج وكتابه مقاتل الطالبيين[1]

في سنة أربع وثمانين ومائتين ولد بمدينة أصفهان عليّ بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبدالرحمن بن مروان بن عبدالله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف، القرشي الأموي. ونشأ ببغداد وأخذ العلم عن أعلامها، وكانت بغداد إذ ذاك قرارة العلم والعلماء، ومثابة الأدب والأدباء، ومهوىٰ أفئدة الذين يرغبون في الإلمام بالثقافة، أو يودون التخصص في فروعها.

وقد أخذ علي بن الحسين نفسه بالجد في طلب العلم، وأفرغ له باله، وأخلص فكره، فنبغ وتفوّق، وكان له من توقد ذكائه، والتهاب خاطره، وسرعة حفظه، وشغفه بالمعرفة ما مكن له من ناصية التفوق وذلّل له من شماس النبوغ، وجعله ينهض بتأليف كتاب الأغاني العظيم ولما يبلغ الثلاثين من عمره، فإذا ما بلغها أو جاوزها بعام أو ببعض عام ألّف كتابه الخالد (مقاتل الطالبيين). وليس ذلك بغريب علىٰ أديب مجدّ موهوب قد مُليء طموحا إلىٰ المراتب العالية، وهام وجدا بالعز الرفيع، وقد قدر له أن يعرف شابا من لداته يهيم بالمجد مثله، ويبتغي إليه الوسيلة بالقوة في العلم والأدب، وهو الحسن بن محمد المهلبي، وتظهرهما المعرفة علىٰ ما بينهما من التمازج النفسي، والالتقاء الكثير في الإرادات والاختيارات

---

(١) مقدمة تحقيق مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ)، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، الطبعة الأولىٰ، مجلد واحد، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م. وقد نشرت هذه المقدمة في هذا الجزء المخصص للمقالات فقط من أجل الوحدة الموضوعية لهذا الجزء وهو الأدب والشعر.



والشهوات، فتتوثق بينهما صداقة عقلية، ومؤاخاة روحية، وتظل قوية العرىٰ، مستحصدة العلائق علىٰ كر الغداة ومرّ العشي.

ويختلف الدهر، ويتبدل العسر باليسر، ويرق الزمان لفاقة المهلّبي، ويرثي لطول تحرقه، وينيله ما يرتجي، فيصير وزيرا لمعز الدولة بن بويه. ويطيع الدهر بعد عصيانه لأبي الفرج فيصبح كاتبا لركن الدولة بن بويه، قريب المنزلة منه، عظيم المكانة لديه. ولعل من أسباب تلك الخطوة اتفاقهما في التشيع فقد كان ركن الدولة يتعهد العلويين بالأموال الكثيرة والمنح الجزيلة[1].

وفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة يستوزر ركنُ الدولة أبا الفضل بن العميد فيكون بينه وبين أبي الفرج ما يكون عادة من التحاسد والتباغض، والمصارعة النفسية، والاستباق إلىٰ قلب ركن الدولة، ويستطيل ابن العميد علىٰ أبي الفرج ويتعاظم، ولا يلقاه بما ينبغي له من الإجلال والتعظيم أثناء دخوله وخروجه، فتثور نفسه، ويجيش صدره، ويخاطبه بقوله:

مَـالُـكَ مَـوْفُـورٌ فـمـا بَـالُـه ... أَكْسَبَكَ التِّيْهَ عَلَىٰ المُعْدَمِ

ولِـمَ إذا جِـئْـتَ نَهَضْـنَا وإن ... جِئْنَا تَطَاوَلْـتَ ولَـمْ تُـتْـمِمِ

وإنْ خَرَجْنَا لم تَقُل مثلَ ما ... نَـقُـولُ: قَـدِّم طَـرفَـهُ قَـدِّمِ

إن كُنتَ ذا علمٍ فَمَن ذا الذي ... مِثلَ الذي تَعْلَـمُ لَـمْ يَعْلَـمِ

ولستُ في الغَارِبِ من دولةٍ ... ونحن من دونك في المَنسَمِ

وقد وُلِـيـنَـا وَعُـزِلـنَـا كـمـا ... انت فَلَم نَصْغُر وَلَم نعظُمِ

---

(١) ابن الأثير ٨/ ٢٤٢ .



تَكَافَأَت أَخْوَالُنا كُلُّها فَصِلْ علىٰ الإِنصَافِ أو فاصْرِمِ

ويظل أبو الفرج في ظلال الوزير المهلبي مدة وزارته لمعز الدولة، وهي مدة طويلة أربت علىٰ ثلاث عشرة سنة، يسامره و ينادمه ويؤاكله، ويصبر الوزير علىٰ مساوئ أبي الفرج، فقد كان قذر المطعم والمشرب والملبس، لا ينضو عنه ثوبه إلا إذا أبلت جدته الأيام، وصار خلقًا لا يجمل بذي المروءة أن يلبسه ولو لم يكن سميرًا لوزير، أو كاتبًا لأمير.

وتجري الأيام بينهما علىٰ خير ما تجري بين صديقين أو علىٰ خير ما تجري به بين سمير ظريف، ووزير حصيف يفيض بالكرم والإنعام. ويؤتي الكرم ثماره فَيُسَخِّرُ أبو الفرج أدبه في خدمة الوزير، ويترصد مواقع هواه، فيضع فيها نثره وشعره، ويؤلف له (نسب المهالبة) و (مناجيب الخصيان) لأنه كان يهيم بخصيين مغنيين كانا له، وينظم فيه الشعر كلما دعت المناسبة، فيهنئه إذا أبلّ من مرض أو ولد له، ويمدحه في المواسم والأعياد، ويتطرف فيشكو إليه الفأر، ويصف الهر، ويستميحه البر:

رَهَنْتُ ثِيَابِي وَحَالَ القَضَا ءُ دُونَ القَضَاءِ وَصَدَّ القَدَر

وَهَذَا الشِّتَاءُ كَمَا قَدْ تَرَىٰ عَسُوفٌ عَلَيَّ قَبِيحُ الأَثَر

يُنَادِي بِصِرٍ مِنَ العَاصِفَاتِ أَوْ دَمَقٍ مِثْلِ وَخْزِ الإِبَر

وَسُكَّانُ دَارِكَ مِمَّنْ أَعُولُ يَلْقَيْنَ مِنْ بَرْدِهِ كُلَّ شَر

فَهَذِي تَحِنُّ وَهَذِي تَئِنُّ وَأَدْمُعُ هَاتِيكَ تَجْرِي دِرَرْ

إِذَا مَا تَمَلْمَلْنَ تَحْتَ الظَّلَامِ تَعَلَّلْنَ مِنْكَ بِحُسْنِ النَّظَرْ

وَلَاحَظْنَ رَبْعَكَ كَالْمُمْحِلِيـ ... نَ شَامُوا الْبُرُوقَ رَجَاءَ الْمَطَرْ

يُؤَمِّلْنَ عَوْدِي بِمَا يَنْتَظِرْنَ ... كَمَا يُرْتَجَىٰ آيِبٌ مِنْ سَفَر

فَأنعِمْ بِإِنْجَازِ مَا قَدْ وَعَدْتَ ... فَمَا غَيْرُكَ الْيَوْمَ مَنْ يُنْتَظَر

وَعِشْ لِي وَبَعْدِي فَأَنْتَ الْحَيَاةُ ... وَالسَّمْعُ مِنْ جَسَدِي وَالْبَصَر

وهو إذا ما عرض لمدحه لا يجنح إلىٰ المبالغة الممقوتة، ولا يتعمل الثناء الأجوف، ولا يتصيد المكارم تصيدًا، بل يقول ما يعرفه ويصفه بما فيه.

إِذَا مَا عَلَا فِي الصَّدْرِ لِلنَّهْيِ وَالأَمْرِ ... وَبَتَّهُمَا فِي النَّفْعِ مِنْهُ وَفِي الضُّرِ

وَأَجْرَىٰ ظِبَا أَقْلَامِهِ وَتَدَفَّقَتْ ... بَدِيهَتُهُ كَالْمُسْتَمِدِّ مِنَ الْبَحْرِ

رَأَيْتُ نِظَامَ الدُّرِ فِي نَظْمِ قَوْلِهِ ... وَمَنْثُورِهِ الرَّقْرَاقِ فِي ذَلِكَ النَّثْرِ

وَيَقْتَضِبُ الْمَعْنَىٰ الْكَثِيرَ بِلَفْظَةٍ ... وَيَأْتِي بِمَا تَحْوِي الطَّوَامِيرُ فِي سَطْرِ

أَيَا غُرَّةَ الدَّهْرِ الْتَنِيفِ غُرَّةَ الشَّهْرِ ... وَقَابِلْ هِلَالَ الفِطْرِ مِنْ لَيْلَةِ الفِطْرِ

بِأَيْمَنَ إِقْبَالٍ وَأَسْعَدَ طَائِرٍ وَأَفْضَلَ ... مَا تَرْجُوهُ فِي أَفْسَحِ الْعُمْرِ

فليس في هذا المديح إسراف ولا إغراق في المبالغة؛ فقد كان الوزير المهلبي كما يقول الثعالبي: «غاية في الأدب والمحبة لأهله، وكان يترسل مترسلا مليحا، ويقول الشعر قولا لطيفا، يضرب بحسنه المثل، يغذي الرُّوح ويجلب الرُّوح»[1]، وكان محدثا حسن الحديث، بليغ العبارة رشيق اللفظ، وكان أكثر حديثه يدور حول مذاكرة الأدب ومقابسة العلوم؛ لكثرة من يغشي مجالسه من العلماء والأدباء

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٢.



والندماء كالصاحب ابن عباد[١]، وأبي إسحاق الصابي[٢]، والقاضي التَّنُوخِي[٣]، وابن سُكَّرة الهاشمي[٤]، وأبي القاسم الجهني[٥]، وأبي النجيب الجزري[٦]، وأبناء المنجم[٧]، وكان أبو الفرج يجول في هذه المجالس ويصول، يقص ويروي، وينقد ويتندَّر ، وينثر من أدبه ويفيض من علمه، فكان مجلس المهلبي من أسباب نباهة شأنه وشيوع ذكره، كما كان بِرُّ المهلبي من أسباب رفاهية عيشه وتفرغه للعلم والأدب، ولكنه مع ذلك لم يخل من هجوه وكان يعلم أنه يهجوه سرًا فطلب إليه وقد سكرا ذات ليلة أن يهجوه جهرا في قصة نطويها كما يُطوىٰ بساط السُّلَاف بما فيه، وقد رأىٰ أبو الفرج منه بعض ما يكره فظن أنه رمىٰ به من حالق، بعد أن أنعم عليه الخالق، فقذفه بهذين البيتين:

أَبِعَيْنِ مُفْتَقِرٍ إِلَيْكَ رَأَيْتَنِي ... بَعْدَ الغِنَىٰ فَرَمَيْتَ بِي مِنْ حَالِقِ

لَسْتَ المَلُومَ أَنَا المَلُومُ لِأَنَّنِي ... أَمَّلْتُ لِلْإِحْسَانِ غَيْرَ الخَالِقِ

يومئ أبو الفرج إلىٰ ما كان من فقر الوزير أيام كان يشتهي اللحم ولا يقدر علىٰ ثمنه فيتمنىٰ الموت ويقول:

أَلَا مَـوْتٌ يُـبَـاعُ فَـأَشْـتَـرِيـهِ ... فَهَذَا العَيْشُ مَالَا خَيْرَ فِيهِ

---

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٥ .

(٢) يتيمة الدهر.

(٣) معجم الأدباء.

(٤) معجم الأدباء.

(٥) معجم الأدباء.

(٦) معجم الأدباء.

(٧) يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٦ .

أَلَا مَوْتٌ لَذِيذُ الطَّعْمِ يَأْتِي ... يُخَلِّصُنِي مِنَ العَيْشِ الكَرِيهِ
إِذَا أَبْصَرْتُ قَبْرًا مِنْ بَعِيدٍ ... وَدِدْتُ لَو أَنَّنِي مِمَّا يَلِيهِ
أَلَا رَحِمَ المُهَيْمِنُ نَفْسَ حُرٍّ ... تَصَدَّقَ بِالوَفَاةِ عَلَىٰ أَخِيهِ

وتفعل هذه الإشارة فعلها في نفس المهلبي، ولكنه يذكر إحسان الخالق إليه وأنه أصبح وزيرا رافغ العيش: «إذا أراد أكل شيء مما يتناول بالملعقة كالأرز واللَّبن وأمثالهما وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجا مجرودا، وكان يستعمله كثيرا - فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة ثم يدفعها إلىٰ غلام آخر قام من الجانب الأيسر، ثم يأخذ أخرىٰ فيفعل بها فعل الأولىٰ حتىٰ ينال الكفاية؛ لئلا يعيد الملعقة إلىٰ فيه دفعة ثانية»[1]، يذكر المهلبي ذلك كله ويذكر صديقه أبا الفرج فيعفو عنه ويغفر له هجاءه، ويتصل حبل إخائهما حتىٰ يقطعه موت المهلبي في سنة ٣٥٢هـ، ثم يلحق به أبو الفرج بعد أن يخلط في ذي الحجة سنة ٢٥٦هـ علىٰ أصح الأقوال[2].

وقد كان أبو الفرج هجاء خبيث اللسان يحذره الناس ويتقونه، وقد التمس ذات مرة عصا من أحد القضاة فلم يعطه إياها فهجاه بأبيات بلغت الغاية في الإقذاع، ويستوزر الخليفة الراضي أبا عبدالله البريدي وكانت داره ملاصقة لدار أبي الفرج فيهجوه ويؤنب الراضي بقصيدة تزيد علىٰ مائة بيت مطلعها:

يَا سَمَاءُ اسْقُطِي وَيَا أَرْضُ مِيدِي ... قَدْ تَوَلَّىٰ الوَزَارَةَ ابْنُ البَرِيدِي[3]

---

(١) ابن خلكان ١/ ٣٣٥ .

(٢) معجم الأدباء ١٣/ ١٠٣ .

(٣) الفخري ص ٢٥٦ .



وينحدر أبو الفرج إلىٰ البصرة فيضيق بها ويهجوها وأهلها ويقول عنهم: «إنهم كلاب يلبسون الفِرَا».

وقد كان أبو الفرج ذا عناية ملحوظة بالحيوانات وتربيتها: «كان له سنور أبيض يسميه (يَقَقًا)، وكان من عادة هذا السنور أن يخرج ويصيح إذا ما قرع باب أبي الفرج قارع إلىٰ أن يتبعه من يفتح الباب، وقد مرض (يقق) بالقولنج فشغل أبو الفرج بعلاجه وتفقده أصحابه، وذهب إليه منهم أبو إسحاق الصابي وأبو العلاء صاعد وأبو علي الأنباري لقضاء حقه وتعرف خبره، فطلع عليهم أبو الفرج بعد مدة مديدة ويده ملوثة بما ظنوه شيئا كان يأكله فقالوا له: عققناك بأن قطعناك عما كان أهم من قصدنا إياك، فقال لهم: لا والله يا سادتي ما كنت علىٰ ما تظنون، وإنما لحق (يققا) قولنج فاحتجت إلىٰ حقنه فأنا مشغول بذلك، فلما سمعوا قوله ورأوا التلوث في يده نفروا منه واعتذروا إليه وانصرفوا عنه لتناهيه في القذارة إلىٰ ما لا غاية بعده»[1] كما قالوا وحسبوا، ولعله قد غاب عنهم أن أبا الفرج كان بصيرا بعلم الجوارح و البيطرة والطب، وأنه لا تثريب عليه إذا ما زاول علاج سنوره بيده وطبق العلم علىٰ العمل كما يقال. ومن يدري فلعل أبا الفرج لولم يحقن (يققا) لضاع علىٰ مؤرخي الحضارة العربية شاهد عظيم يثبت معرفة العرب لحقن الحيوان وسبقهم إلىٰ ذلك منذ منتصف القرن الرابع الهجري.

وقد فجع أبو الفرج في ديك له رشيق تكاملت فيه جمل الجمال بأسرها، وكسي كالطاوس ريشا لامعا متلألأ ذا رونق وبريق:

مِنْ حُمْرَةٍ فِي صُفْرَةٍ فِي خُضْرَةٍ ... تَخَيُّلُهَا يُغْنِي عَنِ التَّحْقِيقِ

وَكَأَنَّ سَالِفَتَيْهِ تِبْرٌ سَائِلٌ ... وَعَلَىٰ المَفَارِقِ مِنْهُ تَاجُ عَقِيقِ

(١) معجم الأدباء ١٣/ ١٠٥ .



فرثاه بقصيدة طويلة تعد من عيون الشعر العربي في رثاء الحيوان، وصار يبكيه كلما أبصر ربعه موحشا أو سمع صياح ديك:

أَبْكِي إِذَا أَبْصَرْتُ رَبْعَكَ مُوحِشًا ... بِتَحُنُّنٍ وَتَأَسُّفٍ وَشَهِيقِ
وَيَزِيدُنِي جَزَعًا لِفَقْدِكَ صَادِحٌ ... فِي مَنْزِلٍ دَانٍ إِلَيَّ لَصِيقِ
قَرَعَ الفُؤَادَ وَقَدْ زَقَا فَكَأَنَّهُ ... نَادَىٰ بِبَيْنٍ أَوْ نَعِيٍّ شَقِيقِ
فَتَأَسُّفِي أَبَدًا عَلَيْكَ مُوَاصَلٌ ... بِسَوَادِ لَيْلٍ أَوْ بَيَاضِ شُرُوقِ
وَإِذَا أَفَاقَ ذَوُو المَصَائِبِ سُلْوَةً ... وَتَصَبَّرُوا أَمْسَيْتُ غَيْرَ مُفِيقِ

وكان أبو الفرج في ربيع العمر وريعان الشباب يطلق عقال النفس، ويقيد مراشف الكأس، ويرتاد منازه الحسن، ويطوف بمسارح الجمال لينزه مقلته، ويرشف من رحيقه ما ينقع غلته، وثم يوقع أنغام نفسه وألحان حسه علىٰ قيثارة شعره، ويشدو بما يفصح عن إسماح الجميل بعد ليانه، وإطاعة الدهر بعد عصيانه.

كما كان يغشي سوق الوراقين ويجلس علىٰ دكاكينهم يقرأ ما يلحظ وينقد ما يسمع[1]، ويأخذ بأطراف الأحاديث التي يتجاذبها بينهم رواد السوق من العلماء والأدباء، ثم يؤوب إلىٰ داره بعد أن يصطفي ما يرتئي من الأسفار والمصادر التي يعتمد عليها في تأليف كتبه.

ولأبي الفرج مؤلفات كثيرة منها:

(١) الأغاني الكبير.

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ١١٢ .



(٢) أخبار القيان.

(٣) أخبار الطفيليين.

(٤) أخبار جحظة البرمكي.

(٥) أيام العرب: ألف وسبعمائة يوم.

(٦) الإماء الشواعر.

(٧) أدب الغرباء.

(٨) أدب السماع.

(٩) الأخبار والنوادر.

(١٠) الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار.

(١١) المماليك الشعراء.

(١٢) الغلمان المغنين.

(١٣) الحانات.

(١٤) التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها، وهو كتاب جمهرة أنساب العرب.

(١٥) تفضيل ذي الحجة.

(١٦) تحف الوسائد في أخبار الولائد.

(١٧) الخمارين والخمارات.

(١٨) دعوة التجار.



(١٩) دعوة الأطباء.

(٢٠) الديارات.

(٢١) رسالة في الأغاني.

(٢٢) مجرد الأغاني.

(٢٣) مقاتل الطالبيين.

(٢٤) مجموع الأخبار والآثار.

(٢٥) مناجيب الخصيان.

(٢٦) كتاب النغم.

(٢٧) نسب المهالبة.

(٢٨) نسب بني عبدشمس.

(٢٩) نسب بني شيبان.

(٣٠) نسب بني كلاب.

(٣١) نسب بن تغلب.

وقد عنىٰ بديوان أبي تمام فجمعه ورتبه علىٰ الأنواع، كما جمع ديوان أبي نواس، وجمع ديوان البحتري ورتبه علىٰ الأنواع كذلك.

وكان لأبي الفرج في منزله عمل آخر غير تأليف الكتب والرسائل وقرض الشعر وجمع الدواوين، فقد كان يجلس لتلاميذه ورواد أدبه يقرئهم من كتبه ما يريد أو ما يريدون علىٰ نحو ما كان يفعله أستاذه أبو جعفر الطبري، وفي طليعة تلك الكتب التي قرئت عليه من أولها إلىٰ أخرها كتاب الأغاني الكبير الذي: «جمع فيه أخبار



العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم، وجعل مبناه على الغناء في مائة الصوت التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه. ولعمري إنه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال، ولا يعدل به في ذلك كتاب فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنى له بها»[١].

ومن كتبه التي قرئت عليه كذلك كتاب (مقاتل الطالبيين)، وقد عُنيتُ بنشره لقيمة موضوعه وجلال مؤلفه في نفسي، وعظم مكانتها في الأدب العربي والتاريخ الإسلامي منذ كان إلى يوم الناس هذا. ولا يعرف التاريخ أسرة كأسرة أبي طالب بلغت الغاية من شرف الأرومة وطيب النجار، ضل عنها حقها وجاهدت في سبيل حق الجهاد على مر الأعصار ثم لم تظفَر من جهادها المرير إلا بالحسرات، ولم تعقب من جهادها إلا العبرات على ما فقدت من أبطال، أسالوا نفوسهم في ساحة الوغى راضية قلوبهم مطمئنة ضمائرهم وصافحوا الموت في بسالة فائقة، وتلقوه في صبر جميل يثير في النفس أفانين الإعجاب والإكبار، ويشيع فيها ألوان التقدير والإعظام.

وقد أسرف خصوم هذه الأسرة الطاهرة في محاربتها وأذاقوها ضروب النكال وصبوا عليها صنوف العذاب ولم يرقبوا فيها إلّا ولا ذمة، ولم يرعوا لها حقًا ولا حرمة، وأفرغوا بأسهم الشديد على النساء والأطفال والرجال جميعًا في عنف لا يشوبه لين، وقسوة لا تمازجها رحمة، حتى غدت مصائب أهل البيت مضرب الأمثال في فظاعة النكال. وقد فجرت هذه القسوة البالغة ينابيع الرحمة والمودة في قلوب الناس، وأشاعت الأسف الممض في ضمائرهم، وملأت عليهم أقطار

---

(١) مقدمة ابن خلدون.



نفوسهم شجنًا، وصارت مصارع هؤلاء الشهداء حديثًا يروىٰ وخبرًا يتناقل وقصصًا يقص، يجد فيه الناس إرضاء عواطفهم، وإرواء مشاعرهم، فتطلبوه وحرصوا عليه.

وقد استجاب الرواة و المؤلفون لنداء هذه الرغبة العارمة أو لطلب المَثالة بين الناس فشرعوا يؤلفون أخبارهم ويسطرون فضائلهم ويدبجون سيرهم ويؤرخون مقاتلهم، ومن هؤلاء العلماء أبو مخنف المتوفىٰ قبل سنة ١٧٠هـ فقد ألّف (مقتل علي)[١] و(مقتل الحسين)[٢]، وألّف نصر بن مزاحم المنقري المتوفىٰ سنة ٢١٢هـ (مقتل الحسين)[٣]، وألّف الهيثم بن عدي المتوفىٰ سنة ٢٠٧هـ (أخبار الحسن ووفاته)[٤] وألف الواقدي (مقتل الحسن) و(مقتل الحسين)[٥]، وألف ابن النطاح (مقتل زيد بن علي)[٦]، وألف الغلابي (مقتل علي) و(مقتل الحسين)[٧]، وألف الأشناني (مقتل الحسن) و(مقتل زيد بن علي)[٨]، وألف عمر بن شبه (مقتل محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن)[٩]، وألف المدائني المتوفىٰ سنة ٢٢٥هـ كتاب (أسماء من قُتل من الطالبيين)[١٠].

---

(١) فهرست ابن النديم ص ١٣٦ .

(٢) ابن النديم ١٣٧

(٣) ابن النديم ١٣٧

(٤) ابن النديم ١٤٦

(٥) ابن النديم ١٤٤ ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٨٢

(٦) ابن النديم ١٥٦

(٧) ابن النديم ١٦٦

(٨) ابن النديم ١٦٦

(٩) ابن النديم ١٦٣

(١٠) ابن النديم ١٦٣



ثم جاء أبو الفرج الأصفهاني المتوفىٰ سنة ٣٥٦هـ فألف (مقاتل الطالبيين) أو (مقاتل آل أبي طالب) كما يسميه ابن النديم(١).

ترجم أبو الفرج فيه للشهداء من ذرية أبي طالب منذ عصر رسول الله ﷺ إلىٰ الوقت الذي شرع يؤلف فيه كتابه، وهو جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاثة عشر و ثلثمائة، سواء أكان المترجم له قتيل الحرب أو صريع السم في السلم، وسواء أكان مهلكه في السجن أم في مهربه أثناء تواريه من السلطان.

وقد رتب مقاتلهم علىٰ السياق الزمني ولم يرتبها علىٰ حسب أقدارهم في الفضل ومنازلهم في المجد. واقتصر علىٰ من كان نقي السيرة قويم المذهب، وأعرض عن ذكر من عدل عن سنن آبائه، وحاد عن مذاهب أسلافه، وكان مصرعه في سبيل أطماعه، وجزاء ما اجترحت يداه من عيث وإفساد.

وقد صنف أبو الفرج أخبارهم، ونظم سيرهم، ورصف مقاتلهم، وجلىٰ قصصهم بأسلوبه الساحر، وبيانه الآسر، وطريقته الفذة في حسن العرض، ومهارته الفائقة في سبك القصة، وحبك نسجها وائتلاف أصباغها وألوانها، وتسلسل فكرتها، ووحدة ديباجتها، وتساوق نصاعتها، علىٰ اختلاف رواتها وتعدد روايتها وتباين طرقها، حتىٰ لتبدو وكأنها بنات فكر واحد، وهذا هو سر الصنعة في أدب أبي الفرج الأصفهاني.

ولئن كان أبو الفرج قد بلغ غاية التصوير والتعبير في كتاب الأغاني لأن موضوعه يلتئم ومزاجه الفني، ويتفق ومسلكه في الحياة، ويقع من عقله وفكره وذوقه وعاطفته موقع الرضا والقبول، فإنه كذلك قد بلغ غاية التصوير والتعبير في مقاتل الطالبيين؛ لأن موضوعه حبيب إلىٰ نفسه، عظيم المكانة من قلبه، لأنه وإن

(١) ابن النديم ١٤٨ ومعجم الأدباء.



كان أموي النسب فإنه شيعي الهوىٰ وليس ذلك بمستغرب ولا مستنكر فإن التشيع الحقيقي ينجم عن حب الرسول ويصدر عن مودة قرباه وآل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والحب الصادق لا يقيم وزنًا لفارق النسب ولا لغيره من الفوارق التي يحقرها ويحطم مغاليقها وأسوارها وإن تواضع الناس علىٰ احترامها.

نعم كان أبو الفرج أمويًا شيعيًا، وشيعيًا أمويًا يعطف علىٰ الدولة الأموية بالأندلس ويكرم وفادة رسلها إليه، ويختصها بثمار قريحته ونتائج فطنته، ويؤلف الكتب ثم يرسل بها إليهم فتظهر عندهم قبل ظهورها في المشرق بل لا يكاد المشرق يعرف عن أكثرها إلا اسمه وقد عدّ الخطيب البغدادي من هذه الكتب أحد عشر كتابًا[1].

كان موضوع مقاتل الطالبيين إذًا محببًا إلىٰ نفس أبي الفرج فحشد له همته، وجند روايته، وصنعه علىٰ عينيه فجاء جامعًا لأشتات محاسنهم، وصار عمدة لكل من أتىٰ بعده وقصد قصده.

وقد كان أبو الفرج غزير العلم والأدب جيد الرواية لهما والبصر بفقههما، قال معاصره القاضي التنوخي: «ومن الرواة المتسعين الذين شاهدناهم أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني فإنه كان يحفظ من الشعر، والأغاني، والأخبار، والآثار، والحديث المسند، والنسب ما لم أر قط من يحفظ مثله، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء ويحفظ دون ما يحفظ منها علومًا أخر منها: اللغة، والنحو، والخرافات، والسير و المغازي؛ ومن آلة المنادمة شيئًا كثيرًا مثل علم الجوارح، والبيطرة، ونتف من الطب، والنجوم، والأشربة وغير ذلك»[2].

---

(١) تاريخ بغداد ٣٩٨/١١

(٢) معجم الأدباء



وقد ثقف أبو الفرج معارفه وعلومه الجمة عن الأعلام في عصره والأسفار القيمة التي كانت موجودة إذ ذاك، بيد أنه استباح لنفسه أن يروي منها علىٰ أنه حُدث بها ومن أجل ذلك اتهم بالاختلاق، والذي يقرأ الأغاني ومقاتل الطالبيين تهوله تلك الكثرة الهائلة، ويتعاظمه ذلك الجم الغفير من الرواة ويتخالجه الشك إذا ذكر ما يقوله ابن النديم من أن أبا الفرج كانت له رواية يسيرة، وأكثر تعويله في تصنيفه كان علىٰ الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الأصول الجياد[1].

ومن الرواة الذين روىٰ عنهم أبو الفرج يحي بن علي المنجم المتوفىٰ سنة ٣٠٠هـ، ومحمد بن جعفر القتات المتوفىٰ سنة ٣٠٠هـ والفضل بن الحباب المتوفىٰ سنة ٣٠٥هـ، وعلي بن العباس المقانعي المتوفىٰ سنة ٣١٣هـ، والأخفش المتوفىٰ سنة ٣١٥ هـ، وجعفر بن قدامة المتوفىٰ سنة ٣١٩هـ، وابن دريد المتوفىٰ سنة ٣٢١هـ، ونفطويه المتوفىٰ سنة ٣٢٣هـ، وجحظة المتوفىٰ سنة ٣٢٦هـ، وابن الأنباري المتوفىٰ سنة ٣٢٨هـ، كما روىٰ عن عمه الحسن بن محمد وعم أبيه عبدالعزيز بن أحمد بن الهيثم[2]، ومحمد بن خلف بن المرزبان.

ولعل أهم أستاذ لأبي الفرج في الناحية التاريخية التي نحن بصددها هو محمد بن جرير الطبري؛ وقد قرأ عليه تاريخ الأمم والملوك وكتاب المغازي، وكان أبو الفرج يبتغي الوسائل إلىٰ قلبه ويسارع في مرضاته.

وقد روىٰ عن أبي الفرج عدد كبير منهم محمد بن أحمد المغربي راوية أبي الطيب المتنبي، وكان له معه أخبار كما يقول ياقوت. ومنهم أبو الحسن علي بن

---

(١) ابن النديم ١٦٧

(٢) في جمهرة النسب لابن حزم ص ٩٨،٩٩ (وكان عمه الحسن بن محمد من كبار الكتاب بسر من رأىٰ، أدرك أيام المتوكل. و كان عمه عبدالعزيز بن أحمد بن الهيثم من كبار الكتاب أيضا أيام المتوكل)



محمد ابن دينار (٣٢٣ - ٤٠٩هـ) وقد حدث عنه ابن بَشْرَان النحوي أنه قال: «قرأت علىٰ أبي الفرج علي بن الحسن الأصفهاني جميع كتاب الأغاني». ومنهم الدارقطني (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ)، وعبدالله بن الحسين الفارسي، وأبو إسحاق الطبري (٣٢٤-٣٩٣ هـ)، وهما اللذان رويا عنه مقاتل الطالبيين، وقد سلم نص روايتهما له من عوادي الزمن، وعنه كانت الطبعة الأولىٰ للكتاب في طهران سنة ١٣٠٧هـ. وهي طبعة حجرية سقيمة يشيع فيها التحريف والتصحيف. ثم أعيد طبعها في النجف سنة ١٣٥٣هـ؛ وهي طبعة لا تفضل أصلها إلا بكثرة الأخطاء الغليظة التي يستغلق معها الفهم، وينبهم المعنىٰ ويعتاص.

وقد رجعت في تحقيقه إلىٰ نسخة خطية محفوظة (بدار الكتب المصرية) فرغ ناسخها من نسخها في شهر صفر سنة ١٠٧٤هـ وكانت من كتب الإمام يحي إمام اليمن السابق ثم أهداها إلىٰ شيخ العروبة المغفور له (أحمد زكي باشا) وكتب عليه بخطه: «هذا الكتاب الفخم قدمناه لحضرة السيد أحمد زكي باشا عافاه الله»، كما كتب عليه أحمد زكي باشا بخطه: «هذه النسخة عليها تعليقات وحواش بخط أمير المؤمنين يحي حميد الدين المتوكل علىٰ الله»، وكنت أبغي مراجعة النسخة الخطية المحفوظة بالمتحف البريطاني بلندن ولكن الصورة الفوتوغرافية التي طلبتها لم تصل إلي إلا أثناءِ طبع الفهارس. وهي منسوخة في سنة ١٠٥٣هـ.

وقد راجعت نصوص الكتاب علىٰ الكتب التي نقل منها أبو الفرج، أو التي نقلت عنه، وأثبت ما بينها من فروق، وفي طليعة هذه الكتب: تاريخ الطبري، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، والإرشاد للشيخ المفيد المتوفىٰ سنة ٤١٢هـ، ولكتاب الإرشاد هذا أهمية خاصة؛ لأنه ينقل عن نسخة أبي الفرج نفسه، وقد نص علىٰ ذلك بقوله في صفحة ٢٥٣: «ووجدت بخط أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني في أصل كتابه المعروف بمقاتل الطالبيين».



كما حرصت علىٰ أن أثبت في أول كل ترجمة كل ما أعرف من مراجع عرضت للمترجم له بأي لون من ألوان الذكر حتىٰ أضع بين يدي القارئ مفتاحا للترجمة جليل النفع، وأقيم له منارًا يهديه سواء السبيل إذا ما أراد أن يضرب في شعاب الكتب، ويمشي في مناكب الأسفار ابتغاء الدرس والبحث والتأليف.

وقد صنعت للكتاب فهارس مفصلة للرواة، والأعلام، والجماعات، والفرق، والأماكن، والأيام، والشعر، والمصادر، والتراجم.

ومما يجدر ذكره أن هناك خلافا ملحوظا بين النسخة المخطوطة وبين المطبوعة أشرت إليه، ولم أستطع الفصل فيه.

وقد انفردت المطبوعة بذكر ترجمة للحسين بن زيد بن علي لم يرد لها ذكر في المخطوطة كما قلت في صفحة ٣٨٧، وقد رجعت إلىٰ نسخة لندن المصورة فألفيتها خالية من ذكر هذه الترجمة، ولا شك عندي في أن هذه الترجمة قد نسبت إلىٰ أبي الفرج زورًا وبهتانًا؛ لأن الحسين بن زيد هذا لم يمت قتيلا، وقد شرط أبو الفرج علىٰ نفسه ألا يورد في كتابه إلا من كان قتيلا، كما قال في مقدمته، وكما يتضح من منهجه في الكتاب، استمع إليه إذ يقول في صفحة ٣٩٨: «ولما ولي المهدي أطلق الحسن بن زيد، وله خبر طويل قد وضعناه في موضعه من كتابنا الكبير، إذ كان هذا ليس مما يجري مجرىٰ من قتل في معركة أو غيرها فيذكر خبره هنا»، ويشير أبو الفرج إلىٰ خروج جماعة من الطالبيين في ثنايا ترجمة ثم يعقب علىٰ إشارته بقوله في صفحة ٦١٦: «ولهؤلاء أخبار قد ذكرناها في الكتاب الكبير ،لم يحمل هذا الكتاب إعادتها لطولها ولأنا شرطنا ذكر خبر من قتل دون من خرج فلم يقتل».

كما انفردت المخطوطة بترجمة موجزة لمحمد بن القاسم بن علي أثبتها في هامش صفحة ٥٧٧ وقد رجعت إلىٰ النسخة المصورة فوجدتها قد اقتصرت عليها.



وقد خلت المخطوطة من تلك السلاسل الطويلة لأمهات المترجم لهم، كما خلت منها المصورة، ولكن بعض هذه السلاسل ثابت في النسخة التي نقل عنها ابن أبي الحديد.

من أجل ذلك كله لم أستطع الفصل - كما قلت - في هذه الاختلافات حتىٰ يسفر البحث عن أصول معتمدة موثوق بصحتها.

وأمر آخر لا مناص من الإشارة إليه وهو أن المواضع التي أشار إليها أبو الفرج في هذا الكتاب، وأحال فيها علىٰ كتاب الأغاني لم أجد لها أثرا في أية طبعة من طبعات الأغاني، وتفسير ذلك عندي سهل يسير، فإن كتاب الأغاني مع الأسف البالغ لم يطبع إلىٰ الآن طبعة كاملة تضم كل نصوصه وأخباره حتىٰ طبعه دار الكتب نفسها، ولست أعني النقص في بعض الأخبار أو الأشعار، وإنما أعني نقص التراجم الكاملة كترجمة مسلم بن الوليد صريع الغواني التي نقلها ناشر ديوانه عن إحدىٰ مخطوطات الأغاني، وهي ترجمة طويلة تقع في ٣٤ صحفه[(١)].

ولو قد استحضرت دار الكتب مخطوطات الأغاني لما خرج الكتاب ناقصًا، ولاستمتعنا بأخبار هؤلاء الطالبيين الذين لم يذكرهم أبو الفرج في مقاتل الطالبيين.

وقد أتىٰ أبو الفرج بروايات مدخولة، وأحاديث موضوعة لم يعقب عليها ولكنه أمر نقده علىٰ بعضها، كما فعل حين روىٰ عن الضحاك قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب لمحمد بن جعفر بن أبي طالب فإنه قال في التعقيب عليها صفحة ٢٢: «وهذه رواية الضحاك بن عثمان، وما أعلم أحدًا من أهل السيرة ذكر أن محمد بن جعفر قتيل عبيد الله بن عمر، ولا سمعت لمحمد في كتاب أحد منهم ذكر مقتل».

---

(١) راجع ديوان مسلم المطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥م صفحة ٢٢٨ -٢٦٢



وكنت إذا ما رأيت أبا الفرج ينزع نزعة مسرحية نقلت من أقوال ثقاة المؤرخين ما يرجع الحق إلىٰ نصابه، ويرد التاريخ إلىٰ محرابه، كما صنعت في ترجمة عبدالله الأشتر صفحة ٣١٠ - ٣١٣ .

وبعدُ : فإن مقاتل الطالبيين كنز من كنوز الأدب والتاريخ ترجم فيه أبو الفرج لنيِّف ومائتين من شهداء الطالبيين، فأحسن الترجمة وصوّر بطولتهم تصويرا أخاذًا يختلب الألباب ويمتلك المشاعر، وذكر فيه من خطبهم ورسائلهم وأشعارهم ومحاوراتهم، وما قيل فيهم وبسببهم من روائع الشعر والنثر، مالا تجده مجموعا في كتاب سواه، إلا أن يكون منقولا عنه، أو ملخصا منه، فهو خير كتاب أخرج للناس في تاريخ الطالبيين وأدبهم، يجد فيه العلماء طلبتهم، والأدباء ضالتهم، ويجد فيه القاصون منهم مادة خصيبة لإنتاجهم الفني.

وهو من أنفس الكتب التي تغذو العقول والقلوب والأرواح جميعا، وأوجز ما يقال في وصف مقاتل الطالبيين: إنه دائرة معارف لتاريخ الطالبيين وأدبهم في القرون الثلاثة الأولىٰ.

وإني أحمد الله سبحانه أن وفقني لإخراجه علىٰ هذا النحو فإن كنت أصبت فالخير أردت، وإن تكن الأخرىٰ فحسبي أنني بذلت وسعي حسبما اتسع له وقتي ويسرته للقارئ وجنّبته مصاعب كان يتشعب فيها فكره ويتبدد وقته، وأتحت للناقد أن يهجم علىٰ ما قد يكون فيه؛ بفكر جميع وعقل نشيط فيستطيع أن يؤدي واجبه في يسر وسهولة.

ولن يبلغ نشر الكتب القديمة مبلغه من الصحة والدقة المثلىٰ إلا بالتعاون الوثيق بين الناشرين والناقدين، ولطالما رددت هذا المعنىٰ فيما كتبته من مقالات في النقد



الأدبي، ومما قلته في نقد كتاب (الشعر والشعراء) الذي نشره القاضي الفاضل الشيخ أحمد محمد شاكر، : «وإني أعتقد أنه يجب علىٰ كل قارئ للكتب القديمة أن يعاون الناشر وينشر ما يرتئيه من أخطاء وما يعن له من ملاحظات، فبمثل هذا التعاون العلمي المنشود تخلص الكتب العربية من شوائب التحريف والتصحيف الذي منيت به علىٰ أيدي الناسخين قديما والطابعين حديثا»[1].

والله أسأل - كما سأله أبو الفرج - حسن التوفيق والمعونة علىٰ ما أرضاه من قول، وأزلف لديه من عمل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



(١) مجلة الكتاب عدد يونية سنة ١٩٤٦م، ص ٢٩٥-٣٠٩.



النقد الأدبي وكتاب أمراء البيان(١)

النقد الأدبي في مصر ضعيف، لا يكاد يقوىٰ علىٰ مسايرة الإنتاج في سبيل التقدم والارتقاء، وهذا شيء يدعو النفس إلىٰ إطالة النظر وإدمان التفكير، ويبعث فيها ألوانا من العجب العريض والأسف العميق.

وهذا الضعف يرجع إلىٰ أسباب شتىٰ؛ أهمها فيما يرىٰ الأستاذ أحمد أمين: «أن النقد الصريح الصحيح يحتاج إلىٰ شجاعة قوية من الناقد، ورحابة صدر من المنقود؛ ويتصل بهذا أن الأدباء عندنا صنفان: صنف نضج وتكوَّن واستوىٰ علىٰ عرش الأدب، وهؤلاء هم القادة، وهم أفراد معدودون تسالموا وتهادنوا، وحرمنا ما بينهم من خصومة أدبية وعلمية، وأصبح كل منهم كالعشراء لا تميل إلىٰ النطاح، ولا ترجو إلا السلامة، وصنف ناشئ هو في طور التكون، وهو يخشىٰ أن يتعرض لمن استوىٰ علىٰ العرش فيبطش به بطش جبارة ترده إلىٰ أسفل، فلما جامل الكبراء بعضهم بعضا، وخاف الناشئون من الكبراء، ضاع النقد بين هؤلاء وهؤلاء، ولا أمل في عودة النقد الصريح إلا ببذرة جديدة، وروح جديد، علىٰ شرط أن تكون البذرة صلبة تتحمل حوادث الدهر وعوداي الأيام».

ويرىٰ الدكتور محمد حسين هيكل باشا : «أن الشباب هم المسئول عن فتور النقد في هذه الآونة من حياتنا العقلية والأدبية، فيجب أن يوجه اللوم إلىٰ شباب هذا العصر الذين لا يجدون من أنفسهم إقداما علىٰ تمثل الآثار الأدبية،

(١) مجلة الثقافة، عدد ٥٤، سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، ص ٤٥ .



وتمحيصها بنقدها وإشراك الجمهور بذلك في الحياة الأدبية، وحمل الشيوخ الذي ينتجون علىٰ تحري الغاية من الإجادة، ثقة منهم بذوق الشباب وحرصا منهم علىٰ تقديم الغذاء الصالح لجمهور القراء. أمَا والشباب لا ينقد فمعنىٰ هذا أنه لا يقرأ، وأنه إذا قرأ لا يمحص، وأنه إذا محص لا يثور فينقد، وقيمة الحياة الثورة بالحياة، فهذه الثورة هي وحدها وسيلة التطور الهادئ، أما حيث لا تكون الثورة، فالركود والجمود، وهذا الذي يشكو منه الأستاذ أحمد أمين».

«لقد أصبح شبابنا لا يعنىٰ بنقد أثر أدبي، لأن نقد الأثر الأدبي قد يدل علىٰ علو الكعب في العلم أو في الثقافة أو في التهذيب، ولكنه لا يجر مالا ولا جاها ولا احتراما ولا تقديرا، ولذلك بعد هؤلاء الشباب عن النقد واصطناعه، لأن النقد أول شروطه الحرية، الحرية العقلية، والحرية العلمية، والحرية الأدبية، فهو لا يعرف الصداقة، ولا يعرف الإكبار والإجلال، ولا يعرف المجاملة والمداجاة، وهي فضائل يجب أن يتحلىٰ بها الشباب في كل أمر وفي كل عصر، ويجب أن يتحلىٰ بها الناس جميعا، وإن وجب أن تكون في الشباب أكثر وضوحا وظهورا، أفتريد هذا الشاب الناشئ أن ينقد كتابا لهيكل أو لطه حسين أو لأحمد أمين أو للعقاد أو للمازني أو لغيرهم ممن شئت، وهؤلاء قد يكونون وسيلته إلىٰ الوظيفة وإلىٰ مال الوظيفة وجاهها، وما لها في أعين الناس من احترام وتقدير؟ لذلك آثر الشباب الراحة، وجرىٰ وراء الدعة، وتعلم المداجاة والرياء حتىٰ في العلم والأدب، والراحة سم الشباب القتال، والدعة والمداجاة لا تقلان عن الراحة فتكا بالشباب، فإذا اجتمعت هذه الأدواء، فتكت بحرية الشباب، وحالت بينه وبين نقد الآثار الأدبية لقعودها به عن الإيمان والثورة».

وهذا هو سبب العلة وموضع الداء الذي أضعف النقد الأدبي في مصر، وأقعده عن مسايرة الإنتاج، فحرمنا من أجل ذلك كثيرًا من اللذة والمتعة اللذين يشيعهما



في نفوسنا عراك الأقلام، ومرقت فصائل من الباطل الصراح؛ لم تمزق لها سهام النقد إهابا، وعاش أصحابها آمنين مطمئنين. . .

دارت هذه الخواطر في رأسي وأنا أفكر في تدوين هذه الأحاديث التي اعتزمت نشرها في الثقافة بالحق، وفي سبيله، غير عابئ بعتب ولا غضب، ولا خانس من المكاشفة بما أرىٰ، فإني أعتقد أن الجبن والإيمان لا يجتمعان في قلب واحد، كما اعتقد أنه لا يشجىٰ من الإصحار بالحق إلا كل مهيض المرة، منحل العقيدة، جبان القلب والعقل والضمير. . .

١- قال الأستاذ محمد كرد علي في كتابه النفيس أمراء البيان: «بدأت حياة إبراهيم بن العباس الصولي في السياسة زمن المعتصم، وسار سيرة أرباب الإدارة إذ ذاك، يأخذ ويعطي من مال الأمة والدولة، ويقلد كبار العمال في مظاهرهم، ولا يتعفف عن مال أو متاع، كان مظهرا من مظاهر العاملين في الدولة، يستمتع بخيراتها أنىٰ وجدها، ويفوقهم بأنه كان علىٰ جانب عظيم من المروءة وسعة الفضل. ولا عجب أن سار الصولي هذه السيرة، وقد كان في زمن يكتب فيه مثل أبي العيناء النديم إلىٰ صديق له ولي ولاية: «واعلم أن الخيانة فطنة، والأمانة حرفة، والجمع كيس، والمنع صرامة، وليس كل يوم ولاية، فاذكر أيام العطلة، ولا تحقرن صغيرا، فإن من الدور إلىٰ الدور، و إيلاء الولاية رقدة فتنبه قبل أن تنبه، وأخو السلطان أعمىٰ عن قليل سوف يبصر، وما هذه الوصية التي أوصىٰ بها يعقوب بنيه، ولكني رأيت الحزم في أخذ العاجل وترك الآجل». وموطن الضعف من أخلاق الصولي أنه كان كما أراد أبو العيناء، يأخذ العاجل ولا يبالي»[1].

وقبل أن أبين ما في هذا الاستنتاج من خطأ أحب أن أنبه علىٰ تحريف ورد في

(١) أمراء البيان ١ / ٢٤٦



كلام أبي العيناء، قد فات الأستاذ، ومن الغريب أن الكلام لا معنىٰ له بدون تصويبه! وأي معنىٰ لقوله: «ولا تحقرن صغيرا فإن من الدور إلىٰ الدور، و إيلاء الولاية رقدة فتنبه قبل أن تنبه»، وصواب العبارة الذي يتضح منه المعنىٰ، ويتسق به نظم الكلام: «ولا تحقرن صغيرا فإن الذَّوْدَ إلىٰ الذَّوْدِ إبل، والولاية رقدة...» الخ[١].

وأما الخطأ في الاستنتاج فلأن خطاب أبي العيناء كان مداعبة ماجنة لصديقه، والاستشهاد به علىٰ فساد عصر الصولي، كالاستشهاد بقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ علىٰ عدم وجوب الصلاة، وأول الكتاب صريح كل الصراحة في أنه عبث و مجانة، فهو يقول: «أما بعد، فإني لا أعظك بموعظة الله تعالىٰ لأنك غني عنها، وما أخوفك إياه لأنك لا تخافه، ولكني أقول كما قال الشاعر:

أَحَارِ بنِ عَمْرٍو قَدْ وَلِيتَ وِلَايَةً ... فَكُنْ جُرَذًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ

وَبَاهِ تَمِيمًا بِالغِنَىٰ إِنَّ لِلْغِنَىٰ ... لِسَانًا بِهِ المَرْءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ

واعلم أن الخيانة فطنة... الخ[٢].

والشاعر الذي أراده أبو العيناء؛ هو أبو الأسود الدؤلي[٣]: قال ذلك في صديقه حارثة الفزاري، لما ولاه عبيد الله بن زياد شرق بلاد الأهواز، وبعد هذين البيتين[٤]:

---

(١) الذَّوْدُ من الإبل: ما بين الثلاث إلىٰ العشر، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها. وفي القاموس: "وقولهم الذَّوْدُ إلىٰ الذَّوْدِ إبل: يدل علىٰ أنها في موضع اثنتين لأن الثنتين إلىٰ الثنتين جمع. وفي الصحاح للجوهري: " وفي المثل: الذَّوْدُ إِلَىٰ الذَّوْدِ إبل؛ أي إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيرا، فإلىٰ بمعنىٰ مع".

(٢) محاضرات الأدباء ١/ ٨٣

(٣) أمالي المرتضىٰ ٢/ ٥٠

(٤) زهر الآداب ٤/ ٦٤

وَلَا تَدَعَنْ لِلنَّاسِ شَيْئًا أَصَبْتَهُ   فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ العِرَاقَيْنِ سُرَّق

فَمَا النَّاسُ إِلَّا قَائِلٌ فَمُكَذِّبٌ   يَقُولُ بِمَا يَهْوَىٰ وَأَنْتَ مُصَدِّقُ

يَقُولُونَ أَقْوَالًا بِظَنٍّ وَتُهْمَةٍ   فَإِنْ قِيلَ هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا

وفي زهر الآداب: (فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ العِرَاقَيْنِ مُشْرِقُ)، وهو خطأ غير مطبعي لم يتفطن له الدكتور زكي مبارك.

٢- قال إبراهيم بن العباس الصولي[١]:

لَنَا إِبِلٌ كُومٍ يَضِيقُ بِهَا الفَضَا   وَيَغْبَرُّ مِنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا

فَمِنْ دُونِها أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا   وَمِنْ دونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا

حِمَىٰ وَقِرَىٰ، فَالمَوْتُ دَونَ مَرَامِهَا   وَأَيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حُقَّ فَنَاؤُهَا

وقد شرح الأستاذ كلمة (كُوم) فقال: «الكوم بضم الكاف قطعة من الإبل». وهو شرح غير سديد، والكُومُ هنا معناها: العظيمة السنام، وهو جمع كَوْمَاء. ولكن الأستاذ وجد في القاموس: أن الكوم بالضم: القطعة من الإبل، والكوماء الناقة العظيمة السنام»، فاقتصر علىٰ المعنىٰ الأول، مع أنه لا يناسب معنىٰ البيت.

٣- قال الصولي[٢]:

أَرَاكَ فَلَا أَرُدُّ الطَّرْفَ كَيْلَا   يَكُونُ حِجَابُ رُؤْيَتِكَ الجُنُونُ

وَلَوْ أَنِّي نَظَرتُ بِكُلِّ عَيْنٍ   لَمَا اسْتَقْصَتْ مَحَاسِنَكَ العُيُونُ

وبديهي أن (الجنون) محرفة من (الجفون).

---

(١) أمراء البيان ١/ ٢٥٤

(٢) أمراء البيان ١/ ٢٦١

٤- ج٢/ ٤٩٩، يقول الأستاذ عن تشاؤم أبي حيان التوحيدي وتفننه: «ترىٰ هل كان التوحيدي يسمع الموسيقىٰ والغناء، ويجلس إلىٰ أرباب الدعابة والهزل، ويخلع ثوب الجد والوقار ساعة من ليل أو نهار؟ وبغداد في أيامه علقت الطرب، ورفعت أقدار المستمعين إلىٰ أسمىٰ الرتب، وخرج الأدب فيها عن حد الخيال، وأصبح أطرب الشعر ما صدر عن قلب ملتهب، وفؤاد مضطرب، ووصف واقعة حال. وأكبر الظن أن التوحيدي لم يكن علىٰ شيء من هذا، اللهم إذا كان في صباه، وقد عرف بنسكه وزهده، أجمع علىٰ ذلك العارفون به، لو لم تناقضه القطعة الوحيدة التي انتهت إلينا من شعره، وهي في غزل رقيق، صدر عمن ابتسم للحياة والأيام، فأخذ ينظر إليها نظر المتفائل، علىٰ حين كانت أكثر نظرات التوحيدي متشائمة؛ هذا إذا لم يؤول له مؤول بأن هذا اللسان كان لسان أهل الباطن، كما يفسر بعض المتصوفة كثيرا من الغزل، فيدعون أنه في العزة الإلهية، أو في المقامات المطهرة.

أما أبيات التوحيدي فهذه:

يَا صَاحِبَيَّ دَعَا المَلَامَةَ وَاقْصُرَا ... تَرْكُ الهَوَىٰ يَا صَاحِبَيَّ خَسَارَةْ

كَمْ لُمْتُ قَلْبِي كَيْ يَفِيقَ فَقَالَ لِي: ... لُجَّتْ يَمِينٌ مَا لَهَا كَفَّارَةْ

أَنَا لَا أُفِيقُ وَلَا أُفَتِّرُ لَحْظَةً ... إِنْ أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ فَأَنْتَ حِجَارَةْ

الحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ بِنَظْرَةٍ ... وَكَذَا الحَرِيقُ بِدَاؤُهُ بِشَرَارَةْ

يَا مَنْ أُحِبُّ وَلَا أُسَمِّي بِاسْمِهَا ... إِيَّاكِ أَعْنِي فَاسْمَعِي يَاجَارَةْ»

والحق الذي لا مرية فيه أن هذه القطعة الغزلية لا تناقض ما ظنه الأستاذ من شأن التوحيدي، لأنها ليست للتوحيدي قطعا، ولم أعتمد في نسبتها لغير التوحيدي



حضارات الهند

ترجمة الأستاذ عادل زعيتر

٧٣٢ صفحة من القطع الكبير. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٤٨م(١).

هذا كتاب كانت المكتبة العربية في أشد الحاجة إليه، فقد خلت أو كادت من الكتب المؤلفة عن الهند، تلك الدنيا العجيبة التي تموج بالغرائب، وتزخر بالأعاجيب في أدبها وفنها وعلمها وثقافتها، بل في كل شأن من شؤونها، مما جعلها مثابة الخيال ومسرح الأفكار.

وما كان شوق القراء إلىٰ مثل هذا الكتاب القيم، لأنه يؤرخ لحضارة الهند، وهي حضارة توجب عليهم واجبات الثقافة دراستها وتعرف أسبابها وخصائصها، وإنما كان شوقهم إلىٰ مثله عظيما لأن حضارة الهند من الحضارات التي اتصلت بالحضارة العربية اتصالًا وثيقًا، وتأثرت بها وأثرت فيها منذ أن حاول المسلمون افتتاحها علىٰ يد القائد الشاب محمد بن القاسم، وهذا هو السر في ابتهاج القراء بهذا الكتاب، وإكبارهم له، وإعظامهم لشأنه.

وهناك أمر آخر له أثره وخطره في هذا الإكبار وذلك الإعظام، وهو تلك الألفة الخالصة بين القراء والمترجم والمؤلف، وإن شئت فقل هي تلك الصداقة العقلية التي توطدت أواصرها، واستحصدت علائقها بينهم جميعًا؛ فقد عرف قراء العربية الأستاذ محمد عادل زعيتر كاتبًا قديرًا مشرق الديباجة، رصين العبارة، واضح

(١) مجلة الكتاب، السنة الثالثة، المجلد الثاني، ص ٢٦١ .



الدرامي، وجماعة من أصحابنا قالوا: أنشد أبو قلاب عبدالله بن محمد الرَّقَاشِي لأبي حيان البصري:

يَا صَاحِبَيَّ دَعَا المَلَامَةَ وَاقْصُرَا ... تَرْكُ الهَوَىٰ يَا صَاحِبَيَّ خَسَارَةْ

كَمْ لُمْتُ قَلْبِي كَيْ يَفِيقَ فقال لي ... الـخ

فلما وفيت الشعر، ورويت الإسناد، وريقي بَلِيل، ولساني طلق، ووجهي متهلل، وقد تكلفت هذا ، وأنا في بقية من غرب الشباب وبعض ريعانه، وملأت الدار صياحا بالرواية والقافية، فحين انتهيت أنكرت طرفه، وعلمت سوء موقع ما رويت عنده، قال لي: ومن تعرف أيضا؟ قلت: . . . الخ».

وإذا ثبت أن هذه القطعة ليست لأبي حيان التوحيدي فهل معنىٰ ذلك أنه لم يصلنا شيء من شعره لأن الأستاذ قال عنها: إنها الوحيدة؟

كلا، فقد روىٰ لنا شيئا من شعره في كتابه (الصداقة والصديق) ففي ص١٦٠ يقول: «وكنتَ أعلمتَني أنك استحسنتَ مني البيتين في ذكر العدو والصديق وهما:

إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ مَجْدًا ... إِذَا ذُكِرْتَ وَفَضْلَا

فَكُنْ لِعَبْدِكَ خِلًّا ... وَكُنْ لِخِلِّكَ مَوْلَىٰ

وكان سببهما أن صديقا لي: ضرب عبدا له، فحضره صديق له فمنعه الصديق فلم يمتنع، فكتبت إليه بهذين البيتين أذكره بحق الصديق في عبودية الطاعة، وأخوة العبد في حق الإيمان».

ويقول في ص١٦٣: «وكنت كتبت إلىٰ صديق:

لَا تَجْعَلَنَّ بُعْدَ دَارِي ... مُخَسِّسًا لِنَصِيبِي



فَرُبَّ شَخْصٍ بَعِيدٍ إِلَىٰ الفُؤَادِ قَرِيبِ
وَرُبَّ شَخْصٍ قَرِيبٍ إِلَيكَ غَيرِ حَبِيبِ
مَا البُعْدُ والقُرْبُ إِلَّا مَا كَانَ بَيْنَ القُلُوبِ(١)



(١) علق الأستاذ محمد كرد علي علىٰ نقد السيد صقر في عدد ٩٨ بقوله: "... اغتبطتُ بما نقله الأستاذ السيد أحمد صقر فكتبه في العدد الرابع والخمسين من الثقافة، في بعض ما وقع لي من الأغلاط في كتاب أمراء البيان، ورجائي أن يزيدني مِنَّةً بنشر كل ما لديه من النقد علىٰ هذا السفر، ليفيدني ويفيد قراء العربية، وأن يَتَقَيَّل أثره بعضُ من آتاهم الله العلم، يتوفرون علىٰ نقد الكتب الحديثة والقديمة، فالمرء لا يدرك عيوبه من نفسه في الغالب، وقديماً قالوا: رحم الله من أهدىٰ إليَّ عيوبي..."



في النقد الأدبي: كتاب البلاغة العالية[١]

«إن من أبرز أعراض الجبن الأدبي أن يرفض الإنسان تحمل مسؤلية غلطه، والإنسان الذي يمتاز بالشجاعة الأدبية لا يحجم عن الاعتراف بقصوره، ولا يأبىٰ الرجوع إلىٰ الحق. . .»

شيلر

يقول الأستاذ عبدالمتعال الصعيدي في كتابه الجديد (البلاغة العالية) ص٣٦:

«وقد حذا حذو الجاحظ في ذلك، عبدالله بن المعتز المتوفىٰ سنة ٣٩٦ هـ وألف كتابا سماه البديع، ذكر فيه سبعة عشر نوعا من فنون البديع، منها: الاستعارة، والكناية، والتورية، والتجنيس، والسجع؛ إلىٰ غير ذلك وقال: ما جمع قبلي فنون البديع أحد، ولا سبقني إلىٰ تأليفه مؤلف، ومن رأىٰ أن يقتصر علىٰ ما اخترناه فليفعل، ومن رأىٰ إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره. وقد نازعه أبو هلال العسكري في هذه الدعوىٰ، وذكر أن القدماء كانوا يعرفون هذه الفنون أيضًا. راجع كتاب الصناعتين ص ٢٠٤».

وفي هذا الكلام ظلم عظيم لابن المعتز، ولأبي هلال معا. فأما ظلمه لأبي هلال ففي اتهامه بأنه نازع ابن المعتز في قوله: «ما جمع قبلي فنون البديع أحد، ولا سبقني إلىٰ تأليفه مؤلف» والذي يقرأ كتاب الصناعتين من أوله إلىٰ آخره، لا يجد ذكرا لهذه المنازعة المزعومة، ويعلم أن العسكري مبرأ من هذا الاتهام الخطير.

---

(١) مجلة الثقافة، عدد ٦١، السنة الثانية (١٩٤٠م)، صفحة ٤٤٠ .



وأما ظلمه لابن المعتز ففي اتهامه بأنه ادعىٰ أن المُحْدَثِين ابتكروا أنواع البديع، وأن القدماء لم يعرفوها. وليس في عبارة ابن المعتز ما يشعر بهذا، ولم يتهمه بذلك أحد مطلقًا.

وليس في كلام العسكري الذي اعتمد الأستاذ عليه، وأشار إليه، أي إشارة إلىٰ أنه اتهم ابن المعتز بهذا، ورد عليه، فهو يقول بعد فراغه من عد أنواع البديع التي شرحها في الباب التاسع: «فهذه أنواع البديع التي ادعىٰ من لا روية له، ولا رواية عنده، أن المُحْدَثِين ابتكروها، وأن القدماء لم يعرفوها، وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدَثِين»(١).

ولست أدري كيف فهم الأستاذ من هذا الكلام أن أبا هلال يعني به ابن المعتز؟ وليس في كتاب الصناعتين حرف واحد يشم منه أنه يقصده؟؟ أشهد أن هذا ظلم عظيم، وتحكم غريب في توجيه كلام أبي هلال. يجعله غرضا لسهام الناقدين. . .

وكيف يعقل أن أبا هلال أو غيره - ممن به مسكة من عقل - يزعم أن ابن المعتز ينكر معرفة القدماء لفنون البديع، ويثبت ابتكارها للمُحْدَثِين، مع أن ابن المعتز لم يؤلف كتاب البديع إلا ليثبت أن المُحْدَثِين لم يسبقوا المتقدمين إلىٰ شيء من أبواب البديع؟

ولست أقول ذلك اعتمادا علىٰ قول قائل معاصر أو قديم، أو استنتاجا أعملت الذهن في اقتناصه، وتكلفت القول فيه، بل اعتمادا علىٰ كلام ابن المعتز نفسه، فهو يقول في مقدمة كتاب البديع: «قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن، واللغة، وأحاديث رسول ﷺ، وكلام الصحابة والأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين، من الكلام الذي سماه المُحْدَثُونَ (البديع) ليُعلم أن بشارا،

---

(١) الصناعتين ص ٢٠٤ .



ومسلمًا، وأبا نواس، ومن تَقَيَّلَهُم، وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلىٰ هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم حتىٰ سمي بهذا الاسم، فأعرب عنه، ودل عليه... ومن البديع أيضا التجنيس، والمطابقة، وقد سبق إليهما المتقدمون، ولم ينكرهما المحدثون، وكذلك الباب الرابع والخامس من البديع... ولعل بعض من قصر عن السبق إلىٰ تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه، وتمنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمي فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به، أو يزيد في الباب من أبوابه كلاما منثورا، أو يفسر شعرا لم نفسره، أو يذكر شعرا قد تركناه ولم نذكره، إما لأن بعض ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره، فألقيناه، أو لأن فيما ذكرنا كافيا ومغنيا. وليس من كتاب إلا وهذا ممكن فيه لمن أراده؛ وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المُحْدَثِين لم يسبقوا المتقدمين إلىٰ شيء من أبواب البديع. وفي دون ما ذكرنا مبلغ الغاية التي قصدنا، وبالله التوفيق[1]».

ويقول الأستاذ في ص ١٢٧: «ومن إيجاز القِصَر قول شوقي:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُم ذَهَبُوا

وقوله أيضا:

الأُمُّ مَـدْرَسَـةٌ إِذَا أَعْـدَدْتَـهَـا ... أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ

وهذا البيت الأخير ليس لشوقي، وإنما هو لحافظ إبراهيم من قصيدة قالها في حفل أقيم ببور سعيد في ٢٩ مايو ١٩١٠م لإعانة مدرسة البنات، ومطلعها:

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي ... فِي حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةِ العُشَّاقِ

إِنِّي لَأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً ... يَا مِصْرُ قَدْ خَرَجَتْ عَنِ الأَطْوَاقِ

(١) كتاب البديع ص ١ .

لَهَفِي عَلَيكِ مَتَىٰ أَرَاكِ طَلِيقَةً ... يَحْمِي كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقِي

وهي قصيدة مشهورة تجدها في ديوانه ١/ ٢٧٩ - ٢٨٣، وقبل بيت الشاهد:

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا ... فِي الشَّرْقِ عِلَّةُ ذَلكِ الإِخْفَاقِ

فشوقي لم يقل هذا البيت، وإنما قال:

أَستَغْفِرُ الأَخْلَاقَ لَسْتُ بِجَاحِدٍ ... مَنْ كُنتُ أَدْفَعُ دُونَهُ وَأُلَاحِي

حُبٌّ لِذَاتِ اللهِ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ ... وَهَوَىٰ لِذَاتِ الحَقِّ وِالإِصْلَاحِ

مَالِي أُطَوِّقُهُ المَلَامَ وَطَالمَا ... قَلَّدْتُهُ المَأْثُورَ مِنْ أَمْدَاحِي

الحَقُّ أَوْلَىٰ مِنْ وَلِيِّكَ حُرْمَةً ... وَأَحَقُّ مِنْكَ بِنُصْرَةٍ وَكِفَاحِ

فَامْدَحْ عَلَىٰ الحَقِّ الرِّجَالَ وَلُمْهُمُ ... أَوْ خَلِّ عَنْكَ مَوَاقِفَ النُّصَاحِ



من تاريخنا المجهول: محمد بن بشير[(١)]

كان قاضيًا عظيم الخلق، جيد الفطنة، ملتهب الخاطر، شديد الشكيمة، ماضي العزيمة، جعل الحق رائده، والعدل قائده؛ ومشىٰ في ضوء ضميره المؤمن يقذف بالحق علىٰ الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، لا يَفْرَقُ من بطش الموتورين، ولا يتخشع لوعيد المبطلين، أنىٰ كانوا من العزة الرفيعة والجاه العريض، فعاش مرفوع الذكر، موفور الكرامة، مرهوب الجانب.

وقضىٰ فجُعِلَ له لسان صدق في الغابرين، يترجم عن عظمة باهرة، وبطولة نادرة، تبهر النفوس، وتقسرها علىٰ الإعجاب بها، والإعظام لها، والتأسي بهديها، وإن فيها لأسوة حسنة لمن ألقىٰ السمع وهو شهيد.

تطلعت نفسه منذ الحداثة إلىٰ العلم والأدب فرحل إلىٰ قرطبة دار العلم والعلماء، وقرارة الأدباء والشعراء، وأقبل علىٰ الدرس والتحصيل، برغبة قوية، وعزيمة فتية، حتىٰ تملأت نفسه وسار ذكره، فاتخذه القاضي مصعب بن عمران كاتبا له[(٢)]. وقد اشتهر هذا القاضي بأصالة رأيه وكرم نفسه وشجاعته في سبيل الحق، وله في ذلك مواقف مشهورة كان فيها ملء الأبصار والأسماع والعقول؛ وقد استفاد ابن بشير من هذه الوظيفة أكبر الفائدة، وكان لها في حياته أبلغ الأثر: بصَّرته بدقائق المجتمع، وعلَّمته كيف يكون صراع الأمراء للعلماء في سبيل عتوهم، واستطالتهم علىٰ الناس بغير الحق، وعرَّفته كيف تكون مغالبة الأهواء،

---

(١) مجلة الثقافة، السنة الرابعة، عدد ١٧١، سنة ١٣٦٠/ ١٩٤٢، صفحة ٤٤٧ .

(٢) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٩/١ طبع مدريد ١٨٩٠ م.



ومجالدة الأعراض حتىٰ تكون كلمة الحق هي العليا.

وتاقت نفسه إلىٰ تأدية فريضة الحج ليشهد منافع له، فالتقىٰ بالإمام مالك بن أنس[١]. وانتفع بعلمه وخلقه، واتخذه مثلا يترسم خطاه، ويقتفي أثره. ثم ذهب إلىٰ مصر وعمل علىٰ المقام بها، واختلف إلىٰ علمائها؛ فصاحب الكثيرين منهم، واقتطف من ثمار علومهم ما طاب له الاقتطاف. ثم سار حتىٰ ألقىٰ عصا التسيار بضيعته في مدينة باجة فاتخذه مالك بن عبدالله القرشي كاتبا له[٢]. ولبث بها حتىٰ توفي القاضي مصعب فاستدعاه الحَكَمُ[٣]. فأقبل وما يدري ما يراد منه، وعرج في طريقه علىٰ بعض أصحابه، وتحدث معه في شأن استدعائه، فقال له صاحبه: ما أراه أرسل في طلبك إلا للقضاء. فقال له: فأنا أستشيرك في ذلك إن وقع. فقال له: لا أشير إلا بعد أن تصدقني القول عن ثلاثة أشياء، فقال: وما هي؟ قال: كيف حبك للأكل الطيب، واللباس اللين، وركوب الفارِه؟ فقال: والله لا أبالي ما رددتُ به جوعي، وسترتُ به عورتي، وحملتُ به رحلي. فقال صاحبه: هذه واحدة. فكيف حبك للتمتع بالوجوه الحسان، والتبطن للكواعب الغيد، وما شاكل ذلك من الشهوات؟ فقال: هذه حال ما استشرفتُ إليها قط. وما خطرت ببالي ولا أكترثتُ لفقدها. فقال: وهذه الثانية، فكيف حبك لمدح الناس لك، وثنائهم عليك، وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل؟ فقال: والله ما أبالي في الحق من مدحني أو ذمني، وما أُسَرُّ للولاية ولا أستوحش للعزل. فقال: وهذه الثالثة. اقبل الولاية فإنك من الآمنين.

فسار حتىٰ قدم قرطبة؛ فولاه الأمير الحَكَم: القضاء والصلاة. وحكم في أول

---

(١) المدارك للقاضي عياض.

(٢) أخبار مجموعة ص ١٢٧ .

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٩ وأخبار مجموعة ص١٢٧ .



قضية نظرها علىٰ الحاكم وفيها يقول: «رحم الله محمد بن بشير فلقد أحسن بنا فيما فعل علىٰ كره منا، كان في يدنا شيء فصححه لنا، وصار حلالا طيب الملك في أعقابنا»[(١)].

عمل ابن بشير من أول يوم تولىٰ فيه القضاء علىٰ إصلاح النظام القضائي، وجعله متسقا وحالة العصر، ودل بأعماله علىٰ خصوبة ذهنه ورجاحة عقله ونضج فكره وغرامه بالتجديد وشغفه بالنظام، رأىٰ أن عقد مجلس القضاء في المسجد يعكر صفو السكون، ويذهب بجلال الهدوء المنشود للعبادة، فاتخذ سقيفة خاصة بجوار المسجد، ورأىٰ المتقاضين يهبطون عليه في أي وقت شاءوا فحدد لهم أوقاتا، وجعل لهم جلستين في اليوم، تبتدئ الأولىٰ مع الصباح وتنتهي قبل الظهر بساعة، وخصها بسماع أغراض المتخاصمين فقط. وتبتدئ الجلسة الثانية من بعد صلاة الظهر إلىٰ صلاة العصر، ولا يسمع فيها إلا بينات الشهود. ونظم كيفية الانعقاد: فكان يجلس وحده في الصدر، وبجانبه كاتبه، وأمامه خريطته، وبيده قلم، ويدخل عليه المتقاضيان بحسب ترتيب قضيتهم في ورقة خاصة بذلك، ولا بد من وقوفهما علىٰ أقدامهما أمامه حتىٰ يفرغ من نظر قضيتهما[(٢)].

وكان مع هذا لا يسمح لأحد من أصحاب القضايا أن يخالطه أو يزروه في داره مهما كان مركزه، ولا يقرأ لأحد كتابا يتعلق بقضية من القضايا. وفوق ذلك كان لا يجمع بين الشاهد والمشهود عليه، بل ولا يصرح له باسمه إذا خشي أن يناله بأذىٰ. حكم ذات مرة في قضية علىٰ الوزير (بن فُطَيْس) ولم يعرفه بالشهود، فاغتاظ الوزير، وشكاه إلىٰ الأمير واستعان به عليه، فكتب إليه الأمير: «إن الوزير كره حكمك عليه بشهادة قوم لم تعرفه بهم، ولا أعذرت إليه فيهم، وإن أهل العلم

(١) المدارك للقاضي عياض.

(٢) القضاة للخُشَني ص ٥٥ .



يقولون إن ذلك له» فرد عليه ابن بشير: «ليس (ابن فُطَيْس) ممن يُعَرَّف بمن شهد عليه لأنه إن لم يجد سبيلا إلىٰ تجريحهم؛ لم يتحرج عن طلب أذاهم في أنفسهم وأموالهم، فيدعون الشهادة هم ومن ائتسىٰ بهم، وتضيع أموال الناس».

وكان يدقق أشد التدقيق في قبول الشاهد، ويرده إذا لم تطب به نفسه ولم يرتح إليه ضميره، ولو كان من أحب أصدقائه وأكرمهم عليه. حدث أن شهد عنده صديق له مع رجل آخر، فرد شهادة صديقه وقال للمشهود له: زدني بينة. فعجب وطلب منه أن يعرفه الشاهد الذي رده ليعدله. فقال له: إن الذي لم أقبله لا ينفعك تعديله عندي وهو صديقي ورفيقي. فخرج الرجل مشدوها لا يكاد يصدق ما سمعته أذناه. ولما علم صديقه أتاه في مجلس النظر علىٰ عيون الناس وقال له: أيها القاضي، قد علمتُ أني لا أقدر علىٰ سؤالك عما أحب أن أسألك عنه إلا في هذا المجلس، وقد رأيتُ أن أوقف نفسي بين يديك هذا الموقف وأسألك عن السبب الذي أوجب ردك لشهادتي، فقد علمتَ أنه جمعني بك المنشأ وطلب العلم وطريق الحج، واطلعتَ علىٰ باطني مثل ما اطلعتُ علىٰ باطنك، فعرفني السبب الذي أنكرت عَلَيَّ لأعرفه وأعترف بخطئي فيه أمام هذه الجماعة. فقال القاضي: صدقت، فقد قد جمعني بك ما ذكرت وعرفتني كما وصفت، وما أعثرت علىٰ خربة في دينك ولكن صدرنا عن الحج ونزلنا بمصر، وابتدأنا بالسماع من شيوخنا، وعملنا علىٰ المقام بها، فقلت لي: إن الغربة قد أضرت بي وإني أحببت ابتياع جارية، فحسنت لك ذلك، واستعرضت الرقيق، فقلت لي: إني وجدت جارية تساوي علىٰ وجهها كذا وكذا، وبيدها صنعة، ويسأل بها صاحبها من أجل صنعتها كذا وكذا، أكثر مما تساويه بغير صنعة. فقلت لك: لا حاجة لك إلىٰ صناعتها، وأما ابتياعها للمتعة، فدعها وابتع غيرها فإنها تقوم لك مقامها فلا معنىٰ للزيادة فيها. فأظهرتَ مني القبول ومضيتَ فابتعتها، وزدت فيها علىٰ قدرها. فلما رأيت الشهوة قد غلبتك في



ابتياعها وإتلاف المال في المغالاة فيها، خشيت أن تكون مثل تلك الشهوة قادتك إلىٰ هذه الشهادة لمال تأخذه أو ميل تميله، فاحتطتُ لديني ولم أجدني في سعة من قبول شهادتك»[١].

وهذه القصة الطريفة تدلنا أوضح الدلالة علىٰ سمو أخلاقه، وشدة توقيه، ومبلغ حرصه علىٰ أن تكون أحكامه خالصة لوجه الحق، ومن أجل ذلك كان لا يفتأ يستشير العلماء فيما يعن له من مسائل، فإذا اختلف وإياهم، أو أشكل عليه وعليهم أمر، كتب إلىٰ علماء مصر يستفتيهم[٢]؛ ومن أشهر من كاتبهم الإمامان العظيمان: عبدالرحمن بن القاسم المتوفىٰ سنة مائة إحدىٰ وتسعين، وعبدالله بن وهب المتوفىٰ سنة مائة وسبع وتسعين[٣].

كان محمد بن بشير علىٰ شدة ورعه أنيقا رشيقا، لا يحرم علىٰ نفسه زينة الله التي أخرج لعباده، ولا الطيبات من الرزق، يرسل لِمَّتَه، ويُفَرِّقُ جُمَّتَه، ويخضب يده، ويكحل عينيه، ويضع فوق رأسه المعطر قلنسوة من الخز، ويلبس رداءً معصفرًا، وينتعل حذاءً صرارة[٤]. ومن طريف ما يروىٰ أن رجلا من أهل القرىٰ جاءه في أمر له وهو لا يعرفه، فلما رأىٰ زيه الغريب، وأثر الزينة في أطرافه توقف وقال: دلوني علىٰ القاضي، فقالوا له: ها هو ذا الجالس أمامك؛ فقال: إني رجل غريب وأراكم تستهزئون بي. أنا أسألكم عن القاضي وأنتم تدلونني علىٰ زامر! فأكدوا له أنه هو، فارتاع الرجل وطفق ينثر الأعذار، ويطلب الإعتاب، فأعتبه وقضىٰ له بالقسطاس المستقيم.

---

(١) القضاة للخُشَني ص ٥٦

(٢) القضاة للخُشَني ص ٦٢

(٣) وفيات الأعيان ١/٣١٢، ٣٤٦، وشجرة النور ص ٥٨.

(٤) أخبار مجموعة ص١٢٧، والبيان المغرب ٢/ ٨١.



واتخذ الحاسدون والمتطفلون هذا اللباس الغريب ملهاة لهم يسخرون منه ويضحكون عليه، ويتنادرون به، وأسرف في ذلك الفقيه محمد بن عيسىٰ حتىٰ ضجر منه ابن بشير، فقال له: «إن الشر لا يعجز عنه أحد، وكل من رضي به قدر عليه، وإن الخير لا يناله إلا أهل الصبر ومن يقوم علىٰ نفسه بالرياضة المحمودة، فأقصر عما بلغني عنك».

وقد دعاه حبه للأناقة إلىٰ ابتداع شيء طريف لما ولي القضاء، لا إخال أحدًا سبقه إليه: فقد طبع عشرة طوابع باسمه وجعلها في خريطته، فإذا رغب إليه أحد في أن يستعين بجاهه علىٰ قضاء أمر من أموره، أعطاه طابعا، وأمر كاتبه أن يكتب اسمه ومسكنه، وفيم أخذ الطابع، وقال له: «إياك إن كنت ظالما أن تقدم علىٰ أحد بطابعي». ويعهد إليه برد الطابع ثانية في أجل يضربه له[1]. وما زالت تلك الطوابع العشرة[2] تتردد عليه طول حياته المباركة. وهذا عمل طريف معجب حقًا يدل علىٰ عبقرية فذة، وذوق بلغ غاية الرقي والكمال، وينطق بأن محمد بن بشير كان من أعاظم الرجال، وهو شاهد عظيم علىٰ أن نظام البطاقات قد عرفته المدنية الإسلامية قبل أن تعرفه المدنية الغربية بقرون وقرون...



(١) القضاة للخُشَني ص ٥٥

(٢) قال لسان الدين بن الخطيب: " إن عبدالرحمن بن بدر وزير الناصر كان ينفرد بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يبعثها للطبع فتطبع وتخرج إليه فيبعثها إلىٰ العمال. وألف أبو بكرالمقدسي الأندلسي كتابا في الخواص وصنعة الأمدة وآلة الطبع.



أبو حيان التوحيدي وإخوان الصفاء[(١)]

كان أبوحيان التوحيدي يحترف الوراقة لرقة حاله، وقد مكنته تلك الحرفة من مخالطة طائفة من المفكرين في عصره ومعرفة ما استكن من آرائهم، وخفي من نزعاتهم، وممن وَرَقَ لهم فعرفهم حق المعرفة زيد بن رفاعة، ومن أجل ذلك طلب إليه الوزير ابن سعدان أن يحدثه من حديثه، فأنبأه بأنه ذكي بليغ متبصر في الآراء والديانات، متصرف في كل فن، إما بالشَدْو المُوهِم، وإما بالتبصر المُفْهِم، وإما بالتناهي المُفْحِم، وأنه قد صادف بالبصرة جماعة وضعوا بينهم مذهبًا، قالوا: إن الشريعة قد دُنِّسَت بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلىٰ غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة. وزعموا أنه متىٰ انتظمت الفلسفة والشريعة فقد حصل الكمال، وصنفوا خمسين رسالة وسموها رسائل إخوان الصفاء ولقنوها للناس، وادعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله.

فقال له الوزير: هل رأيت هذه الرسائل؟ فقال أبو حيان: «قد رأيت جملة منها، وهي مبثوثة من كل فن نتفا بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنايات، وتلفيقات وتلزيقات، وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها. وحملتُ عدة منها إلىٰ شيخنا أبي سليمان المنطقي وعرضتها عليه، ونظر فيها أياما واختبرها طويلا، ثم ردها عليَّ وقال: تعبوا وما أغنوا، ونصبوا وما أجدوا، وحاموا وما وردوا، وغنوا وما أطربوا، ونسجوا فهلهلوا، ومشطوا ففلفلوا، ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع، ظنوا أنهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة في الشريعة، وأن يضعوا

(١) مجلة الثقافة، عدد ٢١٤، السنة الخامسة (فبراير ١٩٤٣م)، صفحة ١٢٣ .



الشريعة للفلسفة. وهذا مرام دونه حدد؛ وقد توفر علىٰ هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحد أنيابا، وأحضر أسبابا، وأعظم أقدارا، وأرفع أخطارا، وأوسع قوىٰ، وأوثق عرا، فلم يتم لهم ما أرادوه، ولا بلغوا منه ما أملوه؛ وحصلوا علىٰ لوثات قبيحة، ولطخات فاضحة، وألقاب موحشة، وعواقب مخزية، وأوزار مثقلة.

هذه هي حقيقة إخوان الصفاء كما صورها أبو حيان، وهذا رأيه في أغراضهم ومقاصدهم، فهل يعقل بعد هذا أن يقال أن أبا حيان كان منهم أو من أنصارهم؟ ولكن الدكتور زكي مبارك يقول في كتاب النثر الفني (٢/ ١٤٣): «إن التوحيدي كان من أنصار إخوان الصفاء، ولكنه كان يتستر اتقاء لسخط الجمهور، وكانت طريقته في تأييدهم أن ينطق الأشخاص بعبارات مريبة كقوله: الشريعة طب المرضىٰ، والفلسفة طب الأصحاء، والأنبياء يطببون للمرضىٰ حتىٰ لا يتزايد مرضهم، وحتىٰ يزول المرض بالعافية فقط، فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة علىٰ أصحابها حتىٰ لا يعتريهم مرض أصلا. فبين مدبر المريض ومدبر الصحيح فرق ظاهر وأمر مكشوف...». وهذا الكلام الذي نقله الدكتور وادعىٰ أن التوحيدي أنطق به بعض الأشخاص لينصر به إخوان الصفاء، كلام مقطوع الصلة بما قبله وما بعده، فلا يصح الاستشهاد به إلا علىٰ طريقة: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، علىٰ أنه ليس لأبي حيان، وإنما هو رأي رواه وروىٰ نقدا قويا له في حوار طويل جرىٰ بين الحريري وبين المقدسي أحد إخوان الصفاء.

روىٰ أبو حيان أن الوزير قال له: أفما سمعت شيئا من هذا المقدسي؟ فقال: بلىٰ! هيجه الحريري يوما فاندفع فقال: الشريعة طب المرضىٰ والفلسفة طب الأصحاء... الخ، فقال له الحريري: أما قولك طب المرضىٰ وطب الأصحاء، وما نسقت عليه كلامك فمَثَلٌ لا يعبر به غيرُك ومن كان في مشكل، لأن الطبيب عندنا الحاذق في طبه هو الذي يجمع بين الأمرين؛ أعني أنه يبرئ المريض من



مرضه ويحفظ علىٰ الصحيح صحته، فأما أن يكون ههنا طبيبان يعالج أحدهما الصحيح والآخر يعالج المريض، فهذا مالم نعهده نحن ولا أنت وهو شيء خارج عن العادة، فمَثَلُك مردود عليك، وتشنيعك فاضح لك، وكل أحد يعلم أن التدبير في حفظ الصحة ودفع المرض - وإن كان بينهما فرق - واحد، فالطب يجمعهما والطبيب الواحد يقوم بهما وبشرائطهما. وإني أظن أن حسك كليل وعقلك عليل، ما بالنا لا نرىٰ الواحد منكم يقوم بأركان الدين، ويتقيد بالكتاب والسنة، ويراعي معالم الفريضة ووظائف النافلة. هذه والله الجهل المبين والخرق المشين، هيهات لقد أسررتم الحسو في الارتغاء، ودللتم علىٰ فسولتكم وضعف منتكم. . . وأردتم أن تقيموا ما وضعه الله، وتضعوا ما رفعه الله؛ والله لا يُغَالب، بل هو غالب علىٰ أمره فعال لما يريد. فانبهر المقدسي بما سمع، وكاد يتفرىٰ إهابه من الغيظ والعجز وقلة الحيلة».

والمحاورة طويلة جدا يجدر بالقارئ أن يرجع إليها في الجزء الثاني[1] من الإمتاع والمؤانسة فإن فيها لذة وثقافة وإمتاعا.

وبعد فهل فيما نقلته عن التوحيدي ما يصح أن يستنتج منه أنه كان من أنصار إخوان الصفاء؟ ولكن الدكتور مع كل هذا، أو برغم هذا، استنتج أنه كان من أنصارهم بل ذهب إلىٰ أبعد من ذلك فرجح أن يكون من مؤلفيها حيث يقول: «ولا تُعْرَفُ أسماء مؤلفيها بالضبط ولكن يرجح أن التوحيدي كان بينهم»؛ ولم يحدثنا الدكتور عن تلك المرجحات حتىٰ نعرف هل تبدت له بعد بحث وروية وتفكير، أم أنه تابع بعض المستشرقين دون مناقشة أو مراجعة.

ولا يصعب علينا أن نحكم بأنه كان من المقلدين فقد نقل في كتاب الأخلاق

---

(١) وهي الليلة السابعة عشرة من ليالي الكتاب.



عند الغزالي ص٧٢ أن: «الكونت دجلارزا ذكر أن أحد إخوان الصفاء -وهو أبو حيان التوحيدي- كان يقول: إن الشريعة لم تكن كاملة بل فيها غلطات وجب إصلاحها بواسطة الفلسفة».

وكلاهما مخطئ في عد التوحيدي من جماعة إخوان الصفا، مخطئ في نسبة كلام غيره إليه، متعسف في أن يحمل عليه آراء خاطئة لا علاقة للتوحيدي بها إلا أنه رواها وروىٰ نقدها بعقبها علىٰ طريقته التي اختطها لنفسه في تسجيل آراء معاصريه أنىٰ كان موقعها من الحق ومن نفسه، ولولا أنه تعرض لتحبير أمثال هذه الأحاديث والمسامرات لكان ذلك كله مغمورا في غمار ما جهل وفائتا في عرض ما فات.

وقد أحس أبو حيان بما تثيره طريقته تلك من مشاكل ومصاعب، وفكر فيها تفكيرا طويلا، وعالج أمرها في بعض ما كتب بما عهد فيه من صدق اللهجة، وصراحة الرأي. كتب في حديث له يقول: «فوالله ما شرعت في تحبير هذا الكلام، وإيراد هذه الوجوه إلا شغفا بالعلم، ولولا كلف النفس به ومحبتها للفائدة لكان الإضراب عنها أذب عن العرض وأصون للقدر وأبعد من استدعاء اللائمة، ولكني تعرضت له علىٰ علم مني بقلة السلامة، علىٰ أن من أنحىٰ عَلَيَّ بحده، وكشر لي عن نابه، وجعل صوابي خطأ وخطئي فيه عارا؛ احتملت وصبرت وتغافلت وعذرت، وإذا كنت في جميع ذلك راوية عن أعلام عصري وسادة زماني، فأنا أفدي عرضهم بعرضي، وأقي نفسهم بنفسي، وأناضل دونهم بلساني وقلمي ونظمي ونثري. ولست أنافس أحدًا علىٰ هذا الحديث إلا بعد أن يرسم بقلمه في هذا الفن عشر أوراق يسلم فيها كل السلامة، ويتبرأ فيها من كل مقالة، وهذا ما لا يتطاول له كل أحد، ولا يعثر به كل إنسان. والطعن بالقول سهل من بعيد، والعنف خفيف علىٰ لسان كل غائب، والتعقب مركز في كل وقت، علىٰ أن الحسناء لا تعدم ذاما، كما أن المحسنة لا تعدم ملاما».



سيرة أحمد بن طولون[1]

في دار الكتب الظاهرية بدمشق طائفة من الكتب المخطوطة النادرة يجب العناية بأمرها، وإعداد العدة لنشرها بين الناس محافظة علىٰ ذلك التراث العظيم الذي خلفه لنا الأقدمون، ورغبة في إذاعة ما فيها من الفوائد العلمية، والطرائف الأدبية التي تفردت بذكرها.

ومن تلك الكتب النفيسة التي حفلت بها المكتبة الظاهرية كتاب سيرة أحمد بن طولون لأبي محمد عبدالله بن محمد البَلَوَي، الذي عني بنشره الأستاذ العلامة محمد كرد علي بك لأن في نشره: «إحياء مادة جديدة في تاريخ مصر والشام، ولونًا طريفًا من أدب عصره الجميل فيه حلاوة وطلاوة، ولأن فيه ألفاظًا فصيحة ومعربة عن شؤون الحياة كانت مألوفة في زمن المؤلف، ونحن في حاجة إليها اليوم، دع ما هناك من قصص واقعية تدل علىٰ كياسة ابن طولون وسياسته، وتفيد القارئ من حكمته وحنكته، فيها متعة للنفس وسلوىٰ، وصورة صادقة من صور ذاك المجتمع».

وقد أنفق الأستاذ جهدًا كبيرًا في تحقيق هذا الكتاب لا يدرك كنهه إلا من زج بنفسه في هذا المضمار، وزاد من عنائه في رجعه إلىٰ أصله، إذ أن المخطوطة لا نظير لها يمكن أن تقابل عليه، وهي مع ذلك عارية عن النقط، قد عاثت فيها الأرضة، وأصابها بلل طمس بعض كلماتها. ولكن ذهن الأستاذ الثاقب، وعلمه الواسع، وصبره الدائب، قد أعانه علىٰ حل معمياتها وفك رموزها، وكشف له عن

(١) مجلة الثقافة، عدد ٢٣٤، سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، ص ٦٠٦ .



كثير من أوجه الخطأ، وألوان التحريف حتىٰ خرج الكتاب في تلك الصورة البديعة أقرب ما يكون من الأصل، وأدنىٰ ما يكون من الصواب.

وقد أحسن الأستاذ صنعًا في كتابة الهوامش التي ذيل بها بعض الصفحات ليتم بها ما فات المؤلف من أنباء ابن طولون. وكذلك أحسن كل الإحسان في وضع العناوين للقصص والفصول تدل عليها، وترشد إلىٰ مضمونها.

والكتاب من أهم الكتب التي تجمع بين الأدب والتاريخ والاجتماع، وتكشف عن حياة عظيم من عظماء التاريخ النابغين اللذين كونوا أنفسهم بأنفسهم، ورغبوا في المجد، وسلكوا إليه كل سبيل حتىٰ نالوا ما رغبوا فيه، وعملوا له، ومكنوا لسلطانهم في الأرض، ولذكرهم في التاريخ.

وقد سلك المؤلف في تأليفه طريقة جميلة تلذ الذوق، وترضي القلب، وتروق العقل، وتشوق النفس إلىٰ المضي في قراءة الكتاب حتىٰ تفرغ منه، يروي المؤلف الخبر بسنده القصير علىٰ نحو ما كان يصنع الرواة في القرون الأولىٰ، ولا يتوارىٰ خلف روايته بل يطالعك بشخصه، ويصارحك برأيه، ويصف لك شعوره أحيانًا، وقد يحلل ما يروي، ويعلل ما يقص في بعض الأحايين، وهو مولع بتنسيق الأخبار، وترتيب الأبواب، كل ذلك بأسلوب سهل يسير لا تصنع فيه ولا تكلف، وقد ساعده أسلوبه العذب ورغبته في الإطناب، وحبه للتفوق علىٰ من سبقه، علىٰ رسم صورة جميلة لابن طولون، لا أظن أن حاكمًا من الحكام قد ظفر بمثلها علىٰ كثرة الصور، وتعدد السير التي صنعت لهم، ومرد ذلك فيما أرىٰ إلىٰ ابن طولون نفسه وما كان عليه من فطنة وذكاء، فقد حدثنا البَلَوِي في مواضع شتىٰ من كتابه أنه كان يستكتب كُتَّابًا يسميهم (كُتَّاب السر) وأنه أوصىٰ أحدهم فقال له: «إني جعلتك صاحب خبر علىٰ ألفاظي، فانظر كل ما يجري بيني وبين من يخاطبني من صغير وكبير، فاكتب خطابه وجوابي، وخطابي إياه وجوابه لي، وأعرضه علي بالعشي»،



وأن كتابه كانوا يراعون هذا أشد المراعاة.

ونقل أيضًا حديثًا طويلًا جرىٰ بين أحد أصحاب ابن طولون، وبين بعض العلماء وأن هذا الصاحب لما حدث بما جرىٰ قيل له: كيف حفظت هذا الكلام؟ فقال كان كاتب السر يكتب كل ما يجري ولا يسقط من ذلك شيئًا فسألت أحمد بن طولون أن يأمر الكاتب بأن يطلق لي نسخة فأمره بذلك. وكان هؤلاء الكتاب في داخل القصر وفي خارجه يكتبون كل صغيرة وكبيرة، ويرفعونها إليه. ومن ثم كان هذا الكتاب كأنه طائفة من التقارير والمذكرات التي كتبت في وقتها، ويرجع الفضل في حفظها إلىٰ أحمد بن يوسف كاتب الدولة الطولونية وأول مؤلف لسيرتها. وقد اعتمد البَلَوِي علىٰ ما كتبه أحمد بن يوسف وزاد عليه طائفة من الرسائل والوثائق والأنباء عن مرض ابن طولون وأيامه الأخيرة. وفصل القول في نشأته وأخبار حروبه وما كان بينه وبين ولده العباس وغلامه لؤلؤ. وذكر كل عجيبة من أنباء ذكائه، ودقة ملاحظته، وقوة فراسته وحسن سياسته وعدله ورحمته، ومفاخره ومكارمه إلىٰ غير ذلك من الصفات و الميزات التي خلعها علىٰ ابن طولون.

وإن أخذ علىٰ المؤلف شيء فهو هذا الغلو في الدفاع عن مساوئ ابن طولون، ومحاولته تبرير أعماله السيئة التي ارتكبها في شطط وإفراط. ويؤخذ علىٰ المؤلف أيضًا أنه أسرف في ذكر القصص الغريبة، والحوادث العجيبة التي يستحيل علىٰ العقل تصديقها، ويصعب علىٰ الفكر قبولها، والتي إن أرضت الفن فلن ترضىٰ العلم، وإن ظفرت بإعجاب الأدباء فلن تظفر بتأييد المؤرخين، وما أشك مطلقًا في أن تلك الأنباء قد اخترعها البَلَوِي، وافتراها علىٰ التاريخ، وليس ذلك بمستبعد علىٰ رجل حدثنا عنه علماء نقد الرجال أنه صنع (رحلة الشافعي) ونمقها وطولها ما وسعه التنميق والتطويل، وأيًا ما كان الأمر فالكتاب جدير بالتقدير لأن فيه حقًا



كثيرًا، وأدبًا عظيمًا، وأيسر ما يقال فيه: إنه من أهم مصادر الأدب والتاريخ المصري التي تنير تلك الفترة من تاريخنا المجهول.

وهناك بعض ملاحظات عنت لي أثناء قراءتي السريعة لهذا الكتاب أحب أن أنبه عليها رغبة في تصحيح الكتاب، ومساهمة في رجعه إلىٰ أصله، وبذلك أكون قد أديت بعض واجبي كقارئ نعم حينًا من الزمان بقراءة هذا الكتاب الظريف.

١- فمن ذلك ما جاء في ص ٧٦: «فلما أمعن في الصحراء ساخت في الأرض يد فرس بعض غلمانه فسقط الغلام، فوقف عليه أحمد بن طولون، وأُخْرِجَت يد الفرس، فنظر فإذا بفتق، ففتح وأصاب من مال ما كان مقداره ألف ألف دينار، وهو المطلب الذي شاع خبره». والصواب: فإذا بنفق.

٢- وفي صَ ٩٦: «فحارب بنفسه ساعة حربا شديدة بانت فيها رجولته وجزالته»، ولا معنىٰ لوصف الجزالة هنا، والصواب وجراءته.

٣- وفي ص ١٢٠: «وقدم بين يديه صينية فيها كوز ماء، وقدح نصيف، وجعل بين يدي الجارية صينية فيها قدح لطيف»، وصواب نصيف: (نظيف)، حتىٰ تكون هناك مشاكلة بين نظيف ولطيف.

٤- وفي ص ١٤٢: «اسنح له ذكر كاتب شاهده، فخف علىٰ قلبه وافترس فيه خيرًا»، والصواب: تفرَّس.

٥- وفي ص ١٨٧: «فدعاني يومًا وقال لي: أتعرف إمامًا يصلي بالمنامة في موضع كذا فقلت له: نعم أنا أعرف المسجد وما أعرف الرجل».

وقد ظن الأستاذ أن كلمة (المنامة) محرفة. وقال: كذا في الأصل ولعلها (المناخة). وللأستاذ العذر في هذا الظن فإن (المنامة) لفظة مصرية أصيلة بمعنىٰ (الضريح) وهي لا تزال شائعة الاستعمال في هذه الأيام.



وبعد فإنا نشكر الأستاذ الكبير محمد كرد علي بك، علىٰ عنايته بنشر هذا الكتاب النفيس، ونعده هدية كريمة من الشام إلىٰ مصر نتقبلها شاكرين.

وإني بهذه المناسبة اقترح علىٰ الأستاذ أن يحدثنا عن نوادر المخطوطات في الشام، ولئن كان هذا الحديث عنها مفيدًا وممتعًا في كل وقت فهو في هذه الأيام التي يستحيل فيها النشر لغلاء الورق أعظم فائدة وأكثر إمتاعًا.



نقد كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي بتحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي[1]

(١ - ٤)

كنت أظن أني سأقرأ هذا الكتاب القيم في يسر لا يشوبه عسر، وسهولة لا تمازجها صعوبة من تحريف أو تصحيف يفسد علي اللذة الصافية التي أجدها في قراءة كتب أبي حيان التوحيدي، أحب الأدباء القدماء إلىٰ قلبي، وأعظمهم مكانة في نفسي.

وكان مرد هذا الظن أن ناشره أستاذ جامعي مشهور، وفيلسوف جم النشاط، غزير الإنتاج، يعرف أمشاجًا من لغات شتىٰ، فإذا نشر كان نشره علميا مثاليا، وكنت أظن أيضا أن الدكتور عبدالرحمن بدوي سيقدم للكتاب بمقدمة رائعة، قوامها المنطق السليم، والبحث العميق، والاستنتاج الدقيق، والرأي الصائب المؤيد بالأدلة الناصعة، والبراهين الساطعة، ويكون رائده فيها الحق المجرد، والإنصاف الخالص، وقصده الأول بيان قيمة الكتاب، وشرح فكرته، وكشف حقيقته حتىٰ يكون القارئ علىٰ بصيرة منه قبل شروعه في قراءته.

كنت أظن هذا وذاك، ولكن شيئا من ذلك كله لم يتحقق، فقد لقيت فيه مشقة بالغة، وضقت ذرعا بالأخطاء المنكرة التي تموج بها صحائفه، وعفت الشروح

---

(١) مجلة الثقافة، السنة الثانية عشرة، عدد ٦٢٩ وما بعده، سنة ١٩٥١م، ص ١٨ وما بعدها.



الغريبة التي تحيل المعنىٰ وتفسد الفكرة، وتناقض قصد المؤلف، وتملأ نفس القارئ بالعجب المضحك، ولكنه ضحك كالبكاء، كما قال أبو الطيب.

وهناك أمر آخر له خطره وقدره ولا مناص من ذكره، وهو أني أشك في كمال نص الكتاب، ولست أعني النقص الواقع في أصله، ولكني أعني نقص المطبوع عن المخطوط، والذي حملني علىٰ هذا الشك أني قرأت صفحتين نشر صورتهما الدكتور في صدر الكتاب، وقارنت بين ما جاء فيهما وبين ما جاء في هذه الطبعة فألفيت في كل صفحة منهما نقصا ملحوظا. جاء في صفحة ٢١٤ المطبوعة: «. . . أو ليت من حَطَّني عن درجات المخدومين، رَقَّاني إلىٰ مقامات الخدم، أو ليت من حظر عَلَيَّ البَسْطَ عنده، لم يحظر عَلَيَّ التبصبص له»، وإذا قرأنا هذا الكلام في ص (٨٩ أ) المصورة وجدناه هكذا: «أو ليت من حَطَّني عن درجات المخدومين، رَقَّانِي إلىٰ مقامات الخدم، أو ليت من حرمني روح المخصوصين، كفاني من لواذع السَّدَم والنَّدَم، أو ليت من نبذني وراء كل شيء مَنَّ عَلَيَّ بشيء، أو ليت من حظر عَلَيَّ التَّبَسُّطَ عنده لم يحظر علي التبصبص له».

فأنت ترىٰ أن الدكتور لم يكن أمينا في نقل النص، وليس ذلك من باب السهو الذي يقع عادة في النقل، فإن ذلك يمكن أن يكون يقال في غير صفحة اختارها الناشر للتصوير اختيارا، وطبيعي أنه لا يختارها إلا بعد المراجعة الدقيقة. ولبيان معنىٰ السَّدَم ننقل ما ذكره ابن منظور في لسان العرب ١٥/ ١٧٥ قال: «قلما يفرد السَّدَمُ عنِ النَّدَم، والسَّادِم: المتغير العقل من الغم، أو الحزين الذي لا يطيق ذهابا ولا مجيئًا».

وجاء في صفحة ٩٣ المطبوعة: «وفيك نرغب الزاهدين الشاكين، ورحمتك نرجو محتاجين مفتقرين، وعن ربوبيتك نُنَقِّرُ وَاجِدِين مُرَجِّين، وبصحبتك نفتخر بهجين وفرحين، يا هذا ارحم غربتي في هذه اللغة العجماء، وبين هذه الدهماء



الغبراء، وتعجب من بدائي في هذه الفلاة الغبراء، بين الأرض والسماء، فلا أحد يجيب مساعدًا أو معينًا».

وإذا رجعنا إلىٰ ص (٤٠ ب) المصورة وقرأنا هذا الكلام هناك تملكتنا الدهشة؛ لأن الدكتور الناشر لم يحسن قراءة بعض الألفاظ، ففي النص المخطوط (وَاجِدِين مَرِحِين) لا (مُرَجِّين) كما قرأها وكتبها الدكتور، ومن الغريب حقا أن ناسخ الكتاب قد وضع تحت حاء (مَرِحِين) حاء صغيرة لئلا يقرأها قارئ خاء أو جيما، ولكن الدكتور لم يفطن لهذا التمييز الواضح. وفي النص المخطوط أيضا (الدهماء العَسْرَاء) لا (الغبراء) كما قرأها الدكتور وكتبها، وفيها أيضا (وَتَعَجَّبْ مِنْ نِدَائِي) لا من (بدائي) وقد وهم الدكتور فظن نقطة نون (من) نقطة لنون (ندائي) التي قرأها باء، ولو نظر لقول أبي حيان بعدها (فلا أحد يجيب مساعدًا) لفهم المعنىٰ وقرأها صحيحة (ندائي) لا (بدائي)؛ فإن الإجابة تناسب الأولىٰ وتباين الثانية.

وجاء في صفحة ٩٣ المطبوعة نفسها: «أين العقول الحصيفة، أين القرائح الصافية» وإذا رجعنا إلىٰ هذا الكلام في المصورة ص (٤١ أ) وجدناه هكذا: «أين العقول الحصيفة، أين الآذان الصاغية، أين الألباب الثاقبة، أين القرائح الصافية».

فأنت ترىٰ من المقارنة بين هاتين الصفحتين أن الدكتور لم يكن أمينا في نقل النص، وأنه لم يحسن قراءة الكلمات الواضحة في المخطوطة، وإذا كان ذلك قد وقع في صفحتين مختارتين فما بالك بسائر صفحات الكتاب!

ومن أجل ذلك كله أقول؛ والأسف يملأ جوانحي؛ إن الدكتور عبدالرحمن بدوي قد أفسد هذا الكتاب بنشره له علىٰ تلك الشاكلة الخاطئة، وأساء إلىٰ نفسه وإلىٰ أبي حيان إساءة بالغة مؤلمة قل أن يوجد لها نظير أو شبيه في ميدان النشر.



وإن خالج القارئ سانح من الشك، أو ساوره خاطر من الإنكار، فإني أسارع وأضع أمامه أمثلة متنوعة لأوهام الدكتور تستنفد عجبه، وتقنعه بأني لزمت جادة الحق والقصد فيما قلته عنه ووصفته به.

١- ص ٢٧: يقول أبو حيان مخاطبًا أحبابه: «فَارْعَوا ذِمَامَ خِدْمَتِي لكم، وحافظو علىٰ ما تَحَمَّلْتُ فِيكُم، فقد شَرِبْتُ العَلْقَمَ في هَوَاكُم، ودَارَيْتُ العِدَىٰ تَحَمُّلًا لَكُم، ولَزِمْتُ الصمت حتىٰ نسيتُ الكلام، واعتزلتُ حتىٰ قيل هو من الوحش، وغَضَضْتُ الطرف حتىٰ قيل من العميان». قال الدكتور عبدالرحمن بدوي في شرحه: «الكلام هنا بمعنىٰ علم الكلام، والقرينة في قوله (اعتزلت) أي صرت من أهل الاعتزال أو المعتزلة، واعتزلت بعدها بمعنىٰ توحدت وانفردت». !!

هذا شرح مضحك حقا: فإن أبا حيان لم يرد بالكلام إلا معناه المعروف للعامة والخاصة، ولست أدري كيف فهم الدكتور أن أبا حيان نسي علم الكلام لما لزم الصمت، وما العلاقة العجيبة بين هذا الصمت وعلم الكلام؟ وكيف تكون (اعتزلت) بمعنىٰ توحدت وانفردت؛ قرينة علىٰ أن المراد بالكلام علم الكلام، وما الصلة بين التوحد والانفراد وبين مذهب الاعتزال؟ لست أدري، ولعل هناك صلة فلسفية لا يدركها إلا عقل فيلسوف.

٢- ص ١٥٨: يقول أبو حيان «هذا ذَرْوٌ من الحديث عن هذا المقام الذي وصل إليه بعض الكرام، ثم وراء ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت».

أخطأ الدكتور في شرحه كلمة ذَرْو خطأ غريبا عجيبا إذ يقول: «ذَرْوٌ: من ذرا يذرو، أطار وأذهب»!!. والصواب: ذَرْوٌ من الحديث: أي طرف منه. جاء في اللسان ١٨/ ٣١٣ «ذَرْوٌ من قول: أي طَرَفٌ منه لم يتكامل».

٣- ص ٢٣٦: «نعم يا سيدي، حدثني إن الحديث من الفِرَىٰ». أخطأ الدكتور



في ضبط كلمة (الفِرىٰ) ونقطها وشرحها وقال: «الفَرِىٰ كَغِنَىٰ، يقال: هو يَفْرِي الفَرِىٰ: أي يأتي بالعجب في عمله». والصواب: (إن الحديث من القِرَىٰ)، وهو تعبير مشهور متداول في كتب الأدب، قال الشاعر:

لِحَافِي لِحَافُ الضَّيْفِ والبَيْتُ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ

أُحَدِّثُهُ إِنَّ الحَدِيثَ مِنَ القِرَىٰ وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

راجع حماسة أبي تمام ٤/ ٢٤٤، وقال آخر:

وَرُبَّ نِضْوٍ طَرَقَ الحَيَّ سُرَىٰ صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَىٰ

إِنَّ الحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ القِرَىٰ

وأظن أن قرىٰ الأضياف بين لا يحتاج إلىٰ شرح نظري!.

٤- ص١٤٦: «فقد جَمَدِت العيون فما تدمع، وتكبرت القلوب فما تخشع، وَكَلِبَت البطون فما تشبع». قال الدكتور: «كَلِب كَفَرِحَ: أصابته شدة وضيق»!!.

وهذا خطأ طريف، والصواب (كَلِبَت البطون): أي ضَرِبَتْ علىٰ كثرة الأكل وتعودته، جاء في اللسان ٢/ ٢١٨ «وكَلِبَ الكَلْبُ واسْتَكْلَب: ضَرِىٰ وَتَعَوَّدَ أكل الناس، فأخذه لذلك سُعَارٌ وداء شبيه بالجنون، وقيل: (الكَلَب) جنون الكلاب، وفي الصحاح: (الكَلَب) شبيه بالجنون، ولم يخص الكلاب».

٥- ص ٣٤٨، ٣٤٩: يقول أبو حيان في الحديث عن قصر العمر: «فما لُبْثُنَا في هذه البلدة الوبيئة، والمدينة الحرجة إلا . . . كحلم النائم في الليل أو كظل قد أخذ في النقصان، أو كالنَّقَابَةِ من مُوَلٍّ، أو كتوهم من النفس، أو كلمح البصر أو هو أقرب».



قال الدكتور: «النَّقَابَة بفتح النون: مصدر نَقِب علىٰ القوم، من باب علم وكرم. صار نقيبا عليهم، أو النِّقَابة بالكسر: الاسم، وبالفتح المصدر»!!. ويبدو أن الدكتور لم يحسن قراءة الكلمة في المخطوطة، فأخطأ في نقطها وشكلها وشرحها خطأ بَعُدَ بها عن المعنىٰ، والصواب: «أَوْ كَالتِفَاتَة مِنْ مُوَلٍّ» فإن قِصَر الالتفاتة من الذاهب المُوَلِّي الملتفت إلىٰ ما وراءه هو المناسب للمح البصر وما قبله من تشبيهات، وأما قِصَر مدة نقابة النقيب فشيء غير معروف ولا معنىٰ له، ولست أدري كيف استساغ الدكتور قرنها بحلم النائم ولمح البصر في مضمار التشبيه.

٦- ص٣٠١: «وإن شَكَا عَجَّزُوه، وإن بخل مقتوه، وإن صرح طردوه، وإن كَنَّىٰ عاندوه، وإن ساعد استثقلوه، وإن نافر استحملوه». قال الدكتور: «استحمله نفسه: حمله حوائجه وأموره، وسأله أن يحمل، واستحمل قَوِيَ علىٰ الحمل والطاقة».

ولو كان الدكتور يعرف معنىٰ (المُنَافَرَة) في لغة العرب وأنها المفاخرة والمحاكمة في الحَسَب، لعلم أن الصواب «وإن نافر اسْتَخْمَلُوه» بالخاء لا بالحاء، أي عدوه خامل النسب والحسب لا يصلح للمنافرة.

٧- ص ١٧٣: «فلهذا واترتُ هذا الجزء الكلام في الأخلاق وتهذيبها، فإنك بذلك تصفو بعد التَّهَذُّب، ثم ليس بعد الصفو إلا ما إذا بدا من الحق بادية وَانَكَ وَجَمَّلَك، وأَطْلَعَكَ علىٰ الغيب وأشهدك». قال الدكتور «الوَانِك: الوَاكِنْ، وَنَكَ في قومه تَمَكَّنَ فِيهم، وَوَكَنَ الطائر بيضه وعليه يَكِنَهُ: حضنه».

وهذا خبط وخلط مرده إلىٰ أن الدكتور لم يفطن إلىٰ ذلك التحريف الساذج في الكلمة التي شرحها، والصواب «زَانَكَ وَجَمَّلَك» لا «وَانَكَ وَجَمَّلَكْ» ثم ما معنىٰ هذا الذي كتبه في الشرح.



٨- ص١٥٢ : «لقد رأيت خلقا كثيرا، وعرفت صغيرا وكبيرا، فما رأيتُ أجنىٰ منك علىٰ نفسك، ولا عرفتُ أوهىٰ منك في طلب أيْسِك، أما آن لك أن تقلع عن هذا الإضرار، أما وجب عليك أن تستحي من مخالفة الله في الجهار والسرار؟».
قال الدكتور: «الأيْس: القَهْر، يقصد: ليس أضعف منك في طلب ما تقهر به الناس، وتسمو به عليهم»!.

لم يقصد أبو حيان هذا المعنىٰ، ومحال أن يقصده في هذا المقام، ولم يقل كلمة (أيْسِك)، وإنما قال: «وَلَا عَرَفْتُ أَوْهَىٰ مِنْكَ فِي طَلَبِ أُنسِك»، ومن العجيب أنه كرر هذا المعنىٰ في الصفحة نفسها حيث يقول: «وما أغفلك عن حظك في عاقبتك، إن أنت إلا بلاء علىٰ نفسك، وحجاب بين روحك وَأُنْسِك». وبديهي أن كلمة (الإضرار) بالضاد محرفة عن (الإِصْرَار) بالصاد، ولكن الدكتور لم يفطن إلىٰ هذا التحريف البسيط، بل لعله أحدثه.

٩- ص ٣ و ٤ : «فيا جافي الطبع، ويا قاسي القلب، وياسيئ الاختيار، كيف يطمع الطامع في رُشْدِك، وهذا نظرك لنفسك؟ أشهد أنك غبين الرأي، مسلوب التوفيق، علىٰ أنه قد بقي من شمسك شَفَىٰ، فإن تداركت يقينك رجوت لك أن تسلو عن فائتك». قال الدكتور: «شَفِيَتْ الشَّمْسُ شَفَىٰ: غَرَبَتْ»!.

وهذا خطأ؛ فإن معنىٰ (شَفَىٰ) هنا: قليل، جاء في اللسان ١٩/١٦٧ «وما بقي من الشمس والقمر إلا شَفَىٰ، أي قليل».

١٠- ص٤: يقول أبو حيان بعد الكلام السابق «وإن جَنَحْتَ إلىٰ التواني، وذهبت في آفاق الأماني، لم ترث من حالك إلا حسرة، ولم تمضغ بفمك إلا جمرة، يا هذا خَفِّضْ أَسَىٰ عما سَاءَكَ طِلَابُهُ:

مَا كُلُّ شَائِمِ بَارِقٍ يُسْقَاهُ».



حسب الدكتور أن هذا النص نثر كله، وليس فيه من الشعر إلا الشطر الذي أفرده في سطر وحده. وليس الأمر كما حسب؛ فإن آخر نثر أبي حيان كلمة (يا هذا)، وما بعدها بيت من الشعر تمثل به وهو:

خَفِّضْ أَسَىٰ عَمَّا شَآكَ طِلَابُهُ ... مَا كُلُّ شَائِمِ بَارِقٍ يُسْقَاهُ

فساءك محرفة عن (شآك)، والبيت للبحتري كما في ديوانه ٢/ ٣٢٣ وقبله:

وَالشَّيْءُ تُمْنَعُهُ يَكُونُ بِفَوْتِهِ ... أَجْدَىٰ مِنَ الشَّيءِ الذِي تُعْطَاهُ

١١- ص ٢٠: يقول أبو حيان: «إلىٰ متىٰ نقول بأفواهنا ما ليس في قلوبنا، إلىٰ متىٰ ندعي الصدق والكذب شعارنا ودثارنا، إلىٰ متىٰ نتمادىٰ في الغواية وقد فني العمر بليلنا ونهارنا، إلىٰ متىٰ نتنافس بذكره وزنانيرنا في أوساطنا، إلىٰ متىٰ نخلد إلىٰ الدنيا وقد دنا منها رحيلنا؟». قال الدكتور في شرح الزنانير: «جمع زُنَّار، كناية عن الخضوع لله؟!!.

وهذا شرح غريب حقا، وبعده عن الصواب كبعد الأرض عن السماء، ولكنا نمضي مع صاحبه لنعلم مقدار فهمه لكلام أبي حيان. لقد فهم أن أبا حيان يريد أن يقول إلىٰ متىٰ نتبارىٰ في إظهار ذكر الله، ونحن خاضعون له كل الخضوع، ويا لله من فهم يسيء إلىٰ الدكتور وإلىٰ أبي حيان معًا. من قال يا دكتور إن لبس المسلمين للزنانير في أوساطهم كناية عن خضوعهم لله، وهو لم يلبسوه في أي عصر ولا مصر، ولعلك تعلم أنهم قد فرضوا لبسه أيام عزتهم وصولتهم، علىٰ المجوس واليهود والنصارىٰ ليكون سمة لهم، وعلامة تدل عليهم أينما كانوا وحيثما حلوا.
ولو صح ما افتريته من ذلك لكان أبو حيان مخرفا يهرف بما لا يعرف، ويخبط في قول خبط البُلْهِ المجانين، الذين يقولون القول يدفع أوله آخره، وينقض آخره أوله، ولكن أبا حيان رجل عاقل يكتب ما يكتب عن بينة وبصيرة، فهو يقول: «إلىٰ متىٰ



نتنافس بذكره وزنانيرنا في أوساطنا»، أي إلىٰ متىٰ نكذب الله والناس عن أنفسنا فنظهر خلاف ما نبطن، ونتبارىٰ في إظهار ذكره بألستنا لندل علىٰ إسلامنا، بينما نعمل أعمال غير المسلمين من الذميين الذين يلبسون الزنانير. وهذا هو المعنىٰ الصحيح الذي قصده أبو حيان من ذلك التعبير. وأما أن يكون «لبس الزنانير كناية عن الخضوع لله» فشيء لا نعرفه، ولا نسيغه، ولا نرتضيه، وإن عرفه الدكتور عبدالرحمن بدوي وساغه وارتضاه، وما توفيقي إلا بالله.

(٢ - ٤)

١٢ - ص ٧ يقول أبوحيان: «يا هذا إن كنتَ ثاكلا فَنَحٌ عَلَيَّ ما أُصِبْتُ به، وإن كنت مكروبا بالسر فبح». أخطأ الدكتور في ضبطه هاتين الكلمتين، كما أخطأ في شرح المعنىٰ، إذ يقول: «أي ألق عَلَيَّ مصابك»!!!.

والصواب «فَنُحْ عَلَىٰ مَا أُصِبْتَ بِهِ»، ويؤيده قول أبي حيان في ص ١١٣: «وَنُحْ فِي نَفْسِكَ نَوْحَ الثكول» وهذا هو البيان الصريح واللفظ الصحيح كما قال أبو حيان في ص ٢٩٤؛ فمن أخطأه فليقرأ تمام كلامه في الصفحة نفسها، فإنه يقول: «فَأَطِلْ البكاء، وَأَجْمِعِ اللطم، وتجرع مرارة الكأس، المترعة بالحسرة واليأس، وليت البكاء نفعك! وليت النوح أجدىٰ عليك! وليت الحسرة أفادتك! وليت الندامة نفعتك! هيهات! فُتَّ فَوْتًا لا دَرْك بعده، وبِدْتَ بُيُودًا لا عَوْدَ مَعَه، والعثرة غير مُقَالَة، والمحنة غير مُزَالَة، والحال غير مُحَالَة...».

١٣ - ص ٤ ثمثل أبو حيان ببيت ولم ينسبه، وهو:

وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَإِنْ استَطَلْنَا ... إِلَيهِ النَّهْيَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَا

وعلق الدكتور بقوله: «استطلنا النهي: النَّهْيُ أي الوصول والبلوغ، واستطلنا أي وجدناه طويلًا، أي وجدنا الوصول إليه عزيزًا». وهذا شرح خاطئ لكلمة



محرفة لم ينطق بها الشاعر، والصواب «إِلَيْهِ النَّهج» لا «النهي» كما جاء في ديوان البحتري ٢/ ٣٠١، والنهج: الطريق.

١٤ - ص ٩ و١٠: يحدثنا أبو حيان أنه انتهىٰ إلىٰ حال لم يشهد فيها إلا النعمة، ولم يحس إلا بالمقة والكرامة: «وذاك أني رأيت الفؤاد محشوًا بالمعرفة، واللسان لهجًا بالذكر، والإشارة نافذة بالتوحيد، والقلب مترعا بالإيمان، والسر مطمئنا بالوعد، والأذن صاغية إلىٰ النداء، والهيمنة ناعية بالنجاء الراسخ علىٰ الوفاء، فهل بعد سُدَّةِ النعم والكرامات، وبعد هذه الآثار والعلامات، وبعد هذه السِمَات والأَمَارات، وبعد هذه المرامات والمقامات، ما يهتدي إليه اقتراح بشر، أو يكون لأحد من الخلق عنه خبر أو أثر؟». شرح الدكتور الوعد بقوله: «أي الوعد بعدم البوح بالسر».

وهذا خطأ؛ فليس في سياق الكلام ما يدل علىٰ أن أبا حيان أخذ علىٰ نفسه العهد والميثاق ألا يفشي (السر) المزعوم، ولست أدري من أين جاء الدكتور بهذا (السر)، ولا علىٰ أي وجه فهمه؟ وكلام أبي حيان واضح لا لبس فيه، فهو يقول: «والسر مطمئنا بالوعد»، أي أن ضميره مطمئن بوعد الله الحق الذي وعد به عباده. ولا معنىٰ لقول أبي حيان «والهيمنة ناعية بالنجاء الراسخ علىٰ الوفاء» كما نقل الدكتور، والصواب «والهينمة نَاغِيَة» بالغين لا بالعين، إذ لا معنىٰ للنعي هنا.

وقال الدكتور في شرح قول أبي حيان (فهل بعد سُدَّةِ النعم والكرامات): «السُّدَّة ظلة فوق الباب؛ ويقصد: سبوغ النعم والكرامات».

وهذا خطأ فإنا نعهد أبا حيان كاتبا بصيرا، فكيف أتىٰ بلفظ (السُّدَّة) في هذا المقام ويقصد منها معنىٰ السبوغ؟ إنه لو فعل ذلك لاتخذناه دليلا علىٰ أنه لا يعرف أسرار العربية، بل ولا بسائط التعبير. ولكنه - ولله الحمد - لم يقل ذلك اللفظ، ولم يدر له بخلد، وإنما قال: «فهل بعد هذه النعم والكرامات»، وكذلك جاء في



أصل الكتاب المخطوط واضحا جليا، ولعل الدكتور لم ترق إلىٰ نظره كلمة (هذه)، فوضع بدلها (سدة)، وفلسف شرحها بما رأيت!.

١٥ - ص ١٢ يقول أبو حيان: «ولعمري إن التصافي بين الشخصين، والتناهي بين المتشاكلين يوجبان ذلك ويجدوان عليه، ولكن مع كل خَطْرَةٍ خَيَال، ومع كل نَظْرَةٍ وَبَال، ولكل أَسْمَانٍ حَال، ولكل مقام مقال». حرف الدكتور الكلمة وشرحها بقوله: «جَدَا عليه: أعطاه الجدوىٰ، أي العطاء».

وهذا شرح يفسد المعنىٰ فسادا كبيرا، والصواب (وَيَحْدُوَانِ عَلَيْه) بالحاء لا بالجيم، كما جاء في المخطوطة، ولعل الدكتور لم يتبين لكلمة (يحدوان) معنىٰ يناسب فقام فجعلها (يجدوان) بالجيم، وشرحها بما رأيت، ومعنىٰ (يَحْدُوَان): يَبْعَثَان، جاء في لسان العرب ١٨/ ١٨٤، «وفي حَدِيثِ الدُّعَاء: تَحْدُونِي عَلَيْهَا خَلَّةٌ وَاحِدَة، أي تَبْعَثُنِي وتسوقني عليها خصلة واحدة، وهو من حَدْوِ الإبل؛ لأنه من أكبر الأشياء علىٰ سوقها وبعثها».

وقال الدكتور في شرحه لقول أبي حيان (وَلِكُلِّ أَسْمَانٍ حَالٍ، ولكل مقام مقال): «الأسمان والأسمال: الأثواب البالية، والمعنىٰ لكل حال لبوس»!!!. وهذا المعنىٰ الذي ذهب إليه الدكتور خطأ صراح، لم يقل به أحد غيره، والصواب: «ولكل إنسان حال».

١٦- ص ١٢: ورد هذا البيت:

وَيُؤْنِسُنِي وَغْدٌ كَوِرْدٍ بَقِيعَةٍ ... مَتَىٰ رُمْتُهُ كُلِّفْتُ بَيْدَاءَ بَلْقَعَا

والصواب (وَيُؤْيِسُنِي) وقال الدكتور في شرح (كَوِرْدِ): «الوِرد: الإشراف علىٰ الماء دخله أو لم يدخله»!!! وهذا خطأ يفسد التشبيه، والصواب ما جاء في لسان العرب ٤، ٤٧١ «الوِرْدُ: الماء الذي يُورَد».



١٧ - ص ١٣ «فغايتي معك عند إشكال قصتي عندك أن أقول:

طَرِبْتُ وَلَم أَطْرَبْ ونِمتُ وَلَمْ أَنَمْ   وَلَمْ تَدْرِ مَا أَلْقَىٰ وَلَكِنَّنِي أَدْرِي

ضبط الدكتور تاء (طَرِبتُ) و(نُمتُ) بالضم وهو خطأ يحيل المعنىٰ، والصواب: (طَرِبْتَ) و(نِمْتَ) بفتح التاء فيهما كما جاء في المخطوطة.

١٨- ص ١٤ «وإذا قيل هذا أوان الرَّوْحُ والفَرَح، ختم هناك الويل والجَرَحْ، فَهَلُمَّ يَا سَيِّدِي إِلَىٰ شَجْوٍ قَدْ أُمِرَّت علينا كأسه . . . وَلَا بَالَ إِلَّا وَقَدْ كَسُفَ بالقنوط . . . وغالب ظني يا سيدي أنك لمساعدتي علىٰ هذا الشجو تؤثر أثرا يخف به ما بنا».

أما قوله: (وإذا قيل هذا أوان الرَّوْحُ والفَرَح، ختم هناك الويل والجَرَحْ) ففيه عدة تحريفات أحدثها الدكتور، وقد شرح الكلمة الأخيرة بعد أن حرفها فقال: «جَرَحَ جَرْحًا محركة: أصابته جِرَاحَة». وهذا خطأ وإذا رجعنا إلىٰ هذا النص في النسخة الخطية تبينت لنا التحريفات التي أحدثها الدكتور فيه، جاء في المخطوطة: «وإذا قيل هذا أوان الروح والفَرَجْ، جَثَمَ هناك الويل والحَرَج». وندع للقارئ البحث عن السر في هذه التحريفات، ونمضي لطيتنا فنقول: ضبط الدكتور قول أبي حيان (وَلَا بَالَ إِلَّا وَقَدْ كَسُفَ بالقنوط) بضم السين، والصواب (كَسَفَ) بفتح السين.

وقد أخطأ أيضًا في ضبطه قوله: (فَهَلُمَّ يَا سَيِّدِي إِلَىٰ شَجْوٍ قَدْ أُمِرَّت علينا كأسه) حيث ضبط (أُمِرَّتْ) بضم الهمزة وكسر الميم، والصواب (أَمَرَّت) بفتح الهمزة والميم، من المرارة كما يتطلبه المعنىٰ. وقوله: (إنك لمساعدتي) خطأ، صوابه (بِمُسَاعَدَتِي) كما جاء في الأصل المخطوط.

١٩ - ص ١٥: «الله أسأل أن يزيدك من مواهبه الصافية ما تصير به فردا،



ويوردك من شرائعه الصافية ما تزداد به رِبًا». والصواب (من مواهبه الضافية) بالضاد لا بالصاد. والصواب كذلك (ما تزداد به رِيًّا) بالياء المشددة لا بالباء كما أوردها الدكتور وشرحها حيث يقول: «الربا بالكسر: الفضل»!!!

٢٠ - ص ١٥ يقول أبو حيان: «أما ترىٰ هذا التهادي والتمايل في هذه المعاني التي تلفظها من ناحية العقل بعد انتشارها علىٰ بساط الأنس... ». والصواب كما جاء في المخطوطة: (نلفظها... بعد انتثارها....).

٢١ - ص ٢٢ «فلا العلم باختلاف الأحوال نافع، ولا الجهل به ضار، بل ربما ضر العلم، وربما نفع الجهل، وربما نَبَلَ بالحَنْط، وربما فات بالتأني، وربما بَعُدَ الداني، وربما قَرُبَ النائي...». قال الدكتور وما أغرب ما قال!: «نَبَلَ: لَقَطَ النَّبْلَ، ثم دفعها إلىٰ الرامي ليرمي بها من جديد، والحَنْطُ: النبل يرمىٰ بها، والمعنىٰ أنه ربما يُلْتَقَطُ النَّبْلُ بِالنَّبْل، أي يُدَاوَىٰ الداءُ بالداءِ نفسه»!!...

ماذا أقول في نقد هذا الشرح العجاب؟ أقول إن مثل هذا الفهم هو الذي شحذ عزم أبي حيان علىٰ حرق كتبه بالنار وغسلها بالماء، وجعله يقول لمن لامه علىٰ صنيعه: «فَشَقَّ عليَّ أن ادعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها... وإن عياني منهم في الحياة هو الذي حقق ظني بهم بعد الممات». رحمك الله يا أبا حيان، فقد كنت ترىٰ الغيب من وراء حجاب[1]، وجاء بعدك من يصحف عليك صحيح كلامك ويخبط في فهم معناه خبط عشواء، بل ولا يحسن قراءته.

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن البراك في كتاب الاستدراك (١/١١٧): هذا تعبير منكر، لأنه يتضمن نسبة علم الغيب إلىٰ المخاطب، وعلم الغيب مما تفرد الله به، قال تعالىٰ: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾، وقال سبحان علىٰ لسان نبيه ﷺ: (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول بكم إني ملك). =



جاء في النسخة المخطوطة: «ورُبَّمَا نِيلَ بِالخَبْط، وَرُبَّمَا فَاتَ بِالتَّأَنِّي...»، أي وربما خبط الإنسان في ابتغاء مراده خبط عشواء فناله، وربما تأنىٰ لنيله أشد التأني ففاته ولم يدركه. ومن أعجب العجب أن ناسخ الكتاب قد احتاط، ووضع كسرة ظاهرة تحت نون (نيل) حتىٰ لا يخطئ في قراءتها إنسان... وصدق أبو حيان في نعته الذي نتمثله فيمن نراهم بين ظهرانينا ممن نالوا بالخبط درجات العلماء.

٢٢ - ص ٢٥: يقول أبو حيان إنه كتب إلىٰ أحباب قلبه عن «شوق يعصر الدموع إليكم، وبال متحرك عند تمني عطفكم، وليل يتباهىٰ في مراعاة طيفكم، ونهار متعب في تَوَقُّعِ لطفكم». ولا معنىٰ لقوله: «وليل يتباهىٰ في مراعاة طيفكم» والصواب (وليل يَتَنَاهَىٰ) أي أنه يقضي ليله كله في مراعاة الطيف.

٢٣- ص ٢٦: «وسُقْيًا للرسائل التي كانت تجري بيننا وبينكم، نَعَمْ وَرَعْيًا للوسائل التي كانت تتردد عندنا وعندكم، والوشاة علىٰ خيبتها في الظفر بتأذيكم» قال الدكتور في تعليقه: «في الأصل بناويكم، وصوابه: بناديكم».

ولا معنىٰ هنا لظفر الوشاة (بتأذيكم) أو (بناديكم) وبديهي أن صواب الأصل: «والوشاة علىٰ خيبتها في الظفر بِنَا وَبِكُمْ».

٢٤- ص ٢٧: «فيا أحبابي ارحموني في أوصابي، ودبروا ما بي، فإني لَمُسَابي»!!! قال الدكتور في تعليقه: «كذا في الأصل، ولعل صوابه: لَمُسْبَىٰ. من

= فلا أحد من العباد يعلم الغيب إلا ما أعلمه الله به، فإن الله تعالىٰ يطلع من يشاء علىٰ ما شاء من غيبه كما قال تعالىٰ: (عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا إلا من ارتضىٰ من رسول)، فيكيف يصح مع هذا أن يضيف أحد إلىٰ أحد من الناس أنه (يرىٰ الغيب من وراء حجاب) ؟!.

وفي العبارة عيب لفظي، إذ كيف يجمع بين الرؤية والحجاب، وإن أريد الرؤية العلمية فلا يحتاج فيها إلىٰ التقييد بالحجاب.



أَسْبَأَ لأمر الله: خضع، والمعنىٰ أنه ينقاد لهم»!.

وهذا غير صحيح؛ فإن الكلمة لم ترد في الأصل هكذا كما زعم الدكتور، وإنما وردت صحيحة واضحة «فَإِنِّي لِمَا بِي» وهو تعبير صحيح فصيح يرد كثيرا في كتب الأدب، وقد استعمله مجنون ليلىٰ حيث يقول:

يَقُولُ أُنَاسٌ عَلّ مَجْنونَ عَامِرٍ ... يَرُومُ سُلُوًّا قُلتُ إِنِّي لِمَا بِيَا

كما استعمله أبو الغمر الطمري كاتب الحسن بن زيد العلوي حيث يقول في رثائه:

وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ بَاتَ لِمَا بِهِ ... فَقُلْتُ النَّدَىٰ لَا شَكَّ بَاتَ لِمَا بِهِ

وَكَأَنَّمَا ضَنَّ الزَّمَانُ عَلَىٰ الوَرَىٰ ... بِبَقَائِهِ أَوْ هَابَهُ فَبَدَا بِهِ

٢٥- ص ٣٠: «فأنا المُتَشَرِّقُ المَقْرُور، والمُتَحَرِّقُ المَصْرُور، والقاصد المحجوب، والرائد المكذوب».

شرح الدكتور الجملة الأولىٰ بقوله: «المتشرق: القاعد في موضع القعود في الشمس بالشتاء، والمقرور: المصاب بالقُر بالضم أي البرد». وشرح الجمل الثانية بقوله: «المصرور: الممنوع، المحجوب عن نوال المطلوب أو ما يُتَحَرَّقُ إليه»!!. وهذا خطأ، والصواب أن يقال في شرح (المتحرق): المحروق، جاء في اللسان ١١/ ٣٢٥: «تحرق بالنار واحترق». و(المصرور): «من الصِّرْ، وهو شدة البرد»، وهذا هو المعنىٰ الصحيح الذي أراغ إليه أبو حيان، وتتم به المقابلة التي أرادها بين (المتشرق) و(المتحرق) وبين (المقرور) و(المصرور).

٢٦ - ص ٣٥: يخاطب أبو حيان الإنسان المُبْتَدَع بالقدرة الإلهية، المحفوف بالنعم المُلْكِيَّة، ويطلب إليه أن يتأمل مواقع آياته فيه، ويستنطق شواهد آثاره عليه



ويقول له: «انظر بأي فضل خصك. . . وأي ملك قلدك، وأي مشرب صَفَّىٰ لك، وبأي لطف حاشك، وبأي شيء سَكَّرَ جَأْشَك، وبأي صنع أزال استيحاشك. . . ولأي أمر أعاشك»، ثم يشرح أبو حيان ما ذكره، فيقول: «قَلَّدَكَ مُلْكًا هو نهاية آمالك، وصَفَّىٰ لَكَ مَشْرَبًا متىٰ كَرَعْتَ منه لم تظمأ بعده، وحاشك بلطف هو الذي جعلك مغبوطًا في حالك، وسَكَّرَ جأشك بشيء هو الذي أنالك مرادك، وأزال استيحاشك بصنع أدركت به كل آمالك. . .».

ومن العجيب حقا أن يقول الدكتور في شرح قول أبي حيان (وبأي لطف حاشك، وبأي شيء سكّر جأشك): «حاشك هنا بمعنىٰ اصطادك، وسَكَّرَه بتشديد الكاف تسكيرا: أي خنقه. والجأش: نفس الإنسان»!.

وأي عجب أعجب وأغرب من أن يقول أبو حيان للإنسان الذي يذكره بنعم الله عليه: انظر كيف خصك بالفضل فاصطادك وخنق نفسك بشيء هو الذي أنالك مرادك !!.

وصواب قول أبي حيان (وبأي شيء سَكَّنَ جَأْشَكَ) و (وَسَكَّنَ جَأْشَكَ بِشَيْءٍ هو الذي أنالك مُرَادَك).

ولا ريب في أن (سكون النفس) من أنعم الله الخليقة بالتدبر، والجديرة بالتأمل. وأما (اصطياد النفس وخنقها) فمصيبة كبرىٰ، ولعل في حشره بين أنعم الله التي حف بها عباده سرًا فلسفيا دفينا، يدق علىٰ أفهامنا، وتقصر عنه مداركنا وعقولنا، وفوق كل ذي علم عليم.

(٣ - ٤)

٢٥ - ص ٣٨ يقول أبو حيان: «وهذه نصيحة قد كررتها لك وعليك، وأردت بها البُخُوعَ فيك، والهُجُوعَ منك. . .». وعلق عليها الدكتور بقوله: «بَخَعَ لي



بالحق بُخُوعًا: انقاد، بخع بالحق من باب علم: بَخَاعَةً وَبُخُوعًا، إذا أقر إقرار مذعن بالغ جهده في الإذعان به».

وهذا خطأ، والصواب «وأردت بها النُجُوعَ فِيك» جاء في اللسان ١٠/ ٢٢٥: «ونَجَعَ فيه القول والخطاب والوعظ: عَمِلَ فيه ودَخَلَ وَأَثَّرَ».

٢٦ - ص ٤٥ يقول أبو حيان لمن يخاطبه: «. . . عليك الجهد في إيقاظك إن كنت نائما، وعليك الجهد في التيقظ وإن كنت حالما. وعلىٰ ذلك فلولا أن الله قد أراد بنا جميعا الخير وعرضنا للرشد ما أنطقني لك بحرف، ولا وفقك لاستماع حرف».

وقال الدكتور في تعليقه: «في الأصل: عَلَى»، وهذا دليل علىٰ أنه لم يفهم كلام أبي حيان، ولو قد فهمه لما غير الأصل الصحيح الذي يستقيم به نظم الكلام، وبدله بالخطأ البين الذي يفسد المعنىٰ، والصواب «عَلَيَّ الجهد في إيقاظك إنْ كُنْتَ نائما، وعليك الجهد في التيقظ إن كُنْتَ حَالِمًا».

٢٧- ص ٥٥: «اللهم كثر غلطُنَا فينا، وطال لَغَطُنَا علينا، واشتد ضَعْفُنَا بنا، ونادىٰ منادي العز بِذُلِّنَا، وَذَلَّ ذَلِيلُ إلهتك علىٰ فضائحنا». والصواب «وَدَلَّ دَلِيلُ» بالدال لا بالذال.

٢٨ - ص ٥٨: «وَقُلْتَ فما حيلة من إن أدنيته أبليته، وإن أخفيته جَلَّيْتَه، وإن غَرَّيْتَهُ حَلَّيْتَه». والصواب «وإن عَرَّيْتَهُ» بالعين لا بالغين.

٢٩ - ص ٦٠ أنشد أبو حيان بيتين ولم ينسبهما، وهما:

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامِ ... وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامِ

مُتْ فَدَاءُ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ هَذَا الكَلَامِ



والصواب: «بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ» كما في عيون الأخبار ٢/ ١٧٧، وقد ذكر ابن قتيبة أنهما لأبي نواس.

٣٠- ص٦٢: «يا هذا كم تعذبني وتؤذيني، وتحجبني عن مصالح شئوني... أرسل حافي، واطلب مني ما أملك، ولا تَشُقَّ عَلَي، فلست من حجر ولا من حديد».

وقف الدكتور أمام هذه العبارة حائرا بائرا، يدير الفكر ويعمل العقل لعله يهتدي لوجه الصواب في قراءتها فلم يستطع إلىٰ ذلك سبيلا، فتركها علىٰ حالها وعلق عليها بقوله: «كذا ولعلها (حسابي)»!!!.

ولست أدري أي معنىٰ يكون لقول أبي حيان: «أرسل حسابي واطلب مني ما أملك!» وهل كان يخاطب بقالًا أو جزارًا حتىٰ يطلب منه أن يرسل إليه حسابه، وحتىٰ لو كان ذلك لما صح ذلك الفهم العجيب، ولما استقام مع قوله «واطلب مني ما أملك».

إن أبا حيان يخاطب إنسانا كان يحاده في البيان ويجاذبه إلىٰ المعارف والإلهيات وما في حوزتها ويجري في جملتها، فرغب إليه ألا يشق عليه، ويطلب منه ما يملك من البحث عن آفات الأعمال ووساوس الضمير، وفلتات الجوارح، ولذلك قال له: «أرسل خِنَاقِي»، والخِنَاق: الحبل الذي يخنق به كما في اللسان ١١/ ٣٨٠، ومعنىٰ أرسل: أي خل وأطلق.

٣١-ص٦٩ يقول أبو حيان: «التبس الجهر بالكتمان، وامتزج الخبر بالعيان، واشتبه العدم بالكيان، واختلطت الكرامة بالهوان، واعتلق الفقدان بالوِجْدَان، وغار البيان في البيان فحل البيان... فلا جَيِّد إلا وهو عاطل بعد التَّحَلِّي، ولا حق إلا وهو باطل بعد التَّجَلِّي». والصواب: «فَجَلَّ البيان» بالجيم لا بالحاء.



والصواب أيضا «فلا جِيدَ إلا وهو عاطل بعد التحلي» يقال جِيد عاطل: أي ليس عليه حُلِي من قلائد وغيرها.

٣٢- ص ٨١ يقول أبوحيان: «أما سمعت القائل حين قال:

بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا زَمَنٌ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ

هذا وصف رجل لحقته الغربة، فتمنىٰ أهلا يأنس بهم ووطنا يأوي إليه، ونديما يَحُلُّ عُقَدَ سره معه، وكأسا ينتشي منها، وسكنًا يتوادع عنده».

ومن المدهش حقا ألا يفطن الدكتور لذلك التناقض البَيِّن بين رواية البيت المحرفة وبين شرح أبي حيان للرواية الصحيحة: (وَلَا وَطَنُ). ولست أدري كيف فهم أن قول أبي حيان: «فتمنىٰ أهلا يأنس بهم ووطنا يأوي إليه» شرحٌ لقول المتنبي: «بم التعلل لا أهل ولا زمن»؟ ولعل الزمن هو الوطن في منطق الفلسفة ولغتها.

٣٣- ص ٨٨، ٨٩: أنشد أبو حيان قصيدة مفعمة بالشكوىٰ من الناس يقول فيها قائلها:

وَيَعْلُونَ مَنْ أَرْخَىٰ لَهُم مِنْ عِنَانِهِ بِسَوْطٍ وَيَسْتَخْذُونَ لِلْمَرءِ ذِي الشَّذَا

فَقَدْ تَرَكَ الوَعْظَ اللَّبِيبُ لِأَنَّهُ إِذَا هُذَّ قَول البَرِّ ظَنُّوهُ قَدْ هَذَىٰ

وَمَا يَصْنَعُ العَيْنُ العَلِيمُ بِشَحْذِهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ فِي جَانِبِ السَّيْفِ مَشْحَذَا

ضبط الدكتور كلمة (هُذَّ) بضم الهاء، لأنه وجدها مضبوطة كذلك في المخطوطة، وقد أخطأ في هذا الضبط خطأ كبيرا كما أخطأ في الشرح، إذ يقول: «الهذ: القطع»!!!، والبيت بهذا الضبط وهذا الشرح ضرب من الهذيان. والصواب: (إذا هَذ) بفتح الهاء، جاء في لسان العرب ٥/ ٥٤: «يقال: هو يَهُذُّ



القرآنَ هَذًّا، ويَهُذُّ الحديثَ هَذًّا: أي يسرده».

وقد وجد الدكتور قول الشاعر: (وَمَا يَصْنَعُ العَيْنُ) مرسوما في المخطوطة هكذا، فظنه صحيحا فأبقاه علىٰ حاله مع أنه لا معنىٰ له، والصواب: «وَمَا يَصْنَعُ القَيْنُ العَلِيمُ بِشَحْذِهِ»، والقين: الحداد.

٣٤- ص ١٣٦ يقول أبو حيان: «وارع حمىٰ التوحيد فإنه مجود بالغيث الربوبي، وتيقن بأن راعي هذا الحمىٰ إذا سَمِنَ لم يَهْزَلْ، وإذا رَوِي لَمْ يَعْطِشْ، وإذا اكْتَسَىٰ لَمْ يَعْرِ، وإذا اسْتَظَلَّ لم يَضْحُ، وإذا أومأ لم يُعَوِّر». وقال الدكتور في شرحه: «عَوَّرَ فلانا: صيره أعور»!!..

وهذا خطأ عجيب، والصواب: «وإذا أومأ لم يُعَوَّر» أي لم يُصْرَف عن حاجته التي أومأ إليها، بل تقضىٰ له، ويصيب طلبه منها، ورد في اللسان ٦/ ٢٩٨: «عَوَّرْتُه عن الأمر: صرفته عنه، والأَعْوَرُ الذي قد عُوِّرَ ولم تُقْضَ حَاجَتُه، ولم يُصِبْ ما طلب، وليس من عَوَرِ العين»، والصواب كذلك «لم يَضْحَ» بفتح الحاء لا بضمها كما ضبطها الدكتور؛ لأن الفعل معتل بالألف وقد حذفت لدخول الجازم، وبقيت الفتحة دليلا عليها.

٣٥- ص١٤٤: «بل سلام علىٰ لحظ كان ينتعش به العابر، ويتجدد بنوره الدائر». والصواب: «ينتعش به العاثر».

٣٦- ص١٤٦: شكا أبو حيان شكاة مريرة قال فيها: «أَخْلَقَ الدين، وعمت الفحشاء، وأُفْسِدَ العلماء، وفشا الجهل»، ثم قال: «يا هذا إنما نَتَنَفَّسُ بهذه الكلمات كما يتنفس المملوق». وعلق عليها الدكتور بقوله: «إما أن يكون من ملق - من باب نصر - فلانا بالعصا: أي ضربه، ويكون المعنىٰ هو المضروب، وإما - وهذا هو الأرجح هنا - من قولهم فرس مملوق الذَّكَر: حديث عهد بالنزاء»!.



وأذر التعليق علىٰ هذا الشرح المضحك المبكي لصديقي الفاضل الأستاذ أنور المعداوي.

٣٧ - ص ١٥٧ يقول أبو حيان: «دع هذا أيضا فإنه ألذع من حِمِرِّ الغَضَىٰ». وقال الدكتور في شرحه: «الحِمِرُّ من حر القيظ أشَدُّه، ونار الغضىٰ - والغضىٰ شجر معروف - أجود الوقود عند العرب». ومن الغريب حقا أن العبارة قد وردت في المخطوطة صحيحة واضحة: «أَلْذَعُ من جَمْرِ الغضىٰ»، ولست أدرك السر في صنيع الناشر المحقق.

٣٨ - ص ١٥٧: «ثم اجتهد بعد ذلك أن تستيقظ بين النيام، وتنام بين المستيقظين، فإن استيقاظك بين النيام يفرغك لنفسك، ونومك بين المستيقظين يرقيك لحظك». قال الدكتور في تعليقه علىٰ كلمة (يرقيك): «يمكن ان تقرأ: يرنهك، وهو تحريف لعل أصله: يرهنك، بدليل قوله قبل (يفرغك)».

ومن الغريب كذلك أن الكلمة قد وردت في المخطوطة صحيحة: «ونومك بين المستيظين يَرْتَهِنُكَ لحظك»، وقد قال أبو حيان في ص ١٦٧: «وما في نيل لذة منقطعة يبقىٰ عارها ويَرْتَهِنُكَ وِزْرُهَا»، ومعنىٰ يرتهنك: يحبسك.

٣٩- ص ١٥٩: «فما الحيلة لمن كُلِّفَ ذاك، أعني كُلِّفَ مالا يطاق، وحَرَّم بخدائع الحس قبول ذلك، ومُحَقِّقُ الحقائق ومُسَهِّلُ الطرائق شاهد علىٰ صادق دعواي فيك، كما هو شاهد لك في خصائص ما وهب لك، لأنك بلا كاف التشبيه، ولا هاء الكتابة، فرد في تفردك، واحد في توحدك». وقد أخطأ الدكتور في ضبط (وَحَرَّمَ) بفتح الحاء وتشديد الراء مع فتحها، وصواب ضبطها الذي يستقيم به نظم المعنىٰ (وحُرِم) بضم الحاء وكسر الراء.

ولست أدري أي معنىٰ لهاء (الكتابة) ولا علىٰ أي وجه فهمها الدكتور،



والصواب (ولا هاء الكِنَايَة)، وقد ذكر أبو حيان في الإمتاع والمؤانسة أنه قال للوزير: «يؤذن لي في كاف المخاطبة، وتاء المواجهة، حتىٰ أتخلص من مزاحمة الكناية ومضايقة التعريض»، وأن الوزير أذن له في ذلك وقال له: «. . . ولو كان في الكناية بالهاء رفعة وجلالة قدر ورتبة وتقديس وتمجيد لكان الله أحق بذلك ومقدما فيه».

٤٠ - ص ١٦٠: «لاحت بوارق التمني، فسمت نحوها نواظر الافتقار، وتهيأت صور المعنىٰ فتقطعت عليها أكباد الأحرار، وأذعنت النفس الإِبَاءَة علىٰ مداهشها تروم حيلة المشار إليه. . .». قال الدكتور في شرحه: «الإباءة: الإقامة، يقصد استمرار النفس في دهشتها». وهذا خطأ والصواب (النفس الأَبَّاءَة) أي الكثيرة الإِبَاء، وهو الامتناع.

٤١ - ١٧٦: «وإذا ساعدك الوقت بخوداع اللذات، فخف توابع التبعات، وإذا سَرِفَكَ منظر من منظار الكون، فتكبر عليه بزينة الصون».

قال الدكتور: «سرفه: جعله يخطئ ويجهل». وهذا خطأ، والصواب كما في اللسان ١١/٤٩ «السَّرَفُ: اللهج بالشيء».

٤٢- ص ١٩٦:

يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا أَلَمْ تَرَ زَهْرَةَ الدُّ نْيَا عَلَىٰ الأَيَّامِ كَيْفَ تَصِيرُ

بَلْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَنَالَ مِنَ الغِنَىٰ؟ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْنَعْ فَأَنْتَ فَقِيرُ

وقد فهم الدكتور أن (بل) للإضراب و (ما) استفهامية، ووضع علامة الاستفهام في آخر الجملة، وذلك كله خطأ، والصواب: (نَلْ) بالنون، (ما) موصولة كما هو بديهي.

٤٣ - ص ١٩٧: يقول أبو حيان: «أطال الله - أيها الشيخ - بقاءك، ولا غِبْطَةَ



في البقاء، وأدام صفاءك، وكُلُّ العيش في الصفا، وأَيَّدَكَ في تناول الحق من معادنه». . .

قال الدكتور في تعليقه علىٰ (وكل العيش في الصفا): «(الصفا) إما أن تكون ممدودة، وحينئذ يكون: (كُلَّ العَيْشِ) منصوبة بالفعل (أدام)، أو تكون مقصورة، جمع صفاة أي الحجر الصلد الضخم، وحينئذ تكون: (كُلُّ العَيْشِ) مرفوعة علىٰ الاستئناف لأنها مبتدأ، ويكون المعنىٰ هو: كل العيش في خشونة وقسوة وصلابة وشقاء»!!!

أما عبارة أبي حيان (وكل العيش في الصفا) فيتعين أن تكون الصفاء فيها بالهمز لا غير كما يقتضيه سياق المعنىٰ والسجع، وأما شرح الدكتور فهو خلط وخبط وجرأة بالغة علىٰ اللغة وقواعدها وعلىٰ ما لا يعلم، وأي جرأة أعظم من أن يقول في قول أبي حيان: «(وأدام صفاءك وكل العيش في الصفا) إن (كل) هنا منصوة بالفعل (أدام»)، من قال لك ذلك يا دكتور، ومن علمك هذا، وفي أي كتاب وجدت ذلك؟ أغثنا بالجواب، فإن بنا لهفة عارمة إلىٰ ذلك النحو الفلسفَيِّ الجديد. وأي خبط أعجب وأغرب من قول الدكتور: «أو تكون (الصفا) مقصورة، جمع صفاة، أي الحجر الصلد الضخم»، وتحديده لمعنىٰ الجملة بقوله: «ويكون المعنىٰ هو: كل العيش في خشونة وقسوة وصلابة وشقاء».

حقًا أن هذا شيء عجاب!

٤٤ - ص ٢٠٠: عدد أبو حيان آفته وشرح علته وقال: «. . . وندائي علىٰ نفسي باسم التمام وأنا عين النقصان، وجرأتي علىٰ الدعوىٰ بفقد البرهان، وتشردي في القول مع ضعفي وتقصيري في الفعل، وإطالتي الهذيان علىٰ غير وزن ولا تحذير، فإذا أنصفت فأنا. . . الصَّلِفُ الذليل، والطالب المبتلىٰ، والوارد المحلىٰ. . . والمتوهم المعنىٰ، والحاوي بلا بعير، والمتمالك بلا فتيل ولا نقير».



والصواب (والوَارِدُ المُحَلَّأُ) أي الممنوع من ورود الماء. جاء في اللسان ١/ ٥٢: «وَحَلَّأَ الإبل والماشية عن الماء تَحْلِيئًا وَتَحْلِئَة: طردها أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده... وفي الحديث: (يَرِدُ عَلَيَّ يوم القيامة رَهْطٌ فَيُحَلَّأُونَ عن الحوض)، أيْ يُصَدُّونَ عنه ويُمْنَعُون من وروده».

ولا معنىٰ لقوله «والحاوي بلا بعير»، والصواب: «والحادي بلا بعير»، وعلاقة الحادي بالبعير معقولة معروفة، أما علاقة الحاوي به فلا يعرفها إلا الناشر العليم...

٤٥- ص ٢٠١ يقول أبو حيان: «... ولن تَسْكُنَ حُرَقُ الحِرْمَانِ حتىٰ يُتَمَكَّنُ من بَرْدِ الوِجْدَانِ، ولن تنقطع سلسلة الهدمان حتىٰ يدرك الثأر من الزمان، وهذا حديث لا يكون ولا كان».

ومعنىٰ (سلسلة الهدمان) هنا لا يكون ولا كان، كما قال أبو حيان، والصواب: «سلسلة الهَذَيَانَ»، والهذيان: كلام غير معقول مثل كلام المُبَرْسَمِ وَالمَعْتُوه، كما جاء في اللسان ٢٠/ ٢٣٦ .

(٤ - ٤)

٤٦- ص ١٢١: أنشد أبو حيان قصيدة، يقول فيها قائلها:

إِذَا اعْـتَـرَتْـكَ فَـاقَـةٌ فَـارْحَـلْ بِـرِفْـقٍ حَـمَـلَـكْ
وَارْغَـبْ إِلَـىٰ الـلـه م وَنِـظْ بِـمَـا لَـدَيْـهِ عَـمَـلَـكْ

وقد حسب الدكتور الشاعر أن البيت مُدَوَّر، وليس الأمر كما حسب، فإن آخر الشطر الأول كلمة (وَنِظْ)، وقد أخطأ أيضا في ضبط نون هذه الكلمة بالكسر، والصواب (وَنُطْ) بضم النون، والرواية الصحيحة (وَنُطْ بِمَا لَدِيْهِ أَمَلَكْ) كما جاء في



الأمالي ٢/ ٢٣١ . وصواب البيت الأول: «فَارْحَلْ بِرِفْقٍ جَمَلَكْ» بالجيم، كما جاء في أصل الكتاب المخطوط، ولا تحسبن أن نقطة الجيم قد سقطت أثناء النقل أو الطبع سهوا كما يقع عادة في بعض الأحايين، فإن الدكتور قد حذفها قاصدًا متعمدًا، لأنه يرىٰ أن (الحمل) هو الذي يرحل عليه الإنسان، وهو الذي يحمله الإنسان علىٰ عاتقه ويمضي لطيته، ولو كان ليلا أليل! وإن ارتبت في هذا الكلام أو ظننت بعقلي الظنون فانظر في النص الآتي:

٤٧ - ص ٢٩٥ يقول أبو حيان: «الحازم - أخذ الله بيدك - من شَمَّر واتخذ الليل حِمْلًا وعبر، وعرفان الفتور في المهم مؤد إلىٰ التلف، والتقصير في حيازة الحظ من أسباب الحرمان».

هكذا ضبط الدكتور (حِمْلًا) بكسر الحاء وسكون الميم، وهو خطأ مدهش حقا يحيل المعنىٰ ويجعله أعجوبة الأعاجيب في الدنيا، ولست أدري ولا مخترع القنبلة الذرية يدري، كيف يشمر الحازم عن ساعديه، ويتخذ الليل حِمْلًا محمولا، ولست أدري كذلك كيف يحمل الحازم الليل، أيحمله علىٰ كتفه، أم علىٰ ظهره، أم علىٰ أم رأسه؟ ليتني كنت مصورا صناع اليد، إذا لأتحفت القراء بلوحة فنية رائعة في وسطها صورة رجل يحمل الليل علىٰ رأسه، وفي حاشيتها صورة طائفة من الفلاسفة ينظرون إليها، وقد ارتسمت علىٰ وجوهم الدهشة، لأن تلك الحقيقة لم تطف بذهن أحد منهم.

إن صواب العبارة: «الحازم - أيدك الله - من شَمَّرَ واتخذ الليل جملا»، وهو تعبير مشهور جرىٰ به المثل من قديم الزمان، جاء في لسان العرب ١٣/ ١٣١: «وفي المثل: اتخذ الليل جملا، يضرب لمن يعمل عمله من قراءة أو صلاة أو غير ذلك... يقال للرجل إذا سرىٰ ليلته جمعاء أو أحياها بصلاة أو غيرها من العبادات: اتخذ الليل جملا كأنه ركبه ولم ينم فيه». والصواب أيضا: (وَعَرَفَ أَنَّ



الفُتُورَ) لا (وَعِرْفَانُ الفتور) كما وهم فيها الدكتور.

٤٨- ص ٩٨: يقول أبو حيان: «. . . واستفدت من ذلك نوعا من التوحيد لا تجده في قاصٍّ المحلة وحاكم البلدة ومتوسط الخصومة».

لم يفهم الدكتور معنىٰ كلمة (قاص) فعلق عليها بقوله: «كذا، ويمكن أن يكون أصلها (قاضي) بدليل قوله: حاكم، ومتوسط الخصومة».

والكلمة التي حسبها الدكتور محرفة صحيحة فصيحة ترد كثيرا في كتب التراجم، وقد ذكر الكندي في كتاب (الولاة والقضاء) أن سُلَيْمَ بن عِتْرٍ التُّجِيبِي ولي القضاء من قبل معاوية سنة أربعين وكان قبل القضاء قاصا فَجُمِعَا له، وهو أول من قص بمصر.

٤٩ - ص ١٠١: «يا هذا صارف نفسك في أنفاسها وفي خواطرها، فإن لم تقدر، ففي نياتها وعزماتها. . . فإن لِم تقدر فَأَكْبِرْ نائحة تنوح عليك، فإنك في الأحياء ميت كما كان غيرك في الأموات حيًا». ولا معنىٰ لقوله: (فأكبر) هنا، والصواب (فَأَكْرِ)، ويكون معنىٰ الجملة إذًا يا دكتور: فأجر نائحة تنوح عليك!!!.

٥٠ - ص ١٠١: يقول أبو حيان: «إلهنا، زاغت الأبصار حين سرحت نحوك، وارتدت خاسئة حين رامتك، وحارت الألباب حين فحصت عنك، وانكفأت علىٰ أعقابها فُرْقَةً منك». ولا معنىٰ للفرقة هنا، والصواب (فَرِقَةً) أي خائفة فزعة.

٥١ - ص١١٤: يقول أبو حيان: «فأنا عند العيان قائم مع البُهْت، وعند الخبر واقف مع التهمة، ومع النصيحة متمسك بالاستغشاش، إن قُلتُ قُلْتُ متحسرا، وإن سكت سكت مُتَخَيِّرًا، وإن نظرتُ نظرتُ مُتَنَمِّرًا، وإن أغضيتُ أغضيتُ مُتَذَمِّرًا، وإن سَكَنتُ سَكَنتُ مُتَهَوِّرًا، وإن تحركت تحركت مُتَشَوِّرًا».

قال الدكتور في شرح الكلمة الأولىٰ: «البُهْتُ، والبهتان: الكذب والافتراء».



وهذا خطأ والصواب في شرحها كما جاء في اللسان ٢/ ٣١٧: «البَهْتُ: الانقطاع والحيرة».

وقال في شرح قوله: «وإن تحركت تحركت متشورا»! «وتَشَوَّرَ: فعل فعلًا يستحيا منه» قال ذلك لأنه لم يفهم أن الكلمة محرفة، ونظر في اللسان فوجد فيه «الشَّوَارُ: فرج المرأة والرجل، ومنه قيل شَوَّرَ به كأنه أبدىٰ عورته، وشَوَّر به فعل به فعلًا يستحيا منه». ومعاذ الذوق أن يقصد أبو حيان هذا المعنىٰ الفاحش في معرض حديثه (عن الله والحياة مع الله) إن أبا حيان لم يقصد ذلك ولم يقل (مُتَشَوِّرًا) وإنما قال (مُتَسَوِّرًا) بالسين لا بالشين، من سَوَرَ يسور؛ إذا وثب المعربد، قال الأخطل:

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالكَأْسِ نَادَمَنِي لَا بِالحَصُورِ وَلَا فِيهَا بِسَوَّارِ

٥٢- ص ١٨٢: «أيها الهائم الملتاح! كم تتلذذ وربك بين يديك؟ أيها العامل المكدود! كم تغتر، وقد أحبط رؤياك عملك عليك». والصواب (كم تَتَلَدَّدْ) بدالين مهملتين لا بذالين معجمتين، جاء في اللسان ٤/ ٣٩٥: «وتلدد، تلفت يمينا وشمالا، وتحير مُتَبَلِّدًا، مأخوذ من لَدِيدَيْ العنق؛ وهما صفحتاه»، ولست أدري كيف استساغ الدكتور تلذذ الهائم الملتاح. والصواب أيضًا «وقد أحبط رياؤك عملك عليك».

٥٣- ص ١٨٥: «وخذ متفهما ما أنا مَمْنُوٌّ بِهِ ومدفوع إليه، فإن دق عليك فيه لفظ أو نبا عنه تحصيل، فسامح، فالقليل أضر من ذلك، والضر أظهر مما هناك»، والصواب (فالغليل) بالغين.

٥٤- ص ٢٠٢: «أفمن يقبل هذا معرفة، ويشتمل عليه يقينا، كيف يجر علىٰ الخشاء نفسه؟ أم كيف يملك اللئام عرضه؟»، قال الدكتور: «الخشا: الزرع



الأسود من البرد، والخشاء وهو الأقرب هنا: الجَهَادُ من الأرض، والجهاد كسحاب: الأرض الصلبة لا نبات فيها»!!

والصواب «علىٰ الخَشْنَاء» وقد استعملها أبو حيان في ص ٣٣٨ حيث يقول: «ارجع إلىٰ ثقة النفس في السراء والضراء، وإلىٰ مقة الأنس في الليان والخشناء...»، وشرحها الدكتور هناك بقوله «الخشناء: الأمر الخشن».

٥٥ - ص ٢٠٤ يقول أبو حيان في معرض حديثه عن الوَجْدِ وَالذِّكْر: «فأما الوجد فيرتفع عن تجديده بنظم حرف... ياهذا، وما وصفي لك الذكر بغرائبه، والوجد بغوالبه، وما يدور عليهما بحوالبه وحوادبه، وأنت إلىٰ أن تذوق حلاوة ركوعك وسجودك بصدق النية، وطهارة الطوية، أحوج، وبما عاد عليك من ذلك أبهىٰ وأبهج». والصواب كما جاء في المخطوطة: (فيرتفع عن تحديده) بالحاء لا بالجيم.

وقال الدكتور في شرحه: «والحالب ما يُدِرُّ ويُعْطي، والحادب: الماحل»!!، وهذا شرح مضحك حقا يدل علىٰ أن كاتبه لم يفهم من كلام أبي حيان شيئًا، ولست أدري كيف يكون الوجد الإلهي ماحلًا؟ وهو ذكر مستغرق للصفات كلها بالمحو، وصَوْتٌ من حضرة الحق بمباشرة ربانية كما يقول أبو حيان.

ومن المؤلم حقا أن العبارة قد وردت في المخطوطة صحيحة واضحة: «وما يدور عليهما بجوالبه وجواذبه» وغاية ما في الأمر أن ناسخ الكتاب لم يضع تحت الجيم (جواذبه) نقطة، فجاء الأستاذ بدوره وحذف نقطة جيم الكلمة الأولىٰ لتصير العبارة: «بحوالبه وحوادبه» وليدلنا بشرحه المضحك علىٰ أن الوجد ينقسم إلىٰ قسمين: أحدهما ماحل، والثاني يدر ويعطي....

٥٦- ص ٢١٧: «وإن أنت لم تُغْضِ عن هذه الزهرة الحائلة، ووكلت بها



طرفك، وقصرت عليها سعيك، وجعلتها هَمَّكَ، ووهبت لها سرك وجهرك، جعلوك حطب جهنم، وحينئذ لا أبعد الله غَبَرَك».

قال الدكتور في شرحه: «الغَبَر هنا محركة: التراب، ولعل هذا كناية عن الشخص نفسه أو أثره، يعني لا أبعد الله شخصك»!!!، وهذا شرح غريب بالغ الغرابة، لأنه يناقض قصد المؤلف، والصواب: «جعلوك حطب جهنم، وحينئذ لا أبعد الله غيرك» ولا غبار في ذلك ولا كناية. . . .

٥٧- ص ٢١٧: يقول أبو حيان في مناجاته لربه: «إلهنا! نحن عبيدك، متصرفون علىٰ إرادتك، متقلبون بين مشيئتك وحكمك، مترددون بين قدرتك وحكمتك، آملون روادف عطفك ورحمتك، معترفون بسوابغ نعمتك وإحسانك، خائفون من عواقب سطوتك ونقمتك، فَقَلِّبْ يا إلهنا رجاءنا علىٰ يأسنا، وغيب خوفنا في إيتاء أمننا».

والصواب كما جاء في الأصل المخطوط: «فَغَلِّبْ يا إلهنا رجاءنا علىٰ يأسنا، وغيب خوفنا في أثناء أمننا». وقد كانت الأمانة العلمية توجب علىٰ الناشر الأمين أن ينبه القارئ علىٰ أنه قد غير في النص وبدل، ليعلم هل بدل خطأً بصواب أم بدل صوابًا بخطأ كما هنا.

٥٨ - ص ٢٤١:

«لَيْسَ عِيدُ المُحِبِّ طَوْفُ المُصَلَّىٰ ‌ ‌ ‌ ‌ وُقُوفًا بِالجَمْعِ وَالوِجْدَانِ

بل عيده أن يتوارىٰ بحاله. . . ويرفع إلىٰ حنينه كبده المحترقة بحبه، ويعرض عليه ما أَثَّرَ فيه من عَتَبِهِ، ويسأله الإقالة بما استمر به من خطبه».

خالف الدكتور المخطوطة في الكلمة الأولىٰ فأخطأ والصواب: (وَالوِحْدَانِ) وقد وضع الناسخ حاء صغيرة تحت حاء الكلمة، وتبع المخطوطة في الكلمة الثانية



فأخطأ أيضا، ولم يفطن لفساد المعنىٰ واستحالته؛ ولست أدري كيف فهم أن المحبوب يرفع كبده إلىٰ حنينه؟ ولا كيف تحترق تلك الكبد المرفوعة بحب هذا الحنين! ولا كيف يعتب الحنين علىٰ المحبوب؟

والصواب: «ويرفع إلىٰ حبيبه كبده المحترقة بحبه»، وغني عن البيان أن الضمير في (بِحُبِّهِ) و (عَتَبِهِ) يرجع إلىٰ (حبيبه).

٥٩ - ص ٢٤٢: «فبالله إلا صَدَقْتَني إذا خَاطَبْتَ، وَشَفَيْتَني إذا كَاتَبْتَ، وأبقيتَ عَلَيَّ إذا عاتَبْتَ، وقَصَدْتَ نُصْحِي إذا قَارَبْتَ، وآثَرْتَ نَجَاتِي إِذَا بَاعَدْتَ، وطَلَبْتَ فِي الجُمْلَةِ إنشالي، فقد اكتنفتني الوحشة، وبَلَّلْتَ كَبِدِي بِنَدَىٰ قولك، فقد ذبحتني العطشة».

وعلق الدكتور علىٰ هذه الكلمة بقوله: «في الأصل: السالي، ولم نهتد إلىٰ وجهه الدقيق، فأصلحناه كما ترىٰ بمعنىٰ انتشالي، أي إنقاذي». والذي يرجع إلىٰ الأصل المفترىٰ عليه يجد العبارة واضحة صحيحة: «وطلبت في الجملة أُنْسًا لي، فقد اكتنفتني الوحشة».

ويطيب لي هنا أن أترنم بقول الدكتور في مقدمته لمنطق أرسطو ص ٦٥: «ولكم رأينا في مقارنتنا لبعض النصوص التي نشرها هؤلاء الناشرون المزعومون بالأصول المخطوطة التي نشروا عنها، أن ما ادعوه (تحريفا) لم يكن في الواقع إلا سوء قراءة من عيونهم وعقولهم، ولهذا فلسنا نتردد في اتهام أولئك بالعجز عن فهم النصوص وقراءتها، ومع هذا تراهم يصيحون ملء أشداقهم، وتصف ألسنتهم الكذب: أن هذا هو المنهج العلمي الصحيح».

أجل يطيب لي أن أترنم بهذا القول الصادق، وأعتقد أن القارئ سيترنم به مثلي...



نقد على نقد الهوامل والشوامل(١)

لم يدهشني شيء قط ما أدهشني نقد كتاب الهوامل والشوامل للأستاذ الجليل عبدالسلام محمد هارون، وما سررت بشيء قط ما سررت به، فقد أكب الأستاذ عليه إكباب الحريص حتىٰ بلغ الغاية، وحتىٰ تركني حائرا بين تقديري لفضله وشكري لإحسانه، وهو أهل الفضل والإحسان إن شاء الله.

وقد بدا لي أن أسكت عن هذا النقد الضخم، فقد نظرت فيه كأني غريب عن الكتاب وكأني لم أشترك في نشره، ولولا آخر كلمة قالها الأستاذ: «لم يعد النقد الأدبي كما كان بالأمس تجريحا وتشهيرا بالمنقود، بل آن أن نصطنع الجد فيما يمس أقدار الأدباء وكرامتهم العلمية، فإن العثار أمر يعرض للأدباء جميعا، لا يرتاب في ذلك إلا مغتر، أو ذاهب العقل، أو متهافت النفس». وهذا الكلام حسن معجب، حملني علىٰ أن أنصف الكتاب المنقود، فإن له من القدر والكرامة ما للأدباء الذين تولوا نشره.

ذكر الأستاذ في كلمتيه ثمانية وثلاثين مأخذا، أحببت أن أصنفها حتىٰ لا تضيع الفائدة التي ابتغاها أستاذنا في تصحيح النص المنشور.

بيد أني وجدت من هذا العدد الضخم أيضا ثمانية مآخذ تمحضت للخطأ

---

(١) مجلة الثقافة، عدد ٦٤٩، سنة ١٩٥١م، ص ٢٤. ونَقْدُ الأستاذ عبدالسلام هارون منشور في مجلة الثقافة عدد ٦٤٥ و ٦٤٧، كما أعاد نشره في كتابه (قطوف أدبية) ص ٢٨٣-٢٩٧. وكتاب الهوامل والشوامل اضطلع بتحقيقه السيد صقر وحده، بينما المكتوب علىٰ الغلاف أنه بالاشتراك مع الدكتور أحمد أمين. والسبب أنه من نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر التي يرأسها أحمد أمين.



المطبعي بلا شك، يدل عليها أدنىٰ النظر، والإطالة بتكرارها عنت علىٰ القارئ وإضاعة لوقته وهي رقم: ١٦ و٢٣ و٢٦ و٢٨ و٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٥ .

وأحد عشر مأخذا هي رقم ٧ و٨، و١٣ و٢٤ (وهما شيء واحد في الحقيقة)، و١٤ و٢٢ و٢٥ و٢٧ و٣١ و٣٦ و٣٧ وهي -إن شئت- مآخذ حق، وإن كان لبعضها وجه واسع في التأويل.

ووجدت ستة مآخذ عجل إليها الأستاذ واقترح تصحيحها وكان الخطأ في غير ما عجل إليه، وكان الصواب في غير ما اقترح، وهي:

* «٣ - ص ٢٤، س ٥: «والأصوات المستكرهة التي ليس لها قبول في النفس كثيرة، ولا عناية للناس بها فتُؤْلَف، وإنما تجدها مفردة بالاتفاق كصرير الباب، وصوت الصُّفر إذا جرده الصفار، وما أشبههما، فإن النفس تتغير من هذا فتقشعر، وربما قام له شعر البدن، وحدث بالنفس منه دوار حتىٰ ينكر الإنسان حاله، وهو معروف بين». نقلنا هذا الجملة بتمامها وإن كان الأستاذ قد اختصرها في مقاله عند: «كصرير الباب».

اقترح الأستاذ أن يكون صوابها (فَتُؤَلَّف)، ومسكويه لم يرد مثل هذا قط، والعبارة ليست من تأليف الأصوات المستكرهة أو إفرادها في شيء، ولا معنىٰ لأن تكون الأصوات المستكرهة مؤلفة أو مفردة، باتفاق أو بغير اتفاق! وصواب العبارة: «وإنما تجدها مقَزِّزَة بالاتفاق... فإن النفس تتغير من هذه فتقشعر»، وهكذا يستقيم الكلام ويعتدل ما اعوج منه.

يقول مسكويه: إن الألفاظ المستكرهة بعيدة عن أن تجد من الدواعي ما يجعل بعض النفوس تألفها، بل هي مقززة باتفاق الناس جميعا، فلذلك يستحيل علىٰ النفوس أن تألفها كما يألف الإنسان أحيانا شيئا يكرهه.



* ١٢- ص٦٠، س ٣: «فإنهم ﷺ ما أَسِفوا ولا بخلوا».

اقترح الأستاذ أن يجعلها «ما أشَفوا» أي ما نقصوا. والصواب عندنا «أَسَفُّوا» من الإسفاف، مجاز من قولهم أَسَفَّ الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه، ومنه حديث علي «ولكني أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا».

* «١٥ – ص٨٤، س٥: «وما حد الظلم أولًا، فإن المتكلمين ينفكون في هذه المواضيع كثيرا». جاء في الحاشية: «استعمل ينفك هنا في موضع انطلق وأفاض».

وأراد الناقد أن يفسرها بمعنىٰ يختلفون، وتلمس لذلك أقوالًا اعتسفها من كتب التفسير، والصواب: «يَتَفَكَّكُون» أي يضطربون، قال الزمخشري: «وفي مشيته وكلامهِ تفكك: أي اضطراب، كالشيء ينفك بعضه من بعض، وفلان متفكك إذا لم يتماسك من حمق «وصدق، فهذا هو صوابها.

* ١٩- ص١٢٧، س ٦: «إن النفس ترىٰ عند غيبة المرئيات ما تراه في حضورها، وذلك بحصول صورها في الحاس المشترك، وهذا حال يجدها الإنسان من نفسه ضرورة لا يمكنه أن يدفعني عنها».

واقترح الأستاذ أن يقحم (واوًا) وأن يستدعي لفظا لتكون العبارة «وضرورة لا يمكنه أن يستغني عنها»، والعبارة كما جاءت في المخطوط والمطبوع لا يستقيم بها الكلام كما رأىٰ الأستاذ، واقتراحه يزيد الكلام بعدا عن الاستقامة؛ ويلوي وجهه عما أراد مسكويه إذ قال علىٰ أثر ما نقلناه: «وإلا فمن أين لنا صورة بغداد وخراسان، والبلاد التي شاهدناها مرة، ثم منازلنا بها وصور أصدقائنا فيها، وجميع ما نتذكره منذ الصبا لولا حصول هذه الصورة في الحاس المشترك». وهذا الاستفهام: «وإلا فمن أين. . . الخ» يدل علىٰ أن مسكويه في مقام حِجَاج يرد قولًا



علىٰ أبي حيان، فصواب العبارة بلا ريب: «وهذه حال يجدها الإنسان من نفسه ضرورة لا يمكنك أن تدفعني عنها، وإلا فمن أين... الخ»، وهذا بين غاية البيان، وفي بقية جواب مسكويه ما يدل علىٰ أنه قد ضاق صدره بِلَدَدِ أبي حيان وجداله.

* ٢١- ص١٦٠، س ٨: «فإذا تباعد المزاج حتىٰ يكون منه الغبار والدُّود والجُعْل والذباب نفر منه الإنسان وتكرَّهه».

وحرص الأستاذ حرصا علىٰ أن يكون صوابها: (النُّبار) يعني القُرَاد، وليس كذلك، بل هي: (الفَأر) كما في المخطوط. قال أبو عثمان الجاحظ في كتاب (الحيوان) الذي تولىٰ نشره الأستاذ الناقد ٥/٢٥٦: «وبين الفأر وبين طباع كثير من الناس منافرة، حتىٰ إن بعضهم لو وطئ علىٰ ثعبان، أو رمي بثعبان، لكان الذي يدخله من المكروه والوحشة والفزع، أيسر مما يدخله من الفأرة لو رمي بها أو وطئ عليها». وهذا هو الصواب المتعين إن شاء الله! أليس كذلك؟!

* ٣٠ - ص ٣٠٥، س ٥: «فإنما يدرك المُبْصَر بآلة ذات طبقات ورطوبات وقصبة مجوفة ذاتية من بطن الدماغ».

واقترح أن يكون صوابها (دانية) وقد أصاب فيما اقترح إلا أن (قصبة) خطأ والصواب: «عَصَبَة».

فهذه المآخذ الستة التي لم يوفق الأستاذ فيما اقترح من تصويب خمسة منها، سقط علينا أن نقيدها في قائمة الخطأ والصواب التي ذكرها الأستاذ في نقده كالضيِّق بها والمستنكر لها حين ذكرها!

بقيت واحدة هي رقم ١٨، ص١٢٠: «وفي مثل للعامة (فلان مقدد العرس)، كناية عن البخيل. قال الأستاذ «إن العبارة تنطق بالتحريف»!



ولا ندري كيف نطقت له بالتحريف، فهو من أمثال العامة أولًا، وهو قديم جدا ثانيا، كيف يتاح لنا نحن المُحْدَثِين أن نزعم لأنفسنا علم لغة العامة قديما، ولم تأتنا في كتاب، فمن التحكم أن نقطع بتحريف شيء لا علم لنا به؛ هذا علىٰ أن معنىٰ العرس في اللغة، هي: امرأة الرجل، والتقديد في اللغة أيضًا: تمليح اللحم وتجفيفه في الشمس، كأن العامة أرادوا أن البخيل يُقَتِّرُ علىٰ امرأته حتىٰ يجف عودها وتصير كاللحم القديد، وما كان له هذا المخرج في اللغة فلا يقال عنه إنه ناطق بالتحريف.

وهناك مأخذان آخران متشابهان وهما رقم ١ فاتحة النقد و ٣٨ خاتمة النقد. الأول: ص ٧: «وهذه الألفاظ الخمسة» وكانت في الأصل: «الخَمْس»، والثاني: ص ٣٤٢ «لأن هذه الأشياء الأربعة» وكانت في الأصل: «الأربعة الأشياء».

فعُدِلَ فيهما عن الأصل، والعدول عن الأصل في ذاته لا يوجب أن يكون الأصل خطأ، وقد عُدِلَ في الأولىٰ عن الأصل لأن مسكويه درج علىٰ عكس العدد مع المعدود إذا تأخر المعدود من الثلاثة إلىٰ التسعة في أكثر من ثلاثين موضعا منها: ص ٨٢، ١٠٣، ١٥٩، ١٦٨، ١٧١، ١٨٨، ٢٥٠، ٢٥٧. وهذا وحده دليل علىٰ أن مسكويه لم يكن يستعمل تلك القاعدة العزيزة التي أهداها إلينا الأستاذ من باب العدد في حاشية الصَّبَّان علىٰ الأُشْمُوني!

وبقيت عشرة مآخذ كلها صواب، ولكن الأستاذ أبىٰ أن إلا أن يوسع علىٰ نفسه، فتبحبح ما شاء حتىٰ يعدها أخطاء.!

* «٢- ص٢٢، س ٧: «مثال ذلك مزمار فيه ثقب متىٰ أطلق الإنسان فيه النَّفَس، وخرق موضعا بأصبع إصبع، اختلفت الأصوات في السمع بحسب قربه وبعده». قال الأستاذ: «إن في العبارة نقصا، والوجه (موضعا موضعا)».



ولو صح هذا لكانت عربية العبارة تقتضي أن يقول: «بحسب قرب الموضع وبعده» أو «بحسب قربها وبعدها» وهذا بين ما لم نستكره شاذ النحو من باب الضمائر. والأصل هو الصواب.

* «٤- ص٢٤، س ٧: «حتىٰ إنك لا تجد علىٰ أديمها إلا متلفتا إلىٰ فانيها حزينا، أو هائما علىٰ حاضرها مفتونا، أو متمنيا لها في المستقبل معنىٰ» قال الأستاذ: «في هذه العبارة أخطاء وإهمال ضبط يؤدي إلىٰ لبس».

أراد أن يكون صواب (فانيها) (فائتها) وهي قراءة جائزة في العربية كما يقول أصحاب القراءات، إلا أن الأولىٰ صحيحة المعنىٰ مطابقة للأصل الواضح، فهم يقولون مثلا قد كان فيما فني من عمري، أو ما فني من أيامي، يريدون مضىٰ وفات، وهو مجاز كثير.

وأما قوله: إن المزاوجة تقتضي أن يكون الصواب: «أو مُتَيَّمًا بها في المستقبل مُعَنًّىٰ»، فهو رأي لو كان له قِرَان، ولم نجد أحدًا يقول: فلان متيم بالدنيا في المستقبل، فهو كلام عندئذ ملفق، وأخشىٰ أن يكون لا معنىٰ له، وسياقة حديث أبي حيان يدل علىٰ أنه أراد أن كل إنسان يتمنىٰ أن تكون له الدنيا في المستقبل، ويُعَنِّيهِ هذا التمني الطويل لشيء، لا يدري أيكون أم لا يكون.

إما إهمال ضبط (معَنًّىٰ) فالموضع غير ملتبس هنا بواحد المعاني كما يتوهم، ومثل هذا الإهمال لو التمسناه في كتاب كالحيوان مثلا ٣ / ١٢٠ لرأينا ثمة هذين البيتين:

إِذًا يَجُفُّ ثَرَاها بلَّها دِيَمٌ ... مِنْ كَوْكَبٍ بزل بِالمَاءِ سَجَّامِ

لم يَرْعَهَا أَحَدٌ واربتها زَمَنًا ... فَأْوٌ مِنَ الأَرْضِ مَحفُوفٌ بِأَعْلَامِ

ضبطت فيهما ألفاظ لا تحتاج إلىٰ ضبط أصلا، وبقيت (بزل) و (اربتها) بلا



ضبط ولا شرح ولا تعليق مع أن ناشر الكتاب صحح (يَرَغها) مرتين، الأولىٰ في آخر الجزء، والأخرىٰ في الاستدراكات في آخر الجزء السابع، ثم لم يعرض له أن يضبط هذين الحرفين فأين هذان مع خفاء معناهما من الأخرىٰ وهي واضحة المعنىٰ غير ملتبسة.

* «٥- ص٢٦، س١٠: «وقد عرض لك فيها عارض من العجب، وسانح من التيه، فخطرت خَطَرَانَ الفَحْل، ومشيت العِرَضْنَة، ومررت في خيلائك، ومضيت علىٰ غلوائك، حتىٰ أشفقت أن تعثر في فضل خطابك».

أراد الأستاذ أن يكون الصواب: «في فضل خِطَامِك» لما جاء من ذكر الفحل والعرضنة، وهذا وهم شديد، فإن (خطرت) التي أُسْنِدَ فيها الفعل إلىٰ أبي حيان ليست من خطران الفحل بذنبه من النشاط، بل العبارة دالة علىٰ التشبيه وإن اتفق اللفظ، كما يقال طغىٰ الرجل طغيان السيل، فطغيان الرجل من غير جنس طغيان السيل، ومعنىٰ خَطَرْتَ: اخْتَلْتَ وتَبَخْتَرْتَ في كلامك، ثم انقطع التشبيه عند قوله: (العرضنة) وعطف (ومررت في خيلائك) علىٰ (فخطرت) هذه بهذا المعنىٰ، ومضىٰ في كلامه الأول عن العجب والتيه والخيلاء، والغلواء، فلا معنىٰ لذكر الخطام بعد.

ولكن لعل كلمة (الخطاب) أشكلت علىٰ الناقد؛ فصرفه هذا إلىٰ تخيل التصحيف فيها فجعلها (خطامك)، وإنما أراد مسكويه بالخطاب: المحاورة والمجادلة والحجاج الذي استغرق في سؤال أبي حيان أكثر من ثلاثين سطرا، هي بعض ما رواه لنا مسكويه، كما صرح بذلك في آخر السؤال، والخطاب بهذا المعنىٰ هو الذي فسر به كثير من المفسرين قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ وقوله: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

* ٦- ص ٣٣، س ١٧: «وجرؤ مَقدَمه».



أحب أن تكون (مُقَدَّمه) بضم الميم مصدرا ميميا من (أقدَم). ولكن قالت العرب: «قَدِمَ فلانٌ علىٰ الأمر: إذا أقدَم عليه»، ومصدرها الميمي (مَقدم) بفتح الميم بلا شك.

* ٩- ص ٤٧، س ١٧: «لم حُمِّقَ الشاب إذا تشايخ، وأخذ نفسه بالزماتة والمتانة». وتمنىٰ الأستاذ أن يكون صوابها: «(والتأله) لأن المتانة ليست من صفات الشيوخ، ولو أرادها لقال مصرحا: متانة الخلق؛ فليس من المألوف أن يقال: شيخ ذو متانة، وإنما يقال: ذو تأله: أي ذو تنسك وعبادة، وهي من أخص خصائص الشيوخ»؛ هكذا قال!!...

ويقول قدامة الكاتب في (جواهر الألفاظ) في باب (الرزانة والوقار وجميل الصفات): «ما أحلمه و أوقره وأقوىٰ متانته»، وأظنها ها هنا بينة لا تصلح لأن تكون «وما أقوىٰ تألهه»!!!. والمتانة كما يقول أصحاب اللغة: الشدة والقوة والاقتدار، ومن البين أن أبا حيان أراد بالمتانة هنا: إظهار القوة والجلد، والركانة والتمكن، ووقار النفس والجوارح، ولذلك أعقب هذه الجملة المنقولة بقوله: «وآثر الجد واقشعر من الهزل، ونبا عن الخنىٰ، وسدد طرفه في مشيه، وجمع عطفه في قعوده، وشقق في لفظه، وحدق في لحظه»، وهذه صفات الجَلِد الركين لا صفات الناسك المتأله.

* ١٠- ص ٥٦، س ٧: «هيهات هيهات!! اشتد اللغط، وكثر الغلط، ورجع كل إلىٰ الشطط، وفات اللهُ الفهمَ والفاهمَ، والوهمَ والواهمَ». وعرض له عارض في تصويب العبارة، لكي يعد فيها أربعة أخطاء؛ فجعلها: «وفات واللهِ الفهمُ الفاهمَ، والوهمُ الواهمَ».

وهذا تحريف للنص، وتحريف للمعنىٰ. كان من حق أبي حيان علىٰ الناقد أن يأخذ بأول كلامه منذ قال في ص ٥٥: «وعلىٰ ذكر الله تعالىٰ: بم يحيط العلم من



المشار إليه باختلاف الإشارات والعبارات؟. . . فإن كان منعوتا بنعت، فقد حصره الناعت بالنعت، وإن كان غير منعوت، فقد استباحه الجهل، وزاحمه المعدوم، ولابد من الإثبات إذا استحال النفي، وإذا وقف الإثبات والنفي علىٰ المثبت النافي - فقد سبق إذًا كل إثبات ونفي؛ فإن كان سابقا كُلَّ هذه الألفاظ، وجميعَ هذه الأغراض، فما نصيب العارف؛ وما بغية ما ظفر به الموحد؟ هيهات هيهات. . . الخ. . .».

وبديهي أن الضمير في قوله (سبق) و (فإن كان سابقا) لله تباركت وتقدست أسماؤه، وليس بين (سبق) و(فات) في المعنىٰ كبير فرق، وأراد أبو حيان بهما جميعا نفي إدراك الخلق لله تعالىٰ والإحاطة به، وإن جاء بلفظ مثبت غير منفي، فهو إذًا مشتق من قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ تأول قول الله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ فجعله: سبق وفات الألفاظ، أي لا تدركه الألفاظ ولا تحيط به وفات الفهمَ والفاهمَ، والوهمَ والواهمَ، أي لا يدركه سبحانه جل جلاله فهمٌ ولا فاهمٌ ولا وهمٌ ولا واهمٌ، و هو كقول علي رضوان الله عليه: «لا تقع الأوهام له علىٰ صفة» وقوله أيضا: «امتنع علىٰ عين البصير فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره، سبق في العلو، ولا شيء أعلىٰ منه».

* ١١- ص ٥٩، س ١٦: «. . . إلا بعد تحصيل جميع المقدمات التي قُدّمت له ومُهّدت لأجله» أراد الأستاذ أن يجعلها: «قَدّمت ومَهّدت» بالبناء للمعلوم. وضبطها بالبناء للمجهول صواب كما نص عليه صاحب اللسان وغيره، يعنون أنها تُقَدَّم بين يدي الكلام كالفاتحة له.

* ١٧- ص ٤٤، س ٩: «المساوئ»، قال الأستاذ: «الصواب (المساوي) بالتخفيف»، كأنه إلزام، والتخفيف ليس لازما، وإن كان كثر استعمالهم له مخففا.

* ٢٠- ص ١٤٣، س١٧: «لم صار الحصيف المتمكن، واللبيب المبرز



يشاوَرُ فيأتي بالفِلق والداهية حتىٰ يدع الشَّعر مشقوقا والغيث مرهوقا، فإذا انفرد بشأنه وانتصر لنفسه، وتعقب غاية منافعه عاد كسراب بقيعة لا يحلىٰ ولا يمر»

وجعل صواب العبارة: «حتىٰ يدع السر مشقوقا، والغيب مرموقا، فإذا انفرد بشأنه، وانتصب لنفسه . . .». وسياق الكلام يدل علىٰ أن أبا حيان لم يرد المعنىٰ الذي ارتآه الأستاذ في استشفاف الغيب، ومعرفة العواقب المستورة، ولو أراده لذهب الكلام يضرب بعضه في وجوه بعض، علىٰ أن فيه أيضا كلمة تحرسه من سيئ التحريف، وهي قوله: «وتعقب غاية منافعه» فهي صريحة الدلالة علىٰ معنىٰ التصرف في طلب المنافع واكتسابها من وجوهها بالحيلة والتأتي والرفق، فمعنىٰ قول أبي حيان: إن هذا اللبيب الحصيف يأتي مستشيره بما يذهل من حسن احتياله ورفقه، حتىٰ يشق له الشعرة وهي لا تشق، ويبغض إليه الغيث وهو غير بغيض. يريد أن يسهل لمستشيره الصعب وإن استحال كاستحالة شق الشعرة، ويكره إليه الشيء الذي يعجبه إعجابا يعميه عما فيه من المضرة، فرب أمر يحسبه الرجل خيرا وهو شر، و مجلبة للتلف. أما «انتصر لنفسه» فهي صحيحة فصيحة لا تعاب، والانتصار والاستنصار طلب النصر.

* ٢٩- ص ٢٩٠، ص ١٣: المسمىٰ «بأنيران» وليس فيما كتبناه خطأ إلا أن الباء لم تخرج خارج القوس كما أراد الأستاذ: بـ«أنيران».

قلت أني لم أسر بشيء قط ما سررت بهذا النقد، فهذه الكلمة تأويل سروري. أما دهشتي فلها أسرار أخر، فإني ظللت التمس في هذا النقد مأخذا واحدًا يردع ما عراني حين قرأت في البيان والتبيين ٤ /٧٣: «اعلم أن جماع الخير كله الحياء، فعليك به. فتواضع في نفسك، وانخدع في مالك، واعلم أن السكوت عن الأمر الذي يعنيك خير من الكلام، فإذا اضطررت إليه فتحر الصدق والإيجاز، تسلم إن شاء الله تعالىٰ» وما أبلغها من عظة!.



وقد شرح الناشر قوله: «انخدع في مالك» شرحا عجيبا، إذ يقول: «الانخداع: الدخول، يقال انخدع الضب: إذا شم ريح الإنسان فدخل في حجره»؟!!

أجل، ولكني لم أجد في ذلك النقد الضخم ما يردعني، وحسبي أن أروي للقارئ أنه قيل لعَرَابَةِ الأوْسِي: بم سدت قومك؟ فقال: بأربع؛ انخدع لهم عن مالي، وأذل لهم في عرضي، ولا أحقر صغيرهم، ولا أحسد رفيعهم. ولله دره، ما أعلمه بخلق الأشراف والسادة.

ويقول الفرزدق:

لَا خَيْرَ فِي خِبٍّ مَنْ تُرْجَىٰ فَوَاضِلُهُ ... فَاسْتَمْطِرُو مِنْ قُرَيْشٍ كُلَّ مُنْخَدِعِ

كَأَنَّ فِيهِ إِذَا حَاوَلْتَهُ بَلَهًا ... عَنْ مَالِهِ، وَهُوَ وَافِي العَقْلِ وَالوَرَعِ

أما ما بلغ بي غاية الدهشة، فهو أني رأيت الأستاذ استفتح نقده بالحض علىٰ التمسك بآداب النقد، والنهي عن مخالفتها إلىٰ ما لا يليق بالنقاد، ثم ختم كلامه أيضا بعظة أخرىٰ تحرضهم إلىٰ السمو بالنقد عن مبتذل الهجاء.

وهذا ليس يدهش في ذات نفسه. بل المدهش أن يكتب لغير مناسبة ظاهرة!: ناقد يدعوه الدكتور أحمد أمين بك إلىٰ نقد كتاب تولىٰ نشره، فلا يقصر كلامه علىٰ نقد الكتاب، بل يبدأ كلامه ويختمه بعظات يؤدب بها جمهرة النقاد أدبا يدعوهم إلىٰ اتباعه «منذ اليوم»، أو كما قال.

وثانية: أخطاء مطبعية يكاد السطر والسطران والثلاثة، والأربعة إن شئت، يكفي بعضها في الإحاطة بها، ورد ما طار من صوابها، فإذا هي لا يكفيها أحيانا أقل من ثلاثين سطرا شاكية السلاح لكي نرد (سَكَنْجَبِنَا) إلىٰ (سَكَنْجَبِينَا) ياء ساقطة! لم أر قط أعجب من ياء ساقطة تحتاج إلىٰ كل هذا المدد، وكل هذا المداد، وكل هذا الصبر علىٰ تسطير الكلام!.



وثالثة: دروس في الصرف والنحو، ولكنها تأتي في غير موضع حاجة إلىٰ عزيز النحو وشارده!.

ورابعة أخرىٰ: أحد عشر مأخذا يرجىٰ لبعضها وجوه من التأويل فيما وسع الله علينا من اللغة، فتظل تتضخم وتطول حتىٰ تبلغ ثمانية وثلاثين مأخذا في سبع صفحات، في ثلاثة عشر عمودا من أعمدة الثقافة!.

لم؟ ثم لم؟ لست أدري. إنه لعجيب، بل فوق العجيب، بل فوق كل عجيب!!





نقد كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (الجزء الأول)

تحقيق وشرح الأستاذ أحمد محمد شاكر

٥٥٨ صفحة من القطع المتوسط، دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٦[(١)]

(١ - ٢)

(١) مجلة الكتاب، المجلد الثاني، سنة ١٩٤٦، صفحة ٢٩٥ - ٣٠٩، وقد نشر الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالىٰ هذا المقال والمقال الذي يليه مع تعقيب له علىٰ المقالين في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الشعر والشعراء، ومما قال في مقدمة طبعته: «. . . ورأيت أن الأمانة العلمية تقتضي أن لا أتصرف في نقد الأستاذ الأديب السيد صقر علىٰ ما فيه من هنات أو تحامل اعتاده كثير من شباب هذا العصر العجيب. . . ولا بأس عَلَيَّ من ذلك فما كان من نقده صوابا وإرشادا إلىٰ خطأ وقعت فيه، تقبلته راضيا شاكرا وصححته في هذه الطبعة، وما كان منه خطأ أو تحاملا، لم أفكر في التعقيب عليه إلا فيما ندر، وما كان من مواضع اختلاف وجهة النظر تركته للقارئ يرىٰ فيه رأيه فيقبل منه ما يقبل ويرفض منه ما يرفض، فما يكون لي علىٰ الناس من سلطان أفرض به رأيي عليهم وما كان هذا من أخلاق العلماء. . . وسيجد القارئ أن كثيرا من نقد الأستاذ السيد صقر ما هو إلا تحكم وافتئات علىٰ ابن قتيبه أو غيره دون دليل مرجح. فنجده كثيرا ما يذكر البيت أو النص من كلام ابن قتيبه ثم يزعم أن صوابه كذا دون دليل مقنع، وأحيانا دون نقل عن مصدر معتمد. والروايات في الشعر وفي نصوص المتقدمين تختلف كثيرا كما يعرف كل مشتغل بالعلم أو الأدب، فمن المصادرة والتحكم أن نجزم بصحة رواية أخرىٰ في كتاب آخر دون رواية ابن قتيبه، وقد يكون راوي تلك الرواية دون ابن قتيبة منزلة في العلم أو في الثقة بروايته، خصوصا دووابن الشعراء، فنجد الأستاذ السيد صقر يجزم بصحة رواية بيت بأنه في ديوان الشاعر المنسوب إليه بنص آخر، والشعراء -كما يعرف الناس- لم يجمعوا دواوينهم بأنفسهم إلا في الندرة النادرة. وقد يكون جامع الديوان وراقا من الوراقين أو عالما مغمورا متوسطا لا يوازن بابن قتيبة وأضرابه من العلماء. فمن التجني والتحكم أن نجزم بصحة الرواية لأنها في ديوان الشاعر دون رواية ابن قتيبه وهو إمام كبير وعالم يعرف ما يقول وما ينقل. . . الخ».



وهذا كتاب من أرفع كتب الأدب قدرًا، وأنبهها ذكرًا، وأقدمها نشرًا. فقد طبع لأول مرة في مدينة ليدن سنة ١٧٨٥م، وأعيد طبعه فيها مرة ثانية سنة ١٩٠٤م بعناية المستشرق الكبير دي غوية، ثم طبع بعد ذلك في مصر عدة طبعات سقيمة مبتورة كثيرة التصحيف والتحريف، لا تعد شيئًا مذكورًا بالقياس إلىٰ طبعة ليدن الثانية، لأن دي غوية قد عني بنشره، فراجع مخطوط ليدن علىٰ خمس نسخ خطية استحضرها من فينا وبرلين وباريس ودمشق والقاهرة، وأثبت مابين هذه النسخ من اختلاف في هامش الكتاب، وبذل مجهودًا كبيرًا في مراجعة كل موضع من المواضع التي اقتبسها المؤلفون من الكتاب، ووضع فهرسين للأعلام والأماكن. وظلت هذه الطبعة عمدة العلماء والباحثين إلىٰ يومنا هذا. بيد أن الحصول علىٰ نسخة منها قد أصبح متعذرًا بل مستحيلًا.

فتشوفت النفوس إلىٰ طبعة جديدة تغني عنها أو تسد مسدها، واستشرف الناس إلىٰ من ينتدب نفسه للقيام بهذا العمل الخطير، حتىٰ ارتضىٰ الأستاذ العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر أن ينهض بتلك المهمة الشاقة، فأصدر هذه الطبعة الجديدة التي يقول في مقدمتها: «وخير ما ندل به علىٰ منزلة هذا الكتاب من العلم، وعلىٰ فائدته للعلماء والمتأدبين أن نخرجه إخراجًا صحيحًا متقنًا علىٰ ما أستطيع بجهدي القاصر، بأني رجل جل اشتغالي أمام الحديث والقرآن، وما أستطيع أن أزعم إني أهل لمثل هذا العمل إلا أن أبذل ما في وسعي».

وهذا تواضع من الأستاذ، فقد نشر منذ أزمان بعيدة كتبًا عدة نشرًا علميًا ممتازًا دل به علىٰ سعة علمه، وحصافة رأيه، ودقة نظره، وعمق فكره، وأنفق في سبيل ذلك ما أنفق من جهد ووفر وعافية ووقت، رضي النفس طيب البال، حتىٰ غدا في طليعة الناشرين المرموقين، وحسبه أنه ناشر الرسالة للشافعي، والمعرب للجواليقي.



والأستاذ نفسه يعتبر نشره مثاليًا يضارع نشر المستشرقين بل يفوقه، وقد صرح بذلك إذ يقول: «إنما أرجو أن يجد القارئ هذا الكتاب تحفة من التحف، ومثالًا يحتذىٰ في التصحيح والتنقيح، وأصلًا موثوقًا به حجة، وليعلم الناس أننا نتقن هذه الصناعة من تصحيح وفهارس ونحوهما أكثر مما يتقنها كل المستشرقين ولا أستثني».

وقد اعتمد الأستاذ في تحقيق هذا الكتاب علىٰ طبعة ليدن اعتمادًا كليًا حتىٰ جاءت طبعته وكأنها صورة من الأولىٰ إلا أنه قد شرح بعض الألفاظ الغريبة شرحًا مقاربًا، وراجع كثيرًا من النصوص علىٰ ما بين يديه من المصادر ودل علىٰ أماكن وجودها في الكتب المختلفة، ولكنه لم يثبت اختلاف الروايات إلا قليلًا.

ولئن كانت هذه الطبعة تمتاز بذلك؛ إن طبعة ليدن تمتاز عنها بميزة عظيمة، فقد حرص دي غوية كل الحرص علىٰ إثبات كل خلاف بين النسخ مهما كان شأنه ليكون القارئ علىٰ بينة منه، فيختار ما يختار، ويرد ما يرد، بذوقه الخاص، ورأيه المستقل، ولا يكون مقيدًا بذوق الناشر ورأيه، فقد يكون الناشر مصوبًا للخطأ أو مخطئًا للصواب وهو لا يدري، والأنظار متباينة، والأفكار متفاوتة، وفوق كل ذي علم عليم. ومن أجل ذلك لا أوافق الأستاذ علىٰ طرحه لتلك الاختلافات التي أثبتها دي غويه، ولست أدري لماذا تركها وهي بين يديه؟

ومنهج الأستاذ شاكر في نشر هذا الكتاب هو أنه اعتمد في نشره علىٰ طبعة ليدن فقط، فأخذ منها وترك ولم يرجع إلىٰ النسخ المخطوطة في القاهرة وهو يعلم أن فيها نسختين وهما برقمي (٤٢٤٧، ٥٥٠ - أدب)، رجع دي غوية إلىٰ أولاهما ولم يرجع إلىٰ الثانية لأنها لم تكن في دار الكتب إذ ذاك. وفي دار الكتب نسخة ثالثة تحت رقم (٩١٦٠ - أدب) وصفت في الجزء السابع من فهرس الدار ص ١٨٠. وفي مكتبة الأزهر نسخة رابعة (٦٨٨٥ - أدب).



فكان من الواجب علىٰ الأستاذ أن يرجع إلىٰ تلك النسخ كلها حتىٰ يستطيع تحقيق متن الكتاب، وهو يعلم أن نسخه التي اعتمد عليها دي غوية يختلف بعضها عن بعض اختلافًا كبيرًا إلىٰ حد جعل دي غوية يقول: «إنه ينبغي أن تنشر مستقلة»، والحق أن الخلاف بين النسخ اختلاف هائل، ليس في سطر أو سطرين، أو في صفحة أو صفحتين، بل في فصول وتراجم بأكملها، فامرؤ القيس، وزهير، والنابغة، والمُتَلَمِّس، وطرفة، وأوس بن حَجَر، والمُرَقِّش الأكبر، والمُرَقِّش الأصغر، وعلقمة الفحل، وعدي بن زيد؛ كل شاعر من هؤلاء له ترجمتان متتاليتان، كل واحدة منهما تباين الأخرىٰ في أسلوبها ومنهجها، وتخالفها في ترتيب عناصرها.

وقد راجعت تلك التراجم في النسخ الخطية فلاحظت أن الترجمة الأولىٰ لكل شاعر قد خلت منها النسخ خلوًا تامًا، وكنت أحسب أن هذه التراجم الثنائية ستحفز الأستاذ إلىٰ التماس المخطوطات ليخرج الكتاب كما كتبه صاحبه غير ملفق له ولا ناقص كما هو الآن، فقد تبينت أن بعض النصوص التي نقلها الأقدمون عنه لا توجد فيه، كل ذلك يثبت لنا أن طبعة ليدن لا تصلح وحدها لأن تكون أساسًا لنشر الكتاب نشرًا علميًا يجعل القارئ علىٰ ثقة من أن الكتاب كما ألفه مؤلفه؛ لم تعبث به أيدي الماسخين أو الناسخين. ولكن الأستاذ قد اعتمدها واتخذها إمامًا لطبعته واتبعها حتىٰ فيما لا ينبغي أن تتبع فيه.

وهناك بعض ملاحظات أخرىٰ عنت لي في أثناء مطالعتي رأيت أن أنبه عليها ابتغاء لوجه الحق، ورغبة في تصحيح الكتاب، ومساهمة في رجعه إلىٰ أصله، وبذلك أكون قد أديت واجبي، فإني أعتقد أنه يجب علىٰ كل قارئ للكتب القديمة أن ينشر ما يرتئيه من أخطاء ليعرفها القارئ، وينتفع بها الناشر، وبمثل هذا التعاون العلمي المنشود تخلص الكتب العربية من شوائب التحريف والتصحيف الذي منيت



به علىٰ أيدي الناسخين قديمًا والطابعين حديثًا.

وقد رأيت أن لا أنثر ملاحظاتي علىٰ الكتاب نثرًا، بل رأيت أن أقسمها إلىٰ أقسام، فإن ذلك أنفع وأمتع. فالقسم الأول لما في الكتاب من أخطاء في الشكل والضبط، ومن أمثلته:

١- ص ٦٧ قال امرؤ القيس:

وَإِنِّي أَقِينٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكًا ... بِسَيْرٍ تَرَىٰ مِنْهُ الفُرَانِقَ أَزْوَرَا

عَلَىٰ ظَهْرِ عَادِيٍّ تُحَارِبُهُ القَطَا ... إِذَا سَاقَهُ العَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا

هكذا ضبطه دي غوية (تُحَارِبُهُ القَطَا) وتبعه الأستاذ، وهو خطأ. ولست أدري ما الذي صنعه العادي - وهو الطريق القديم - مع القطا حتىٰ تحاربه؟! والصواب: (عَلَىٰ ظَهْرِ عَادِيٍّ تَحَارُ بِهِ القَطَا)، و (تَحَارُ بِهِ القَطَا) تعبير شائع في الشعر القديم.

٢- ص ٧٩ قال الشماخ:

لَهَا مِنْسَمٌ مِثْلَ المَحَارَةِ خِفَّةٌ ... كَأَنَّ الحَصَىٰ مِنَ خَلْفِهِ حَذْفُ أَغْسَرَا

(مِنْسَمٌ) هكذا ضبطها دي غوية بكسر الميم وفتح السين وتبعه الأستاذ وهو خطأ، وقد نقل الأستاذ ضبطًا صحيحًا في المفضليات عند شرحه لقول المُخَبَّلِ السَّعْدِي:

وَلَهَا مَنَاسِمُ كَالمَوَاقِعِ لَا ... مُعْرٌ أَشَاعِرُهَا وَلَا دُرْمُ

فقال (١: ١١٥): «المَنْسِم: بفتح الميم وكسر السين: طرف خف البعير، المواقع: المطارق، الواحدة ميقعة. شبه المناسم بالمطارق»، وهذا ما يجعلني أميل إن أن (خِفَّةٌ) محرفة، وصوابها كما جاء في ديوان الشماخ ص ٧٩: (خُفُّهُ) قال الشنقيطي: «المعنىٰ أن مَنْسِمَها قوي يتطاير الحصىٰ من شدة وقعه».



٣- قال امرؤ القيس يصف فرسًا:

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالمُتَنَزَّلِ

والصواب (بِالمُتَنَزِّلِ) كما جاء في شرح المعلقات للتبريزي ص ٤١، والديون ١٣٣ .

٤- ص ٢٥٠ وقال الآخر:

أَرَأَيْتَ إِنْ بَكَرَتْ بِلَيْلٍ هَامَتِي وَخَرَجْتُ مِنْهَا بَالِيًا أَثْوَابِي

هَلْ تَخْمِشَنْ إِبْلِي عَلَيَّ وُجُوهَهَا أَوْ تَعْصِبَنَّ رُؤُوسَهَا بِسِلَابِ

(أرأيتَ) هكذا ضبطها دي وغيه، وتبعه الأستاذ، وهو خطأ والصواب:

أَرَأَيْتِ إِنْ صَرَخَتْ بِلَيْلٍ هَامَتِي وَخَرَجْتُ مِنْهَا عَارِيًا أَثْوَابِي

لأن الصراخ من شأن الهامة فيما يزعم العرب، ولأن الإنسان لا يخرج من الدنيا بالي الأثواب بل يخرج منها عاريًا. والشعر لضَمْرَةَ بنِ ضَمْرَةَ النَّهْشَلِي كما في نوادر أبي زيد ص ٢، وأمالي القالي ٢/ ٢٧٩ . وأوله:

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَىٰ بَسْلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتَابِي

أَأُصُرُّهَا وَبُنَيُّ عَمِّي سَاغِبٌ فَكَفَاكِ مِن إِبَةٍ عَلَيَّ وَعَابِ

٥- ص ٢٦٤: قال أبو زُبَيْدٍ الطائي يصف الأسد:

إِذَا وَاجَهَ الأَقْرَانَ كَانَ مِجَنَّهُ جَبِينٌ كَتِطْبَاقِ الرَّحَا اجْتَابَ مَمْطَرا

(مَمْطرا) هكذا ضبطها دي غوية بفتح الميم، ظنا منه أنها اسم مكان، وأن اجتاب بمعنىٰ قطع، وتبعه الأستاذ وهو خطأ، والصواب (اجْتَابَ مِمْطَرًا) بكسر الميم، وفي القاموس (٢/ ١٣٥): «المِمْطَر والممطرة بكسرها: ثوب صوف يتقىٰ



به من المطر»، واجتاب هنا بمعنىٰ لبس، جاء في لسان العرب (٢٧٨: ١): «واجْتَبْتُ القميص إذا لبستُه، قال لبيد:

فَبِتِلْكِ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَىٰ   وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا

أَقْضِي اللُّبَانَةَ لَا أُفَرِّطُ رِيبَةً   أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُوَّامُهَا

٦- ص ٣٩ قال الشماخ:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْطَقٌ وَأَطْرَافْ   وَرَيْطَتَانِ وَقَمِيصٌ هَفْهَافْ

وَشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاهَا إِسْكَافْ   يَا رُبَّ غَازٍ كَارِهٍ لِلإِيجَافْ

(إلا مِنْطَق) هكذا ضبطها دي غوية، وتبعه الأستاذ وهو خطأ، لأن (المِنْطَق) كمنبر: شقة تلبسها المرأة، وأول الشعر كما في الديوان ص ١٠٢:

قَالَتْ أَلَا يُدْعَىٰ لِهَذَا عَرَّافْ   لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْطِقٌ وَأَطْرَافْ

والصواب (إلا مَنطِق) بفتح الميم وكسر الطاء، والمراد به النطق، جمعه مناطق. قال زهير (ديوانه ص٣٤٤):

مَنْ يَتَجَرَّمْ لِيَ المَنَاطِقَ ظَالِمًا   فَيَجْرِ إِلَىٰ شَأْوٍ بَعِيدٍ وَيَسْبَحُ

يَكُنْ كَالحُبَارَىٰ إِنْ أُصِيبَتْ فَمِثْلُهَا   أُصِيبَ وَإِنْ تُفْلِتْ مِنَ الصَّقْرِ تَسْلَحُ

والقسم الثاني من أقسام الملاحظات يتعلق بالتحريف، وهوكثير جدًا في ثنايا الكتاب، ومن أمثلته:

١- ص ٤٠ قال الشَّمَّاخ:

أَوْ كَظِبَاءِ السِّدْرِ العُبْرِيَّاتْ   يَحْضُنَّ بِالقَيْظِ عَلَىٰ رَكِيَّاتِ

(يَخْضُنَّ بِالقَيْظِ) هكذا جاءت في طبعة ليدن، ونقلها الأستاذ كما هي، ولا معنىٰ لها لأنها محرفة. والصواب (يُصِفْنَ بِالقَيْظِ عَلَىٰ رَكِيَّاتٍ): أي يقمن زمن الصيف علىٰ آبار، كما جاء في الديوان ص ١٠٤. وقد ذكر دي غوية رواية أخرىٰ في هامش الكتاب وهي (يَخْضُرْنَ) ولكن الأستاذ لم يذكرها.

٢- ص ٣٤:

وَأَخُو الوَجْهَيْنِ حَيْثُ وَهَىٰ   بِهَوَاهُ فَهُوَ مَدْخُولُ

(حَيْثُ وَهَىٰ) هكذا في طبعة ليدن، ونقلها الأستاذ وهو خطأ، والصواب كما في النسخ المخطوطة (حَيْثُ رَمَىٰ)، وقد أشار دي غوية إلىٰ أنها قد وردت كذلك في إحدىٰ النسخ، ولكن الأستاذ علىٰ عادته لم يذكرها.

٣- ص ٤٨ كقول العباس بن مرداس السلمي:

وَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ   يَفُوقَانِ مِرداسَ فِي مَجْمَعِ

وكذلك ورد مرة أخرىٰ ص ٢٦٠ وهو خطأ، والصواب: (وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ) كما جاء في النسخ المخطوطة كلها. وسيرة ابن هشام ٤: ١٣٧، ولسان العرب ٧: ٤٠٠، والأغاني ١٣: ٦٤، وخزانة الأدب ١: ٧٣، والموشح ص٩٣، والبيت من قصيدة قالها العباس لما أعطىٰ النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم يوم حنين، وأعطاه أقل مما أعطىٰ الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري. ومن الغريب أن دي غوية ذكر في هامش ص ٣٤، ١٦٦ أن رواية بعض النسخ المخطوطة: (وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ) ولكن الأستاذ لم يأبه لتلك الرواية.

٤- ص ٦٥ في ترجمة امرئ القيس: «فنزل علىٰ قوم منهم عامر بن جُوَيْنٍ الطائي، فقالت له ابنته: إن الرجل مأكول فكله، فأتىٰ عَامِرٌ أَجَأً فصاح: ألا إن عامر بن جوين غدر فلم يجبه الصدىٰ، ثم صاح: ألا إن عامر بن جوين وَفَىٰ،



فأجابه الصدىٰ، فقال: ما أحسن هذه وما أقبح تلك».

وعبارة (غدر فلم يجبه الصدىٰ) تحريف واضح، والصواب كما في الأصل المخطوط (غدر فأجابه الصدىٰ)، وإذا كان الصدىٰ لم يجبه في الأولىٰ، وأجابه في الثانية فكيف تسنىٰ له أن يفاضل بينهما ويقول: «ما أحسن هذه وما أقبح تلك»؟ ومن الغريب أن دي غوية أثبت ذلك عن بعض النسخ، ولكن الأستاذ لم يشر إليها. وقد نقل صاحب الأغاني هذا الخبر عن ابن قتيبة (٩: ٩٠) وفيه: «غدر، فأجابه الصدىٰ بمثل قوله، فقال: ما أقبح هذا من قول».

٥- ص ١٠٩ قال النابغة:

سِتَّةُ آبَائِهِمُ مَا هُمُ   هُمُ خَيْرُ مَنْ يَشْرَبُ صَفْوَ المَدَامْ

(سِتَّةُ آبَائِهِمُ مَا هُمُ) هكذا رسم شطر هذا البيت في طبعة ليدن، وتبعه الأستاذ وهو خطأ، والصواب:

سِتَّةُ آبَاءٍ هُمُ مَا هُمُ   هُمُ خَيْرُ مَنْ يَشْرَبُ صَفْوَ المَدَامْ

راجع خزانة الأدب ٢: ١١٨ .

٦- ص ١٧٣: «... وأخذ جَمَلَيْن، يقال لهما عَوْهَج ودَاعِر، فصارا بِعُمَان، فمنها العوهجية والداعرية»، وهكذا جاء في طبعة ليدن (فمنها). والصواب (فمنهما).

٧- ص ١٧٩:

وَقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ   وَأَلْفَىٰ قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا

هكذا جاء في الطبعتين: (وَقَدَّمَتِ الأدِيمَ) وهو خطأ، والصواب (وَقَدَّدَتِ)، وقد ذكر دي غوية أنها جاءت كذلك في بعض النسخ، ولكن الأستاذ قد تركها أيضًا.



٨- ص ٣٩٣: قال يزيدُ بنُ الطَّثْرِيَّة:

يُعَجِّلُ لِلقَوْمِ الشِّوَاءَ يَجُرُّهُ   بِأَقْصَىٰ عَصَاهُ مُنْضَجًا أَوْ مُرَمَّدَا

حَلُوفٌ لَقَدْ أَنْضَجْتُ وَهُوَ مُلَهْوَجٌ   بِنِصْفَيْنِ لَوْ حَرَّكْتَهُ لَتَقَصَّدَا

هكذا جاء في الطبعتين وهو خطأ، والصواب: (لَتَفَصَّدَا) بالفاء، أي إن هذا اللحم المُلَهْوَج لو حركته لتفصد منه الدم.

٩- ص ٣١٦: من قصيدة لابن أحمر الباهلي:

فَلَا تَحْرِقَا جِلْدِي سَوَاءٌ عَلَيْكُمَا   أَدَاوَيْتُمَا العَصْرَيْنِ أَمْ لَا تُدَاوِيَا

هكذا جاء في الطبعتين (أم لا تداويا) وهو خطأ، والصواب (أَمْ لَمْ تُدَاوِيَا)، لأن (تداويا) فعل مضارع من الأفعال الخمسة محذوف النون، وهي لا تحذف نونها إلا إذا سبقت بناصب أو جازم، و (لا) النافية ليست جازمة، وإنما الجازم هنا (لم).

١٠- ص ٣١٩: قال يزيد بن مُفَرِّغ في عَبَّادِ بن زياد:

سَبَقَ عَبَّادٌ وَصَلَّتْ لِحْيَتُهْ   وَكَانَ خَرَّازًا تَجُورُ قِرْبَتُهْ

هكذا في الطبعتين (تَجُورُ قِرْبَتُهُ)، وفي النسخ المخطوطة (وَكَانَ خَرَّازًا تَجُودُ قُرْبَتُهْ) وكذلك جاء في خزانة الأدب (٣: ٢١٣).

١١- ص ٣٢٠: «فأخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وعذبه وسقاه التربذ في النبيذ، وحمله علىٰ بعير وقرن به خنزيرة فأمشاه بطنه مشيًا شديدًا، فكان يسيل علىٰ الخنزيرة فَتُصِيءُ».

والصواب: (فأمشىٰ بطنه. . . فَتَصِيءُ) بفتح التاء، جاء في اللسان ١/ ١٦٤: «صَاءَتِ العقرب تَصِيءُ إذا صاحت».



١٢- ص٣٥١: من قصيدة لحُمَيْدِ بنِ ثَوْر الهلالي في وصف ذئب وامرأة:

تَرَىٰ رَبَّةَ البَهْمِ الفِرَارِ عَشِيَّةً ... إِذَا مَا عَدَا فِي بَهْمِهَا وَهُوَ ضَائِعُ

رَأَتْهُ فَشَكَّتْ وَهُوَ أَكْحَلُ مَائِلُ ... إِلَىٰ الأَرْضِ مَثْنِيٌّ إِلَيْهِ الأَكَارِعُ

هكذا جاء في الطبعتين (أَكْحَلُ مَائِلُ) وهو خطأ، وصحة التحريف:

رَأَتْهُ فَشَكَّتْ وَهُوَ أَطْحَلُ مَائِلُ ... إِلَىٰ الأَرْضِ مَثْنِيٌّ إِلَيْهِ الأَكَارِعُ

وكذلك جاء في ديوان الشاعر ص ٣٧، وأمالي المرتضىٰ ٤ - ١٢١، وحماسة ابن الشجري ص ٢٠٧، وفي لسان العرب (١٣ : ٤٢٤)، قال ابن سِيدَه: «الطُّحْلَة لون بين الغُبْرَة والبياض بسواد قليل كلون الرماد، ذئب أَطْحَل وشَاةٌ طَحْلَاء، قال الأخطل:

يَشُقُّ سَمَاحِيقَ السَّلَا عَنْ جَنِينِهَا ... أَخُو قَفْرَةٍ بَادِي السَّغَابَةِ أَطْحَلُ

السَّمَاحِيق: جلدة رقيقة تكون علىٰ جنين الناقة، وأطحل: كدر اللون، يعني به الذئب».

١٣- ص ٣٥٥: «. . . ولعل الأَثْأَبَ أن تكون تُسَمَّىٰ أَفْنَاؤُهُ جَعْلًا كما تُسَمَّىٰ أَفْنَاءُ النَّخل وقِصَارُهُ جَعْلًا»، هكذا جاء في الطبعتين (أن تكون تُسَمَّىٰ أَفْنَاؤُهُ جَعْلًا) وهو خطأ. والصواب: (أن تكون أَقْنَاؤُهُ تُسَمَّىٰ جَعْلًا كَمَا تُسَمَّىٰ أَقْنَاءُ النَّخْلِ وَقِصَارُهُ جَعْلًا) كما جاء في المخطوطات. والقِنْوُ: العِذْق.

١٤- ص ٤٣٣:

لَا يَنْقُرُونَ الأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِم ... لِتَطَلُّبِ العِلَّاتِ بِالعِيدَانِ

ورواية الأصل والديوان (لَا يَنْكُتُونَ الأَرْضَ) وهو تعبير شائع في الشعر.



١٥- ص ٥٠٠ قال الأحوص:

سَتُبْلَىٰ لَكُمْ فِي مُضْمَرِ القَلْبِ وَالحَشَىٰ ... سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَىٰ السَّرَائِرُ

وراوية الأصل المخطوط، وخزانة الأدب (١/ ٣٣): (سَتَبْقَىٰ)، وفي الأغاني: «أن عمر بن عبدالعزيز أنشد قول الأحوص:

سَتَبْقَىٰ لَكُمْ فِي مُضْمَرِ القَلْبِ وَالحَشَىٰ ... سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَىٰ السَّرَائِرُ

فقال: إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول».

وقد أخطأ مصحح الجزء الرابع من طبعة الدار إذا جعلها (سَتُبْلَىٰ) وعلق عليها بقوله: كذا في الشعر والشعراء ص ٣٣٠ طبع أوروبا. وفي الأصول والخزانة (ستبقىٰ لها)، ولو نظر في هامش الصفحة التي أشار إليها من طبعة الشعروالشعراء لوجد دي غوية يذكر أن الرواية في بعض النسخ الخطية (ستبقىٰ).

١٦- ص ٥٠٨: «قَالَ أبو سَوَّار الغَنَوي: رأيتُ مَيَّةَ وإذا معها بنون لها صغار، فقلت: صفها لي، فقال: مسنونة الوجه، طويلة الخد».

وأول الخبر محذوف، وهو كما جاء في الأغاني (١٦: ١١٥): «قال محمد بن سلام: قال أبو سوار الغنوي».

١٧- ص ٥١٤: هذا البيت وشرحه:

مِنَ الفَرَاشِ المَقْضِيِّ عَاشَ فِي رَنَقٍ ... رَخْفَ السَّحَايَاتِ وَلَىٰ غَيْرَ مَطْعُومِ

(السحايات: بقية الماء، واحدتها سحاية»).

لم يضبط دي غوية كلمة (السَّحَايَات) وضبطها الأستاذ بفتح السين وهو خطأ، وفيها مع ذلك تحريف وصحتها (السُّحَابَات: بقية الماء، واحدتها سحابة). جاء في القاموس: «السُّحْبَة بالضم كالسحابة: فضلة ماء الغدير».



١٨- ص ٥١٧: «وأخذ ذو الرُّمَّة قوله:

إِذَا اسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِ عَيْبَةٌ أَرِجَتْ   مَرَابِضُ العَينِ حَتَّىٰ يَأْرَجُ الخَشَبُ

من معنىٰ قول العجاج: مَثْوَاهُ عَطَّارِينَ بِالعُطُورِ».

وفي هذا النص تحريفان: الأول في (عَيْبَةٌ)، وصحتها كما في ديوانه ص ٢٠ (غَبْيَةٌ) وهي الدفعة من المطر، والثاني في (مَثْوَاهُ عَطَّارِينَ)، وصحتها كما في ديوان العَجَّاجِ المخطوط ص ٦٣ (مَثْوَاةُ عَطَّارِينَ). قال العجاج يصف ثورًا ص ٦٣:

فَبَاتَ فِي مُكْتَنَسٍ مَغْمُورِ   مُسَّاقِطٍ كَالهَوْدَجِ المَخْدُورِ

كَأَنَّ رِيحَ جَوْفِهِ المَزْبُورِ   فِي الخَشَبِ تَحْتَ الهَدَبِ اليَخْضُورِ

مَثْوَاةُ عَطَّارِينَ بِالعُطُورِ   أَهَاضِمِهَا وَالمِسْكِ وَالكَافُورِ(١)

وإذا نظرنا إلىٰ بيت ذي الرُّمَّة الذي يقول ابن قتيبة إنه أخذ معناه من قول العجاج لم نجد بينهما من الاشتراك ما يجعلنا نأخذ برأيه، وأكبر الظن أنه قد أورد بيتين لذي الرُّمَّة سقط ثانيهما من الكتاب وهو:

كَأَنَّه بَيتُ عَطَّارٍ يُضَمِّنُهُ   لَطَائِمَ المِسْكِ يَحْوِيهَا وَتُنْتَهَبُ

١٩- ص ١٤١: «هو طَرَفَةُ بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة»، وعلق الأستاذ علىٰ هذا بقوله: «عباد بن صعصعة هكذا أثبت هنا وفي معاهد التنصيص، وهو خطأ صوابه (ضُبَيْعَة)، كما أثبت كل من ذكر نسب طرفه ونسب أقربائه. فإن المُرَقَّشَ الأصغر عم طرفة، واسمه ربيعة بن

---

(١) المخدور: المستور، المزبور: المطوي، الهدب: الأطراف، اليخضور: الأخضر، مثواة: مقامة، الأهضام: ضرب من الطيب.

سفيان بن سعد بن مالك، والمُرَقِّش الأكبر عم الأصغر، واسمه عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكَابَة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، انظر المفضليتين ٤٥، ٥٥، وشرح القصائد العشر ٥٦، وجمهرة أشعار العرب ٨٣، والخزانة وغير ذلك».

وهذا (جهاد في غير عدو) كما يقول الأزهريون، أضنىٰ الأستاذ فيه نفسه وأجهد فكره دون أن يأتي بأية فائدة تسوغ كتابة هذا التعليق الطويل. ولو رجع الأستاذ إلىٰ المخطوطات لألفىٰ فيها اسم (ضبيعة) صحيحًا غير محرف ولا مبدل، ولما أثبت حرفًا واحدًا من تعليقه هذا. ومن الغريب أني وجدت دي غوية قد ذكر في هامش الكتاب اسم (ضُبَيْعَة) صحيحًا نقلًا عن بعض النسخ التي اعتمد عليها! أفما كان في هذا وحده غناء عن ذلك الجهاد؟

٢٠- ص ٥٠٨: «وكان ذو الرُّمَّة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته مَيَّةُ بنت فلان بن طَلَبَة بن قيس بن عاصم بن سنان»، وعلق الأستاذ علىٰ هذا بقوله: «هكذا أبهم المؤلف اسم أبيها لعله نسيه أو من أجل الاختلاف فيه، ففي اللآلي أنها بنت عاصم بن طلبة. وفي ابن خلكان ابنة مقاتل بن طلبة».

ولو اطلع علىٰ الأصل المخطوط لعلم أنّ المؤلف لم يبهم اسم أبيها ففي ورقة ٧٨: «مَيَّةُ بنت مقاتل بن طَلَبَة بن قيس بن عاصم بن سلام»، وكنت أعتقد أن الأستاذ لم يحكم بأن المؤلف أبهم اسم أبيها إلا بعد أن رأىٰ أن النسخ التي اعتمد عليها دي غوية أجمعت كلها علىٰ أنها (بنت فلان) ولكني عجبت العجب كله عندما رأيت في طبعة ليدن ص ٣٣٥ أن بعض النسخ فيها (بنت مقاتل).

٢١- ص ٥١٨ قال الرَّاعِي يصف ناقته:



وَوَاضِعَةٌ خَدَّهَا لِلزِّمَا ... مِ فَالخَدُّ مِنْهَا لَهُ أَصْعَرُ

وَلَا تُعْجِلُ المَرْءَ قَبْلَ البُرُو ... كِ وَهِيَ بِرَكْبَتِهَا أَبْصَرُ

والصواب كما جاء في المخطوطات:

وَلَا تُعْجِلُ المَرْءَ قَبْلَ الرُّكُو ... بِ وَهِيَ بِرَكْبَتِهِ أَبْصَرُ

٢٢- ص ٢١٧ قال الأعشىٰ:

كُنْ كَالسَّمَوْأَلِ إِذْ طَافَ الهُمَامُ بِهِ ... فِي جَحْفَلٍ كَهَزِيعِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

ورواية الأصول المخطوطة والديوان: (فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ) وهي الصواب، لأن الهزيع هو القطعة من الليل، والمراد وصف الجيش بالكثرة.

٢٣- ص ٢٣٠:

زوجك يَا ذَاتِ الثَّنَايَا الغُرِّ ... الرَّتِلَاتِ وَالجَبِينِ الحُرِّ

والصواب كما جاء في المخطوطات: (وَيْحَكِ يَا ذَاتِ الثَّنَايَا الغُرِّ).

٢٤- ص ٥٢: «هو امرؤ القيس بن حُجْر بن عمرو الكِنْدِي»، هكذا ورد في الطبعتين، والصواب: «. . . بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي»، راجع خزانة الأدب (١: ٢٩٩).

٢٥- ص ٢١٨ قال الأعشىٰ:

خَيَّرَهُ خُطَّتَيْ خسفٍ فَقَالَ لَهُ ... اعْرِضْهُمَا هَكَذَا أَسْمَعْهُمَا حَارِ

ورواية الديوان:

خَيَّرَهُ خُطَّتَيْ خسفٍ فَقَالَ لَهُ ... مَهْمَا تَقُلْهُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارِ

وهناك رواية أخرىٰ ذكرها دي غوية في هامش الكتاب وهي: (قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِني سَامِعٌ حَارِ)، ولكن الأستاذ لم يشر إلىٰ هذه ولا إلىٰ تلك، وارتضىٰ الأولىٰ التي لا يكاد اللسان يقيم نطقها.

أما الملاحظات التي تتعلق بالشرح والتعليقات، وعدم الرجوع إلىٰ المخطوطات، والاعتماد علىٰ المصادر الثانوية في تحقيق النصوص، فإني أجمل الكلام عليها وأكتفي ببعض النماذج منها:

١- ص ٣٩ قال الشَّمَّاخ:

لَمَّا رَأَتْنَا وَاقِفِي المَطِيَّاتِ   قَامَتْ تَبَدَّىٰ لِي بِأَصْلَتِيَّاتِ

غُرٌّ أَضَاءَ ظُلْمَهَا الثَّنِيَاتِ   خَوْدٌ مِنَ الظَّعَائِنِ الضَّمْرِيَاتِ

ترك الأستاذ شرح الأصلتيات مع غرابتها، ومعناها الأسنان الجميلة المستوية البراقة، وشرح الشطر الأخير بقوله: «الخَوْدُ: الفتاة الحسنة الشابة، الضَّمْرِيَات: من الضمور وهو الهزال، فالضمر من الرجال المهضم البطن اللطيف الجسم والأنثىٰ ضمرة»، والصواب في شرح الضمريات ما قاله الشنقيطي في شرح الديوان: «الضمريات صفة ظعائن أي هن من بني ضمرة بن بكر بن عبدمناة».

٢- ص ٢٧٦ قال الشماخ:

تَخَامَصُ عَنْ بَرْدِ الوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ   تَخَامُصَ حَافِي الرِّجْلِ فِي الأَمْعَزِ الوَجِي

وشرح الأستاذ البيت بقوله: «تخامص: تتخامص، أي تتجافىٰ عن المشي، الأمعز: الأرض الغليظة ذات الحجارة، الوجي: الحافي وهو هنا صفة للحافي»، والذي في لسان العرب نقلًا عن ابن السِّكِّيت: «الوَجِي أن يشتكي البعير باطن خفه و يقول الأعشىٰ في هذا المعنىٰ:



غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الوَجِي الوَجِلُ

وقد جاء بيت الشماخ صحيحًا في ديوانه: (تَخَامُصَ حَافِي الخَيْلِ فِي الأَمْعَزِ الوَجِي) وذكر دي غوية أن بعض النسخ فيها (تَخَامُصَ جَافِي الخَيْلِ) ولها وجه، جاء في لسان العرب: «جفا الشيء يجفو جفاء لم يلزم مكانه كالسرج يجفو عن الظهر، وكالجنب يجفو عن الفراش».

٣- ص ٢٦٨ في ترجمة النَّمِر بنِ تَوْلَب: «وهو القائل لرسول الله ﷺ:

إِنَّا أَتَيْنَاكَ وَقَدْ طَالَ السَّفَرُ نَقُودُ خَيْلًا ضُمَّرًا فِيهَا عُسُرُ

نُطْعِمُهَا الشَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ وَالخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَرُ

الشحم: يعني اللبن».

وعلق الأستاذ على هذا بقوله: «تفسير الشحم باللبن شيء نادر جدًا لم أجده إلا للمؤلف». قلت: قد ذكر دي غوية أن بعض النسخ فيها (نُطْعِمُهَا اللَّحْمَ)، وقد جاء في لسان العرب (١١ : ١٦٢):

نُطْعِمُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ وَالخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَرُ

إنما يعني أنهم يسقون الخيل الألبان إذا أجدبت الأرض فيقيمها مقام العلف».

٤- ص ٥٠٦ في ترجمة ذي الرُّمَّة: «وكان يومًا ينشد في سوق الإبل شعره الذي يقول فيه: (عَذَّبَتْهُنَّ صَيْدَحٌ) وصيدح: اسم ناقته، فجاء الفرزدق فوقف عليه. . .»، وعلق الأستاذ على ذلك بقوله: «لم أجد هذه الجملة في القصيدة الحائية التي يظن أن تكون منها في ديوان ذي الرُّمَّة، ولكن البيت ثابت الأغاني».

أقول: بل هي منها كما في ديوانه المطبوع في أوروبا ص ٨٧، وفي ديوانه المخطوط بدار الكتب ورقة ٢٠٣ . قال ذو الرُّمَّة:



إِذَا مَاتَ فَوْقَ الرَّحْلِ أَحْيَيْتُ رُوحَهُ بِذِكْرَاكَ وَالعِيسُ المَرَاسِيلُ جُنَّحُ

إِذَا ارْفَضَّ أَطْرَافُ السِّيَاطِ وَهَلَّلَتْ جُرُومُ المَطَايَا عَذَّبَتْهُنَّ صَيْدَحُ

وقد اعتمد الأستاذ علىٰ الديوان المطبوع في بيروت سنة ١٣٥٣هـ، وما كان ينبغي أن يعتمد عليه وقد ذكر ناشره في مقدمته أنه حذف منه ما يتعلق بوصف الإبل والفيافي.

٥- ص ٣١٣ في ترجمة مَالِكِ بنِ الرَّيْب: «وهو القائل في الحبس:

أَتَلْحَقُ بِالرَّيْبِ الرِّفَاقُ وَمَالِكٌ بِمَكَّةَ فِي سِجْنٍ يُعَنِّيهُ رَاقِبُهْ

شرحه الأستاذ بقوله: «يُعَنِّيه: يحبسه حبسًا طويلًا». والصواب (يُعَنِّيه): يذيقه ألوان العذاب، لأن الراقب وهو ملاحظ السجن لا يملك إطالة مدة الحبس أو تقصيرها، وإنما يملك ذلك الأمير.

٦- ص ٥١١ من شعر هشام أخي ذي الرُّمَّة:

حَتَّىٰ إِذَا أَمْعَرُوا صَفْقَيْ مَبَاءَتِهِم وَجَرَّدَ الخُطْبُ أَثْبَاجَ الجَرَاثِيمِ

وَأَبَّ ذُو المَحْضَرِ البَادِي إِبَابَتَهُ وَقَوَّضَتْ نِيَّةٌ أَطْنَابِ تَخْيِيمِ

أَلْوَىٰ الجِمَالُ هَرَامِيلُ العِفَاءِ بِهَا وَبِالمَنَاكِبِ رَيْعٌ غَيْرُ مَجْلُومِ

شرح الأستاذ البيت الأول بقوله: «أمعروا: أكلوا، الصفقتان: الناحيتان، المباءة: منزل القوم حيث يتبوؤن، الخُطْب - بضم الخاء وسكون الطاء -: جمع أخطب، وهو الحمار تعلوه خضرة».

وهو خطأ لأن الشاعر لم يرد بالخُطْبِ الحمير، وإنما أراد النوق التي كانت ترعىٰ، جاء في لسان العرب: «الخُطْب جمع خَطْبَاء، ونَاقَةٌ بَيِّنَةُ الخَطَبْ، والخُطْبَة



لونٌ يَضرِبُ إلىٰ الكدرة مُشْرَبٌ حُمْرَةً في صُفْرَة كلون الحنظلة الخطباء قبل أن تيبس».

وشرح البيت الثاني بقوله: «أَبَّ: أي رجع، إبابته: أي رجوعه، يقال أب إلىٰ وطنه نزع»، والصواب أن يقال في تفسيرهما: (أَبَّ إِبَابَتَهُ): أي نزع نزوعه إلىٰ وطنه.

وشرح البيت الثالث بقوله: «ألوىٰ الجمال: ذهبن، هَرَامِيل: حال من الجماعة؛ والهراميل جمع هُرْمُول - بضم الهاء -: قطعة من الشَّعَر، العِفَاء: ما كثر من الوبر يريد متساقطة الوبر، الرَّيْع: الزيادة، غير مجلوم: غير مقطوع».

وهذا شرح مضطرب لا يجلو معنىٰ البيت، ولست أدري من أين أخذ الأستاذ أن الشاعر يريد أن يصف الإبل التي شبعت من المرعىٰ بأنها متساقطة الشعر، وكيف يوفق بين معنىٰ شطري البيت! أيجوز أن يقول الشاعر في صدر البيت إن وبرها متساقط من المرعىٰ ثم يقول في عجزه إن وبرها كثير نام غير مقصوص أو مقطوع؟

وفي البيت تحريف يبهم معناه، فالشاعر لم يقل (أَلْوَىٰ الجِمَالُ) كما ذكر الناشران، وإنما قال: (آلُوا الجِمَالَ)، جاء في لسان العرب (١١/ ٣٤):

حَتَّىٰ إِذَا أَمْعَرُوا صَفْقَيْ مَبَاءَتِهِم ... وَجَرَّدَ الخُطَبُ أَثْبَاجَ الجَرَاثِيمِ

آلُوا الجِمَالَ هَرَامِيلَ العِفَاءِ بِهَا ... عَلَىٰ المَنَاكِبِ رَيْعٌ غَيْرُ مَجْلُومِ

آلوا الجمال: أي ردوها ليرتحلوا عليها».

٧- ص ٥١٣ من القصيدة نفسها:

وَاسْتَنَّ فَوْقَ الحُذَارَىٰ القُلقُلانُ كَمَا ... شَكْلُ الشُّنُوفِ يُحَاكَىٰ بِالهَيَانِيمِ



الحذارىٰ: جمع حذرية وهي الأرض الصلبة. والقلقلان: النبت».

وشرح الأستاذ هذا النص بقوله: «استن: أسرع، كما شكل: (ما) زائدة، أراد كشكل الشنوف جمع شَنْفْ وهو القُرْط الذي يلبس في أعلىٰ الأذن، الهيانيم: جمع هينمة وهي الصوت الخفي لا يفهم، والقُلْقُلَان كما في اللسان: شجر أخضر ينهض علىٰ ساق ومنابته الآكام دون الرياض وله حَبٌّ كحب اللوبياء يؤكل، والسائمة حريصة عليه».

وهذا شرح قاموسي لا يوضح المعنىٰ للقارئ، وإذا كانت (ما) زائدة كما قال الأستاذ فلماذا ضبط (شكل) بضم اللام؟

والصواب (كَمَا شَكْلِ) بكسر اللام، و(استن القُلْقُلَان): اضطرب وتحرك، أراد عندما يبس. وكان من الواجب علىٰ الأستاذ أن لا ينقل ما نقله في تعريف القلقلان عن اللسان، لأنه لا يفيد ولا يعين علىٰ اجتلاء التشبيه، وأن ينقل بدله ما جاء في اللسان (١٤: ٨٣): «القُلقُلان: نَبْتٌ يَنْبُتُ فِي الجَلَدِ وَغَلَظِ السَّهْلِ، وله سِنْفٌ أُفَيْطِح يَنْبُتُ فِي حَبَّاتٍ كأنهن العدس فإذا يبس فانتفخ، وَهَبَّتِ به الريح سمعت تَقَلْقُلَهُ كأنه جرس». فهذا التعريف هو الذي يجلو معنىٰ البيت ويفصح عن وجه الشبه الذي أراغ إليه الشاعر.

أما الملاحظات التي تتعلق بمراجعة الكتاب بالمخطوطات فكثيرة جدًا، ولو رجع إليها الأستاذ لغير في الكتاب وبدل، وقدم وأخر، وبتر ووصل، وزاد ونقص، ولظهر الكتاب في صورة أخرىٰ، وما أريد أن أذكر أمثلة لما ذكرت، فقد طال الكلام، وحسبي أن أذكر بعض المثل الموجزة في أصلها:

١- ص ٨: «فمن أحب أن يعرف ذلك ليستدل به علىٰ حلو الشعر ومره؛ نظر في ذلك الكتاب». وفي الأصل المخطوط: «... يستدل به علىٰ علو الشعر



وعظيم نفعه وضره؛ نظر في ذلك الكتاب».

٢- ص ٩: «تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب: ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول القائل في بعض بني أمية». وفي الأصل المخطوط «إني تدبرت. . . كقول الشاعر لبعض بني أمية، ويقال هو لكثير السهمي في محمد بن علي بن الحسن رضي الله عنهما».

٣- ص ٢٠: «لأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب». وفي الأصل: «. . . قريب من النفوس ملائم لها».

٤- ص ٤٦: «قال الشاعر: فَهَبْهَا أُمَّةً ذهبت ضياعًا». وفي الأصل المخطوط: «قال أبو عتيبة بن هبيرة الأسدي: فهبنا أمة هلكت»، وفي نسخة: (أبو عقيبة) وفي أخرىٰ: (عقبة).

٥- ص ١٣٤: «فقال - أي المُتَلَمِّس - لطرفة: ادفع إليه صحيفتك يقرأها ففيها والله ما في صحيفتي، فقال طرفة: كلا لم يكن ليجترئ عَلَيَّ، فقذف المُتَلَمِّس بصحيفته». وفي الأصل المخطوط «. . . لم يكن ليجترئ عَلَيَّ فإن بني ثعلبة ليسوا كبني ضبيعة، فقذف المُتَلَمِّس. . .».

٦- ص ١٨١: «فصف له كسرىٰ ثمانية آلاف جارية صفين». وفي المخطوطة «فصف له كسرىٰ عن يمينه ألف جارية»، وقد ذكر دي غوية هذه الرواية، ولكن الأستاذ لم يذكرها.

٧- ص ٥١٥: وقال ظالم بن البراء:

وَيَوْمٌ مِنَ الجَوْزَاءِ أَمَّا سُكُونُهُ ... فَضِحٍ وَأَمَّا رِيحُهُ فَسَمُومُ

ورواية الأصل المخطوط: «(أَمَّا سُكُونُهُ فَصَمْدٌ)، والصمد: تأثير لفح الشمس في الوجه».



ولا ينبغي أن ينسينا حديث المآخذ والأخطاء شكر الأستاذ الجليل أحمد محمد شاكر علىٰ ما بذل في نشر هذا الكتاب من جهد عنيف لا يدرك كنهه ولا يعرف قدره إلا من زج بنفسه في هذا المضمار. وحسبه أنه قدم للقراء طبعة لا مثيل لها فيما بين أيديهم من طبعات. وإنا لنتمنىٰ له النجاح واطراد التوفيق في إخراج الجزء الثاني إن شاء الله تعالىٰ.





نقد كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (الجزء الثاني)

تحقيق وشرح الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر

٤٨٩ صفحة من القطع المتوسط. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٥٠م(١).

(٢ - ٢)

وأخيرًا وبعد ترقب وانتظار طال أمده حتىٰ أربىٰ علىٰ أربع سنين أخرج القاضي الفاضل الشيخ أحمد محمد شاكر؛ الجزء الثاني من كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة.

وقد سبق أن تناولت الجزء الأول بالنقد في هذه المجلة (يونيه ٤٦، ص ٢٩٥ - ٣٠٩) وقد قرأه الشيخ إذ ذاك وأعجب به، وسلم بما فيه، ووعدني بنشره في آخر الجزء الثاني لينفع به قراء الكتاب في تصحيح تلك الأخطاء، ولعل مشاغل الشيخ قد حالت بينه وبين الوفاء به، كما حالت بينه وبين إتمام تحقيق الكتاب فعهد في إكماله إلىٰ الأستاذ عبدالسلام هارون، وذلك من صفحة ٧٠٣ إلىٰ آخر الكتاب.

وقد تصفحت هذا الجزء، وألفيت فيه كسابقه كثيرًا من الملاحظات ولكن ضيق نطاق المجلة يعوق عن ذكر أكثرها، ولا يسمح إلا بإيراد أقلها، ومن ثم نكتفي بذكر النماذج التالية مرتبة وفق ترتيب صفحات الكتاب.

١- ص ٥٤٢ - ٥٤٣: «وكان الأُقَيْشِر صاحب شراب، فأخذه الأعوان بالكوفة

---

(١) مجلة الكتاب، المجلد العاشر، سنة ١٩٥٠، صفحة ٩٢٨ - ٩٣٤.



وقالوا: شارب خمر، فقال: لست شارب خمر ولكني أكلت سفرجلًا، وأنشأ يقول:

يَقُولُونَ لِي: إِنْكَه شَرِبْتَ مَدَامَةً ... فَقُلْتُ لَهُم: لَا بَلْ أَكَلْتُ سَفَرْجَلَا»

علق الشيخ علىٰ هذا البيت بقوله: «إنكه: أصلها (إنك) فخفف (إن) المشددة، وفي اللسان ١٦ / ١٧١ عن الليث: «وللعرب لغتان في (إن) المشددة: إحداهما التثقيل، والأخرىٰ التخفيف، فأما من خفف فإنه يرفع بها، إلا أن ناسًا من أهل الحجاز يخففون وينصبون، علىٰ توهم الثقيلة». وفيه عن الفراء: «لم نسمع العرب تخفف (إن) وتعملها إلا مع المكنىٰ، لأنه لا يتبين فيه إعراب، فأما في الظاهر فلا، ولكن إذ خففوها رفعوا». وهنا خففها مع الضمير ثم ألحق به هاء السكت».

حسب الشيخ أن فعل الأمر الذي هو (إِنْكَه) مكون من (إن) والضمير وهاء السكت، وذهب يتمحل العلل لإعمالها، فنقل ما نقل عن اللسان، وليس الأمر كما حسب، فإن (إِنْكَه) فعل أمر من نكَهَ يَنْكِهُ، أي أخرج نَفَسَه، جاء في اللسان ١٧ / ٤٤٨» وَنَكَهَ هُوَ، يَنْكِه، وَيَنْكَهُ: أخرج نَفَسَهُ إلىٰ أنفي، ونكِهْتُهُ: شَمَمْتُ رِيحَه، واستَنْكَهْتُ الرجلَ فَنَكَهَ في وجهي، يَنْكَهُ وَيَنْكِه نَكْهًا: إذا أمره بأنه يَنْكه، ليعلم أشارب هو أم غير شارب، قال ابنُ بَرِّي: شاهده قول الأُقَيْشِر:

يَقُولُونَ لِي إِنْكَهْ شَرِبْتَ مَدَامَةً ... فَقُلْتُ لَهُمْ لَا بَلْ أَكَلْتُ سَفَرْجَلَا

٢- ص ٥٦٧ من شعر الطِّرِمَّاح: «وقال يهجو بني تميم:

أَفَخْرًا تَمِيمًا إِذَا فُتَيَّةٌ خَبَّتِ ... وَلُؤْمًا إِذَا مَا المَشْرَفِيَّةُ سُلَّتِ

قال الشيخ في شرحه لهذا البيت: «فُتَيَّة بالتصغير وبالتكبير: يريد الحرب، سماها بذلك كأنه عَلَم لها، أخذه من الحديث، قال في النهاية: وفي حديث البخاري: (الحَرْبُ أَوَلُ مَا تَكُونُ فُتَيَّةٌ) هكذا جاء علىٰ التصغير، أي شابة، ورواه بعضهم فَتِيَّةٌ بالفتح».



لم يقل الطرماح (فتية) لا بالتصغير ولا بالتكبير، ولم يَسِم الحرب بذلك، ولم يأخذه من هذا الحديث، ولو قال ذلك وأخذه من الحديث لكان عازبًا عن الصواب، وإنما قال: (أَفَخْرًا تَمِيمًا إِذَا فِتْنَةٌ خَبَتْ) كما جاء في ديوانه ص ١٣١، وقال شارحه: «يقول: أتفخرًا فخرًا تميميًا يا فرزدق عند سكون الفتنة، وتأتي باللؤم عند المسابقة فتفر أنت وقومك؟».

٣- ص ٥٦٩ من شعر الكُمَيْت:

وَكُلُّ لُؤْمٍ أَبَانَ الدَّهْرُ أَثْلَتَهُ ... وَلُؤْمُ ضَبَّةَ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَبِدِ

والصواب (أَبَادَ) كما في الديوان، وقد أشار المستشرق دي غوية إلىٰ أنها كذلك في بعض النسخ، وقد أهمل الشيخ الإشارة إلىٰ هذه الرواية الصحيحة.

٤- ص ٥٩٤ - ٥٩٥ «ودُكَيْن هو القائل:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَضْرَعْ عَنِ اللُّؤْمِ نَفْسَهُ ... فَلَيْسَ إِلَىٰ حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ».

قال الشيخ في شرحه: «أصل الضَّرَع - بفتح الراء -: الذُّل والتخشع، يقال: ضرع له وإليه: استكان وخشع، فالمراد هنا: إن لم يمنع نفسه عن اللؤم ويغلبها». قلت: والصواب (وَإِنْ هُوَ لَمْ يَضْرَحْ عَنِ اللُّؤْمِ نَفْسَهُ)، جاء في اللسان ٣/ ٣٥٧: «الضرح: التنحية، وقد ضرحه: أي نحاه ودفعه».

٥- ص ٦٨٢ من شعر المَرَّارِ الفَقْعَسِي يرثي أخاه بدرًا:

تُذَكِّرُنِي بَدْرًا زَعَازِعُ حَجْرَةٍ ... إِذَا عَصَفَتْ إِحْدَىٰ عَشِيَّاتِهَا الغُبْرُ



لم يشرح الشيخ كلمة (زعازع)، ولم ينظر في معناها، ومن أجل ذلك شرح كلمة حَجْرة شرحًا تجافي الصواب فقال: «حجرة - بفتح الحاء وسكون الجيم -: بلد باليمن».

والزعازع: الشدائد، جاء في اللسان ١٠/ ٤: «يقال: كيف أنت في هذه الزعازع: إذا أصابته شدائد الدهر»، و الحجرة بالفتح كما في اللسان ٥/ ١٨٧: «السنة الشديدة المجدبة، القليلة المطر، قال زهير:

إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ   وَنَالَ كِرَامَ المَالِ فِي الحَجْرةِ الأُكْلُ

الحجرة: السنة الشديدة، لأنها تحجر الناس في البيوت».

٦- ص ٢٩٨ من قصيدة الرحال في هجاء زوجه:

فَلَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي عَوْدِ أَهْلِهَا   عَشِيَّةَ زَفُّوهَا وَلَا فِيكِ مِنْ بِكْرِ

شرح الشيخ البيت بقوله: «يقول يا عجوز أهلها، يريد أنه تزوج اثنتين ثيبًا وبكرًا». وليس في هذا البيت ولا في أبيات القصيدة كلها ما يشير إلىٰ أن الشاعر تزوج اثنتين ثيبًا وبكرًا، ولا يعطي البيت أكثر من أن الشاعر يدعو علىٰ الفتاة البكر التي زفت إليه، كما يدعو علىٰ (العَوْد) الذي حملها إليه، والعَوْدُ هو الجمل المسن وهو بقية. وقد أكمل الدعاء في البيت الذي يليه حيث يقول:

وَلَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي الرَّقْمِ فَوْقَهُ   وَلَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي القُطُفِ الحُمْرِ

وواضح جدًا أن الضمير في قوله (فوقه) يعود علىٰ العَوْدِ الذي هو الجمل.

٧- ص ٧٠٣: من قصيدة القطامي في هجاء العجوز التي استضافها فأبت عليه:

إِلَىٰ حَيْزَبُونَ تُوقِدُ النَّارَ بَعْدَمَا   تَلَفَّعَتِ الظَّلْمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ



ضبط الشيخ همزة (الظلماء) بالضم، والصواب فتحها كما في ديوان الشاعر ص ٥٠، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٥٨ .

٨- ص ٧٠٤ من شعر القطامي:

سَرَىٰ فِي حَلِيكِ اللَّيْلِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا ... يُخَزَّمُ بِالأَطْرَافِ شَوْكُ العَقَارِبِ

والصواب: (في جليد الليل) كما في ديوانه، وقال شارحه: «يقول أصاب أطرافه الجليد فكأن شوك العقارب تخزمت أطرافه»، وفي اللسان ١٥/ ٦٦ «وتخزم الشوك في رجله: شكها ودخل فيها، قال القطامي:

سَرَىٰ فِي جَلِيدِ اللَّيْلِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا ... تَخَزَّمَ بِالأَطْرَافِ شَوْكُ العَقَارِبِ

وكذلك روىٰ الشطر الأول في أمالي ابن الشجري، وفي بعض نسخ الشعر والشعراء كما ذكر دي غوية.

٩- ص ٧٠٤: يقول القطامي في القصيدة نفسها:

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الحَدِيثَ سَأَلْتُهَا ... مَنِ الحَيُّ؟ قَالَتْ مَعْشَرٌ مِنْ مُحَارِبِ

مِنَ المُشْتَرِينَ القِدَّ مِمَّا تَرَاهُمُ ... جِيَاعًا وِرِيفُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَاضِبِ

والصواب (مِنَ المُشْتَوِينَ القَدَّ) جاء في اللسان: «... وفي حديث عمر كانوا يأكلون القد، يريد جلد السخلة في الجدب».

١٠ - ص ٧٣١ في ترجمة العُمَانِي: «ودخل علىٰ الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج، فقال له: إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور، وخفان دِلْقَمَان». قال الشيخ في تعليقه: «لا أدري ما معنىٰ هذا الوصف، فإن الدِلْقَم بكسر الدل وسكون اللام وفتح القاف: هي المرأة الهرمة والناقة التي تكسرت أسنانها». والصواب (وَخُفَّانِ دِمَالِقَان) أي أملسان.



١١- جاء في هامش بعض نسخ الشعر والشعراء أن ابن ميادة أخذ معنىٰ بيت له من قول بلال بن حمامة:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وعلق عليه الشيخ بقوله هامش ص ٧٤٨: «ولست أدري من بلال بن حمامة هذا».

ولعل بلال بن حمامة هو بلال بن أبي رباح مؤذن الرسول ﷺ، قال ابن هشام في السيرة ١/ ٣٣٩: «وهو بلال بن أبي رباح وكان اسم أمه حمامة»، وقال ابن حجر في الإصابة: «هو بلال بن حمامة وهي أمه». وقد روىٰ ابن إسحق بسنده عن عائشة أنها قالت في خبر طويل: «. . . وكان بلال إذا تركته الحمىٰ اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عقيرته فقال:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِفَخٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

وشامة وطفيل: جبلان بمكة» راجع سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٩، وكذلك جاء في السيرة الحلبية ٢/ ١١١، والروض الأنف ١/ ٥٣، وشرح غريب السيرة للخُشَني ١/ ١٤٦ .

١٢- ص ٨٥٧، ٨٥٨: في ترجمة مالك بن أسماء: «وكان أخوه عيينة هوي جارية لأخته هند، فاستعان بأخيه علىٰ أخته وشكا إليه ما به، فقال مالك:

أَعُيَيْنُ هَلَّا إِذْ شَغِفتَ بِهَا ... كُنْتَ اسْتَعَنْتَ بِفَارِغِ العَقْلِ

هكذا ضبط الشيخ (شَغِفت) بفتح الشين، والصواب ضمها، جاء في اللسان ١١/ ٨١: «وشُغِف بالشيء علىٰ صيغة مالم يسم فاعله: أولع به، وشَغِفَ بالشيء



شَغْفًا علىٰ صيغة الفاعل: قلق».

١٣- ص ٨٠٦ من شعر العباس بن الأحنف:

كَأَنَّهَا حِينَ تَمْشِي فِي وَصَائِفِهَا ... تَخْطُو عَلَىٰ البَيْضِ أَوْ خُضْرِ القَوَارِيرِ

وفي هذا البيت تحريف لم يفطن له الأستاذ عبدالسلام هارون، وصوابه (أو ورق القوارير) فليس للقوارير الخضر ميزة علىٰ غيرها من القوارير، تجعل من يخطو عليها أكثر حذرًا.

١٤- ص ٨٠٨ في أول ترجمة مسلم بن الوليد: قال الأستاذ عبدالسلام هارون في تعليقه: «ترجمته في ملحق الجزء الخامس من الأغاني المطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ بتحقيق دي غوية في نهاية ديوان مسلم بن الوليد برواية أبي العباس الوليد بن عيسىٰ الطنجي».

وفي هذه العبارة خطأ واضطراب في المعنىٰ فإن الجزء الخامس من الأغاني لم يطبع هو ولا ملحقه في ليدن سنة ١٨٧٥م ولا في غيرها من السنين، وإنما نقل ناشر الديوان ترجمة مسلم من مخطوطة الجزء الخامس من الأغاني (ص ٢٢٨ - ٢٦٢) ومن المدهش حقًا أن تخلو كل طبعات الأغاني من هذه الترجمة الطويلة حتىٰ طبعة دار الكتب المصرية مع أن هذه الترجمة موجودة في إحدىٰ مخطوطات الكتاب المحفوظة بالدار!!

١٥- ص ٨٢١ في ترجمة أبي الشِّيص: وقال أيضًا:

مَا فَرَّقَ الأَحْبَابَ بَعْـ ... ـدَ اللهِ إِلَّا الإِبْلُ

وَالنَّاس يَلْحَونَ غُرَا ... بَ البَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

وَمَا عَلَىٰ ظَهْرِ غُرا ... بِ البَيْنِ تُمْطَىٰ الرُّحُلُ



قال الأستاذ عبدالسلام هارون في شرح البيت الأخير: «يُمْطَىٰ بِهَا: يمد في سيرها، والرُّحُل: جمع رحول، وهو ما يصلح أن يرحل من الإبل».

والصواب (تُطْوَىٰ الرِّحَلُ) كما جاء في كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي ٢/ ٢٧، وقد ضبط المستشرق دي غوية الرحل بكسر الراء، وهو الصواب، ولكن الأستاذ أهمل هذا الضبط ولم يشر إليه، وغيره وشرحه بما رأيت!!

١٦- ص ٧٤١ من قصيدة لعلي بن جبلة يمدح حميد الطوسي:

أَيَا ذَا الجُودِ فَاسْلَمْ مَا جَرَتْ حُقْبٌ إِلَىٰ حُقْبِ
فَأَنْتَ الغَيْثُ فِي السِّلْمِ وَأَنْتَ المَوْتُ فِي الحَرْبِ

شرح الأستاذ عبدالسلام هارون البيت الأول شرحًا غريبًا إذا يقول: «الحُقْب: جمع أَحْقَب وحَقْبَاء، وهو الحمار الوحشي في بطنه بياض».

أيجوز في شرعة العقل والذوق أن يقول الشاعر لممدوحه: اسلم يا صاحب الكرم ما جرت حمير الوحش إلىٰ حمير الوحش؟! وهل استقر في أذهان الناس وذهن الممدوح أن لحمير الوحش مدارًا تجري فيه وتسبح أبد الدهر حتىٰ يدعو الشاعر بالسلامة لصاحبه ما دامت حمير الوحش جارية في فلكها؟ جاء في مختار الصحاح ص ١٤٦: «الحُقْب: بالضم وسكون القاف ثمانون سنة، وقيل أكثر من ذلك، وجمعه حِقَاب مثل قُفّ وقِفَاف، والحِقْبَةُ بالكسر وسكن القاف: واحدة الحِقَب، وهي السِّنُون، والحُقُب بضمتين: الدهر، وجمعه أَحْقَاب».

١٧- ص ٨٥١ من شعر عبدالله بن محمد بن أبي عيينة:

لَقَدْ جَعَلَتْ تَعَرَّضُ لِي مَصَادٌ تَعَرُّضَ مَنْ يُرِيدُ وَلَا يُرَادُ
فَقُلْتُ لَهَا كَسَدْتِ فَلَا تَغُتِّي كَذَاكَ لِكُلِّ نَافِقَةٍ كَسَادُ

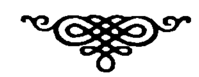


فَإِنْ تَرْضِي فَقَدْ قَبِلَتْكِ عَيْنِي ... وَلَكِنْ لَيْسَ يَقْبَلُكِ الفُؤَادُ

فَمَا لَكِ إِنْ أَقَمْتِ عَلَيَّ رِزْقٌ ... وَلَا لَكِ إِنْ ظَعَنْتِ عَلَيَّ زَادُ

قال الأستاذ عبدالسلام هارون في شرح البيت الأول: «مصاد: قبيلة من قبائلهم، انظر الاشتقاق ص ٢٠٣، ٣١٦».

وهذا شرح عجيب، فإن الشاعر لا يتحدث عن قبيلة مصاد، وتعرضها له تعرض من يريد ولا يراد، إنما يتحدث عن امرأة اسمها مصاد، ولعلها زوجته، كما يشعر بذلك من سياق الأبيات.





تراجم إسلامية شرقية وأندلسية

تأليف الأستاذ محمد عبدالله عنان

٢٧٢ صفحة من القطع الكبير. دار المعارف. القاهرة ١٩٤٧م(١).

الأستاذ محمد عبدالله عنان مؤرخ ضليع، جم النشاط، كثير الإنتاج، وأحدث مؤلفاته كتاب (تراجم إسلامية شرقية وأندلسية) الذي يحدثنا في مقدمته أنه ترجم فيه لثماني عشر علما من أعلام التاريخ الإسلامي، دون أن يتقيد بعصر أو دولة؛ وأنه عني بأن تكون هذه التراجم نماذج متباينة لشخصيات لها مميزاتها الخاصة التي جعلته يحرص علىٰ أن يترجم لها قبل غيرها، وأن يعرضها في أثواب حية محدثة، ويحدثنا أيضا بأنه اتبع فيها جميعا منهج التحقيق التاريخي المدعم بالأسانيد، وجلاها في أسلوب نقدي تدارك به النقص الفني الذي ارتآه في التراجم العربية القديمة.

وقد رجا الأستاذ في ختام مقدمته: «أن يجد الشباب في استعراض سير هذه الشخصيات الإسلامية المنوعة في أثوابها المحدثة حافزا له علىٰ أن يخص التاريخ الإسلامي وشخصياته البارزة بمزيد من إقباله وعنايته، فسير العظماء الذاهبين زينة التاريخ القومي، والتاريخ القومي غذاء الشعور الوطني، ومن الماضي المجيد ومن سير الأبطال الذاهبين تستمد الشعوب الفتية كثيرا من عناصر القوة الأدبية والقدوة المثلىٰ»، وهذا مقصد نبيل، واتجاه حميد، يستحق الأستاذ من أجله كل إجلال

(١) مجلة الكتاب، السنة الثانية، المجلد الرابع، صفحة ١٢٧٧ .



وإكبار، فليس لأمة من التراث التاريخي ما للأمة العربية، وقد حفل تاريخها الطويل بعظماء من كل نوع ونوابغ في كل فن، حفظ لنا المؤرخون الأقدمون أخبارهم وآثارهم، ودونوا سيرهم وتراجمهم بطرائق مختلفة وسبل شتىٰ، بلغ بعضها من الدقة والجدة والطرافة مبلغا كبيرا، وكلها ما زالت مطمورة في دور الكتب بخطوطها الأولىٰ. وقد راقني في هذا الكتاب آراء فريدة، كما راقتني تلك الدقة البالغة في التعبير والتصوير، غير أن في الكتاب تراجم تحتاج إلىٰ إعادة نظر من المترجم، كترجمة (محمد بن الأحمر) فلم يضف عليها شيئا جديدا.

وقد اعتمد الأستاذ قصة خرافية، جاءت بها الرواية البيزنطية، وارتضاها سببا صحيحا لفتح صقلية، وإن كانت الظروف والوقائع الغريبة التي مازجتها جعلتها (كأنها قطعة من الخيال الشائق). يقول الأستاذ في ص ١٣١: «فأما قصة الفتح حسبما تقدمها إلينا الرواية البيزنطية فخلاصتها: أن سيدًا من أشراف صقلية يدعىٰ يوفمبوس (ويسميه العرب فبمي) هام بحب راهبة حسناء، واختطفها من ديرها، فقضىٰ الإمبراطور - وهو يومئذ ميخائيل الثاني - بجدع أنفه عقابا له علىٰ جرمه، ففر إلىٰ بلدة سرقوسة، وثار في عصبته وأنصاره علىٰ حاكم الجزيرة البيزنطي، وانتزع سرقوسة وبسط حكمه عليها، ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بها طويلا، إذ هاجمته جند الإمبراطور وهزمته، واستردت المدينة منه ففر إلىٰ تونس واستغاث بأميرها، وهو يومئذ زيادة الله بن الأغلب، ودعاه إلىٰ فتح صقلية، ووصف له غناها وسهولة الاستيلاء عليها. ولكن الرواية الإسلامية لا تذكر لنا شيئا عن قصة الراهبة المخطوفة، وتقول لنا فقط: إن الإمبراطور غضب علىٰ (فبمي)، وهو مقدم أسطوله وأمر بالقبض عليه، وإنه سار في شيعته واستولىٰ علىٰ سرقوسة، ثم انتزعها منه زعيم آخر يدعىٰ بلاطه، فسار فبمي في سفنه إلىٰ أفريقية، واستنجد بأميرها



زيادة الله، فاستجاب إلىٰ دعوته وسير أسطوله إلىٰ صقلية لافتتاحها». هذا ما يقوله الأستاذ عنان.

وفي حين أن الرواية الإسلامية ذكرت سببا وجيها لفتح صقلية خاليًا من خرافات الأساطير التي تحاك عادة حول فتوح البلدان، والتي فرغ المؤرخون المسلمون من الكلام علىٰ قيمتها العلمية والتنبيه علىٰ رفضها وعدم الأخذ بها. وخلاصة سبب فتح صقلية - كما تقول الرواية الإسلامية الحقيقية - أن زيادة الله بن الأغلب كانت بينه وبين أولي الأمر في صقلية معاهدة وكان من شروطها (أن من دخل إليهم من المسلمين، وأراد أن يرد فعليهم رده) ونمىٰ إلىٰ زيادة الله أنهم حبسوا بعض المسلمين عن الرجوع فغضب عليهم، وجمع العلماء واستشارهم في أمرهم فأشار عليه بعضهم بالتأني، و أشار عليه أسد بن الفرات بأن لا يجنح إلىٰ المسالمة، وختم حديثه بقول القرآن الكريم: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ فمال زيادة الله إلىٰ رأيه واعتزم غزوهم، وعينه قائدا عامًا للجيش، فقبل أسد بعد محاورة طريفة دارت بينهما حول اللقب الذي يلقب به...

ترجم الأستاذ عنان لأسد بن الفرات ترجمة (مركزة شاملة) قصد فيها إلىٰ: «تبيان الخصائص البارزة لشخصية فاتح صقلية، تلك الشخصية العجيبة التي تبدو لأول وهلة كأنها من شخصيات الأساطير الأولىٰ».

قال: «إن ما نعلمه عن حياته الأولىٰ لا يفسر لنا كيف تحول هذا الفقيه العالم إلىٰ أمير من أمراء البحر، فقد نشأ في مهاد العلم لا مهاد الجندية، وتخصص في دراسة الفقه، ورحل في طلب العلم إلىٰ المشرق، وأخذ عن الإمام مالك في المدينة وصنف كتاب الأسدية في الفقه المالكي»، ولو نفذ الأستاذ إلىٰ ما وراء تلك الألفاظ التي ذكرها لأدرك أنه إمام عالم فارس وسياسي بارع، بدت بوادر نضجه السياسي مبكرة، وقد لحظها فيه الإمام مالك فوصاه بوصيته التي أشار إليها



المؤرخون وأشادوا بفراسة مالك من أجلها.

لو نفذ الأستاذ إلىٰ ما رواء تلك الألفاظ لعلم أثر علماء مصر في عظمة أسد، ولعرف أن كتاب (الأسدية) لم يكن مجرد كتاب في الفقه المالكي، ولتبين أثره في شهرته، ثم في ميله عن مذهب مالك إلىٰ مذهب أبي حنيفة، واتصاله بالأغالبة.

ثم يقول الأستاذ بعد ذلك: «ومع أننا لا نعرف تاريخ مولده بالتحقيق، فإنه كان بلا ريب وقت ندبه لقيادة حملة صقلية شيخا قد يربي علىٰ الستين من عمره إذا ذكرنا أن أستاذه الإمام مالك قد توفي سنة ١٧٩هـ»، ولقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن: «أسد بن الفرات بن سنان ولد في حران سنة ١٤٢هـ». والأستاذ عنان ذكر دائرة المعارف في مصادره، فلست أدري لماذا أجهد نفسه في الاستنتاج. ثم قال الأستاذ بعد ذلك: «علىٰ أن هناك ما يدل علىٰ أنه ندب لقيادة البحر قبل ذلك». ثم استخلص: «أن فتح كورسيكا المؤقت ربما كان علىٰ يد أسد» والمعروف في المصادر العربية أن أسدا غزا سردينيا، وللنص علىٰ غزو سردينيا قيمة كبيرة إذا ذكرنا أنها ثالثة الجزر الكبرىٰ في البحر الأبيض التي لم تخضع لسلطان المسلمين، وقد قام أسد بغزوها جميعا.

ثم تحدث الأستاذ عن غزو أسد لصقلية وحصاره لسرقوسة وقال: «وقع الوباء بمعسكر المسلمين في سنة ٢١٣ فهلك فيه كثير منهم، وحمل فيمن حمل أميرهم أسد بن الفرات، والظاهر أنه توفي في قصر بانه (كاستر جوفاني) أو علىٰ مقربة منها، وأنها كانت يومئذ في قبضة المسلين، ذلك أن الفقيه القائد وأمير البحر الشيخ دفن بها حسبما تقول الرواية الإسلامية، ومن يدري فلعل رفاته ما زال يثوي بها إلىٰ اليوم في قبر مجهول».

والرواية الإسلامية التي يشير إليها الأستاذ هي رواية ابن خلدون. وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أنه توفي في (بَلَرْم). وحبذا لو قارن الأستاذ بين هذه



الرواية وبين الأولىٰ، أو لو أشار إليها على الأقل، وقد جاء في دائرة المعارف أن أَسَدًا: «ذهب ضحية الطاعون، أو بيد عدو له كما جاء في رواية أخرىٰ»، ولكن الأستاذ لم يشر إلىٰ ذلك. وفي دائرة المعارف أيضا أشياء أخرىٰ لها خطرها ولا مناص من ذكرها لمن يريد أن يترجم لأسد ترجمة علمية، وفي غير دائرة المعارف الإسلامية من المراجع العربية أخبار تاريخية علىٰ أعظم جانب من الأهمية تصور بطولة أسد، وتضفي علىٰ سيرته ألوانا زاهية من العظمة والروعة والجلال.





حضارات الهند

ترجمة الأستاذ عادل زعيتر

٧٣٢ صفحة من القطع الكبير. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٤٨م(١).

هذا كتاب كانت المكتبة العربية في أشد الحاجة إليه، فقد خلت أو كادت من الكتب المؤلفة عن الهند، تلك الدنيا العجيبة التي تموج بالغرائب، وتزخر بالأعاجيب في أدبها وفنها وعلمها وثقافتها، بل في كل شأن من شؤونها، مما جعلها مثابة الخيال ومسرح الأفكار.

وما كان شوق القراء إلىٰ مثل هذا الكتاب القيم، لأنه يؤرخ لحضارة الهند وهي حضارة توجب عليهم واجبات الثقافة دراستها وتعرف أسبابها وخصائصها وإنما كان شوقهم إلىٰ مثله عظيما لأن حضارة الهند من الحضارات التي اتصلت بالحضارة العربية اتصالًا وثيقًا، وتأثرت بها وأثرت فيها منذ أن حاول المسلمو افتتاحها علىٰ يد القائد الشاب محمد بن القاسم، وهذا هو السر في ابتهاج القر بهذا الكتاب، وإكبارهم له، وإعظامهم لشأنه.

وهناك أمر آخر له أثره وخطره في هذا الإكبار وذلك الإعظام، وهو تلك الأ الخالصة بين القراء والمترجم والمؤلف، وإن شئت فقل هي تلك الصداقة العة التي توطدت أواصرها، واستحصدت علائقها بينهم جميعًا؛ فقد عرف قراء العر الأستاذ محمد عادل زعيتر كاتبًا قديرًا مشرق الديباجة، رصين العبارة، وا

(١) مجلة الكتاب، السنة الثالثة، المجلد الثاني، ص ٢٦١ .



الفكرة، بصيرا بأسرار الكلمات وروحانيتها، دقيق الحس في اختيار أمشاجها، مرهف الذوق في تألف شواردها وضم أشتاتها، فتخرج الجملة من شباة قلمه حية نابضة، يترقرق فيها ماء المعنىٰ علىٰ قد اللفظ، وتشيع فيها الجاذبية دقيقة ساحرة، وتنقلك إلىٰ تاليتها بسحرها وقوة أسرها، وهكذا حتىٰ تفرغ من الفصل مبهورا مسحورا وإن من البيان لسحرًا. ومما أعان الأستاذ زعيتر علىٰ ذلك التفوق أنه معجب أشد الإعجاب بالمؤلف، قرأ له كثيرا، وترجم من كتبه كثيرا؛ ترجم له كتاب (الآراء والمعتقدات) و (روح السياسة)، و(روح الاشتراكية) و (روح الثورات والثورة الفرنسية) ثم ترجم كتابه الخالد (حضارة العرب) الذي أنصف فيه العرب إنصافا عظيما، وإن لم يخل من الشوائب التي لا يسلم منها باحث أجنبي لا يدين بدين العرب، علىٰ أن هذا الإنصاف المشوب قد أحفظ قلوب العلماء من أبناء جنسه، فاتهموه من أجله بمصانعة العرب ومنافقتهم.

وقد أوفدت الحكومة الفرنسية غوستاف لبون رئيسا لبعثة تجوب بلاد الهند. وتدرس أحوالها وآثارها، وكان من نتائج هذه الرحلة كتاب (حضارات الهند) الذي نشره لأول مرة سنة ١٨٨٧م، وقد رأىٰ الأستاذ زعيتر أن يترجم هذا الكتاب إلىٰ اللغة العربية ترجمة حرفية، كما يقول، لأنه «خير كتاب عن الهند في بابه وروحه ومناحيه، وقوة التحليل فيه».

ويحدثنا لوبون في مقدمة الكتاب أن الهند هي البقعة الوحيدة في الأرض، التي تكتنف العروق المختلفة لجميع تطورات الماضي بالتقريب، ففيها: «إجمال لتاريخ البشر، وفيها تبدو جميع الحضارات حية أو ماثلة في عظيم الآثار، وفيها نبصر ما اعتور نظمنا وعاداتنا من متعاقب الصور والأحوال منذ البداءة إلىٰ الزمن الحاضر».

وأنه أقام دراسة هذا الكتاب علىٰ أساس متين، وعول علىٰ الأسانيد المحكمة



وعرض لتطورات النظم الاجتماعية والدينية، وأبان عوامل هذه التطورات، وبحث الحادث التاريخي كما يبحث الحادث الطبيعي علىٰ مذهبه الذي ابتدعه لنفسه، وأنه تمكن بتلك الأصول التي اعتمد عليها في بحثه: «إلىٰ الوصول إلىٰ ما في مبادئ الهند الفلسفية والدينية والاجتماعية المعقدة من المعاني البعيدة الغور».

ثم تحدث عن الفوائد العلمية الواضحة التي يستفيدها الفرنسيون: «من الاطلاع علىٰ أحوال الهند الحاضرة».

وقد قسم المؤلف كتابه إلىٰ ستة أبواب يشتمل كل باب منها علىٰ عدة فصول. فجعل الباب الأول خاصا بالبيئات، وقسمه إلىٰ ثلاثة فصول، تحدث في الأول منها عن الأرض والأجواء، وفي الثاني عن وصف المناطق، وفي الثالث عن النباتات والمعادن والحيوانات.

وتحدث في الباب الثاني عن العروق، وجعله أربعة فصول، تحدث في الأول منها عن منشأ العروق في الهند وتقسيمها، وتحدث في الفصل الثاني عن عروق الهند الشمالية أو الهندوستان، وفي الفصل الثالث تحدث عن عروق الهند الوسطىٰ والهند الجنوبية، وتحدث في الفصل الرابع عن الصفات الخلقية والعقلية المشتركة بين عروق الهند المختلفة.

وأما الباب الثالث فقصره علىٰ تاريخ الهند، وجعل الفصل الأول منه خاصا بتاريخها قبل المغازي الأوربية، والفصل الثاني خاصًّا بصلات الهند القديمة بالغرب وتاريخ الغزوات الأوربية، وكيف فتحت الهند.

وأما الباب الرابع فخاص بتطور حضارة الهند، وقد جعله خمسة فصول، الفصل الأول منها لحضارة العصر الويدي، ووصف المجتمع الهندوسي قبل الميلاد بألف سنة، والفصل الثاني لحضارة العصر البرهمي، ووصف المجتمع



الهندوسي قبل الميلاد بثلاثة قرون، والفصل الثالث لحضارة العصر البُدّهي، وهو فصل بالغ الأهمية، والفصل الرابع لحضارة العصر البرهمي الجديد، ووصف المجتمع الهندوسي حوالي القرن العاشر من الميلاد، والفصل الخامس لحضارة العصر الهندي الإسلامي، ووصف المجتمع الإسلامي في الهند حوالي القرن الخامس عشر.

وأما الباب الخامس فقد أدار الكلام فيه عن آثار حضارات الهند، وجعله ثلاثة فصول، تحدث في الفصل الأول منها عن آداب الهند ولغاتها، وفي الثاني عن مبانيها، وفي الثالث عن علومها وفنونها.

وأما الباب السادس فقصره على الهند الحديثة، ومعتقداتها ونظمها وطبائعها وعاداتها، وقسمه إلىٰ أربعة فصول، تحدث في الفصل الأول منها عن مزاج الهندوسي النفسي، وفي الثاني عن ديانات الهند الحاضرة، وفي الثالث عن النظم والطبائع والعادات، وفي الرابع عن الإدارة الإنكليزية ومستقبل الهند، وقال في ذلك: «إن مسألة مستقبل الهند أبعد مدىٰ مما نتصوره أول وهلة، فعلىٰ هذه المسألة يتوقف مستقبل أوربة في الحقيقة، ويتوقف مصير الهند علىٰ نتيجة الصراع الراهن بين الشرق والغرب؛ ولا يزال القتال في مرحلته الأولىٰ، ولا يتم النصر لأوربة في ذلك الصراع الذي يتوقف عليه مصيرها بسبب حالتها الأدبية. والغرب يفقد بالتدريج ما لا يزال متينا لدىٰ الشرقيين من حب الأسرة، واحترام الأجداد، ومتانة العقيدة، وهذه المشاعر هي أساس التئام الأمم مهما كانت قيمتها الفلسفية، وهي عوامل القوة التي استعان بها أولو النفوس العالية في قيادة العروق إلىٰ النصر، فإذا ما توارت هذه المشاعر لم تلبث المجتمعات المستندة إليها أن تنفصم عراها فتنقلب إلىٰ زمر مختلفة المصالح، عاطلة من المشاعر المشتركة... ولن تعد شعوب الشرق التي أمعنا في ازدرائها من البرابرة بعد اليوم، ولا يزال منبع النشاط



والفتوة الذي استنفذه الغرب في القيام بجليل المشاريع، وفي حقل الفكر والعمل راقدًا في أمم الشرق الكبرىٰ، ولن تطول غفوة هذه الأمم الشرقية؛ فقد دنا وقت يقظتها، وحان الوقت الذي تسفر فيه مغازينا وفتوحنا واكتشافاتنا وأفكارنا عن إخراج الشرقيين من طور القرون الوسطىٰ الطويل الذي هم عليه، وحينئذ ينتصبون أمامنا - كما انتصب البرابرة أمام الرومان، والعرب أمام العالم الإغريقي اللاتيني الهرم - بمثل ما خسرناه من الحماسة والنشاط والآمال والخيالات. هنالك تملك العالم، كما ملكته في الماضي، أمم ذات مثل عالية قوية، واحتياجات ضعيفة».

ويمتاز كتاب (حضارات الهند) بنثار نفيس من الأدب الهندي، لم يسبق ترجمة شيء منه. تلحظ فيه روعة المعنىٰ، ودقة المبنىٰ، وأصالة الفكرة، وشمول النظرة؛ وقد حوىٰ الباب الخامس كثيرا من هذه النصوص الأدبية الرائعة ففيه نماذج من القصص، والأمثال، والأشعار، والأناشيد التي تموج بالخيال، وتحلق في سماء الفكر كأنشودة أند وأنشودة الشمس وأنشودة الروح وأنشودة الفجر السامية.

وفي الفصل السادس مقتطفات من الأمثال الهندية التي تدور حول موضوعات الحياة العامة وعوامل سير الإنسان في مختلف الأحوال، ومبادئ الأخلاق والسياسة ومن هذه الأمثال: «الشباب والجمال والحياة والثراء والقوة والاجتماع بالأحباب أمور زائلة، فيجب أن لا نزعج روح العاقل».

«يجب علىٰ العاقل أن يفكر في العلم والثراء، كما لو كان غير معرض للهرم والموت، وعليه أن يمارس الفضيلة كما لو كان الموت ممسكا بشعوره».

و «مثل الذي يقضي أيامه غير ممتع بماله وغير منعم بشيء علىٰ الآخرين، كمثل الكير فهو يتنفس من غير أن يعيش».

و «تهجر الطيور الشجرة التي نفدت أثمارها، وتهجر الكراكي الغدير الذي جف



ماؤه، ويهجر النحل الأزهار الذابلة، وتهجر الظباء طرف الغابة المحترقة، ويهجر الندماء الرجل الفقير، ويهجر الخدم الملك المخلوع، فكلكم طلاب صيد».

و«الريح تصاحب النار التي تحرق الغابة، والريح تطفئ المصباح، فمن يصادق الضعيف؟!».

و«النساء كالبقرة التي تبحث عن الكلأ الجديد في الغابة، فالجديد الجديد هو ما يرغبن فيه».

و«يفقد الرجل مقامه إذا افتقر، ويغدو غير شريف إذا فقد منزلته، ويصبح محتقرا إذا فقد شرفه، ويقل عزمه إذا احتقر، ويقنط إذا قل عزمه، ويخسر عقله إذا قنط، ويهلك إذا خسر عقله، آه من الفقر الذي هو مصدر كل شيء».

و«لا تلمع صفات الرجل الطيب إذا كان فقيرا، فالثروة هي التي تنير الصفات، كما تنير الشمس كل موجود».

و«يجب علىٰ الرجل العاقل الراغب في الغنىٰ وطول العمر والسعادة، أن لا يثق بإنسان».

و«الاتحاد أجل شيء للناس، ولا سيما مع الصديق، فالأرز إذا ما جردته من قشره لا ينبت».

فهذه النصوص الأدبية التي ذخر بها الكتاب إحدىٰ مميزاته، وكم لحضارة الهند من مميزات ستزاد نصاعتها وتظهر قيمتها إذا عرفت المعارف التي تضمنها، وإنها لمعارف قيمة، ستديل من آراء، وتنير من أفكار، و تفتح من آفاق، وتغذو من قلوب وعقول.





الفلسفة القرآنية

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

١٥٨ صفحة من القطع الكبير. لجنة البيان العربي. القاهرة ١٩٤٧م[1].

مما يثلج الصدور، أن يتجه نوابغ أدبائنا، إلىٰ الثقافة الإسلامية، يجيلون في مناحيها عقولهم الراجحة، ويحبرون في ذلك الفصول الرائعة، التي تستهوي بروعتها وبراعتها عقول الشبان، وتسحر ألبابهم، وتوقظ ضمائرهم، وتبعث هممهم، وتشيع في نفوسهم إكبار ثقافتهم وإعظامها، وتشوقهم إلىٰ طلب المزيد منها.

وفي طليعة أدبائنا النابغين الذين انتهجوا هذا النهج الرشيد الأستاذ عباس محمود العقاد. والأستاذ العقاد كاتب قدير قد أتاه الله بسطة في العلم والجسم، وسعة في العقل، ونورا في الفكر، إذا ما أداره علىٰ مسألة من مسائل العلم والأدب نفذت أشعته الوهاجة من خلال الحجب الكثيفة، فأضاءت مظلمها، وأدنت قاصيها، وجلت غامضها، وأبدت مكنونها، وكشفت عن سرها، وجعلته علىٰ أعين الناس لعلهم يشهدون، وهو إلىٰ ذلك ناقد قوي الحس، مرهف الذوق، دقيق الاستنباط، مولع بفلسفة الفكرة وسبر أغوارها، ومقايستها بأمثالها في عوالم الأفكار والأنظار، ولم يبلغ العقاد من الدقة والعمق ونفاذ البصيرة، وسمو الفكر ما بلغه في سلسلة العبقريات الخالدة، التي كان ظهورها فتحا جديدا في تاريخ

---

(١) مجلة الكتاب، السنة الثالثة، المجلد الخامس، ص ٣٢٤ .



الأدب الحديث، و نصرا مؤزرا للثقافة الإسلامية، بما كسبت من قراء ما كانت لتظفر بهم لو لم يكن العقاد رائدهم إليها، ومجليها لهم بذهنه الوقاد.

وقد أراد العقاد أن يضم إلىٰ عبقرياته سلسلة رفيعة يعالج فيها مسائل الثقافة الدينية، فألف كتابين نفيسين أولهما عن (الحضارة الإسلامية)، وثانيهما عن (الله)، وها هو ذا اليوم يتحف قراء العربية بكتاب غزير المادة عن (الفلسفة القرآنية).

وموضوع هذا الكتاب، كما يقول ص ٣: «هو صلاح العقيدة الإسلامية أو الفلسفة القرآنية لحياة الجماعات البشرية، وأنها تغني الجماعة الإسلامية في باب الاعتقاد ولا تصدها عن سبيل المعرفة والتقدم، وهي لذلك تحق ضرورة الاعتقاد، وتمنع الضرر الذي يبتلي به من تصدهم عقائدهم عن حرية الفكر وحرية الضمير».

وقد كانت الحاجة شديدة إلىٰ ظهور مثل هذا الكتاب، فقد أبان الأستاذ العقاد في مقدمة الكتاب أن الدين: «لازمة من لوازم الجماعة البشرية، وأن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور بأوهام منكريها، وأنها ذخيرة من القوة وحوافز الحياة تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمدها من غيرها».

وفصول الكتاب جميعها زاخرة بالفكرة السامية والنظرة الثاقبة والعلم الغزير وحسبنا أن نشير إلىٰ موضوعات بعض تلك الفصول.

تحدث الأستاذ عن (القرآن والعلم) وهو يرىٰ أن من الخطأ أن نتلقىٰ كل نظرية علمية كأنها حقيقة دائما نحملها علىٰ معاني القرآن، لأن النظريات العلمية لا تثبت علىٰ قرار بين جيل وجيل، ولأن القرآن كتاب عقيدة يخاطب الضمير، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة في مجال العلم أن يحث علىٰ التفكير، ولا يتضمن حكما من الأحكام يشل حركة العقل في تفكيره، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم



حيثما استطاع، وكل هذا مكفول للمسلم في كتابه، كما لم يكفل قط كتاب من كتب الأديان.

وتحدث عن (الأخلاق) وتعليل نشأتها وضابطها ومصدر جمالها، وأن مناط الأخلاق الإسلامية الأعلىٰ: «لم يتعلق بمنفعة المجتمع ولا باستطاعة القوة ولا بالقانون والسلطان، ولكنه تعلق بما في الإنسان من حب للجمال، وشوق إلىٰ الكمال، وكلاهما نفحة من الخالق يهتدي بها الأحياء عامة في معارج الرفعة والارتقاء».

وتحدث عن (الحكم) وأماناته، ثم قال: «إن قواعد توزيع الثروة في القرآن تمنع الإسراف والحرمان، وقلما تمتحن أمة بالبلاء في نظامها وقواعد حكمها إلا من قبيل هاتين الآفتين: أموال مخزونة لا تنفق في وجوهها، وفقراء محرومون لا يفتح لهم باب العمل ولا باب الإحسان، وكلتا الآفتين ممنوعة في حكومة القرآن»

وتحدث عن (الطبقات) وقال: «أقر القرآن سنة التفاوت بين الناس، وأعطىٰ المساواة حقها والتفاوت حقه، وبذلك أقر أصلح النظم التي تستقيم عليها حياة الفرد والجماعة». وأفاض في هذا الفصل عن الشيوعيين.

وأما (المرأة) فقد تحدث عنها حديثا ممتازا وقال: «إن الفلسفة القرآنية وضعت المرأة في موضعها الصحيح من الطبيعة، والمجتمع، والحياة الفردية»، وشرح الفروق بين الرجل والمرأة ثم قال: «ولا نحسب أن المجتمع الإنساني ناج من مشكلاته المعقدة في سياسة الأمة، وسياسة البيت، وسياسة الحياة الفردية حتىٰ يثوب إلىٰ هذا التقسيم الطبيعي الذي لا محيص عنه، فيعمل الرجال عمل الرجال، ويعمل النساء عمل النساء، وتقام دولة المرأة في البيت، ودولة الرجل في معترك الحياة». وقد أبدع الأستاذ في شرح ذلك كما أبدع في حديثه عن وصف المرأة بالكيد في القرآن. وقال في كلامه عن الحجاب: «ولعل الغربيين قد لمسوا من أضرار الإباحة المطلقة في مقابلات الجنسين ما يحور بهم إلىٰ الصواب في مسألة



الحجاب، فيفهمون الحكمة في الاعتدال بين الإباحة المطلقة والقسر الشديد في هذه المسألة التي لا يغني فيها الرياء عن الحقيقة، ويدركون أن أخطار الشهوات الجنسية شيء يحسب له حساب في الشرائع والآداب، لأنه حساب الأعراض والأنساب». وفصل المرأة هذا فصل بالغ الجودة والروعة.

وتحدث العقاد عن (الزواج) حديثا معجبا مطربا مليئا بالأفكار السامية، والنظرات الفاحصة، وهذا الفصل هو غرة الكتاب، ودرة الأبواب، وقال في مستهله: «من الأوهام الشائعة بحكم العادة أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي أباح تعدد الزوجات بين الأديان الكتابية، والواقع الذي تدل عليه كتب الإسرائيليين والمسيحيين أن تتعدد الزوجات لم يحرم في كتاب من كتب الأديان الثلاثة، ولم يحرم -حين حرم- إكبارا للمرأة، وتنزيها لها عن قبول المشاركة في زوجها، بل كانت الفكرة الأولىٰ في تحريمه أن المرأة شر يكتفىٰ منه بأقل ما يستطاع».

ثم قال: «إن شريعة الإسلام قد اعترفت بأن الزوجة الواحدة أدنىٰ إلىٰ العدل والإحسان، وأباحت تعدد الزوجات لأنه حالة لا بد من حسبانها في الشرائع الاجتماعية، ولا يستطيع أحد أن ينكر وقوعها بموافقة القانون، أو بالاحتيال علىٰ القانون والخروج منه».

ثم تحدث عن الزوج المثالي، والزواج الحيواني، وحقيقة الإحساس الذي يتولد من تعدد الزوجات، ومسوغات هذا التعدد، وتعريف الزواج، وما يراد منه، وسر تحريم الزواج ببعض النساء، وكيف تعامل الزوجات في شريعة القرآن.

جال الأستاذ العقاد في هذه الموضوعات فوفاها حقها، كما جال في موضوعات أخرىٰ من مثل: (الميراث) و(الأسر أو الرق) و(العلاقات الدولية في القرآن) و(العقوبات) و(الإله) و(مسألة الروح) و(القدر) و(الفرائض والعبادات) و(التصوف) و(الحياة الأخرىٰ) فذهب فيها إلىٰ الأعماق. . .



الرسالة الجامعة للحكيم المجريطي

نشره وحققه الدكتور جميل صليبا عضو المجمع العلمي العربي.

الجزء الأول في ٧٣٠ صفحة - المجمع العلمي العربي. دمشق ١٩٤٨م(١).

لا أريد أن أدير الحديث عن إمام الرياضيين بالأندلس، مسلمة بن أحمد المَجْرِيطِي، المتوفىٰ سنة ثمان وتسعين وثلثمائة؛ لأن الحديث عنه وإن كان رائقا فإنه لا يطابق المقام، وكيف يطابقه وهو لم يؤلف هذه الرسالة التي نسبت إليه زورا وبهتانا، ومن وراق يبتغي الربح بالغش أو ناسخ يطلب الزرق بالتدليس.

وكم عانت الثقافة العربية من عيْث الوراقين والناسخين، وكم نشأ عن ذلك من مشاكل قضىٰ الزمن في قليلها، وبقي كثيرها ينتظر الإيضاح والتبيان.

ولقد لَذَّ لأحد هؤلاء المزورين أن ينسب الرسالة الجامعة للمجريطي، وعلق زعمه بالأذهان علىٰ مر الزمان، وما زال يتردد حتىٰ استقر أخيرا في صدر الطبعة الأولىٰ لهذه الرسالة، التي نشرها المجمع العلمي العربي بدمشق، بتحقيق الأستاذ الفاضل (جميل صليبا).

وقد عجبت عند ما رأيت هذه النسبة الخاطئة قد ثبتت في هذه الطبعة، ومما زاد في عجبي أنها طبعت بعناية الأستاذ (جميل) وهو أستاذ قدير، واسع الثقافة، دائب البحث في مناحي الفلسفة، كما تشهد بذلك مؤلفاته النفسية، وقد عرض الأستاذ

(١) مجلة الكتاب، السنة الخامسة، المجلد الثاني، ص ٨٤٤ .



لهذه النسبة في تصديره للرسالة فقال ص ٧: «يبدو لنا أن نسبة هذه الرسالة إلىٰ المجريطي ليست من الأمور اليقينية، بل هي مشتملة علىٰ كثير من الغلط والوهم، وربما كانت هذه الرسالة هي الرسالة الجامعة التي أشار إليها كتاب رسائل إخوان الصفا نفسه». ثم ذكر الأسباب التي حملته علىٰ هذا الظن، وخلاصتها أن الرسالة الجامعة لم تذكر ضمن مؤلفات المجريطي في المصادر التي ترجمت له، وأن أسلوبها شبيه بأسلوب رسائل إخوان الصفا، ومختلف عن أسلوب المجريطي كما يبدو في كتابيه (رتبة الحكيم) و(غاية الحكيم)، وأنها ترد القارئ إلىٰ رسائل إخوان الصفا وهذه الرسائل ترده إليها، ثم قال: «إن هناك مطابقة بين ما جاء فيهما وهذا دليل داخلي علىٰ وحدة الكتابين»، وذكر أن مخطوطات الرسالة التي اطلع عليها لا تنسبها إلىٰ المجريطي فيما عدا النسخة التيمورية فقد ورد في عنوانها (رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، للمجريطي رحمة الله عليه) وعقب الأستاذ علىٰ ذلك بقوله: «ولولا أن هذا العنوان كتب بخط حديث مختلف عن خط الرسالة لاعتمدنا عليه في الحكم علىٰ مؤلفها».

ولست أدري كيف كان الأستاذ يعتمد علىٰ ذلك في نسبتها إلىٰ المجريطي، مع أنه قد ورد في آخر هذه النسخة: «تم كتاب رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا: الرسالة الجامعة، ذات الفوائد النافعة، تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا»، وورد كذلك في نسخة طهران: «تمت الرسالة الجامعة ذات الفوائد النافعة، تاج رسائل إخوان الصفا»، وجاء أيضا في نسخة باريس: «تم الجزء الأول من الرسالة الجامعة، ذات الفوائد البالغة، وتاج الرسائل المنسوبة إلىٰ إخوان الصفا وخلان الوفا»، وأنت ترىٰ أن خواتيم هذه النسخ قد أجمعت علىٰ أن (الرسالة الجامعة تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا).

ألا يدل هذا الإجماع علىٰ نسبتها لهم أو يشعر به ويومئ إليه؟ نعم يومئ ويشعر



ويدل، وإن فصول الرسالة نفسها تصرخ معلنة نسبتها لهم بالأدلة اليقينية التي لا يعتورها الشك من أقطارها، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وتدل علىٰ أنها خاتمة رسائلهم، وأنها منها بمثابة التاج، وأنهم لما سموها بالجامعة جمعوا فيها معاني القول، وبينوا بواضح الدلالة ما أعجموه في غيرها من الرسائل المقدمة بين يديها، ووضحوا ما لوحوا به في غيرها، وشرحوا ما ستروه فيما سبقها، حتىٰ صارت مفتاحا لما أغلق، ورتقا لما أبهم، وذخروا لها من ألوان القول ونكت الحكمة وأفانين البراهين الصادقة، ما يكون لها به الفضل، كما قالوا في مواضع مختلفة، وقالوا فيها: «نريد أن نذكر في هذه الرسالة ما ذخرناه لها وخصصناها به لتكون لها الفضيلة العالية والرتبة السامية، ولتكون هذه الرسالة الجامعة جامعة لجواهر ما جعلناه مقدمات بين يديها».

وقد أوضحوا هذا المعنىٰ وزادوه بيانا في ص ٢٨٧ حيث قالوا: «وقد عرفناك في رسائلنا أن رسالتنا هذه تجمع الأغراض والمعاني والبراهين والفوائد، وأنها تقوم بذاتها مقام الرسائل كلها، والعلوم التي فيها بأجمعها؛ إذ كانت هي الخاتمة وفيها بيان ما تقدم». وهم يشيرون بهذا القول إلىٰ ما قالوه في فهرس رسائل إخوان الصفا فقد قالوا فيه ١/١٨: «تم الكلام علىٰ الرسائل، وتليها الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها، المشتملة علىٰ حقائقها بأسرها، والغرض منها لإيضاح حقائق ما أشرنا إليه، ونبهنا في هذه الرسائل عليه أشد الإيضاح والبيان، يأتي علىٰ ما فيها فتتبين حقائقها ومعانيها، ملخصة مستوفاة، مهذبة مستقصاة، ببراهين هندسية يقينية، ودلائل فلسفية حقيقية، وبينات علمية، وحجج عقلية، وقضايا منطقية، وشواهد قياسية، وطرق إقناعية، لا يقف علىٰ كنهها، ولا يحيط بحقائقها، ولا يحصلها ولا شيئا منها إلا من ارتاض بما قدمناه، إذ هذه الرسائل كلها كالمقدمات لها، والمدخل إليها، والأدلة عليها، والأنموذج منها. لا ينفتح



غلق معتاصها، ولا ينكشف مستور غامضها، إلا لمن تهذب بهذه الرسائل الاثنتين والخمسين رسالة أو بما شاكلها من الكتب، والرسالة الجامعة من رسائلنا هي منتهىٰ الغرض لما قدمناه، وأقصىٰ المدىٰ، ونهاية القصد وغاية المراد».

يستبين من ذلك صدق ما جاء في خواتيم النسخ من أن الرسالة الجامعة تاج رسائل إخوان الصفاء، ولعل في هذه النصوص اللاحبة ما يخرج الأستاذ الناشر من منطقة الظن إلىٰ منطقة اليقين في نفيها عن الحكيم المجريطي.

وفي الرسالة الجامعة دليل قاطع علىٰ أنها من تأليف إخوان الصفاء، وبرهان ساطع لا يضارعه برهان في قوته ونصاعته، وأي دليل أدل علىٰ ذلك من أن يذكر إخوان الصفاء في هذه الرسالة السبب الذي دعاهم إلىٰ تأليفها، وتأليف الاثنتين والخمسين رسالة التي قدموها بين يديها، وأن يبينوا في صراحة لا يشوبها خفاء أنهم إنما وضعوها لأهل الصفاء وخلان الوفاء، ولم يطلعوا لهم ولا لغيرهم الوقوف علىٰ ما فيها حتىٰ يقفوا علىٰ ما قدموه بين يديها من الرسائل. ويلقنوا ما فيها بنفوس ذكية وآذان واعية، وأخذوا عليهم العهود والمواثيق ألا يطلعوا عليها إلا إخوانهم، وأن يبثوا في نفوسهم الأمل بقرب الفرج وانكشاف الكرب: «فسيحق الله الحق بكلمته، ويظهر دعوة إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ويجمع شملهم بظهور النفس الزكية والروح الطاهرة المطمئنة» ص ٤٤٦ .

ذكر إخوان الصفاء الحافز لهم علىٰ تأليف الرسائل والرسالة، وهو ظهور طوائف الملاحدة والمبتدعة وكثرة دعاوي أهل الإفك، وزخارف أهل الشرك، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم. وأبانوا أنهم امتثلوا في مجاهدتهم لقول الرسول ﷺ: (إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه) وقالوا بعد أن أفاضوا في وصف الطوائف التي غرضوا بمعتقداتها، وضاقوا ذرعا بآرائها ص ٦٥٢: «فلما رأينا مثل هذه الطوائف علىٰ الحال المذكورة، والضلالة المشهورة،



وقد تصدوا للكلام في المساجد والمحال والبيع؛ ليصدوا الناس عن دين الله، ويعوقوهم عن الاتصال بأولياء الله، ليأكلوا أموالهم، ويضلوهم عن هداهم، فعند ذلك رأينا - وبالله التوفيق - بسط ما ألقيناه، وشرح ما وصفناه في الاثنتين والخمسين رسالة، وهذه الرسالة الجامعة... وجعلنا القول فيها كلها والغرض المقصود إليه من جميعها - توحيد الله ﷻ»، وما نظن إنسانا يتطلب دليلا غير هذا الدليل الذي يندر وجود مثله في الكتب المشكوك في نسبتها إلىٰ أصحابها، ولكنا سنضيف إليه دليلا آخر، ولسنا نورده تكثرا بالأدلة أو تزيدا بالحجة، وإنما نورده لأنه يحمل في أطوائه معارف جمة، وفوائد فريدة، تكشف عن أسرار إخوان الصفاء، وتوضح أغراضهم ومقاصدهم في رسائلهم وتعرب عن رموزهم وإشاراتهم التي جنحوا إليها، وظل الباحثون في حيرة من أمرها يتساءلون: ما ذا أراد إخوان الصفاء بهذا الرمز أو ذاك التلويح، وإلام قصدوا بهذه الإشارة أو تلك العبارة، كما وقع لهم في فهم (رسالة الحيوان) فقد ظلوا يديرون الفكر ويعملون الخاطر، في فهم المراد من طوائف الإنسان والجن والحيوان، والقضاة والحكماء من آل إدريس، وبني بلقيس، وأولاد كيوان، وبني هامان، وأولاد بهرام، وبني ناهد، ولبثوا حائرين لا يدرون وجه القصد فيما قيل علىٰ ألسنة زعماء الحيوان من خطب ومحاورات ذهبت بأكثر صحائف الجزء الثاني من الرسائل (١٧٣-٣١٧).

وقد أشار إخوان الصفاء في الرسالة الجامعة إلىٰ رسالة الحيوان هذه وأطنبوا في وصفها وقالوا: «وإنما أطلنا الخطاب، وأشبعنا القول والإسهاب في رسالة الحيوان، والقول علىٰ أجناسها، وصفات أنواعها، وما أوردناه من الخطب الجامعة للعلوم الجليلة والمعاني النفسية، وما أشرنا إليه، ولوحنا به فيها مما نسبناه إلىٰ الحيوانات».

وقالوا في ص ٣٤٧: «ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفا يدل علىٰ ما ذكرناه



في رسالة الحيوان، ومما يقتضي معناه الشرح والإبانة عنه، إذ كان مرموزا إليه بالتلويح، وغير مبين بالتصريح».

وقالوا في ص ٤٢١: «وقد قلنا في رسالة الحيوان مما أشرنا إليه بالتلويح أن الحيوان استغاث من جور الإنسان... ونريد أن نذكر في هذا الفصل من هذه الرسالة الجامعة، ذات الفوائد النافعة، والبراهين اللامعة، والحجج القاطعة، والأغراض المطلوبة، والإشارات اللائحة، والطرق الواضحة - ما يكون فيه بيان للنفوس الساهية، والأرواح اللاهية».

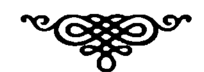
وفي ص ٤٢٦ يقولون: «ولما قلنا في رسالة الحيوان مما رمزنا به وأشرنا إليه من قصة اجتماع الحيوانات في جزيرة صاغون، والملك الذي بها من الجن، ومن اجتمع إليهم من الحكماء، وما دار بينهم من الكلام، وما قلناه علىٰ ألسنتهم من الجدل والخطب، فإنما أردنا ذلك ليقرب مأخذه... وليكون مقدمه بين يدي هذه الرسالة الجامعة... ونريد أن نذكر في هذا الفصل معرفة الجن الذي لوحنا بالقول عليهم، وأشرنا بالأمثال إليهم، واعلم يا أخي أن هذا الفصل جليل قدره، وعظيم خطره، ألقيناه إليك، وجعلناه أمانة عندك فلا تؤدها إلا إلىٰ مستحقها، ولا تبدها إلا لطالبها؛ فإنك مأخوذ بها ومسؤول عنها».

وقالوا في صفحة ٤٧٠: «وإنما دعانا إلىٰ إطالة الشرح في هذه الفصول من الرسالة، لما في رسالة الحيوان مما كنا قد أغفلنا فيها أبوابه، فأوضحناه في هذا المكان بالبرهان لطالبه، وكانت في مواضعها رموزا وإشارات، فذكرناها في هذه الفصول، وبينا معانيها بالتصريح».

هذا هو الدليل الذي أردنا إضافته إلىٰ ما سبقه من أدلة ناصعة، وبراهين قاطعة، علىٰ أن الرسالة الجامعة من تأليف إخوان الصفاء، وخلان الوفاء، وليست من تأليف الحكيم المجريطي، كما طبع علىٰ صدرها.



ويستبين من إجمال هذا الدليل، ما لهذه الرسالة الجامعة من أهمية بالغة في فهم رسائل إخوان الصفاء وإدراك فلسفتهم، واستظهار آرائهم ومذاهبهم التي أضمروها في ثناياها، وأدمجوها في طواياها، وجمجموا بها ولم يصرحوا، ولوحوا ولم يفصحوا. وكنت أود أن أضرب لذلك المثل والشواهد، ولكن المقام يضيق عن تحمل ذلك. وإنا لنزجي الشكر خالصا للدكتور (جميل صليبا) علىٰ ما بذل من جهد جهيد في نشر هذه الرسالة الجامعة التي تنير للباحثين في رسائل إخوان الصفاء آفاقها الرحيبة، وتجلي لهم غامضها، وتذلل شامسها، وتهديهم سواء السبيل في دراستها.



نقد كتاب الدارس في تاريخ المدارس (الجزء الأول)

لعبدالقادر بن محمد النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧

نشره وحققه الأستاذ جعفر بن الحسنى عضو المجمع العلمي العربي.

٦٦٥ صفحة من القطع الكبير. مطبعة الترقى. دمشق ١٩٤٨[١].

هذا كتاب نفيس كان المجمع العلمي العربي بدمشق قد فكر في نشره منذ خمسة عشر عامًا، ووكل أمر تحقيقه إلىٰ المرحوم الأستاذ عبدالقادر المبارك، والأستاذين عبدالقادر المغربي وسليم الجندي، فعارضوا نسخه المخطوطة، وكتبوا عليه بعض التعليقات، ووقف الأمر عند ذلك الحد. ولما نشط المجمع في عهده الجديد لإحياء بعض المخطوطات العربية، عهد في إخراجه إلىٰ الأستاذ جعفر الحسني، فبذل فيه جهده وأخرج منه الجزء الأول.

يقول المؤلف في مقدمة كتابه: «أما بعد فلما رأيت غالب أماكن الخير الموقوفة بدمشق اندرست، وبعضها أخذت الأيام بهجتها، سنح لي أن أشرع في جمع تراجم تحيي لها ذكرًا، وتذيع لطي عرفها بين الأنام نشرًا، فإذا شيخنا الإمام العالم المؤرخ المحقق المدقق محيي الدين أبو المفاخر عبدالقادر بن محمد النعيمي الشافعي قد سبقني إلىٰ جمع ذلك، ولم يبق في استيعابه طريقًا للسالك، متع الله المسلمين بحياته، وأعاد علينا وعليهم من جزيل بركاته، ولكنها عنده في مسودتها إلىٰ الآن، فسألته في تبييضها علىٰ طول الزمان، فتعلل علي بضعف الحال، وهم

---

(١) مجلة الكتاب، السنة الخامسة، المجلد الثاني، صفحة ١٠٦ .



العيال. ثم أمرني بتعليق ذلك ناسجًا له علىٰ منواله، فقابلت أمره بامتثاله، غير أني ربما اختصرت تراجم متصدريها الأعلام اعتمادًا علىٰ الطبقات وتواريخ الإسلام... وسميته تنبيه الطالب وإرشاد الدارس لأحوال مواضع الفائدة بدمشق، كدور القرآن والحديث والمدارس، وما يلتحق بذلك من الربط والخوانق والترب والزوايا من بيان أماكنها وأوقاف إنشائها، وتراجم واقفيها وذكر أوقافهم وشروطهم، إن وقع لي ذلك، لما في ذلك من المزايا، ورتبت الأماكن المذكورة علىٰ حروف المعجم، علىٰ ترتيب كل نوع منها كما تقدم. وهو أني أذكر دور القرآن ثم دور الحديث، ثم مدارس الأئمة الأربعة، لكني أبدأ بمدارس أئمتنا الشافعية، ثم الحنفية، ثم المالكية، ثم الحنابلة، ثم أذكر مدارس الطب، ثم الربط، ثم الخوانق، ثم الترب، ثم الزوايا، وأذكر تراجم المتصدرين بكل واحدة منها من حين أنشئت واحدًا بعد واحد إلىٰ آخر وقت أدركته. حسبما اطلعت عليه في ذلك كله من كلام الأئمة، وحسبما رأيته وحققته».

وكلام المؤلف - كما ترىٰ - واضح لا يشوبه غموض، تستفاد منه أمور كثيرة يعنينا منها بصفة خاصة:

أولًا: أنه ألف كتابه في حياة أستاذه عبدالقادر بن محمد النعيمي (٨٤٥ - ٩٢٧هـ).

ثانيًا: أن النعيمي سبقه إلىٰ فكرة الكتاب، وأن مسودته ظلت حبيسة عنده إلىٰ وقت تأليف الكتاب.

ثالثًا: أنه طلب من أستاذه النعيمي أن يبيض كتابه، فتعلل عليه بضعف الحال وهم العيال.

رابعًا: أنه اختصر تراجم العلماء الذين ترجم لهم وترك التطويل اعتمادًا علىٰ



وجود كتب الطبقات وتواريخ الإسلام التي نقل عنها.

خامسًا: أنه سمىٰ كتابه (تنبيه الطالب وإرشاد الدارس).

سادسًا: أن كتابه هذا غير كتاب أستاذه النعيمي المسمىٰ بالدارس في تاريخ المدارس كما يقول المترجمون له.

سابعًا: أن هذا الكتاب ليس مختصرًا لكتاب النعيمي.

هذه أمور بديهية تؤخذ من ظاهر لفظ المؤلف ومن باطن معناه، ولكن الأستاذ جعفر الحسني ناشر الكتاب؛ قال بضدها واعتقد غيرها مستدلًا بها.

قال الأستاذ في تصديره: «وكان نصيبي كتاب تنبيه الطالب وإرشاد الدارس للعلموي كما سماه صاحبه، أو الدارس في تاريخ المدارس كما جاء في ترجمة المؤلف في الدرر الكامنة و شذرات الذهب». ففي جملة واحدة يقرر الأستاذ أن العلموي هو صاحب (تنبيه الطالب) وأن النعيمي هو مؤلف الكتاب نفسه. أقرأ الأستاذ في هذين الكتابين أن العلموي صاحب الكتاب برأيه هو النعيمي، وأن تنبيه الطالب هو نفس الدارس، أم أنه مزج بين كتابين وبين مؤلفين، وسجل ذلك علىٰ أن حقيقة مقررة قررها صاحبا الدرر والشذرات.

ويقول الأستاذ: «وليس النعيمي أول من عالج هذا الموضوع فقد سبقه من نقل عنهم كابن الأثير وأبي شامة وابن خلكان وابن شداد والبرزالي والذهبي والكتبي والصفدي والحسيني وابن كثير وابن محيي الحسباني وابن قاضي شهبة وغيرهم». والمعروف أنه لم يعالج ابن خلكان ولا الذهبي ولا الصفدي ولا كثير غيرهم ممن ذكرهم موضوع تاريخ المدارس الدمشقية، ولم ينقل المؤلف عن تواريخ خاصة بتلك المدارس لهؤلاء المؤلفين، وإنما نقل عن طبقاتهم وتواريخهم العامة كوفيات الأعيان و تاريخ الإسلام و مختصره و العبر و ذيله للذهبي و الوافي للصفدي و تاريخ ابن كثير.



ويقول الأستاذ: «واختصر هذا الكتاب جماعة من العلماء عرفنا منهم: شمس الدين محمد بن طولون، وعبدالباسط العلموي، وأحمد البقاعي، وعبدالقادر بدران، وجميع هذه المختصرات ما خلا مختصر ابن طولون معروفة، ومنها ما هو تحت الطبع كمختصر العلموي، ولعل كتابنا هذا أيضًا هو أحد المختصرات المجهولة، والذي حملنا علىٰ هذا الاعتقاد ما جاء في فاتحة الكتاب ص ٣ حيث قال:» فلما رأيت غالب أماكن الخير الموقوفة بدمشق اندرست. . . سنح لي أن أشرع في جمع تراجم تحيي لها ذكرًا فإذا شيخنا عبدالقادر النعيمي قد سبقني إلىٰ جمع ذلك. . . ولكنها عنده في مسودتها إلىٰ الآن فسألته في تبييضها علىٰ طول الزمان فتعلل علي بضعف الحال وهم العيال، ثم أمرني بتعليق ذلك ناسجًا علىٰ منواله، فقابلت أمره بامتثاله، غير أني ربما اختصرت تراجم متصدريها الأعلام اعتمادًا علىٰ الطبقات وتواريخ الإسلام «. . . أيكون كتابنا هذا هو مختصر ابن طولون تلميذ المؤلف؟ هذا ما لا يمكننا أن نجزم فيه، وسنترك الأيام أن تبدد هذا الشك، وعلىٰ كل الأحوال فإن لم يكن كتابنا هذا هو النص الكامل كما وضعه النعيمي، فهو من المحقق أوسع المختصرات وأقربها للأصل».

يقول الأستاذ إن صاحب الكتاب هو العلموي، ثم يقول إنه النعيمي، ثم يعتقد أنه مختصر كتاب النعيمي لأنه وجد المؤلف يقول: «غير أني ربما اختصرت تراجم متصدريها الأعلام اعتمادًا علىٰ الطبقات وتواريخ الإسلام». ولست أدري كيف فهم الأستاذ من هذا الكلام السافر أن الكتاب مختصر من كتاب النعيمي، مع أن ظاهر لفظه ومعناه معًا يدل علىٰ أن المؤلف اختصر تراجم المدرسين الذي ترجم لهم معتمدًا علىٰ كتب الطبقات الخاصة وكتب التاريخ العامة التي فصلت أنباء هؤلاء، وشرحت سيرهم وأحوالهم. وإذا كان الأستاذ يعتقد أن من المحقق أن هذا الكتاب أوسع المختصرات و أقربها للأصل فكيف يسميه باسم الأصل الذي افترضه.



والحق أن الأستاذ الناشر قد أخطأ في نسبة هذا الكتاب إلىٰ النعيمي، وليس أدل علىٰ ذلك من أن مؤلف الكتاب قد ترجم في صفحة ١٧٧ لكمال الدين الحسيني المتوفىٰ سنة ٩٣٣هـ وترحم عليه مع أن وفاة النعيمي كانت في جمادىٰ الأولىٰ سنة ٩٢٧هـ!.

ثم يقول الأستاذ: «وقد اخترنا له اسم (الدارس في تاريخ المدارس) لأنه أدل علىٰ أبحاثه وأقرب للاسم الذي اشتهر به». وليس من حق الأستاذ أن يغير اسم الكتاب ليتسنىٰ له نسبته إلىٰ آخر وهو يعلم أن اسم (الدارس) ليس خاصًا بالنعيمي، وقد نقل المؤلف في صفحة ١٣٨ عن المؤرخ تقي الدين الأسدي في ترجمة شهاب الدين بن محيي الدمشقي (٧٥١ - ٨١٦ هـ) أنه: «جمع كتابًا سماه الدارس من أخبار المدارس يذكر فيه ترجمة الواقف وما شرطه، وتراجم من درس بالمدرسة إلىٰ آخر وقت، وهو كتاب نفيس يدل علىٰ اطلاع كثير». وكيف يسميه الأستاذ باسم (الدارس) مع أن مؤلفه قد ذكر في مقدمته أن سماه (تنبيه الدارس)؟ وكيف يرضىٰ المجمع العلمي العربي بدمشق منه هذا التغيير، كما رضي من قبل ذلك تغيير كتاب (تتمة صوان الحكمة) لظهير الدين البيهقي، ووافق ناشره الأستاذ محمد كرد علي بك علىٰ أن يطبعه في سنة ١٩٤٦ م باسم (تاريخ حكماء الإسلام) مع أنه كان مطبوعًا قبل ذلك باسمه الأصلي الذين سماه به مؤلفه في مطبعة لاهور سنة ١٣٥١ هـ بتحقيق الأستاذ محمد شفيع كما أشرت إلىٰ ذلك من قبل في هذه المجلة.

وإني لأتوجه بخالص الرجاء إلىٰ رئيس المجمع العلمي العربي وأعضائه الكرام أن يعدلوا عن هذه الخطة التي انتهجوها أخيرًا في تغيير أسماء الكتب و لو لم يحصل بتغييرها لبس ولا إيهام كما حصل في كتاب الدارس هذا.





غوطة دمشق

تأليف الأستاذ محمد كرد علي بك

٢١٩ صفحة من القطع الكبير. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٥٠م[1].

الأستاذ محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، أديب ممتاز، جم النشاط، دائب الإطلاع، كثير الإنتاج في نواحي الأدب المختلفة. وإن المكتبة العربية لتزخر بآثاره الجليلة وتعتز بإنتاجه النفيس.

وأحدث تآليفه كتابه عن غوطة دمشق التي قضىٰ في ربوعها سبعا وستين سنة من عمره المديد، فتحدث عنها حديث الدارس لها المتثبت من معالمها.

بدأ الأستاذ كتابه بشرح اسم الغوطة وما قيل فيها من الشعر، ثم بين حدودها ومعالمها، وتحدث عن قراها وضياعها، وأنهارها وعيونها، و زروعها وثمارها، ومتنزهاتها وبساتينها، ومدارسها ومساجدها ومشافيها، وخوانقها وقصورها، وربطها وزواياها وتكاياها، ودياراتها الداثرة، وما روي فيها من شعر رائع، كما أفاض في وصف السكان وعاداتهم وتقاليدهم، ودياناتهم ولغاتهم، ومبلغ حظهم من العلم والمدنية، وذكر من نبغ فيها من العلماء والشعراء، ومن نزلها من الخلفاء والصحابة والتابعين.

هذا، وفي الكتاب بعض المآخذ كنا نود لو سلم منها. ومن أمثلة ذلك ما جاء في ص ٤٩: «في الغوطة متنزهات هام بها الشعراء، وذكروها، وحنوا إليها حنو الحبيب علىٰ حبيبه». ولعل صواب العبارة: وحنّوا إليها حنين الحبيب إلىٰ حبيبه،

(١) مجلة الكتاب، السنة الخامسة، المجلد الثاني، صفحة ٧٤٥ .



لأن السياق يقتضي أن يكون الفعل حنّوا من الحنين وهو الشوق. وأما الحنو فهو العطف، والفعل المأخوذ منه لا يتعدىٰ بإلىٰ وإنما يتعدىٰ بعلىٰ.

وفي ص ١٧٨: «ومن القرىٰ اليوم ما يحلم بإمتاع قريته بماء الفيجة الذي يسقي دمشق وبعض ضاحيتها» ولعل الصواب: ومن أهل القرىٰ من يحلم... إلخ. ولم ينص علىٰ هذين وأمثالهما في فهرس التصويبات.

وقد تساهل الأستاذ في إيراد روايات مدخولة وأقوال لا تثبت أمام النقد، وما كان يضير الغوطة أن تمحص هذه الروايات حتىٰ يتبين وجه الحق فيها.

ومن أمثلة ذلك أنه ارتضىٰ رواية ضعيفة نتجت من تحريف في كلمة ليثبت بها أن دَيْرًا من أديرة الغوطة قيل فيه شعر. وبيان ذلك أنه عَدَّدَ من أديرة الغوطة: دَيْر يُوَنَّا (يوحنا) وروىٰ أن الوليد بن يزيد أقام به أيام وقال فيه (ص٢٤٤):

حَبَّذَا لَيْلَتِي بِدَيْرِ يُوَنَّا ... حَيْثُ نُسْقَىٰ شَرَابَهُ وَنُغَنَّىٰ

كَيْفَمَا دَارَتِ الزُّجَاجَةُ دِرْنَا ... يَحْسَبُ الجَاهِلُونَ أَنَّا جُنِنَّا

وَمَرَرْنَا بِنِسْوَةٍ عَطِرَاتٍ ... وَغِنَاءٍ وَقَهْوَةٍ فَنَزَلْنَا

وَجَعَلْنَا خَلِيفَةَ اللهِ فِطْرُو ... سَ مُجُونًا والمستشارَ يُحَنَّا

فَأَخَذْنَا قُرْبَانَهُم ثُمَّ كَفَرْ ... نَا لِصُلْبَانِ دَيْرِهِم فَكَفَرْنَا

وَاسْتَهَنَّا بِالنَّاسِ فِيمَا يَقُولُو ... نَ إِذَا خُبِّرُوا بِمَا قَدْ فَعَلْنَا

وفي هذه الرواية مآخذ فإن الرواية الصحيحة كما في الأغاني والشعر والشعراء:

حَبَّذَا لَيْلَتِي بِتَلِّ بَوَنَّىٰ ... حِينَ نُسْقَىٰ شَرَابَنَا وَنُغَنَّىٰ

و(بَوَنَّىٰ) بفتح الباء والواو وتشديد النون كما ضبطه ياقوت في معجم البلدان، و(تل بَوَنَّىٰ) من قرىٰ الكوفة بالعراق، وأين الكوفة من الغوطة؟ علىٰ أن الشعر لم



يقله الوليد بن يزيد، وإنما هو لمالك بن أسماء بن خارجة كما ورد في الأغاني عن أحمد بن داود السدي أنه قال: ورد علي كتاب المتوكل وأنا علىٰ سواد الكوفة؛ أن ابتع لي تل بَوَنَّىٰ بما بلغت، فأتيتها فإذا قرية صغيرة علىٰ تل قد خرب ما حواليها من الضياع فابتعتها له بعشرة آلاف درهم. قال فظننته حركه علىٰ طلبها أنه غنىٰ:

حَبَّذَا لَيْلَتِي بِتَلِّ بَوَنَّىٰ ....

فسألت عن ذلك فعرفت أن جاريته مكتومة غنته هذا الصوت. وقد ذكر أبو الفرج أن شعر هذا الصوت لمالك بن أسماء بن خارجة.

ومما يزيد تأكيد نسبة هذه الأبيات لمالك ما رواه أبو الفرج أيضا (١٦/ ٤٣) من أن عمر بن أبي ربيعة التقىٰ بمالك بن أسماء بن خارجة واستنشده فأنشده مالك شيئا من شعره، فقال له عمر: ما أحسن شعرك لولا أسماء القرىٰ التي تذكرها فيه. قال: مثل ماذا؟ قال مثل قولك:

حَبَّذَا لَيْلَتِي بِتَلِّ بَوَنَّىٰ إِذْ نُسْقَىٰ شَرَابَنَا وَنُغَنَّىٰ

فقال له مالك: هي قرىٰ البلد الذي أنا فيه وهو مثل ما تذكره في شعرك من أرض بلادك.

علىٰ أن هذه المآخذ لا تغض من قيمة هذا الكتاب النفيس، ولا تقدح فيما بذله الأستاذ من جهد مشكور، كلفه مراجعة كثير من الأسفار التي نقل عنها وصنف كتابه منها.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أشيد بذكر هذا الكتاب وأثني ثناءً خاصًا علىٰ الفصل الذي ختم به الأستاذ كتابه وجعل عنوانه (وحي الغوطة) فهو بحق فصل رائع في أسلوبه ومعانيه وقد بلغ فيه الأستاذ ذروة الكمال والجمال.



نقد ديوان علي بن الجهم
نشره الأستاذ خليل مردم بك

٢١٥ صفحة + ٤٧ صفحة مقدمة، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٤٩م(١).

يحدثنا الأستاذ خليل مردم بك في مقدمته لهذا الديوان الجليل أنه نشره عن مخطوطة محفوظة في مكتبة الإسكوريال، تقع في اثنتين وأربعين صفحة، نسخت في أول القرن الحادي عشر الهجري. وأنه لما وجدها لا تشتمل علىٰ كل شعر الشاعر توفر علىٰ مراجعة كتب الأدب والتراجم؛ مطبوعها ومخطوطها ليستخرج منها الشعر الذي خلت منه، فاجتمع لديه ما يضارع ما فيها، ثم عمد إلىٰ ذلك كله فحققه وشرحه ونشره بعد أن قدم له بمقدمة ضافية، ترجم فيها للشاعر وشرح صفاته وأخلاقه، ومذهبه في الدين والسياسة، وتحدث عن صلته بمعاصريه من الخلفاء والوزراء والأمراء، والقضاة والشعراء، وبين أثر كل أولئك في شعره الذي كان يترجم به عن مشاعره وأحاسيسه في صدق ووضوح.

وقد قرأت هذا الديوان، ولقيت في قراءته نصبًا مضنيًا، واستغلق علي معنىٰ كثير من أبياته، ووقفت أمامها حائرًا لا أهتدي لوجه الصواب في فهمها، وها أنا ذا أعرض علىٰ أنظار القراء بعض ما لاحظته وارتأيته، فإن كان صوابًا فخيرًا أتيح، وإن كان منآدًا فقوموه ليستقيم متن الديوان:

---

(١) مجلة الكتاب، السنة السادسة، المجلد الأول، صفحة ٤٣٦ .



١- ص ٣، ٤ يقول ابن الجهم:

مَتَىٰ عَطِلَتْ رُبَاكِ مِنَ الخِيَامِ سُقِيتِ مَعَاهِدًا صَوْبَ الغَمَامِ
لَأَسْرَعَ مَا أَدَالَتْكِ اللَّيَالِي وَأَخْلَتْ عَنْكِ عَائِرَةَ السَّوَامِ

شرح الأستاذ البيت الثاني بقوله: «اللام هنا للتعجب، أي ما أسرع، وأدال الشيء: جعله متداولًا. ومعنىٰ أدالتك: غيرتك ونقلتك من حال إلىٰ حال».

علىٰ أنا نرىٰ صواب البيت:

لَأَسْرَعَ مَا أَذَالَتْكِ اللَّيَالِي وَأَجْلَتْ عَنْكَ عَائِرَةَ السَّوَامِ

(وأجلت) من الجلاء بدل (وأخلت)، و (أذالتك) موضع (أدالتك)، ومعنىٰ (أذالتك): أهانتك، جاء في لسان العرب: «والإذالة: الإهانة، وفي الحديث: بات جبريل يعاتبني في إذالة الخيل، أي إهانتها والاستخفاف بها. وقال جرير:

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْيَانُ أَنَّ فَتَاتَهُم أُذِيلَتْ رِدَافًا كُلَّ حَالٍ تَصَرُّفِ

أي أهينت وأذلت.

٢- ص ٦ يصف ابن الجهم قصائده بقوله:

شَوَارِدُ إِنْ لَقِيتَ بِهِنَّ جَيْشًا صَرَفْنَ مَعَرَّةَ الجَيْشِ اللُّهَامِ
وَإِنْ نَازَعْتَهُنَّ الشَّربَ كَانَتْ مُدَامًا أَوْ أَلَذَّ مِنَ المُدَامِ
يَثُرْنَ عَلَىٰ امْرِئِ القَيْسِ بنِ حُجْرٍ فَمَا أَحَدٌ يَقُومُ بِهَا مَقَامِي

والصواب: (لَقِيتُ) و (نَازَعْتُهُنَّ) بضم التاء فيهما كما يقتضيه سياق المعنىٰ، ثم إن صواب (يَثُرْنَ): (نَشَزْنَ): أي استعصت عليه.

٣- ص ٧ يصف الشاعر الإبل التي رحل عليها إلىٰ ممدوحه فيقول:



تَـرَاهَـا كَـالـسَّـرَاةِ مُـعَـمَّـمَـاتٍ ... إِلَىٰ اللَّبَاتِ مِنْ جَعْدِ اللُّغَامِ

جَزَعْنَ قَنَاطِرَ القَاطُولِ لَيْلًا ... وَأَعْـرَاضَ الـمَطِـيرَةِ لِلْـمَـقَـامِ

قال الأستاذ في شرح البيت الأول: «السراة جمع سَرِي».

ولست أرىٰ رأي الأستاذ في أن الشاعر يشبه الإبل الشابة بسراة الرجال المعممين فقط، وإنما أرىٰ أنه وصفها في البيت بوصفين: وصفها أولًا بأنها ضامرة، وأن زبد أفواهها المتراكم الواصل إلىٰ منحرها قد صار لها كالعمامة. والوصف الأول غير متحقق في البيت علىٰ شرح الأستاذ، والصواب الذي يحققه (تَرَاهَا كالسِّرَاءِ) لا (كَالسُّرَاةِ)، جاء في اللسان عن أبي حنيفة: «السِّرْوَة: نصل كأنه خيط أو مسلة، والجمع السِّرَاءِ».

وقال الأستاذ في شرح البيت الثاني: «جزع الوادي: قطعه عرضًا، والقاطول: نهر عند سامراء، وأعراض: جمع عرض وهو كل واد فيه شجر، والمطيرة: قرية من نواحي سامراء، وفي الأصل (أعراد) وهو تصحيف».

وإذا رجعنا إلىٰ صورة الأصل التي قال عنها الأستاذ إنها أشبه بالطلاسم وقرأنا هذه الكلمة فيها وجدناه واضحة صحيحة: (أَعْدَاد) بدالين لا (أعراد) براء ثم دال؛ كما قرأها الأستاذ، و(الأعداد) جمع عِد، وهو كما جاء في اللسان ٤ / ٢٧٦: «وضع يتخذه الناس، يجتمع فيه ماء كثير، والجمع أعداد. وقال الأصمعي: الماء العِدُّ: الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر، وجمع العد: أعداد».

٤- ص ٨:

فَعُجْنَ بِهَا وَقَدْ أَنْضَىٰ طُلَاهَا ... قِرَانُ الـلَّـيْـلِ بِـالـلَّـيْـلِ الـتِّـمَـامِ



فَشَبَّهَنَا مَوَاقِعَهَا بِعِقْدٍ تَسَاقَطَ مِنْ فَرِيدٍ أَوْ نِظَامِ

قال الأستاذ في شرح البيت الأول: «عاج بالمكان: أقام، وعاج السائر: وقف»، والصواب ما ذكره الأستاذ نفسه ص ٩٧ عند شرحه لقول الشاعر (عُجْنَا المَطِيَّ وَنَحْنُ تَحْتَ الحَاجِرِ) قال: «عاج الراكبُ البعيرَ: عطف رأسَهُ بالزِّمام».

وقد شرح الأستاذ البيت الثاني فقال: «الفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره، والنظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ونحوه، يقول: كأن مواقع الإبل وقد هاج فيها كل لون من الأزهار عقد من الأحجار الكريمة تناثر هنا وهناك، ومثله قول الشاعر:

وَكَأَنَّ زَهْرَ رِيَاضِهِ دُرٌّ هَوىٰ مِنْ نَظْمِ سِلْكِ

وليس في البيت ولا في القصيدة ما يشير إلىٰ أنواع الأزهار من قريب أو بعيد، ولست أدري وجه المماثلة بين بيت ابن الجهم وبين البيت الذي أنشده، اللهم إلا في اتحاد المشبه به وأما في غير ذلك فلا. فذلك الشاعر المجهول يشبه زهر الروض المنبث في أنحائه وأرجائه بالدر المتناثر من سلكه درة هنا ودرة هناك. وأما ابن الجهم فإنه يشبه وقوع الإبل المقطورة حين بروكها واحدة بعد أخرىٰ متهافتة ضعيفة من التعب والإعياء بعقد تساقطت حباته واحدة في إثر أخرىٰ.

٥- ص ١٤ وقال يمدح الواثق ويصف بنيان داره:

بَانَ بِقُرْبِ الخَلِيفَةِ التُّحَفُ مَحَلُّ صِدْقٍ وَرَوْضَةٌ أُنُفُ

والصواب: (فَازَ بِقُرْبِ الخَلِيفَةِ النَّجَفُ) لا (بَانَ... التُّحَفُ) بدليل قوله بعد ذلك:

مَا نَجَفُ الحِيرَةِ الذِي أَصِفُ وَلَا خُنَيْنٌ وَلَا الفَتَىٰ القَصِفُ



الذي يشير به إلىٰ قول حُنَيْنَ الحِيرِي:

أَنَا حُنَيْنٌ وَمَنْزِلِي النَّجَفُ وَمَا نَدِيمِي إِلَّا الفَتَىٰ القَصِفُ

٦- ص ١٩ يقول ابن الجهم:

هَلِ الشَّيْبُ إِلَّا حِلْيَةٌ مُسْتَعَارَةٌ وَمُنْذِرُ جَيْشٍ جَاءَنَا مُتَقَدِّمَا

فَهَا أَنَا مِنْهُ حَاسِرٌ مُتَعَمِّمٌ وَلَمْ أَرَ مِثْلِي حَاسِرًا مُتَعَمِّمَا

كَأَنَّ مَكَانَ التَّاجِ سِلْكًا مُفَصَّلَا بِنَوْرِ الخُزَامَىٰ أَوْ جُمَانًا مُنَظَّمَا

وَضِيءٌ كَنَصْلِ السَّيْفِ إِنْ رَثَّ غِمْدُهُ إِذَا كَانَ مَصْقُولَ الغِرَارَيْنِ مِخْذَمَا

قال الأستاذ في تعليقه علىٰ البيت الأخير: «وفي الأصل: وضوء بنصل، ولعل ما ذهبنا إليه الصواب. والوضيء: الحسن النظيف، والغرار: حد السيف، والمِخْذَم: القاطع من السيوف».

والأصل خطأ لا شك فيه، وما ذهب إليه الأستاذ لا يدل علىٰ المعنىٰ المراد، فالصواب: (وَمَا ضَرَّ نَصْلُ السَّيْفِ) لأن الشاعر يقول إن شيبه لا يضره كما لا يضر السيف القاطع المصقول الحدين أن يكون غمده خلقًا باليًا، والبيت الذي يليه يؤكد هذا المعنىٰ، وهو:

إِذَا لَمْ يَشِبْ رَأْسِي عَلَىٰ الجَهْلِ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ المَرْءِ عَارٌ أَنْ يَشِيبَ وَيَهْرَمَا

٧- ص ٢٠:

وَمَنْ نَافَسَ الإِخْوَانَ قَلَّ صَدِيقُهُ وَمَنْ لَامَ صَبًّا فِي الهَوَىٰ كَانَ أَلْوَمَا

الصواب: (وَمَنْ نَاقَشَ الإِخْوَانَ) أي استقصىٰ في محاسبتهم علىٰ هفواتهم، وهو معنىٰ قول بشار:



إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الذِي لَا تُعَاتِبُه

٨- ص ٣٨، ٣٩:

وَقَصِيدَةٍ غَرَّاءَ يَفْـ ـنَىٰ الدَّهْرُ قَبْلَ فَنَائِهَا

بَاتَتْ تُصَانُ فَآنَ أَنْ تُهْدَىٰ إِلَىٰ أَكْفَائِهَا

حَتَّىٰ إِذَا أَكْمَلْتُ رَغْـ ـبَ الرَّأْيِ فِي إِبْقَائِهَا

خُصَّ الخَلِيفَةُ جَعْفَرُ بـ ـنُ مُحَمَّدٍ بِثَنَائِهَا

قال الأستاذ في التعليق علىٰ البيت الثالث: «الرَّغب والرُّغب: الرغبة، ويحتمل أن يكون (غِبَّ الرأي) بمعنىٰ التريث والصبر في سبيل الإتقان والصواب».

وصواب البيت:

حَتَّىٰ إِذَا كَمُلَتْ وَغَبَّ الرَّأْيُ فِي إِنْقَائِهَا

٩- ص ٥٠:

أَيَادِيكَ قَدْ حَمَّتْ وَعَمَّتْ مَعَاشِرًا مِنَ النَّاسِ يَتْلُو بَعْضُهَا أَبَدًا بَعْضَا

قال الأستاذ: «يريد بقوله: حَمَّتْ: خَصَّتْ، فالحَامَّة: الخَاصَّة، ولكني لم أجد من نص علىٰ استعمال الفعل منها بهذا المعنىٰ». وبديهي أن الصواب (جَمَّتْ) أي كثرت.

١٠- ص ٦٧:

الشَّيْبُ يَنْهَاهُ وَيَزْجُرُهُ وَالشَّوْقُ يَأْمُرُهُ وَيَعْذِرُهُ

وَإِذَا أَسَرَّ هَوَىٰ أَشَادَ بِهِ دَمْعٌ يُصَرِّعُهُ وَيَحْدُرُهُ

لم يعلق الأستاذ على البيت الأول بشيء، صوابه: (وَالشَّوْقُ يَأْمُرُهُ وَيُنْذِرُهُ).

وعلق على البيت الثاني بقوله: «أشاد به: شهره، وصرعه: طرحه على الأرض»، والصواب (دَمْعٌ يُصَرِّحُهُ).

١١- ص ٧٩ من قصيدة بعث بها إلى المتوكل من سجنه:

وَعَفْوَكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ ... قَرَنْتَ المُقِيمَ بِهِ المُقْعِدَا

إِذَا ادَّرَعَ اللَّيْلُ أَفْضَى بِهِ ... إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقُدَا

تَجِلُّ أَيَادِيكَ أَنْ تُجْحَدَا ... وَمَا خَيْرُ عَبْدِكَ أَنْ يُفْسِدَا

والصواب في البيت الأخير: (وَمَا خِيَمُ عَبْدِكَ) أي وما من شيمة عبدك وخلقه الفساد.



نقد كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي
حققه وشرحه الأستاذ محمود محمد شاكر

٧٢٠ صفحة من القطع الكبير. دار المعارف بمصر. القاهرة ١٩٥٢م[١].

كان لظهور هذا الكتاب النفيس رنة فرح عظيمة في نفسي أشاعت فيها الغبطة والبهجة، ومرد ذلك إلىٰ الود الخالص الذي أكنه للكتاب ومؤلفه وشارحه جميعًا.

أما ابن سلام فإني أعتقد فيه رجاحة العقل، ورهافة الذوق، وأشعر نحوه بشعور يفيض إجلالًا وإعظامًا.

وأما شارح الكتاب وهو الأستاذ محمود محمد شاكر فإني أعرفه رواية غزير المادة، قوي الذاكرة، وناقدًا ثاقب الفكر، ألمعي النظر، بصيرًا بأسرار اللغة ووقائعها، خبيرًا بعلوم العرب ومعارفها، ومنازعها في بيانها وتبيينها، وسننها في منظومها ومنثورها، وهو إلىٰ ذلك كاتب قدير، تلمح فيما تدبجه يراعته أصالة الرأي، وصدق الحس، ووضوح الفكرة، ونصاعة الحجة، وقوة التصوير، وفحولة التعبير، وشعره كذلك شعر رائع تلمس فيه فورة الشعور، وثورة العاطفة، وذكاء القلب، واشتغال الفكر، والتمرس البصير بأشعار الفصحاء من القدماء.

---

(١) مجلة الكتاب، المجلد الثاني عشر، سنة ١٩٥٣، صفحة ٣٧٩، وقد عقب الأستاذ محمود شاكر رحمه الله علىٰ هذا المقال في نفس المجلة من العام نفسه (انظر جمهرة مقالات العلامة محمود شاكر ج ٢، ص ٩٠٠)، كما عقب عليه أيضًا في مقدمة الطبعة الثانية لطبقات فحول الشعراء؛ ومما قاله - بتصرف -: «وقد نقد هذه الطبعة جماعة من أهل العلم و الفضل، أولهم أخي وصديقي وعشيري الأستاذ السيد أحمد صقر، وقد انتفعت بما أرشدني إليه . . . إلخ».



وإن شرحه هذا لشرح دقيق جليل، لا تكاد تمضي فيه حتىٰ تحس أنك أمام رائد أدبي ممتاز، يرتاد بك منازل الكتاب، مفسرًا لما غمض من ألفاظه، موضحًا لما انبهم من معانيه، في غير إسراف ولا إسفاف، كما يصنع بعض الناشرين لأنه يقدر وقتك ولحظك حق قدرهما، فلا يعوج بك إلا ريثما يطرفك بفائدة لغوية، أو نكتة أدبية تجلي لك أسرار نص، أو تقفك علىٰ مفاتن شعر، أو تبصرك بمداحض زلل زلق فيها بعض الأولين، فإذا ما استغلق عليه أمر آذنك به في بسالة متواضعة، ثم مضىٰ بك كاشفًا موضحًا، وهاديًا ممهدًا، ومضيت معه مبتهج النفس، وادع الفكر، منشرح الصدر حتىٰ تفرغ من الكتاب مبهورًا محبورًا، لا يرنق عليك صفو ما تجد من لذة ومتاع إلا انبتار متن الكتاب وتزايل أوصاله، في غير ما موضع، حتىٰ لتخالجك الريب في بعضها أنه ليس من صنع ابن سلام، كما جاء في ص ٥٠٠ من ترجمة عمر بن لجأ: «وهو القائل وقد وصف إبله - فذكر قصة قد ذكرها ابن سلام عن أبي يحيىٰ الضبي في أخبار جرير».

والحق أن أصول الكتاب التي طبع عنها أول ما طبع؛ أصول عليلة مخرومة مختلطة الترتيب، والأوراق المخطوطة التي وقعت للشارح، وقص قصتها في مقدمته، قد ردت علىٰ الكتاب كثيرًا من نصوصه الضائعة، ولكنها لم تنتظم كل خروم الكتاب وفجواته، فظل فيه نقص كثير ملحوظ في بعض التراجم، كترجمة زياد الأعجم والبَعِيث، وهل يعقل أن يترجم له ابن سلام في سطرين فقط؟ وهناك تراجم قد سقطت من الكتاب بأسرها ولم يعثر عليها بعد، كترجمة مسافر بن أبي عمْرو، وعبدالله بن حذافة السهمي، من شعراء مكة، وكنانة بن عبدياليل من شعراء الطائف، وأوس بن مَغْرَاء من شعراء الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام، والعجاج، ورُؤْبَة بنِ العَجَّاج من الرُّجَّاز.

وقد رأىٰ الأستاذ محمود محمد شاكر أن يكمل نقص الكتاب بنقل كل ما رآه



مرويًا عن ابن سلام من الأخبار والأشعار التي تتعلق بالشعراء الذين ذكروا في الطبقات. وقد عمد إلىٰ الأغاني، والموشح للمرزباني، وأمالي الزجاجي، والشعر والشعراء ونقل عنهم نحو من أربعين نصًا، ولكنه أدخل هذه النقول في ثنايا الكتاب وأدمجها في تضاعيفه، وقد وضعها في أماكنها بظنه واجتهاده، وصرح بذلك في اثني عشر موضعًا، كقوله ص ٣٥٩: «هذه الأخبار الثلاثة رأيتها مفرقة في ترجمة جرير من الأغاني، ولم أعرف حق مكانها من الطبقات فرأيت هذا المكان أقربْ وأوفق فأثبتها فيه»، وكقوله في ص ٤٦٦: «هذا الخبر نقلته من الأغاني والموشح، وكأن هذا موضعه، وقد اجتهدت جهدي، والنسخ مضطربة».

وأخشىٰ أن لا يحمد صنيعه هذا النقاد من القراء فسيقول قائلهم: نحن نؤمن حقًا بأن هذه النقول مروية عن ابن سلام، ولكنا لا نؤمن بأنها من طبقات الشعراء، إذا ليس لدينا من دليل علىٰ ذلك، فهل قال الزجاجي مثلًا في ذلك الخبر الذي نقله عنه الأستاذ ص (٥٤٥ - ٥٤٨) إنه قد نقله من طبقات الشعراء؟ وهل زعم صاحب الأغاني أن كل رواياته عن ابن سلام التي نقلها الأستاذ هي من كتاب الطبقات؟ وهل تيقنا أن هذه النصوص ليست من كتاب آخر من كتب ابن سلام المدونة؟ وهل علمنا أنها لم تؤخذ عن ابن سلام في أحاديثه ودروسه؟ وهل لدينا أثارة من علم تدلنا علىٰ أن ابن سلام لم يعرض للشعراء الذين ذكرهم في الطبقات بعد ذلك بأي لون من ألوان الذكر حتىٰ نقول: إن كل ما روىٰ عنهم من سيرهم وقريضهم هو منه؟

من أجل ذلك كله كنت أوثر ألا يضعها الأستاذ في صلب الكتاب، بل يلحقها بآخره مع الإشارة إلىٰ أماكنها التي يراها مناسبة لها.

كما كنت أوثر ألا يغير اسم الكتاب الذي عرف به وذكر في أكثر الكتب والتراجم، وهو (طبقات الشعراء) لا (طبقات فحول الشعراء). وليس في قول ابن سلام: «فاقتصرنا من الفحول المشهورين علىٰ أربعين شاعرًا» دلالة علىٰ الاسم



الذي اختاره الشارح، لأنه قال أيضًا: «ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة».

وقول الشارح: «إن اسم (طبقات الشعراء) ثوب فضفاض لا يطابق ما في كتاب ابن سلام لأنه لم يستوف فيه ذكر الشعراء»، يقال كذلك علىٰ الاسم الذي اختاره (طبقات فحول الشعراء) لأن ابن سلام لم يستوف فيه ذكر (فحول الشعراء)، ولو اتخذنا فضفضة اسم الكتاب ذريعة إلىٰ تغيير اسمه لبدلنا كثيرًا من أسماء الكتاب فإن أكثرها لا يطابق اسمه موضوعه، وهل يطابق اسم (الكامل) للمُبَرِّد موضوع كتابه؟ كلا، «فما أبين انتفاء هذا الكتاب عن نسبه، وأشد منافاته للقبه».

وقد راقني في شرح الأستاذ محمود محمد شاكر لطبقات الشعراء تلك الومضات الفكرية الخلابة، والنظرات الثاقبة النفاذة التي جلاها في بعض الشعر، فخرجه علىٰ تأويلات دقيقة عميقة لم يلحظها شراح الشعر الأقدمين، ورد عليهم تأويلهم في رفق هادئ حينًا، وعنف ثائر في أكثر الأحايين.

انظر رأيه في قول امرئ القيس ص ٦٧ (نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا) فإنه يرىٰ: «أن هذا البيت من أبيات امرئ القيس التي صرفها الشراح إلىٰ غير معناها...»، ورأيه في قوله ص ٦٩ (مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا) أن هذا: «من الأبيات التي تعاورها الشراح ليزيلوا تناقضها، وما أراد امرؤ القيس إلا ما ظنوه تناقضًا...»، وشرحه لبيتي امرئ القيس (كَأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ) ص ٧٠، (وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ) ص ٧١ فإنه يرىٰ أن البيت الأول: «مما حير الشراح فدلسوا معناه...»، ويرد التشبيه الذي زعموه في البيت الثاني، لفساده فيما يرىٰ...

وقد رد الرواية القديمة لقول ابن الزِّبَعْرَىٰ ص ١٩٩ (حِينَ أَلْقَتْ بِقُبَاءٍ بَرْكَهَا) وأبان عن خطئها ورأىٰ أن صوابها (بِقَنَاةٍ بَرْكَهَا) وأيد ما قال بدلائل قوية، وما أعلم أحدًا سبق الأستاذ إلىٰ تصويب هذا الخطأ، وقد خطأهم أيضًا في بيت هذا



الشاعر التالي لسابقه (فَقَتَلْنَا النِّصْفَ مِنْ سَادَتِهِمْ) ورأىٰ أن صوابه الذي يؤيده التاريخ (فَقَبِلْنَا النِّصْفَ مِنْ سَادَتِهِم).

وقد نقد الأستاذ اللغويين ص ٤٠٦، وسخر من النحويين ونقل بعض قولهم للتسلية ص ٥٤١ وقال: «وللنحويين في هذا ثرثرة ولجاجة»، كما نقد ابن سِيدَه ص ٣٨، والمرزوقي ص ٢٦٧، وابن سلام ص ٣٣١، ونقد الجاحظ في الحيوان ص ٣٩٠، وختم نقده بقوله: «والجاحظ جريء قادر، ولكنه يخطئ الخطأ يتوارثه الناس من بعده ثقة بعقله». وقد عرض لنقده ونقد ثعلب وثار عليهما ثورة جامحة ص ٥١٦ إذا يقول: «وقد أساء الجاحظ وثعلب غاية الإساءة، وأفسدا شعر العرب وكلامهم» ثم نقل شرح ثعلب لبيت من شعر أبي زُبَيْدٍ الطائي وعقب عليه بقوله: «وهذا كلام مظلم خسيس ينبغي أن ينزه عنه مثل هذا الشعر».

وقد لاح لي في أثناء قراءتي لهذا الشرح النفيس بعض مسائل ذهبت فيها إلىٰ غير ما ذهب إليه الأستاذ محمود محمد شاكر، فإن يكن ما ذهبت إليه قويمًا فهو الذي إليه أرغت، وإن يكن غير ذلك علمت صواب ما جهلت:

١- فمن ذلك ما جاء في ص ٢٨ من قول دُوَيْدِ بن زيد حين حضره الموت:

وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُه ... ومِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ

فقد قال الأستاذ في شرحه: «الغَيْلُ: الساعد الريان الممتلئ، يصف صاحبته بالشباب والنعمة والكرامة علىٰ أهلها. والمعصم: موضع السوار من اليد، وأراد اليد نفسها لذكره الخضاب، وهو الحناء أو غيره مما يصبغ به. يعني أن صاحبته عروس جديدة الخضاب. كنىٰ بالشطر الأول عن تجاوزه الأحراس والمنعة إلىٰ الكريمة المنعمة، وكنىٰ بالشطر الثاني عن غلبته علىٰ فؤاد الغانية الحديثة العهد بالزواج، فهي عن التطرف إلىٰ غير زوجها أبعد وأعف».



ولست أدري في الشطر الأول ما يدل من قريب أو بعيد على أن الشاعر قد كنى به عن تجاوزه الأحراس والمنعة إلى المنعمة الكريمة على أهلها. وكل ما يمكن أن يؤخذ منه أنه يذكر شبابه ومتاعه بالنساء ذوات السواعد السمينة فيقول: وكم ساعد غيل ثنيته. ولست أرى كذلك في الشطر الثاني أن الشاعر عنى (أن صاحبته عروس جديدة الخضاب) أو أنه قد كنى به عن (غلبته على فؤاد الغانية الحديثة العهد بالزواج) فما كان الخضاب من زينة العروس فقط، بل هو من زينة المرأة التي تتخذها طيلة شبابها، وقد وضعت العرب وصفًا خاصًا لمن تكثر استعماله منهن، جاء في لسان العرب ١/ ٣٤٥: «والخُضَبَة، مثال الهُمَزَة، المرأة الكثيرة الاختضاب».

٢- ص ٣٠ وقال المُسْتَوْغِر بن ربيعة وقد سئم الحياة وطولها:

إِذَا مَا المَرْءُ صَمَّ فَلَمْ يُنَاجَىٰ وَأَوْدَىٰ سَـمْـعُـهُ إلا نِـدَايَـا

وَلَاعَبَ بِالعَشِيِّ بَنِي بَنِيهِ كَفِعْلِ الهِرَّ يَحْتَرِشُ العَظَايا

يُلاعُبُهم وَوَدُوا لَوْ سَقَوْه مِنَ الذِّيفَان مُتْرَعَةً مِلَايَا

فَلَا ذَاقَ النَّعِيمَ وَلَا شَرَابًا وَلَا يُسقَىٰ مِنَ المَرَضِ الشَّفَايَا

وكتب الأستاذ في شرح البيت الثاني: «حَرَشَ الضَّبَّ وَاحْتَرَشَه: أتى جحره فقعقع بعصاه أو بحجر، فإذا سمع الصوت حسبه دابة تريد أن تدخل عليه، فجاء يزحل على رجليه وعجزه، متهيئًا للقتال، ضاربًا بذنبه، فيناهزه الرجل فيأخذ بذنبه، فيشد عليه قبضته حتى ما يستطيع أن يفلت. والعَظَاء: جمع عَظَايَة، وهي المعروفة في مصر بالسحلية، ولا يريد أن فعله ببني بنيه كفعل الهر، بل أراد العكس: أن بني بنيه يفعلون به فعل الهر في احتراش العظاء وصيدها، يأتيها من هنا وهنا، ويمسكها مرة ويرسلها أخرى، وهذه عادة الصغار بأجدادهم إذا



عجزوا، وقد دخلت أعود شيخي رَحِمَهُ اللَّهُ سيد بن علي المرصفي، وقد كسرت ساقه، فلما رآني أنشدني هذه الأبيات، وذلك أنه كان علىٰ أريكة، فجاء ابنه الصغير، فظل يعاكسه فانقلب فوقع علىٰ الأرض، وكان ذلك أول سماعي للأبيات، فقرأتها عليه».

وما أخذه الأستاذ عن اللسان ٨ / ١٦٧ في معنىٰ حرش الضب واحتراشه، ليست بنا إليه حاجة في شرح هذا البيت، فإن احتراش الإنسان للضب غير احتراش الهر للعظايا، وحسبنا أن نقول في معنىٰ يحترش هنا: يصطاد. والشاعر يريد أن يقول: إنه يلاعب أحفاده، ويفعل معهم فعل الهر مع ما يصطاده من العظايا، فإنه إذا وثب عليه تلعب بها ساعة وربما خلىٰ سبيلها وأظهر التغافل عنها، فتمعن في الهرب، فإذا ظنت أنها نجت وثب عليها فأخذها ولعب بها ما شاء له مزاجه أن يلعب، وكذلك يفعل من يلاعب أحفاده من الجدود، فإنه يمشي علىٰ يديه وركبتيه يحاورهم من هنا ويداورهم من هناك، ولو كان الشاعر قد قصد إلىٰ أن بني بنيه يفعلون به فعل الهر في احتراش العظايا لقال في البيت الأول: (ولاعبه بالعشي بني بنيه) ولقال في البيت الثاني: (يلاعبونه وودوا لو سقوه) وقد جاء في اللسان ١٩/ ٣٠٢: «العَظَايَة: علىٰ خِلْقَة سَامِّ أبرص أُعَيْظم منها شيئًا، والجميع: عَظَايَا، وفي حديث عبدالرحمن بن عوف: كَفِعْلِ الهِرِّ يَفْتَرِسُ العَظَايَا».

٣- ص ١١٢: ذكر ابن سلام أن الشَّمَّاخ كانت عنده امرأة من بني سُلَيْم فنازعته وادعت عليه طلاقًا، وحضر قومها فأعانوها، واختصموا إلىٰ القاضي كثير بن الصلت، فرأىٰ عليه يمينًا فالتوىٰ ثم حلف وقال:

أَتَتْني سُلَيْمٌ قَضُّهَا وَقَضِيضُهَا ... تُمَسِّحُ حَوْلِي بِالبَقِيعِ سِبَالَها

يَقُولُونَ لِي: يَا احْلِفْ وَلَسْتُ بِحَالِفٍ ... أُخَاتِلُهُم عَنْهَا لِكَيْمَا أَنالَها

فَفَرَّجْتُ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحَلْفَةٍ ... كَمَا شَقَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلالَها



شرح الأستاذ البيت الأخير بقوله: «قال ابن قتيبة في كتاب المعاني الكبير ٨٤١: أي كما وطئت فرس شقراء علىٰ جلالها فخرجت منه، وكذلك خرجت أنا من هذه اليمين، والجِلَال كما يرىٰ ابن قتيبة: جمع جُل، وهو كساء تلبسه الدواب تصان به. وهذا عندي تفسير غير حسن، وأرىٰ أن الشقراء هنا: هي المرأة الحسناء البيضاء، ويعلو بياضها حمرة صافية. وجلال كل شيء: غطاؤه كالحجلة ونحوها. والحجلة: هي قبة العروس والعذارىٰ المقصورات، توضع عليها ثياب مزينة موشاة تسترها، وذلك أنهم كانوا طمعوا منه في اليمين التي تطلق بها المرأة، فلما أقبلوا يحثون: يا احلف، ويقول لهم: لست بحالف مرة وأخرىٰ وثالثة، يخادعهم حتىٰ يستيقنوا أنه لن يحلف، وأنه يعز عليه طلاقها، فلما استيقنوا ويئسوا أن يسمعوا اليمين خارجة من فيه، فرج كرب نفسه بهذه المرأة البغيضة، بيمين شقت يأسهم من سماعها، أرسلها عليهم فجأة واضحة بينة سريعة خاطفة، أذهلت السامعين، كما تذهل الناظرين سناء محجبة منيعة، قد يئس المترقبون من رؤيتها، فإذا بها تشق حجابها فجأة فتطيش أبصارهم لرؤيتها واضحة المحيا مشرقة الوجه».

والذي أراه أن تفسير ابن قتيبة هو التفسير الجيد، ولاسيما أنه يقول في بقيته: «أبو عمرو: (كَمِثْلِ جَوَادٍ قَدَّ عَنْهَا جِلَالَهَا)، وأبو عبيدة: (كَقَدِّكَ عَنْ مَتْنِ الجَوَادِ جِلَالَهَا).

ويريد الشماخ أن يقول: كشفت (هم النفس عني) أو (هم الموت) كما جاء في بعض الروايات بتلك اليمين الكاذبة، كما كشفت الفرس الشقراء ظهرها بشق جلها عنها.

أما تصور أنه أراد بالشقراء: المرأة الحسناء البيضاء، الواضحة المحيا، المشرقة الوجه فهو عندي لا يناسب هذا الجو الذي يموج بالخصام والشقاق، وتربص الطلاق، وما ينبغي أن يشبه أثر اليمين وإذهالها للسامعين في هذا المقام بإذهال الحسناء المحجبة للناظرين؛ تبدت لأنظارهم فجأة بعد طول ترقب وتنظر،



وإنما يشبه ذلك بالصاعقة، وانحدار السيل كما صنع الشماخ نفسه في بقية حديثه عن تلك الحلفة التي فرج بها هم نفسه:

بِصَاعِقَةٍ لَوْ صَادَفَتْ رَمْلَ عَالِجٍ ... وَرَمْلَ الغَنَا يَوْمًا لَهَالَتْ رِمَالَهَا

فَقَالُوا: أَعِدْهَا نَسْتَمِعْ كَيْفَ قُلْتَهَا ... فَقَالَ كُثَيِّرٌ: لَا نُحِلُّ عِلَالَهَا

وكما صنع بعض الشعراء حيث يقول:

سَأَلُونِي اليَمِينَ فَارْتَعْتُ مِنْهَا ... لِيُغَرُّوا بِذَلِكَ الانْخِدَاعِ

ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا كَمُنْحَدَرِ السَّيْلِ ... تَعَالَىٰ مِنَ المَكَانِ اليَّفَاعِ

٤- ص ٣٤٢ ذكر ابن سلام الأبيات التي قالها اللَّعِينُ المِنْقَرِيُّ، عندما قيل له اقض بين جرير والفرزدق، وقد ورد فيها هذا البيت:

وَيَتْرُكُ جَدَّه الخطَفَىٰ جَرِيرٌ ... وَيَنْدُبُ حَاجِبًا وَبَنِي عِقَالِ

وقال الأستاذ في شرحه: «يعني حاجب بني زرارة، وبه كان يفخر الفرزدق. وعقال بن محمد جد الفرزدق. ندب الميت: مدحه وَأَبَّنَه. ولم أعرف ما أراد اللعين».

والذي أراه في معنىٰ يندب هنا: يجرح أعراضهم بالهجاء، كما قال الشاعر:

نُبِّئْتُ قَافِيَةً قِيلَتْ تَنَاشَدَهَا ... قَوْمٌ سَأَتْرُكُ فِي أَعْرَاضِهِم نَدَبَا

وكأن اللعين يعجب في هذا البيت من جرير وتعرضه لهجو هؤلاء ونسيانه لمثالب جده الخطفىٰ.

٥- ص ٣٦٤ ذكر ابن سلام أبياتًا لجرير يهجو بها عمر بن لجأ أولها:

أَلَا سِوَانَا ادرَأتُم يَا بَنِي لَجَإٍ ... شَيْئًا يُقَارِبُ أَوْ وَحْشًا لَهُ غُرَرُ



وشرحه الأستاذ بقوله: «أدرأ الصيد: ختله بالدَّرِيَّة، وهي شيء يستر به، فإذا أمكنه الصيد رمىٰ. والأجود عندي أن يكون جرير اشتقه من الدريئة، وهي حلقة يتعلم عليها الطعن والرمي، فقال: ادرأه: أي اتخذه دريئة يتعلم عليها، يحط من ابن لجأ، ويجعله شويعرًا لم يسدد بعد. وقوله (شيئًا يقارب): أي مما تطيق أن تناله أيديكم. وفي الديوان والأغاني (لها غِرَرُ) بالغين المكسورة، جمع غِرَّة، وهي الغفلة، وليس بشيء، ورواية الطبقات أضبط: عَرَّه بمكروه يَعُرُّهُ عَرًّا، أصابه به، والاسم العُرَّة، والجمع عُرَر، وهي الأذىٰ والشر. ومنه مَعَرَّةُ الجيش وهي الأذىٰ الذي يلحقه بالناس والزرع. وفي المطبوعتين (بِهِ عُرَرُ) وهي لا تستقيم».

ولست أرىٰ رأي الأستاذ في أن جريرًا اشتق ادرأتم من الدريئة، وهي الحلقة التي يتعلم عليه الطعن والرمي، وأراه بعيدًا، والمعنىٰ الأول هو المراد، ويشعر به قوله (أَوْ وَحْشًا) وأحسب أن كلمة (عُرَرْ) بمعنىٰ الأذىٰ والشر تفيد وصف بني لجأ بالقوة، والشاعر يريد وصفهم بالضعف. وأما كلمة (غرر) بمعنىٰ الغفلة، فهي التي تدل علىٰ ذلك الضعف المراد، ومن ثم فإني أراها وحدها كلمة البيت التي تُتَمِّمُ معناه.

٦- ص ٥٥٣ أنشد ابن سلام للمتوكل الليثي:

إِنَّا أُنَاسٌ تَسْتَنِيرُ جُدُودُنا ... وَيَمُوتُ أَقْوَامٌ وَهم أَحْيَاءُ

قَدْ يَعْلَمُ الأَقْوَامُ غَيْرَ تَنَحُّلٍ ... أَنَّا نُجُومٌ فَوْقَهُم وَسَمَاءُ

وقال الأستاذ في شرحه: «نار وأنار واستنار ونور: أضاء. والجدود جمع جد، وهو الحظ والسعادة والغنىٰ والعظمة، ولو أراد الأجداد والآباء لكانا حسنًا».

وعندي أن الشاعر لم يرد إلا الآباء والأجداد، فهم الذين يستساغ له التمدح بإضاءة ذكرهم وسالف مآثرهم بعد دثورهم، وبذلك تصح مقابلة هذا الشطر بالشطر



الثاني (وَيَمُوتُ أَقْوَامٌ وَهُمْ أَحْيَاء)، وأما إرادة التمدح بالحظ و السعادة والغنىٰ والعظمة فشيء لا غناء له هنا، ولا يسوغ في مثل هذا المقام، ولا يتسق ذكره مع الشطر الثاني.

ولعل خير ما أنهي به هذه العجالة هو ذلك النص المنقول عن طبقات الشعراء، والذي ضل ذكره عن سائر طبعاته، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٤/ ٤٩٨ : «وقال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء: دخل الحطيئة علىٰ سعيد بن العاصي متنكرًا، فلما قام الناس وبقي الخواص، أراد الحاجب أن يقيمه فأبىٰ أن يقوم، فقال سعيد: دعه، وتذاكروا أيام العرب وأشعارها، فلما انتهوا قال الحطيئة: ما صنعتم شيئًا، فقال سعيد: فهل عندك علم من ذلك؟ قال: نعم.

قال: فمن أشعر العرب؟ قال: الذي يقول:

قَدْ جَعَلَ الْمُعْتَفُونَ الخَيْرَ فِي هَرِمٍ ... وَالسَّائِلُونَ إِلَىٰ أَبْوَابِهِ طُرُقَا

قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالمُلُوكُ كَوَاكِبٌ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

يعني زهيرًا، ثم النابغة، ثم قال: وحسبك بي إذا وضعت إحدىٰ رجلي علىٰ الأخرىٰ، ثم عويت في أثر القوافي كما يعوي الفصيل في إثر أمه.

قال: فمن أنت؟ قال: الحطيئة.

فرحب به سعيد وأمر له بألف دينار».

وبعد فهذه وجوه من الرأي رأيتها وهي لا تكاد تذكر إزاء العمل الضخم الذي قام به الأستاذ محمود محمد شاكر فاستحق عليه من كل ناطق بالضاد أجزل الثناء وأطيب الشكر.



نقد: كتاب (عيار الشعر) لابن طباطبا[1]

تحقيق: الدكتور طه الحاجري، والدكتور محمد زغلول سلام.

مطبوعة المكتبة التجارية سنة ١٩٥٦م، ١٢٨ صفحة

+ ٣ فهارس في ٢٤ صفحة، ومقدمة من أ- ي.

كتاب عيار الشعر من الكتب القديمة الجيدة التي تبحث في الشعر وأموره، وقد تصدىٰ لتحقيقه الأستاذان الحاجري وسلاّم فأخرجاه والناس أحوج ما تكون إليه.

وقد طالعتُ الكتاب، فوجدت فيه مالا يرضي، وإني مورد هنا بعضَ ما عثرتُ عليه من أوهام، وما ارتأيته من تصحيح أرجو أن يكون صوابًا أو باعثًا علىٰ معرفة الصواب:

١- تكلم ابن طباطبا عن القوافي الواقعة في مواضعها، المتمكنة في مواقعها، ثم قال (ص١٠٧): «. . . وكقول بشر:

فَمَا صَدْعٌ بِحَيَّةَ أَوْ بِشَرْجٍ ... عَلىٰ زَلَقٍ زَوَالِقَ ذِي كِهَافِ

تَزِلُّ اللَّقْوةُ الشَّغْواءُ عَنْهَا ... مَخَالِبُهَا كَأَطْرَافِ الأَسَافِي

بِأَحْرَزَ مَوْئِلًا مِن جَارِ أَوْسٍ ... إِذَا مَا ضِيمَ جِيرَانُ الضِّعافِ

فقوله: كأطراف الأسافي، حسنة الموقع».

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية، عدد شوال، سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، ص ١٦٤ .



وقد شرح الدكتوران البيت الثاني بقولهما: «اللقوة: الناقة، والشغواء: العقاب»!!!، وهذا شرح عجيب فكيف تكون (اللقوة) هنا الناقة؟ وكيف ترقىٰ هذه الناقة علىٰ قُلَّةِ جبل زلق، فتزل عنه؟ وهل للناقة مخالب؟ ولو قد جشما نفسيهما مؤنة الكشف عن معنىٰ كلمة (صَدْع) في كتاب من كتب اللغة، لتوصلا إلىٰ فهم معنىٰ الأبيات وإدراك ما فيهما من تصحيف.

فكلمة (الأسافي) مصحفة عن (الأشافي) بالشين المعجمة، وكلمة (بحية) مصحفة عن (بُخَبَّةَ)، و(خُبَّة): بضم أوله وتشديد ثانيه، بعده هاء التأنيث، مرتفع من أرض كلب؛ ذكره أبو عبيد البكري في (معجم ما استعجم) ٢: ٤٨٦، وأنشد شاهدًا عليه ببيت بشر بن أبي خازم هذا. والأبيات من قصيدة بشر المشهورة، التي أولها:

كَفَىٰ بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءِ كَافِ ... وَلَيْسَ لِحُبِّهَا إِذْ طَالَ شَافِ

وقد أوردها بأسرها ابن الشجري في مختاراته ٢: ٢٦-٢٨ . وشرحها الشيخ محمود حسن زناتي. وقال في شرح الأبيات الثلاثة (ص٢٨): «الصَدْع (بالتحريك، وتسكن داله): الفتىٰ الشاب القوي من الأوعال، و(خُبَّة): أرض ذات رمل بنجد، و(شَرْج): جبل، و(الزُّلَق): جمع زلوق، يريد بها: الجبال الملس، و(زوالق) توكيد لها، و(الكهاف): الغيران في الجبال، ومعنىٰ (تزل): تزلق، و(اللقوة) (بفتح اللام وتكسر) هي: العقاب، و(الشغواء): من العقبان: ما ركب منقاره الأعلىٰ الأسفل. . . و(الأشافي) جمع (إِشفَىٰ) بالكسر، وهو: ما يثقب به أو يخرز به».

٢- ذكر ابن طباطبا أمثلة لسَنَن العرب المستعملة بينها، والتي لا تفهم معانيها إلا سماعًا. ثم قال (ص٣٩): «وكزعمهم إذا أرادت جنية صبي قوم فلم تقدر عليه، من سِنِّ ثعلب أو سن هرة أو أشباه ذلك، فلما رجعت إلىٰ صواحباتها ضرطا



في ذلك، فقالت: كانت عليه نقرة، ثعالب وهررة، والحيض حيض السمرة. وحيض السمرة: شيء يسيل من السمرة في حمرة دم الغزال».

وهذا كلام مضطرب أشد الاضطراب، فيه سقط وتحريف، وتقديم وتأخير. وكان خليقًا بالناشرَيْن أن ينتبها إلىٰ هذا، وأن يتلبثا أمامه مليًا، وأن يراجعا بعض المراجع التي تعرضت لمثل هذا البحث، ففيها ما يوضحه ويهدي إلىٰ وجه الصواب فيه أو في بعضه.

قال الراغب الأصفهاني في محاضراته ١: ٩٤ (ط أولىٰ): «وقالوا: إذا خيف علىٰ الصبي النظرة، فعلق عليه سن ثعلب أو سن هرة؛ يسلم، وقيل: أرادت جنية صبيًا فلم تقدر عليه، فلما رجعت قيل لها في ذلك، فقالت:

كانت عليه نُفَرَة ثَعَالِبٌ وهِرَرَة

والحَيْضُ حَيْضُ السَّمُرَة

وحَيْضُ السَّمُرة: شيء يسيل من (السَّمُرة) وهي: شجرة يزعمون أن الجن يرهبون منها».

ويوضح القسم الأخير من الكلام ما جاء في شرح نهج البلاغة (٤/ ٤٤٢): «وكانت العرب إذا ولدت المرأة أخذوا من دَمِ السَّمُر وهو صمغه الذي يسيل منه؛ ينقطونه بين عيني النفساء، وخطوا علىٰ وجه الصبي خطًا، ويسمىٰ هذا الصمغ السائل من السمر: الدُّوَدِم، ويقال بالذال المعجمة أيضًا. وتسمىٰ هذه الأشياء التي تعلق علىٰ الصبي النفرات».

٣- قال ابن طباطبا في حديثه عن التشبيهات البعيدة (ص ٩٠): «وكقول النابغة الجعدي:



والصواب: (من الشَّيقَيْن حَلَّق مُسْتَقَاهَا). و (الشَّيقَان): جبلان أو واديان، كما نقل البكري في (معجم ما استعجم) ٣: ٨١٨، و (حلق): غار، و (مستقاها): ماؤها، كما في الموشح للمرزباني (ص٨٧).

٤- قال المؤلف في معرض حديثه عن حسن التخلص (ص١١٧): «وكقوله:

لَا وَالذِي سَنَّ لِلْمُدَامَةِ وَالمَا ... ءِ نِكَاحًا بِغَيْرِ تَطْلِيقِ

مَا مَقَلَتْ مُقْلَتَايَ أَسْمَعَ فِي العَا ... لَمِ مِنَ أَحْمَدَ بنِ مَسْرُوقِ»

والصواب: (وَالْ مَاءِ) و(أَسْمَحَ فِي الْ عَالَمِ).

٥- جاء في صفحة ١١٨: «وكقول البحتري:

سُقِيتْ رُبَاكِ بِكُلِّ نَوْءٍ عَاجِلٍ ... مِنْ وَبْلِه حَقًّا لَهَا مَعْلُومَا

والصواب: (جاعل) كما في الديوان ٢: ٢٤٣.

وفي الصفحة نفسها:

قُلْ لِدَاعِي الغَمَامِ لَبَّيْكَ وَاحْلُلْ ... عُقَلَ العيش، كَيْ تُجِيبَ الدُّعَاءَ

والصواب: (عُقَلَ العِيسِ)، كما في ديوان البحتري (٢: ١٣ ط مصر).

٦- في صفحة ١١٩: «وقول أبي تمام:

يُجَاهِدُ الشَّوْقَ طَوْرًا ثُمّ يُتْبِعُهُ ... مُجَاهِدَاتِ القَوَافِي فِي أَبِي دُلَفِ

والرواية: (فِي أَبِي دُلَفَا) كما في ديوان أبي تمام ٢: ٣٦٢ ط المعارف.

٧- أورد ابن طباطبا (ص ٥٩ - ٦٠) أبياتًا للفرزدق في رثاء ابنيه، فيها تحريف كثير كان يمكن للناشرين إصلاحه لو رجعا إلىٰ الديوان (ص ٨٥٨).

ومن ذلك قوله:



وَمَحْفُورَةٍ لَا مَاءَ فِيهَا مَهِيبَةٍ لغمىٰ بِأَعْوَادِ المَنِيَّةِ بَابُهَا

وفي الديوان: (يُغَطَّىٰ بِأَعْوَادِ)، ولعل أصل ما هنا: (يُغَمَّىٰ).

ومنها:

أَنَاخَ إِلَيْهَا ابْنَايَ ضَيْفَيْ مَقَامَةٍ إِلَىٰ عُصْبَةٍ لَا تُسْتَعَار ثوابُها

وفي الديوان: (مَا تُسْتَعَارُ ثِيَابُهَا).

ومنها:

وَمَا زِلْتُ أَرْمِي الحَرْبَ حَتَّىٰ تَرَكْتُهَا كَسِيرُ الجَنَاحِ مَا تَدُقُّ عُقَابُهَا

وفي الديوان: (ما تَدِفُّ).

ومنها:

إِذَا ذُكِرَتْ أَسْمَاؤُهُمْ أَوْ دَعَوْتَهُم تَكَادُ حَيَازِيمِي تَفرَّ صِلَابُهَا

وفي الديوان: (أَوْ دُعُوا بِهَا) و(تفرَّىٰ).

٨- في صفحة ٢٥: «وأما تشبيه الشيء بالشيء حركة وسرعة وبطئا، فكقول الراعي:

كَأَنَّ يَدَيْهَا بَعْدَ مَا انْضَمَّ بُدْنَهَا وَصَوَّبَ حَادٍ بِالرِّكَابِ يَسُوقُ

والصواب: (وَصَوَّتَ حَادٍ)، وصدر البيت غير واضح المعنىٰ في ذهني.

٩- في صفحة ١٢٨: «كقول القائل:

وَفِي أَرْبَعٍ مِنِّي حلَتْ مِنْكَ أَرْبَعٌ فَإِنْ أَنَا دَارَيْتُهَا هَاجَ بِي كَرْبِي

أَوَجْهُكِ فِي عَيْنِي؟ أَمِ الرِّيقُ فِي فَمِي أَمِ النُّطْقُ فِي سَمْعِي؟ أَمِ الحُبُّ فِي قَلْبِي؟

وفي الشطر الثاني من البيت الأول تحريف أفسد المعنىٰ، الصواب فيه - كما أحفظه - (فَمَا أَنَا دَارٍ أَيُّهَا هَاجَ لِي كَرْبِي).

١٠- في صفحة ٧٥، ورد في أبيات لأحمد بن أبي طاهر قوله:

إِذَا الرِّجَالُ طَغَوْا أَوْ إِذْ هُمُ وَعَدُوا بِالأَمْرِ، رُدَّ عَلِيهِ الرَّأْيُ وَالنَّظَرُ

وفي ديوان المعاني (١ : ٤٩):

إِذَا الرِّجَالُ طَغَتْ آرَاؤُهُم وَعَمَوا بِالأَمْرِ، رُدَّ إِلَيهِ الرَّأْيُ وَالنَّظَرُ

فهذه نماذج من الأخطاء المبثوثة في هذا الكتاب القيم، وكنت أوثر للأستاذين الناشرين أن يبذلا في نشر هذا الكتاب فوق ما بذلاه، وأن يأخذا نفسيهما بشيء من الريث والأناة، وأن يصبراها علىٰ بعض ما يتطلب التحقيق من الجهد والتدقيق. ليخرج الكتاب قويمًا سليمًا، أو أقرب ما يكون من السلامة التي تركه عليها مؤلفه. ولكنهما قد ركنا إلىٰ العجلة، وآثرا العافية. فخرج الكتاب وفي كثير من نصوصه استغلاق واستعجام. وهما - إلىٰ ذلك - لم يحاولا أن ييسرا علىٰ القارئ قراءته بضبط ما يدق ضبطه، وشرح ما يغمض شرحه، وإن عمدا إلىٰ شرح - وقليلًا ما يكون هذا - فإنهما يشرحان اللفظ المعروف المألوف. وقد وضعا كثيرًا من العناوين - التي تعوزها الدقة - في غير مواضعها، وأهملا في الفهرس ذكر بعض الأبحاث التي افتخر المؤلف بأنه لم يسبقه إليها أحد.

وأيًا ما كان صنيعهما فلهما الشكر الوافر، وليجدا في نقداتي آية تعاون علمي صادق، فلن يبلغ نشر الكتب مبلغه من الصحة والدقة المثلىٰ، إلا بالتعاون الوثيق بين الناشرين والناقدين.



نقد: كتاب (الإبانة عن سرقات المتنبي) لمحمد بن أحمد العُمَيْدِي بتحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي[1]

وهذا كتاب ساء حظه في طبعه قديمًا وحديثًا، وليس بغريب أن تكون طبعته القديمة رديئة، لأن ناشرها (نخلة قلفاط) وراق ليس له نصيب من علم.

إنما الغريب حقًا أن تكون طبعته الحديثة شوهاء ممسوخة، وناشرها الأستاذ إبراهيم الدسوقي البساطي، كان المفتش الأول للغة العربية بوزارة التربية والتعليم.

ومن الإنصاف أن نقول: أن الأستاذ قد جرد طبعته من الأخطاء البسيطة الظاهرة التي جاءت في الطبعة الأولىٰ، وأبقىٰ علىٰ الأخطاء الغليظة المنكرة، وأضاف إليها ما هو أغلظ منها وأشد نكرًا، ورأىٰ أن يشرح بعض الأبيات فجاءت شروحه وهي بكرة الدهر ضلالًا عن حق المعنىٰ، وإيغالا في طمس معالمه اللاحبة، وذهابًا في تيه الخلط والخبط إلىٰ أبعد مدىٰ تبلغه قدرة إنسان يحرص علىٰ الفوز منهما بأعظم حظ وأجزل نصيب.

ولقد كان الأستاذ جريئًا في إقدامه علىٰ نشر هذا الكتاب وهو لا يعرف مبادئ النشر ولا أصول التحقيق. وليس له بصر بالكتب ولا معرفة بألوانها ولا إدراك لما تشتمل عليه من صنوف المعرفة، ثم هو إلىٰ ذلك ليس له من نفاذ البصيرة، ولا من سلامة الذوق، ولا من رجاحة العقل ما يمكنه من تمييز الخطأ من الصواب، ولكنه بالغ الجرأة علىٰ العلم وعلىٰ ما لا يعلم، يرىٰ الرأي الفطير فيحكم بصحته ولا

(١) مجلة المجلة، عدد ٧٣، سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م. وكتاب الإبانة المنقود هو الكتاب رقم ٣١ ضمن سلسلة ذخائر العرب التي تصدرها دار المعارف بمصر، الطبعة الأولىٰ، ١٩٦١م.



يستشير غير هواه، وتهجس في نفسه الفكرة العابرة فيحسب أنها الحق الذي لا مرية فيه، ولا يقيم وزنًا لحجج العقل ولا أدلة النقل، فالقول ما قاله وفق مزاجه، والحق ما رآه بعين هواه.

ومن أجل ذلك كله خرج الكتاب من بين يديه جامعًا لألوان الوهم والخطأ، شاملًا لجميع مثالب النشر ومساوئ التحقيق، ففيه التحريف المستبشع، والتصحيف المستنكر، والشرح الذي يحيل المعنىٰ ويفسد الفكرة، وفيه النقص الكثير الذي لا يستقيم أمر المعنىٰ إلا علىٰ وجوده، وهذا مفرق في صفحات الكتاب، وهناك نقص أخطر من هذا وأبشع جرمًا، لست أعلم له من سبب غير الغفلة والاستهتار وانعدام الأمانة.

إن هذه الطبعة من كتاب (الإبانة) تنقص عن أصلها المخطوط أربع عشرة صفحة متتابعة، وهي التي زعم محققها - أو بالأحرىٰ مفسدها - أنه قد راجعها علىٰ جميع المخطوطات: «حتىٰ صار الكتاب أقرب إلىٰ الصواب وأدنىٰ من الكمال»!!!

وسأذكر من المثل والشواهد ما يؤيد كل حرف قلته عنه أو وصفته به، وسيبين منه بإذن الله أني كنت فيما قلته عنه من المقتصدين، وأنه خليق بما هو أكثر من ذلك:

١- جاء في صفحة ٩٨: «المياس العابدي واسمه مهر بن النعم، مخضرم».

وكذلك جاء في الطبعة الأولىٰ، والصواب كما جاء في مخطوطة الجامعة التي اعتمد عليها الناشر في تصحيح الكتاب كما زعم: «مَقَّاسُ العَائِذِي واسمه مُسْهِرُ بنُ النُّعْمِان». راجع تاج العروس ٤-٢٤٩، ونسب قريش ١٤١، وخزانة الأدب ٣-٨١، والإصابة ٦-١٧٤.



٢- ص ٧٢: «المهير بن العبدي جد أبي هفان»، وعلق عليها الأستاذ الناشر بقوله: «في الأصل (لمهر) وفي المطبوعة والنسخة ١ (مهير)، وسقط في النسخة ٢، وغير واضح في نسخة الجامعة».

وهذا غير صحيح فنسخة الجامعة (لوحة ٣٤أ) فيها: (مِهْزَم العبدي) في غاية النصاعة والوضوح، وقد ورد فيها أيضًا (لوحة ٦٥ب): (أبو هَفَّان المِهْزَمِي العبدي) واضحة مشكولة بالحركات، ولكن الأستاذ لا يراجع، وآية ذلك سقوط هذا النص الأخير من طبعته: جاء في اللباب لابن الأثير ٣-١٩٤: «المِهْزَمِي - بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الزاي وفي آخرها ميم - هذه النسبة إلىٰ مِهْزَم، واشتهر بهذه النسبة أبو هَفَّان عبدالله بن أحمد بن حرب المهزمي، الشاعر...».

٣- ص ٨٧: «لأبي نُخَيلة السعدي وهو الملقب بأبي الجنيد وأبي الفراس». وكذلك ورد في الطبعة الأولىٰ ص ٥٧ .

والصواب - كما جاء في المخطوطة لوحة (٣١ أ): «وأبي العِرْمَاس». وانظر الأغاني ١٨-١٣٩، والخزانة ١-٨٠ .

٤- ص ٤٢ في معرض حديثه عن المتنبي: «وهو يعيد هذا المعنىٰ في مواضع كثيرة وأعاده في مواضع شتىٰ بألفاظ مختلفة تنبئ علىٰ قدرته في الكلام وقوته علىٰ إبداع النظام وبينهما بون».

وكذلك جاء في الطبعة الأولىٰ ص ٢١، والصواب ما جاء في المخطوطة: «وهو يعيد هذا المعنىٰ في مواضع كثيرة، ويستحليه، مثل ابن الرومي إذا استغرب معنىٰ كرره وأعاده في مواضع شتىٰ بألفاظ مختلفة تنبئ علىٰ قدرته علىٰ الكلام وقوته علىٰ إبداع النظام، ولكن بينهما بون».

٥- ص ٦٥: «لأبي الهندي الرِّيَاحِي:



لَا تَغْبِطَنَّ ذَلِيلًا فِي مَعِيشَتِهِ	فَالمَوْتِ أَهْوَنُ مِنْ عَيْشٍ عَلَىٰ مَضَضِ
لَا يُوجِعُ الصَّخْرَ نَحْتُ المَرْءِ جَانِبَهُ	وَلَا مِنَ الذُّلِّ ذُو لُبٍّ بِمُمْتَعِضِ

قال المتنبي:

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ	رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ
مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ	مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ

لم يستحل المتنبي أن يسرق بيتًا واحدًا فشفعه بآخر شرِهًا».

ومعاذ الذوق أن يكون أبو الهندي قد قال: (وَلَا مِنَ الذُّلِّ ذُو لُبٍّ بِمُمْتَعِضِ)، وإنما قال ما يقره العقل السليم وهو: (وَلَا مِنَ الذُّلِّ ذُو لُؤْمٍ بِمُمْتَعِضِ) كما جاء في المخطوطة.

٦- جاء في مقدمة الكتاب ص ١٩ س ٥: «فلا نقيصة عندي أقبح سمة من اغترار الإنسان بجهله، ولا رذيلة أبلغ وصمة من إنكار فضيلة من يقع الإجماع علىٰ فضله».

وفي صورة المخطوطة التي نشرها الأستاذ في مقدمته: «ولا رذيلة لدي أبلغ وصمة من إنكار من (وقع) الإجماع علىٰ فضله». وفي الصفحة نفسها: «والظلم قبيح وهو من الحكام أقبح وأشنع، وجحود الفضل سخف وهو من الفضلاء أسخف وأفظع، ومن لم يتميز من العوام بمزية تَقَدُّمٍ وَتَخَصُّصٍ، سلق المحسنين بلسان ذم وتنقص». وبالنظر في الصورة المنشورة نرىٰ أن (من العوام) ليست فيها وقد علق الناشر علىٰ كلمة (سلق) بقوله: «جميع النسخ ساق، وفي الصبح والمطبوعة سلق»، وهذا غير صحيح ففي الصورة السابقة لصفحة المخطوطة نجد فيها (سلق) لا (ساق)!!.



٧- ص ٢٠: «ولقد جرىٰ يومًا حديث المتنبي في بعض مجالس أحد الرؤساء فقال أحد حاملي عرشه: سبحان من ختم بهذا الفاضل الفحول من الشعراء وأكرمه، وجمع له من المحاسن ما بعثره في كل من تقدمه».

وعلق الناشر علىٰ العبارة الأخيرة بقوله: «وردت هذه العبارة في جميع النسخ مضطربة غير واضحة، ولعل ما كتبناه هو الصحيح الذي يستقيم به المعنىٰ، وهو قريب من عبارة الأصل. وفي الصبح: (وجعل له من المحاسن ما فضل به كل من تقدمه) وهو قريب مما أثبت».

وفي الطبعة الأولىٰ ص ٤: (وجمع له من المحاسن ما لم يعثره فيه). وهو قريب من رسم الصواب الذي جاء في المخطوطة لوحة ٣-أ: (ما لم يعشره فيها)! ويؤيده ماجاء في الأساس ٢-١١٨: (فلان لا يعشر فلانًا ظرفًا: أي لا يبلغ معشاره).

٨- ص ٨٢: «أبو تمام:

أَيَا وَيْلَ الشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ وَيَا لِلدَّمْعِ مِنْ إِحْدَىٰ بَلِيِّ

لمحة بن أبي الرعد، وقد كان ينتحل شعر ابن الرومي أيام حياته ويتكسب به، وابن الرومي يهجوه دائمًا ويسبه، فقال في قصيدته التي يذكر فيها حديث صاحب الزنج:

لَقَدْ عَاوَدَ الجَفْنَ العَلِيلَ سُبَاتُ وَنِيلَتْ مِنَ القَوْمِ اللِّئامِ تِرَاتُ

فَسَاقَ إِلَيْهِ اللهُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ شُجَاعًا لَهُ يَوْمَ الفِرَارِ ثُبَاتُ

فَجَرَّعَهُ كَأْسًا مِنَ المَوْتِ مُرَّةً وَفِي قَتْلِهِ لِلْعَالَمِينَ حَيَاةُ



وأبو تمام والبحتري سبقا إلىٰ هذا المعنىٰ في قصائد كثيرة تعريضًا لا تصريحًا. وللناشئ وهو أوضح وأفصح من قصيدة:

إِلَيْكُم بَنِي العَبَّاسِ عَنِّي فَإِنَّنِي ... إِلَىٰ اللهِ مِنْ مَيْلِي إِلَيْكُم لَتَائِبُ

تَرَكْتُمْ طَرِيقَ الرُّشْدِ بَعْدَ اتِّضَاحِهِ ... وَأَقْصَتْكُمُ عَنْهُ ظُنُونٌ كَوَاذِبُ

سَيَظْفَرُ أَهْلُ الحَقِّ بِالحَقِّ عَاجِلًا ... وَتُبْعِدُكُم سُمْرُ القَنَا والقَوَاضِبُ

أَتَرْضَوْنَ أَنْ تُطْوَىٰ صَحَائِفُ عُصْبَةٍ ... كِرَامٍ لَهُمْ فِي السَّابِقِينَ مَرَاتِبُ

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ التُّرَاثَ تُرَاثُهُم ... وَهُمْ أَظْهَرُوا الإِسْلَامَ وَالكُفْرُ غَالِبُ

فَلَا تَذْكُرُوا مِنْهُمُ مَثَالِبَ إِنَّمَا ... مَثَالِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ مَنَاقِبُ

قال المتنبي:

بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا ... مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ»

وهكذا جاء في الطبعة الأولىٰ ص ٥٣: (لمحة ابن أبي الرعد) وهو خطأ ساذج كان في مكنة الناشر لو فهم معنىٰ الكلام أن يصلحه ولو لم يأت في المخطوطة صحيحًا، فما بالك وقد ورد فيها علىٰ حقيقته: (لَمَحَهُ ابنُ أبي الرعد). وبقي أن أقول للأستاذ: لمح فعل ماض مبني علىٰ الفتح فلا محل له من الإعراب، وإن سياق الكلام علىٰ ذلك سليم: (لمحه بن أبي الرعد.. فقال)، ولا يستقيم المعنىٰ علىٰ أن (لمحة) اسم كما فهم الأستاذ وسجل علىٰ نفسه هذا الفهم الخاطئ، فقال في الفهرس ص ٢٧٣: (بين لمحة بن أبي الرعد والنَّاشِئ)!!!

٩- ص ١٣٧: «أبو ضمضم سعيد بن ضمضم الكلابي:

وَإِنِّي لَأَرْوِي المَشْرَفِيَّاتِ وَالقَنَا ... إِذَا ضَاقَ رِزْقِي مِنْ دِمَاءِ العَبَاهِلِ



لِعِلْمِي بِأَنَّ الدَّهْرَ يَحْرِمُ فَاضِلًا مُنَاهُ وَيُعْطِي سُؤْلَهُ غَيْرَ فَاضِلِ

قال المتنبي:

وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالنَّاسِ رَوَّىٰ رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ».

وعلق ناشر آخر الزمان علىٰ البيت الأول بقوله: «إبل عباهل: مهملة»!!!، وعلىٰ هذا يكون معنىٰ البيت كما شرحه الأستاذ الكبير: إذا ضاق رزقي أرويت سيوفي ورماحي من دماء الإبل المهملة في أرض الله، وإنما أفعل ذلك بالإبل لعلمي بأن الدهر يحرم الفضلاء أمثالي من أمانيهم ويحقق رغائب غير الفضلاء من الإبل المهملة فيمنحها الحشيش والرتعة ويعفي ظهرها من البردعة!.

إن العباهلة الذين يمتدح الشاعر العاقل بإرواء سيوفه ورماحه من دمائهم: هم الذين لا يد لأحد عليهم، وهم ملوك اليمن، ولو قد رجع الأستاذ إلىٰ لسان العرب لألفىٰ أول كلمة في مادة (عَبْهَل): «في كتاب سيدنا رسول الله ﷺ لوائل بن حجر ولقومه: من محمد رسول الله إلىٰ الأَقْيَال العَبَاهِلَة من أهل حضرموت. قال أبو عبيد: العباهلة: هم الذين أقروا علىٰ ملكهم لا يزالون عنه... وقال الجوهري: عباهلة اليمن ملوكهم الذين أقروا علىٰ ملكهم...».

وفي النص السابق نكتة أخرىٰ أتىٰ بها الناشر، فقد علق علىٰ اسم الشاعر بقوله: «هكذا، وضبطه المرزباني: محمد بن سعيد وله ترجمة في الذيل».

فإذا رجعنا إلىٰ ذيل الأستاذ قرأنا فيه ص ١٩٢: «محمد بن سعيد بن ضمضم بن الصلت الكلابي، شاعر فصيح أعرابي، مدح عبدالله بن طاهر ورثاه بعد وفاته، وبقي إلىٰ الثمانين والمائتين». وإذا رجعنا إلىٰ معجم الشعراء للمرزباني ص ٤١٩ وجدنا فيه: «محمد بن سعيد بن ضمضم بن الصلت بن المثنىٰ بن المحلق،



أبو مهدي الكلابي، هو شاعر، وأبو أبيه ضمضم شاعر، ومحمد شاعر فصيح أعرابي مدح عبدالله بن طاهر ورثاه بعد وفاته وبقي إلىٰ قبيل الثمانين والمائتين، وهو القائل:

لَيْسَ الذِي حَلَبَ الأَيَّامَ أَشْطُرَهَا كَمِثْلِ مَنْ كَانَ مِنْ تَجْرِبِهَا غُمْرًا»

من هذا النص يستبين لنا أن الناشر قال غير الصدق عندما زعم أن المرزباني ضبط اسم الشاعر: (أبو ضمضم سعيد بن ضمضم)، بأنه: (محمد بن سعيد بن ضمضم) وأنه دلس بحذف كنية الشاعر الذي ترجم له المرزباني (أبو مهدي الكلابي) ليكون هو نفسه: (أبو ضمضم سعيد بن ضمضم الكلابي)!!

١٠- ص ١٥٣: «مروان بن سعد بن غلام الخليل بن أحمد:

ما للصِّوَارِ رَحَلْنَ عَنْ عَرَصَاتِهَا وَتَرَكْنَهَا وَقْفًا عَلَىٰ غِزْلَانِهَا

إِنَّ الجِيَادَ عَرَفْنَ مَعْهَدَ دَارِهَا فَصَهَلْنَ بَاكِيَةً عَلَىٰ سُكَّانِهَا

قال المتنبي:

مَرَرْتُ عَلَىٰ دَارِ الحَبِيبِ فَحَمْحَمَتْ جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الجِيَادَ المعاهدُ»

قال الناشر في شرح البيت الأول: «الصوار ككتاب وغراب: القطيع من البقر»!!، أترىٰ الشاعر كان يهيم ببقرة يأتيها في مجالها ليمتع نظره بجمالها وهي تخطر بين لداتها، فلما رحلت وشاقه الحب إلىٰ أن يلم بربعها هاله أن الغزلان قد حلت محل الأبقار في عرصات الدار، فتساءل متعجبًا:

مَا لِلصِّوَارِ رَحَلْنَ عَنْ عَرَصَاتِهَا وَتَرَكْنَهَا وَقْفًا عَلَىٰ غِزْلَانِهَا

وإلا فكيف قال الناشر أن الصوار هنا هو قطيع الأبقار؟ ولست أدري كيف ساغ له ذلك التصوير الشاذ؟ أما كان في استنكار الذوق العام ما يردعه عن التفكير في



هذا المعنىٰ ويدعوه إلىٰ مراجعة المخطوطة لعله يجد فيها مخرجًا من ذلك المأزق الحرج؟!

إنه لو فعل لقرأ في (لوحة ٤٤ ب): (مَا لِلْحِسَانِ رَحَلْنَ عَنْ عَرَصَاتِهَا)، و(الحسان) هنا وحدها هي التي تسيغها الفطر السليمة، وأما (الأبقار) فلا وإن استساغها الأستاذ، واسم الشاعر في المخطوطة: (مروان بن سعيد) لا (ابن سعد) ويؤيدها ما جاء في بغية الوعاة ص ٣٩٠ .

١١- ص ١٧٠ : «أبو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب:

أَرَاقَ دَمِي رَبْعٌ بِذَاتِ الأَثَارِبِ   وَهَيَّجَ أَشْوَاقِي مَسِيرُ الرَّكَائِبِ

عَفَتْهُ المَهَارَىٰ القُودُ لما سَرَت بهم   وَلَمْ تُعْفِهِ أَيْدِي الرِّيَاحِ اللَّوَاعِبِ

قال المتنبي:

أَيَدْرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا   وَأَيَّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا

وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلًّا   عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمُ وَسَاقَا

علق الناشر علىٰ قول الزبير: (عَفَتْهُ المَهَارَىٰ) بقوله: «المهارىٰ جمع مهرية: إبل في حي مهرة بن حيدان، وعفت الإبل المرعىٰ: تناولته قريبا»!! وعلق علىٰ قوله (ولم تعفه) بقوله: «عفا المنزل يعفو: درس، وعفت الريح يستعمل لازمًا ومتعديًا».

وما كان الزبير بن بكار بالشاعر الذي لا يدري ما يخرج من رأسه حتىٰ يقصد إلىٰ هذه المعاني المتناقضة المتضاربة، وما كان معنىٰ البيت بالعويص الغامض حتىٰ يعرض له الناشر بالشرح ويخبط في معناه هذا الخبط العجيب، ولو قد تدبر معنىٰ ما ينقل لعلم أن معنىٰ البيت قد تكفل المتنبي ببسطه وتوضيحه إذ يقول:



وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمُ وَسَاقَا

١٢- ص ١٣٣: «لأبي عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله ابن مصعب:

شُجَاعٌ لَهُ فِي الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ عَادَةٌ تَعَدَّدَهَا لَا فِعْلُهُ خِيفَةُ العَذْلِ

يَرَىٰ العَارَ جُبْنًا وَالفِرَارَ فَضِيحَةً وَلَيْسَ يُبَالِي بِالمَنِيَّةِ وَالقَتْلِ

والصواب كما جاء في المخطوطة (لوحة ٥٣): (وَالضَّرْبِ عَادَةٌ تَعَوَّدَهَا) و(يَرَىٰ الجُبْنَ عَارًا).

علىٰ أني لم أورد هذا النص لهذا التصويب بل لشيء أبعد منه خطرًا؛ ذلك أن الناشر رأىٰ في قول المؤلف: (لأبي عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب) خطأً شنيعا، فعلق عليه بقوله: «هكذا، وضبطه المرزباني: عبدالله بن الزبير»، اكتشاف خطير، وتحقيق دقيق لخطأ شائع في القديم والحديث، لم يدر بخلد أحد من الباحثين. وهل درىٰ أحد بأن (أبا عبدالله الزبير بن بكار) بهذا الرسم خطأ ضبطه المرزباني وصححه بأنه (عبدالله بن الزبير)؟!

أيعقل الناشر ما يقول؟ كلا فإن المرزباني لم يقل شيئًا من ذلك الخبط العجيب، بل ليس في القطعة الموجودة من كتابه معجم الشعراء ترجمة لأبي عبدالله الزبير بن بكار، ولا لعبدالله بن الزبير، وإنما ورد اسم عبدالله بن الزَبِير -بفتح الزاي- أثناء ترجمة عُمَيْر بن ضَابِئٍ البُرْجُمِي الذي ضرب الحجاج عنقه ص ٧٣: «وفيه يقول عبدالله بن الزبير:

تَجَهَّزْ فَإِمَّا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِئٍ عُمَيْرًا وَإِمَّا أَنْ تَزُورَ المُهَلَّبَا

هُمَا خُطَّتَا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا



وورد اسمه مرة أخرىٰ في ترجمة مُطَيْرِ بنِ الأَشْيَم ص ٤٣٩ : (وهو عم عبدالله بن الزبير الأسدي الشاعر)، فمن أين أتىٰ الناشر بهذا الضبط المزعوم؟ لست أدري ولا المنجم يدري. ويقتضينا الإنصاف للناشر أن نقول: إن ذلك الحكم السريع والتحكم المريع هما من إرث وظيفته كمفتش للغة العربية، فقد اعتاد أن يقرأ النص في الكراس ثم يكتب عليه فورًا: (الصحيح كذا)، وليس هناك من حاجة إلىٰ الاستدلال، لأن قول المفتش هو الصواب وإن خالف كل كتاب، وإن لم يكن هذا التعليل صحيحًا فبماذا نعلل تحكمه الغريب في النص الآتي:

١٣- ص ٣٢: (أبو بكر النحوي المعروف ببُرْمَة) قال الناشر: «برمة وردت هكذا والصحيح عرفة»!! وورد هذا التعبير أيضًا في ص٨٤ وعلق عليه بقوله: «ورد اسمه في نسخة الجامعة أيضًا برمة» ثم ورد في ص١٢١ أيضًا وعلق عليه الناشر بقوله: «هكذا وصحته: المعروف بعرفة».

إصرار علىٰ التخطئة في إثر إصرار، وتأكيد للتصويب بعد تأكيد، والقارئ لهذا لا ريب في أنه سيحكم بأن الأستاذ لم يقل ذلك إلا بعد التثبت والمراجعة للمراجع الموثوق بها، ولكن شيئًا من ذلك كله لم يكن، وإنما الذي كان أن الأستاذ المفتش قرأ (برمة) فلم ترق في نظره فحكم بخطئها، وهجس في نفسه أن أصلها (عرفة)، فحكم بصحته فورًا، ولا عليه بعد ذلك أن تكون جميع المراجع قد أجمعت علىٰ أن لقبه (برمة) لا (عرفة)، فالقول ما قالت حذام، بقوة المنصب وحكم العادة. أما قول العلم والعلماء فعكس ذلك: جاء في تاريخ بغداد ٢ - ١٣٢: «محمد بن جعفر الصيدلاني، صهر أبي العباس المُبَرَّد علىٰ ابنته، ويلقب (برمة) كان أديبًا شاعرًا». وكذلك ورد في أنباه الرواة ٣ - ٨١، ومعجم الأدباء ١٨ - ٩٥، وبغية الوعاة ٢٩، ومعجم الشعراء ٤٢٤ .

١٤- ومن أمثلة الحكم بالمزاج ما جاء في ص ٧٧: «ابن المعتز:



وَأَرَىٰ الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا ... خُرُدٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حِدَادِ

للمُعَوَّجِ الرَّقِّي:

كَأَنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ حِينَ لَاحَتْ ... نَوَائِحُ وَاقِفَاتٌ فِي حِدَادِ

قال المتنبي:

كَأَنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ فِي دُجَاهَا ... خَرَائِدُ سَافِرَاتٌ فِي حِدَادِ

علق الناشر علىٰ بيت ابن المعتز بقوله: «في جميع النسخ (قَدَمٌ)، ولا معنىٰ لها، والصحيح ما ذكرناه».

و(قَدَمٌ) التي جاءت في جميع نسخ الكتاب والتي قال الناشر: أنها لا معنىٰ لها، هي رواية الديوان الصحيحة ٣/ ٧٣، ورواية أسرار البلاغة ٨٥، وقال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ١/ ٢٦٣ في الفصل الذي عقده لأحسن ما قيل في الثريا: «وشُبِّهَت بِالقَدَمْ، قال ابن المعتز:

قُمْ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحْ بِسَوَادِ ... قَدْ كَادَ يَبْدُو الصُّبْحُ أَوْ هُوَ بَادِ

وَأَرَىٰ الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا ... قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حِدَادِ

وجاء في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢/ ٢٣٥: «وشبه ابن الرومي الثريا فقال وذكر شَعْرَ امرأة:

تَغْشَىٰ غَوَاشِيَ قُرُونِهَا قَدَمًا ... بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ مُقْتَدِرَهْ

مِثْلَ الثُّرَيَّا إِذَا بَدَتْ سَحَرًا ... بَعْدَ غَمَامٍ وَحَاسِرٍ حَسَرَهْ

فأخذه ابن المعتز فقال:

وَأَرَىٰ الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا ... قَدَمٌ تَبَدَّتْ مِنْ ثِيَابِ حِدَادِ»

١٥- ص ١٠٦: «العلي بن عاصم الأصفهاني الكسروي:

قَارَعْتَ دَهْرَكَ فَاسْتَرْجَعْتَ مَا عَصَبَتْ ... أَيَّامُهُ وَأَعَدْتَ المُلْكَ مُنْتَظِمَا

وَإِنَّ أَرْضًا مِنَ الأَنْوَاءِ قَدْ نَهِلَتْ ... عَلَلْتَهَا مِنْ رُؤُوسِ الجَاحِدِينَ دَمَا

ولجَعْدِ الرَّقَاشِي أحد الشُّرَاة:

وَأَعْجَبُ مِنْ أَرْضٍ سَقَاهَا حُسَامُهُ ... وَلَمْ تَرْوِ يَوْمًا مِنْ عَزَالَىٰ السَّحَائِبِ

رأىٰ الناشر أن كلمة (الأصفهاني) محرفة فعلق عليه بقوله: «هكذا في الأصل، وفي سائر النسخ: لعلي الأصبهاني، وهو الصحيح». ومن المعلومات العامة أن أصفهان لغة في أصبهان، وليست خطأ كما زعم الأستاذ. وصواب شعر جَعْدٍ الرَّقَاشِي كما جاء في المخطوطة:

وَأَعْجَبُ مِنْ أَرْضٍ سَقَاهَا حُسَامُهُ ... دَمًا كَيْفَ لَمْ تُنْبِتْ طَلًا وَجَمَاجِمَا

وله أيضًا:

رَوِيَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ جُرُزُ الأَرْ ... ضِ وَلَمْ تَرْوَ مِنْ عَزَالَىٰ السَّحَائِبِ

١٦- ص ٣٠: «محمد بن أبي زرعة الدمشقي، كان في أيام ديك الجن، له من قصيدة:

أَسْقَمَنِي طَرْفُهُ وَحَمَّلَنِي ... مِنَ الهَوَىٰ ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَآزِرُهُ»

وهذا البيت ملفق من شعرين، فصدره لمحمد بن أبي زرعة وعجزه للمتنبي، وتمامهما كما يلي:

أَسْقَمَنِي طَرْفُهُ وَحَمَّلَنِي ... هَوَاهُ ثِقْلًا كَأَنَّنِي كِفْلُهُ

المتنبي:



أَعَارَنِي سُقْمَ عَيْنَيْهِ وَحَمَّلَنِي ... مِنَ الهَوَىٰ ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَآزِرُهُ

١٧- ص ١٦١: «صاحب الزنج أو غيره منحولًا إليه:

بِبِيضِ الصِّفَاحِ وَسُمْرِ الرِّمَاحِ ... طَلَبْتُ العُلَا وَعَلَوْتُ الرُّتَبْ

وَإِنِّي كَالشَّمْسِ بِي يُهْتَدَىٰ ... إِذَا غَطَّتِ الشَّمْسَ سُودُ السُّحُبْ

والذي في المخطوطة: (وَإِنِّي كَالنَّجْمِ) وهي التي أخذها المتنبي في بيته:

وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِي صُحْبَتِي ... إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ

١٨- ص ١٧١: «جابر بن رَأْلَانَ السِّنْبِسِي:

وَخَيْلٌ عِتَاقٌ آنسات مِنَ الوَجَىٰ ... يَخُضْنَ بِحَارَ المَوْتِ وَاليَوْمُ عَابِسُ»

و(آنسات) هنا خطأ محض، صوابه: (آمِنَاتٌ من الوجىٰ).

١٩- ص ١٧٨: الخُبْزَأَرُزِّي:

إِلَىٰ كَمْ أَذِلُّ وَأَسْتَعْطِفْ ... عَنْ أَنْ لَا تَجُورُ وَلَا تُنْصِفْ

وعلق الناشر عليه بقوله: «هكذا في الأصل ويستقيم الوزن والمعنىٰ إذا قلنا: وأنت تجور ولا تنصف»، والذي في المخطوطة: «إِلَىٰ كَمْ أَذِلُّ وَاسْتَعْطِفْ لِظَبْيٍ يَجُورُ وَلَا يُنْصِفْ».

٢٠- ص ١٦٩: «الشريف عبدالرحمن الأنصاري:

مَا أَنْ يَعِيبَ كَلَامِي فِي فَصَاحَتِهِ ... إِلَّا مَعِيبٌ سَقِيمُ الفَهْمِ مأدوف

أَنَا الثُّرَيَّا وَأَعْدَائِي الثَّرَىٰ وَأَنَا ... بِالحُكْمِ وَالعَقْلِ وَالأَفْضَالِ مَعْرُوفُ

وعلق الناشر علىٰ البيت الأول بقوله: «هكذا بالأصل ولا معنىٰ لها، ولعل



الصحيح: مشعوف، والمشعوف لغة: المجنون».

وصواب الاسم: (السَّرِيُّ بن عبدالرحمن) وقد ورد صحيحًا صفحة ٣٢ وفي لوحة ٧١-ب من المخطوطة. وصواب البيت: (سَقِيمُ الفَهْمِ مَأْوُوفُ) أي إصابته آفة أو عيب.

٢١- ص ١٥٦: «خالد بن يزيد الكاتب:

لَيْلِي طَوِيلٌ وَحُزْنِي مِثْلُهُ وَكَذَا ... لَيْلُ المُحِبِّ طَوِيلٌ حَيْثُمَا كَانَا

لَمْ أَسْلُ بَعْدَهُمُ يَوْمًا وَقَدْ حَمَلَتْ ... نَفْسِي مِنَ الوَجْدِ وَالأَحْزَانِ أَلْوَانَا

قال المتنبي:

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ ... طِوَالٌ وَلَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَةِ سَلْوَةً ... وَلَكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ»

وعلق الناشر علىٰ شعر خالد بقوله: «لم تورد نسخة الجامعة العربية بيتي خالد، وأوردت مكانهما بيتًا للعوني هو:

وَإِنِّي حَمُولٌ لِلرَّزَايَا وَصَابِرٌ ... عَلَىٰ كُلِّ خَطْبٍ غَيْرِ دَاعِيَةِ الهَجْرِ».

وهذا غير صحيح فقد جاء فيها بيتا خالد في لوحة ٥٤ -أ وبعدهما هذا النص: «بشار بن برد:

لَيْلِي طَوِيلٌ كَأَنَّ الفَجْرَ مُنْهَزِمٌ ... عَنِ الظَّلَامِ وَخَلْفَ الصُّبْحِ أَهْوَالُ

فَلَا وُصُولٌ إِلَىٰ مَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِهِمْ ... وَلَا تَخُفُّ عَنِ المُشْتَاقِ أَثْقَالُ

وَلَمْ أَعِشْ سَلْوَةً مِنْ بَعْدِ بُعْدِهِمُ ... لَكِنَّنِي لِصُرُوفِ الدَّهْرِ حَمَّالُ



ثم جاء بعد ذلك ببيتي المتنبي، أما بيت العوني فلم تورده نسخة الجامعة مكان بيتي خالد كما زعم الأستاذ، وإنما أوردته في مكان آخر لمناسبة أخرىٰ يكشفها النص الآتي، ويكشف معها أوهامًا أخرىٰ للناشر العظيم.

٢٢- ص ٩٦: «العوني من قصيدة له:

يَا صَاحِبَيَّ بَعُدْتُمَا فَتَرَكْتُمَا   قَلْبِي رَهِينَ صَبَابَةٍ وَتَصَابِي

أَبْكِي وَفَاءَكُمَا وَعَهْدَكُمَا كَمَا   يَبْكِي المُحِبُّ مَعَاهِدَ الأَحْبَابِ

المتنبي في أول بيت من السيفيات:

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُه   بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُه

والله لو أوقد الإنسان ألف شمعة ليستضيء بنورها إلىٰ استنباط غوامض هذا البيت مع قلة الفائدة فيه لصعب عليه، وهو معنىٰ بيت العوني محمود بن الحسين الوراق الكوفي من قصيدة:

سَيِّدٌ طَالَ وَمَا فِي   وَعْدِهِ الصَّادِقِ طُولُ

وَلَهُ فِي الجُودِ وَالمَجْـ   ـدِ فُرُوعٌ وَأُصُولُ

سَئِمَتْهُ البِيضُ وَالسُّمْـ   ـرُ وَمَلَّتْهُ الخُيُولُ

فَهَوَ لِلأَهْوَالِ فِي الحَرْ   بِ إِذَا اشْتَدَّ حَمُولُ

جابر بن أحمد الشعباني: كان في أيام المعتصم، يصف فرسا:

وَأَغَرُّ إِلَّا أَنَّ بَاقِي جِسْمِهِ   أَمْسَىٰ بِسِرْبَالِ الدُّجَىٰ مُتَقَمِّصا

يَمْشِي وَيَمْرَحُ فِي اللِّجَامِ كَأَنَّهُ   نَشوانُ أُطْرِبَ فَاشْتَهَىٰ أَنْ يَرْقُصَا

قال المتنبي:

طَرِبَتْ مَرَاكِبُنَا فَخِلْنَا أَنَّهَا لَوْلَا حَيَاءٌ عَاقَهَا رَقَصَتْ بِنَا»

علق الناشر علىٰ الأبيات اللامية بقوله: «لم ترد هذه الأبيات في نسخة الجامعة»!!، وهذا كذب، فإنا لو رجعنا إلىٰ نسخة الجامعة لوحة (٦١أ) لوجدنا الأبيات فيها بكمالها ويليها مباشرة بقية النص وهو: «العوني:

وَإِنِّي حَمُولٌ لِلرَّزَايَا وَصَابِرٌ عَلَىٰ كُلِّ خَطْبٍ غَيْرِ دَاعِيَةِ الهَجْرِ

وقال المتنبي وقصرت صناعته عن صناعة محمود:

وَمَلَّ القَنَا مِمَّا يَدُقُّ صُدُورُهُ وَمَلَّ حَدِيدُ الهِنْدِ مِمَّا يُلَاطِمُه»

وهذا النص قد خلت منه المطبوعة، وفي هذا النص شيء آخر أعظم من هذا السقط الذي جعل الكلام بغير فائدة كالمبتدأ بغير خبر، فقد حسب الأستاذ أن قول المؤلف: «وهو معنىٰ بيت العوني محمود بن الحسين الوراق الكوفي من قصيدة» كلام متصل في نص واحد فكتبه كذلك، وهو خطأ فاضح تابع فيه الطبعة الأولىٰ ص ٦٥، وعجيب جدًا ألا يفهم الأستاذ هذا الكلام الواضح، وأن يحسب أن العوني هو محمود الوراق! ويجعل الشاعرين شاعرًا واحدًا. والدليل علىٰ ذلك قوله في الفهرس ص ٢٧٣: «بين العوني وجابر الشعباني والمتنبي ٩٦». وليس في صفحة ٩٦ إلا النص السابق فإسقاطه من فهرس هذه الصفحة ذكر الوراق، دليل وهاج علىٰ أنه فهم أن العوني هو محمود الوراق، ولو قد فهم أنه غير العوني لبدأ من أول السطر: (محمود بن الحسين الوراق) علىٰ أنه نص جديد لا علاقة له بالنص السابق عليه.

وسواء أكان الكلام متصلًا أو منفصلًا، وسواء أكان العوني في فهم الأستاذ هو محمود الوراق أم غيره، فقد كان واجبًا عليه أن يقول لنفسه: أين شعر المتنبي



الذي سرقه من الشعر السابق؟ ولو قد فعل لاهتدىٰ إلىٰ بقية النص الذي سقط من طبعته ولما تورط في هذا الخطأ.

٢٣- ص ٧٦: «لأبي عيينة المهلبي:

وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْءُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ

الخُبْزَأَرُزِّي:

هُوَ البَدْرُ مَبْسُوطٌ عَلَىٰ الأَرْضِ نُورُهُ»

وعلق الناشر علىٰ هذا الشطر بقوله: «أَوْرَدَتْ نسخةُ الجامعة العربية بدل هذا المصراع قول العياش:

هِمَّةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ بَثَّتِ الإِشْرَاقَ فِي كُلِّ بَلَدْ»

فإذا رجعنا إلىٰ المخطوطة لوحة ٦ وجدنا النص فيها كاملا كما يلي: «للخُبْزَأَرُزِّي:

هُوَ البَدْرُ مَبْسُوطًا عَلَىٰ الأَرْضِ نُورُهُ وَلَكِنْ لَهُ مِنْ كَفِّ لَامِسِهِ بُعْدُ

وقال المتنبي:

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهَا شُعَاعُهَا وَتَرَاهُ العَيْنُ مُقْتَرِبَا

للبحتري:

كَالبَدْرِ أَفْرَطَ فِي العُلُوِّ وَضَوْءُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

وقال المتنبي:

كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْءُهَا يَغْشَىٰ البِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبَا

للعباس:

هِمَّةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ ... بَثَّتِ الإِشْرَاقَ فِي كُلِّ بَلَدْ».

٢٤- ص ٧٦ أيضًا: «أبو تمام:

وَمَنْ خَدَمَ الأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُم ... فَإِنِّي لَمْ أَخْدِمْكَ إِلَّا لِأُخْدَمَا

قال المتنبي:

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ ... وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ».

وجاء في صفحة ١٧٩: «قال المتنبي:

وَمَنْ خَدَمَ الأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُم ... فَإِنِّي لَمْ أَخْدِمْكَ إِلَّا لِأُخْدَمَا».

بيت واحد يرد مرة منسوبًا لأبي تمام وأخرىٰ منسوبًا للمتنبي، ثم لا يجشم الأستاذ نفسه عناء الرجوع إلىٰ ديوان أبي تمام أو ديوان المتنبي ليحقق نسبة البيت، والبيت لأبي تمام كما في ديوانه ٢٦٣ .

٢٥- ص ٥٥: «أبو تمام:

وَلَطَالَمَا أَمْسَىٰ فُؤَادُكَ مَنْزِلًا ... وَمَحَلَّةً لِظِبَاءِ ذَاكَ المَنْزِلِ

وله أيضًا:

وَقَفْتُ وَأَحْشَائِي مَنَازِلُ لِلأَسَىٰ ... بها وَهِيَ قَفْرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُه».

والصواب: (بِهِ وَهُوَ قَفْرٌ) لأن الضمير يعود علىٰ الربع المذكور في البيت قبله وهو مطلع القصيدة كما ديوانه ٣/ ٢١:

أَجَلْ أَيُّهَا الرَّبْعُ الذِي خَفَّ آهِلُهْ ... لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَىٰ مَا تُحَاوِلُه



٢٦- ص ٧٠: «قال المتنبي:

وَجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُفَـهَـاءُ قَـوْمٍ فَحَلَّ بِغَيْرِ جَانِيهِ العِقَابُ».

وفي المخطوطة لوحة ٧: (وَحَلَّ بِغَيْرِ جَانِيهِ العَذَابُ)، وكذلك في الديوان.

٢٧- ص ٨٩: «قال المتنبي:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدهر دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ».

والذي في المخطوطة لوحة ٢٢: (وَ لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ)، وهي كذلك في الديوان.

٢٨- ص ١٠٠: «قال المتنبي:

إِذَا أَتَتِ الإِسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ وَلَمْ أَلُمِ المُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ

قد أخذ الوزن والمعنىٰ جميعًا، وأصحابه يسمون هذا التوارد».

وفي المخطوطة لوحة ٦٦ والديوان ٣/ ١٥٢: (مِنْ لَئِيمٍ)، وفيها: «هذا قد أخذ الوزن والمعنىٰ جميعًا قهرا، وأصحابه يسمون هذا النوع من شعره: التوارد».

٢٩- ص ١٤٢: «قال المتنبي:

وَسِـرُّكَ بَيْـنَ الحَشَـا مَيِّـتٌ إِذَا نُشِـرَ السِّـرُّ لَا يُنْشَـرُ».

والذي في المخطوطة والديوان ٢/ ٩٢: (وَسِرُّكُمُ فِي الحَشَا مُضْمَرٌ).

٣٠- ص ١٤٢: «ابن المعتز:

فَكُنْتَ كَنَصْلِ السَّيْفِ تَتْلُو لَوَاقِحًا كَأَنَّ حَصَا الصَّمَّانِ مِنْ وَقْعِهَا رَمْلُ

العوني:

كَمْ مَوَامٍ قَطَعْتُهَا بِاعْتِزَامٍ وَحُسَامٍ مَاضٍ وَعَزْمٍ طِوَالِ

وَمَهَارٍ إِذَا وَطِئْنَ صُخُورًا تَرَكَتْهَا أَخْفَافُهَا كَالرِّمَالِ

قال المتنبي:

إِذَا وَطِئَتْ بِأَيْدِيهَا صُخُورًا بَقِينَ لِوَطْءِ أَرْجُلِهَا رِمَالًا

ولعل هذا توارد».

والصواب كما في المخطوطة لوحة ٥٣ - ب: (فَكَرَّتْ كَنَصْلِ السَّيْفِ)، وسياق الأبيات وحده كافيًا في إدراك الخطأ.

٣١- ص ١٧٥: «إبراهيم بن سيار البصري النظام:

اسْتَرِقِ الكَرِيمَ بِالجُودِ وَاحْذَرْ أَنْ تُذِيقَ اللَّئِيمَ طَعْمَ العَطَاءِ

وَاقْتُلِ الحُرَّ أن تجر بِالعَفْـ ـوِ فَفِي العَفْوِ رَاحَةُ الأَحْيَاءِ

قال المتنبي:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

وَمَا قَتَلَ الأَحْرَارَ كَالعَفْوِ عَنْهُمُ وَمَنْ لَكَ بِالحُرِّ الذِي يَحْفَظُ اليَدَا»

علق الناشر على بيت النظام الثاني بقوله: «هكذا بالأصل ولعلها (تجرأ)». ولو رجع إلى المخطوطة لعلم أنها (تُجْرِمَ).

وعلق على بيت المتنبي الأول بقوله: «عكس المؤلف ترتيب هذين البيتين، وَأَوْرَدَتْ هنا نُسْخَةُ الجامعة بدلًا من بيتَيْ النظام، هذه الأبيات لمنصور بن سلمة بن الزِّبْرِقَان النَّمَرِي:

إِنِّي مُقِرٌّ بِالخَطِيئَةِ عَائِذٌ بِجَمِيلِ عَفْوِكَ فَاعْفُ عَنِّي مُنْعِمَا



وَإِذَا عَفَوْتَ عَنِ الكَرِيمِ مَلَكْتَهُ ... وَإِذَا عَفَوْتَ عَنِ اللَّئِيمِ تَجَرَّمَا
فَلَّذْتَنِي نِعَمًا بِهَا اسْتَعْبَدْتَنِي ... وَرَأَيْتَ إِتْيَانَ المَكَارِمِ مَغْنَمَا»

وهذا كذب من الناشر، لأن نسخة الجامعة لم تورد هنا شعر منصور النَّمَرِي بدلًا من بيتي النظام، وإنما أوردت كلا في مكانه لغرضه الذي سبق له: ففي لوحة (٤٥ب، ٤٦أ) جاءت ببيتي النظام لبيان أن المتنبي قد سرق بيتيه معًا منهما، وجاءت في لوحة (٢٠أ) بأبيات منصور النَّمَرِي كما نقلها الأستاذ، وبعقبها ما يلي: «وقال المتنبي:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

لقد تعب في نسخ هذا البيت».

وقد أكثر الناشر من قوله: «لم تأت نسخة الجامعة هنا بكذا وإنما أتت بكذا»، وأسرف في تكثير الحواشي بقوله: «لم يرد هذا بنسخة الجامعة»، ولست أدري كيف كان ذلك منه إلا أن يكون لا يعرف ما يخرج من رأسه، ولا يميز بين أصل الكتاب وترتيب الكتاب، وهذا هو العجب العجاب. إن نسخة الجامعة العربية التي يقول الناشر ذلك عنها ليست هي كتاب (الإبانة عن سرقات المتنبي) ولكنها ترتيب سرقات المتنبي علىٰ حروف الهجاء، رتبها قارئ مجهول، وحذف منها مقدمة الجزء الرابع التي تقع في صفحة ١٤٩ - ١٥٠ من المطبوعة، وبعد أن نقل مقدمة المؤلف صنع عنوانًا نصه: «ما جاء من ذلك في شعره علىٰ قافية الألف وهي الهمزة» كما جاء في لوحة ١٥ب، ثم (قافية الباء) لوحة ١٦أ، ثم (قافية التاء) لوحة ١٥ب، ثم قافية الحاء بعد أن كتب: (الثاء والجيم) غفل، كما كتب قبل قافية العين لوحة ٣٠ أ (الصاد والضاد والطاء والظاء غفل ولم يجئ فيها شيء)، ومضىٰ



كذلك حتىٰ (قافية الياء) لوحة ٨٤أ، وليس لهذه العناوين بطبيعة الحال ذكر في أصل الكتاب الذي تمثله نسخة الدار، لأن مؤلفه أورد أشعار المتنبي كما عرضت له غير مرتبة علىٰ حروف الهجاء. وهذه الحقيقة البديهية لم يعرفها الناشر، فقال ما قال، ونقل ما نقل من النصوص في حواشي الكتاب مما وهو وارد في أصله في غير ذلك المكان.

ولست أدري ما الذي أضل الناشر عن تلك الزيادة التي جاءت في نسخة الجامعة مع عظمها وطولها، بل تابعها في بعض الصفحات. ومن أمثلة تلك الزيادة:

٣٢- ما جاء في لوحة ١٣أ:

«العوني من قصيدة أولها:

يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَيَا خَيْرَ العَرَبْ

أَكْرَمُ مَنْ دَبَّ عَلَىٰ الأَرْضِ سِوَىٰ ... آبَائِهِ الغُرِّ البَهَالِيلِ النُّجُبْ

هُمُ الذِينَ سَمَحُوا بِكُلِّ مَا ... مِقْدَارُهُ مُسْتَعْظَمٌ غَيْرَ السَّلَبْ

فَهُمْ شُمُوسُ الأَرْضِ وَالنَّاسُ دُجَىٰ ... وَهُمْ رُؤُوسُ الخَلْقِ والخَلْقُ ذَنَبْ

وقال المتنبي:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ لَا مُسْتَثْنِيًا أَحَدًا ... مِنَ الكِرَامِ سِوَىٰ آبَائِكَ النُّجُبِ

وَأَنْتُمْ نَفَرٌ تَسْخُو نُفُوسُكُمْ بِمَا ... يَهَبْنَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّلَبِ

حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... مَحَلَّ سُمْرِ القَنَا مِنْ سَائِرِ القَصَبِ

إن صح التوارد؛ فهذا علىٰ مذهب أصحابه جعل بدل الشُّمُوسِ القَنَا وَالقَصَب».



٣٣- لوحة ١٤ب: «- المُعَذَّلُ بنُ غَيْلَان بن الحَكَم العَبْدِي ابن عبدالقيس يكنىٰ أبا أحمد، أديب شاعر، من قصيدة له:

ظَفِرْتُ بِآمَالِي البَعِيدَةِ بَعْدَمَا ... وَفَتْ لِي رِمَاحُ الخَطِّ إِذْ غَدَرَ الدَّهْرُ

فَأَعْدَيْتُ أَمْثَالَ الرِّيَاحِ سَوَابِقًا ... يَجُبْنَ الفَلَا يَعْنُو لَهَا السَّهْلُ وَالوَعْرُ

وقال المتنبي:

لَمَّا رَأَيْنَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بِي ... وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمُّ الأَنَابِيبِ

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخُرُهُ ... مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ

تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ ... لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبِ

❊ ❊ ❊

- الخُبْزَأَرُزِّي:

ذِكْرُهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ ... ذِكْرُ أَيَّامِ الشَّبَابِ

وَثَنَاهُ مِثْلُ عَيْشٍ ... مُسْتَلَذٍّ مُسْتَطَابِ

وَلَهُ عَزْمٌ كَحَدِّ السَّـ ... ـيْفِ مَاضٍ غَيْرَ نَابِ

فَهُوَ طَوْرًا غَيْثُ جَدْبٍ ... وَهُوَ طَوْرًا لَيْثُ غَابِ

وقال المتنبي في طاهر العلوي:

نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا ابْنَهُ بِبَوَاتِرٍ ... مِنَ الفِعْلِ لَا فَلٌّ لَهَا فِي المَضَارِبِ

أُولَئِكَ أَحْلَىٰ مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ ... وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُهُورِ الشَّبَائِبِ

- محمد بن علي السَّلَامِي الحوراني صاحب إبراهيم بن المدبر:

أَغَرُّ كَرِيمُ الأَصْلِ وَالفَرْعُ مَاجِدٌ ... جَزِيلُ العَطَايَا أَرِيحِيٌّ ضَرَائِبُه

سَعِدْتُ بِهِ لَمَّا خَدَمْتُ رِكَابَهُ ... وَأَثْرَيْتُ لَمَّا مَوَّلَتْنِي رَغَائِبُه

فَمَا بَلَدٌ إِلَّا نَحَتْهُ رَكَائِبِي ... وَلَا مَوْضِعٌ إِلَّا أَتَتْهُ مَوَاهِبُه

فَمَرْتَعَهُ لِلنَّاسِ ضَافٍ نَبَاتُهُ ... وَمَشْرَبُهُ صَافٍ زُلَالٌ مَشَارِبُه

وقال المتنبي في طاهر العلوي:

بِأَيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجُرَّ ذُؤَابَتِي ... وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَأْهُ رَكَائِبِي

كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ ... فَأَثْبَتُّ كُورِي فِي ظُهُورِ المَوَاهِبِ

فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرِدْنَ فَنَاءَهُ ... وَهُنَّ لَهُ شِرْبٌ وُرُودَ المَشَارِبِ

من زعم أن هذه ليست من أبيات السَّلَامِي فقد غالط نفسه وكابر حسه.

- أحمد بن يحيىٰ بن العراق:

أَفْنَىٰ المَوَاهِبَ وَالكَتَائِبَ كُلَّهَا ... فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُ أَمْوَالُهُ

وقال المتنبي:

أَلَا أَيُّهَا المَالُ الذِي قَدْ أَبَادَهُ ... تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ بِالكَتَائِبِ».

٣٤- لوحة ٣٢ ب: «- أبو حفص عمر بن إبراهيم شاعر مطبوع:

اللَّيْلُ أَظْلَمَ وَالكَوَاكِبُ بَعْدَهُ ... غَابَتْ فَنَوْمُ العَيْنِ أَمْسَىٰ نَافِرَا

الدَّهْرُ أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ أَنْ يُرَىٰ ... فِي صَرْفِهِ لِلْحُرِّ رَبْعًا عَامِرَا



غَابَ الأَمِيرُ وَلَمْ يَغِبْ إِحْسَانُهُ ... وَمَضَىٰ فَلَمْ يَتْرُكْ فُؤَادًا صَابِرَا

وقال المتنبي في فاتك عكس البيت:

النَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرُ ... وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالكَوَاكِبُ ظُلَّعُ

وَالمَجْدُ أَخْسَرُ وَالمَكَارِمُ صَفْقَةً ... مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الكَرِيمُ الأَرْوَعُ

- محمد بن عبدالله بن مسلم الأنصاري - شاعر عفيف صالح -:

إِذَا أَتَىٰ المَوْتُ فَمَا لِامْرِئٍ ... فِي دَفْعِهِ حِيلَةَ مُحْتَال

لَا قُوَّةٌ تُجْدِي وَلَا قُدْرَةٌ ... تُغْنِي وَلَا جَاهٌ وَلَا مَال

فَارْضَ بِحُكْمِ اللهِ وَانقَدْ لَهُ ... وَلَا تَشُنْ دِينًا بِأَدْغَال

بشار بن برد:

يَا حَيْرَتِي ثُمَّ يَا لَهَفِي عَلَىٰ مَلِكٍ ... مُعَظَّمِ القَدْرِ وَارَىٰ شَخْصَهُ رَجْمُ

قَدْ كَانَ يَدْفَعُ صَرْفَ الدَّهْرِ عَزْمَتُهُ ... حَتَّىٰ أَتَتْهُ المَنَايَا وَهُوَ مُبْتَسِمُ

فَلَا السُّيُوفُ وَلَا الأَرْمَاحُ دَافِعَةٌ ... رَيْبَ المَنُونِ وَلَا الأَمْلَاكُ وَالخَدَمُ

وقال المتنبي:

مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ ... حَتَّىٰ أَتَىٰ الأَمْرُ الذِي لَا يُدْفَعُ

فَظَلَلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ ... فِيمَا عَرَاكَ وَلَا سُيُوفُكَ تَقْطَعُ

ثم قال في موضع آخر مكذبًا بنفسه، ودال علىٰ سوء دينه وإلحاده:

أَتَتْهُ المَنَايَا فِي طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ ... عَلَىٰ كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ السِّلَاحِ لَرَدَّهَا ... بِطُولِ يَمِينٍ وَاتِّسَاعِ جَنَانِ

- غالب بن عبدالقدوس - وهو أبو الهندي الرياحي - في قصيدة يمدح بها نصر بن سيار:

شَيَّعْتُهُم بِعَزَائِي يَوْمَ بَيْنِهِمُ وَالخَدُّ مِنْ عَبَرَاتِي صَارَ مُخْتَضِبَا

فَلَوْ جَرَىٰ بَعْضُ دَمْعِي فِي الفُرَاتِ لَمَا حَلَا مِنَ المِلْحِ مَجْرَاهُ وَلَا عَذُبَا

وقال المتنبي:

رَحَلَ العَزَاءُ بِرِحْلَتِي فَكَأَنَّمَا أَتْبَعْتُهُ الأَنْفَاسَ بِالتَّشْيِيعِ

أَوَ مَا وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مُلُوحَةً مِمَّا أُرَقْرِقُ فِي الفُرَاتِ دُمُوعِي»

٣٥- لوحة ٣٨ أ: «- أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مسلم الأنصاري، شاعر مطبوع، يقول في يزيد بن حاتم بن قبيصة:

أَرَاقَ دَمِي رَبْعٌ لِعَزَّةَ بِاللِّوَىٰ وَعَهْدِي بِهِ وَالنَّفْسُ فِيهَا حَيَاتُهَا

فَكَمْ أَسْبَلَتْ عَيْنِي عَلَيْهَا دُمُوعَهَا وَكَمْ أَنْجَزَتْ لِلنَّفْسِ فِيهِ عِدَاتُهَا

أَيَا نَفْسُ صَبْرًا إِذْ أُصِبْتِ بِنَكْبَةٍ فَإِنَّ الرَّزَايَا تَنْجَلِي غَمَرَاتُهَا

وقال المتنبي: أَيَدْرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا، وقد تقدم. فأما قوله في هذه القصيدة:

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبُ تَلَاقَىٰ فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَىٰ

فمن قول الكُمَيْتِ أَبِي المُسْتَهِل:

وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَىٰ المُطِيَّ وَسَيْرَهَا وَأَعْوَالُنَا مِمَّا تُجِنُّ الأَضَالِعُ

غَدَاةَ افْتَرَقْنَا وَالقُلُوبُ مُقِيمَةٌ وَبِنَّا فَبَانَ الصَّبْرُ وَالقَلْبُ جَازِعُ

تَلَاقَتْ قُلُوبٌ وَالجُسُومُ تَفَرَّقَتْ وَخَفَّتْ نُفُوسٌ وَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعُ

- الجعد بن أبي ضمام الرَّقَاشِي، أحد الشراة، شاعر فحل:

سَلِي عَنْ خِصَالِي الغُرِّ فِي حَوْمَةِ الوَغَا ظُهُورَ عِتَاقِ الخَيْلِ وَالبِيضَ وَالسُمْرَا

وَلِي هِمَّةٌ فَوْقَ السِّمَاكِ مَحَلُّهَا فَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا وَسِعَ الصَّدْرَا

أخذ المتنبي البيت الأول فقال:

سَلِي عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَرُمْحِي وَسَيْفِي وَالهَمَلَّعَةِ الدِّفَاقَا

لقد تبادىٰ في (الهَمَلَّعَةِ الدِّفَاق) حتىٰ كأنه ما رأىٰ الكوفة قط بعينه. ولمح البيت الآخر فقال:

فَتَىٰ لَا يَضُمُّ القَلْبُ هَمَّاتِ قَلْبِهِ

وقد ذُكِرَ في قافيته الراء».

وحسبي هذا المُثُل من الزيادات المتناثرة، أما الزيادات المتتالية فلا سبيل إلىٰ ذكرها.

ومن ذلك كله، يتضح أن الأستاذ البساطي قد أفسد كتاب الإبانة علىٰ نحو عبقري لا يستطيعه أي مفسد من الناشرين الأميين، ويتبين أنه أساء إلىٰ نفسه وإلىٰ الأدب العربي إساءة بالغة مؤلمة يبوء بإثمها وعارها إلىٰ الأبد، وسيبوء معه كذلك هؤلاء الذين زينوا له نشره، ودعوه إليه دفعًا لئيمًا ظاهره فيه النصيحة، وباطنه من قبله الخب المقيت، فكان مثلهم معه كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله في إفساد ذخائر العرب، ونصيحتي للناشر العظيم أن يعمل بقول الشاعر الحكيم:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَىٰ مَا تَسْتَطِيعُ



نقد: كتاب (البديع في نقد الشعر) لأسامة بن منقذ

بتحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي و الدكتور حامد عبدالمجيد[(١)]

يقول أسامة بن منقذ في مقدمة كتابه: «هذا كتاب جمعتُ فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر وذكر محاسنه وعيوبه، فلهم فضيلة الابتداع ولي فضيلة الاتباع، والذي وقفت عليه: كتاب البديع لابن المعتز، وكتاب الحالي للحاتمي، وكتاب حلية المحاضرة للحَاتِمِي، وكتاب الصناعتين للعسكري، وكتاب اللُّمَع للعَجَمِي(؟)، وكتاب العمدة لابن رُشَيْق، فجمعت من ذلك أحسن أبوابه، وذكرت منه أحسن مثالاته ليكون كتابي مغنيًا عن هذه الكتب لتضمنه أحسن ما فيها».

ولست أريد مناقشة أسامة في هذا الادعاء العريض فإن ذلك يحتاج إلىٰ إفاضة في القول وإسهاب في البيان يضيق عنهما مجال هذا الباب الذي أنشئ لغاية واحدة وهي بيان أوهام المحققين وكشف أخطاء الناشرين.

يقول المحققان: إنهما اعتمدا علىٰ نسختين إحداهما صورة لنسخة مكتبة بلدية الاسكندرية المكتوبة في شعبان سنة ٧١١هـ، والثانية مجهولة التاريخ، وكلتاهما محفوظة بدار الكتب تحت رقمي (١٠١٦١ ز) و (٥ م بلاغة).

ويقول المحققان: «وقد قابلنا بين النسختين لنخرج بالنص أقرب ما يكون من الصواب، كما رجعنا إلىٰ دواوين الشعراء الذين ورد ذكرهم في الكتاب لنرىٰ

---

(١) مجلة المجلة، عدد ٧٤، سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م. والكتاب المنقود: مجلد واحد يقع في ٣٠٠ صفحة، وقد طبع بمكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي بمصر عام ١٩٦٠م.



النص في هذه الدواوين كلما أمكن ذلك، وأثبتنا وجوه الخلاف - إن كانت - في أسفل الصفحة كما هو أصول النشر العلمي الصحيح. وقد عرفنا - كلما أمكن ذلك - أيضًا بأصحاب النصوص متوخين في هذا الجانب الوضوح، كما شرحنا ما وجدناه في حاجة إلىٰ الشرح من الكلمات اللغوية ليصبح قارئ الكتاب مستغنيًا به عما سواه».

ويستبين من كلام المؤلف والمحققَيْن أن عوامل النجاح في تحقيق الكتاب مكفولة لا ريب، وأنه سيخرج للناس سليمًا قويمًا لأن المؤلف قد عين مصادره التي نقل منها مادة كتابه، ونصفها - بحمد الله - مطبوع قريب التناول، والمحققَيْن يعرفان (أصول النشر العلمي الصحيح) ويسيران وفق مقتضياتها، فهما قد رجعا إلىٰ دواوين الشعراء المذكورين في الكتاب وأثبتا أوجه الخلاف بينها وبينه، وترجما لأصحاب النصوص بتراجم قوامها الإيجاز والوضوح، وشرحا ما هو في حاجة إلىٰ الشرح من كلماته اللغوية ليستغني قارئه عما سواه من كتب الأدب واللغة والتاريخ، ولكن النجاح في تحقيق الكتاب لم يكن إلا علىٰ نحو يسير ضئيل وخرج الكتاب غير سليم ولا قويم.

وليس لذلك من علة إلا أن الناشرَين قالا بغير ما عملا، وأظن أن (أصول النشر العلمي الصحيح) كانت توجب عليهما أن يصنعا للكتاب علىٰ الأقل فهرسًا للقوافي والأعلام، ولكنهما أخرجاه مجردًا من كل أنواع الفهارس!!

وهل من (أصول النشر العلمي الصحيح) أن يشرحا الكلمات المشهورة الدارجة علىٰ ألسنة العوام ويهملا شرح الألفاظ الغريبة العويصة؟!

لقد قالا في ص ٢٦٤: «الوُحُول: جمع وَحْل وهو ما تبقىٰ في الأرض من سيل»! و«الغبي: الجاهل»، وفي ص ٢٦٩ «الجبان: ضد الشجاع وهو الذي يجبن عند لقاء العدو»!، وفي ص ٢٨٢ «الاستشفاء: التعالج من الداء، والشفاء: البرء



من السقم»!، وفي ص ٢٨٣ يشرحان كلمة (العاشق) بقولهما: «العاشق للشيء: المستهام به»!

وتركا شرح (المَطَا) ص ١٨ و(أَصْحَرَ) ص ١٩ و(الرَّبِيعُ المُمْرِع) ص ٣٢ و(صِنْدِيد الصناديد) ص ٧١ (علىٰ أَلِيَّة) ص ٩٥ و(ظَبْيَتِك النَّوَارِ) ص ١٣٩ و(كَتِيبَةٍ مَلْمُومَةٍ) ص ١٧٢ و(الخَشْرَمْ) و(حَثْحَثَ) و(مَخَابِيط) ص ١٦١ و(تَلْسُنُنِي أَلْسُنُها) و(مَوْهُونٍ فَقِرٍ) ص ١٦٧ .

وهل من (أصول النشر العلمي الصحيح) أن يترجم الناشران لعَدِي بن الرِّقَاع بأربع تراجم ص ٥٦، ١٢٣، ١٧٣، ٢٩٤، والكلام في كل مرة هو الكلام؟!

ولسديد الملك بأربع تراجم ص ٢٠، ٩٠، ٢٢٨، ١٤٠ وفي المرات الثلاث الأول يحرصان علىٰ قولهما: «وهو عم أسامة ابن منقذ»، وفي المرة الرابعة ينصان علىٰ أخذهما الترجمة من (وفيات الأعيان) هكذا بدون تعيين. ولو رجعا إلىٰ ترجمته في (وفيات الأعيان) ٢/ ٨٢ لألفيا ابن خلكان يقول فيها: «وقد تقدم ذكر حفيده أسامة بن مرشد بن علي المذكور في حرف الهمزة»!، ويؤيد ذلك ما قاله أسامة في لباب الآداب ٣٦٧: «وأحسن الشيخ أبو عبدالله بن الخياط الدمشقي في ذكر الكواكب في قصيدة مدح بها جدي سديد الملك أبا الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني رَحِمَهُ اللهُ»!

وترجما لعبدالمحسن الصُّورِي بثلاث تراجم ٣٥، ٧٥، ١٩٤، وكذلك للصَّنَوْبَرِي ص ٣٩، ٩٧، ٢٣٢، وترجما للراعي ترجمتين ص ١٩ و ٨٨، والشريف الرَّضِي ص ١٩ و٣٩، ومِهْيَار ص ١٩ و١٣٨، والأعشىٰ ٢٢، ٥٤، وكُثَيِّر عزة ٢٣ و١٦٦، والنابغة الجعدي ٢٨ و٢١٧، وأبي فراس الحمداني ٢٩ و١٤٠، وابن حَيُّوس ٣١ و١٩٢، وزهير ٣٦ و٥٢، والسَّرِّي الرَّفَّاء ٣٦ و٩٠، والعَرْجِي ٥٣ و٩٥، والأَرَّجَانِي ٦٦ و١٣٧، وعمرو بن معديكرب ٦٨ و١٦٠،



وابن الرومي ٦٩ و١٠٨، وسُحَيْم ٨٦ و٢١٧، وأبي الشِّيص ١٢٩ و١٤٩، والناشئ ١٣٦ و٢١٦، وقيس بن الخَطِيم ١٥١ و٢٣٠، وابن سِنَان الخَفَّاجِي ١٧٠ و٢٠٠، وكُشَاجِم ١٨٤ و٢٣٠، وعلي بن الجهم ٢٢٢ و٢٨٨ .

وبعض التراجم الأخرىٰ عجيبة مريبة، وإني أنقل بعضها بنصه وفصه ليعلم القارئ من أنبائها فيحكم عليها بما شاء:

- فقد جاء في ص ٣٨: «وقال المنصور» وعليها رقم ٦ وفي هامشها: «(٦) ثاني خلفاء الدولة العباسية»!، وفي ص ٤٨: «وللرشيد» وفوقها رقم ٢ وفي هامشها: «(٢) الخليفة العباسي المشهور»!!

- وفي ص ٤٣: «ومن المعلقات لطرفة» وفوقها رقم ١ وفي هامشها: «(١) هو طرفة بن العبد المعروف بالمُتَلَمِّس شاعر جاهلي له معلقة توفي سنة ٥٥٠ م»، وإني أجهل هذا المعروف للناشرَيْن كل الجهل، فطرفة هو طرفة والمُتَلَمِّس هو المُتَلَمِّس وقصتهما مع عمرو بن هند ملك الحيرة المشهورة، وفيها يقول المُتَلَمِّس مشيرًا إلىٰ مصرع طرفة:

مَن مُبلِغُ الشُّعَرَاءِ عَنْ أَخَوَيهِمُ ... خَبَرًا فَتَصْدُقُهُم بِذَاكَ الأنفُسُ

أَوْدَىٰ الذِي عَلِقَ الصَّحِيفة مِنْهُمَا ... ونَجَا حِذَارِ حَيَاتِهِ المُتَلَمِّسُ

- وفي ص ٧٤ يترجم الناشران للمتنبي بقولهما: «المتنبي شاعر حكيم مشهور توفي سنة ٣٥٤هـ»، ونص ترجمة ابن الرومي ص ٦٩: «من كبار شعراء القرن الثالث الهجري»!، وبعض هاتيك التراجم لا تمت إلىٰ المترجم له بصلة ومثالها ما جاء في ص ٧٤: «ابنُ النَّحَّاس:

عَدِّ الكُئُوسَ عَنِ المُحِبِّ فَإِنَّ فِي ... وَجْهِ الحَبِيبِ مُدَامَةٌ تَكْفِيهِ



أَفْعَالُهَا فِي مُقْلَتَيْهِ وَلَوْنُهَا ... فِي وَجْنَتَيْهِ وَطَعْمُهَا فِي فِيهِ

وعلق الناشران على ابن النحاس بقولهما: «من تلاميذ الزجاج، خلف مؤلفات كثيرة في اللغة والأدب، مات سنة ٣٣٨هـ، ترجمته في ابن خلكان ج١ ص٢٩».
وترجمة ابن خلكان التي يشيران إليها هي لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري، وواضح أن أبا جعفر النحاس هذا ليس هو (ابن النحاس) الشاعر الذي استشهد بشعره أسامة فذلك هو أبو نصر ابن النحاس الحلبي، قال العماد في الخريدة ٢/١٧٨: «كان من المجيدين المفيدين المعاصرين لابن سنان الخفاجي، قتل سنة خمسمائة».

- ومن ذلك ما جاء في ١٧٤: «وقال قيس بن ذَرِيح:

أَقُولُ إِذَا نَفْسٌ مِنَ الحُبِّ أَصْعَدَت ... بِهَا زَفْرَةٌ تَعْتَادُنِي وَهِيَ مَا هِيَا

أَلَا لَيْتَ لَيْلَىٰ لَمْ تَكُنْ قَطُّ جَارَتِي ... وَلَمْ تَرَنِي لَيْلَىٰ وَلَمْ أَدْرِ مَا هِيَا

ثم قال:

لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا تَقْنَعَ النَّفْسُ دَونَهَا ... بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَقْنَعَا

وَأَعْذِلُ فِيهَا النَّفْسَ إِذْ حِيلَ دَونَهَا ... وَتَأْبَىٰ إِلَيْهَا النَّفْسُ إِلَّا تَطَلُّعَا

وقد وضع الناشران رقم ١ على قيس بن ذَرِيح ثم علقا عليه بقولهما: «هو مجنون ليلى»!!، وقد مزج الناشران في ترجمة واحدة بين أربعة شعراء، فقد جاء في ص ٦٤: «ابن هانئ المغربي:

إِذَا أَصْلَدُوا أَوْرَىٰ وَإِنْ عَجِلُوا وَنَىٰ ... وَإِنْ بَخِلُوا أَعْطَىٰ وَإِنْ غَدَرُوا أَوْفَىٰ

فَلِلْجُودِ مَا أَفْنَىٰ وَلِلْمَجْدِ مَا ابْتَنَىٰ ... وَلِلنَّاسِ مَا أَبْدَىٰ وَلِله مَا أَخْفَىٰ



وترجم الناشران لابن هانئ بقولهما: «هو محمد بن إبراهيم بن هانئ أبو القاسم المغربي من شعراء الخلفاء الفاطميين، توفي سنة ٥٦٥هـ، النجوم الزاهرة ج٥ ص ٣٨٣». وهذا خطأ فإن ابن هانئ الذي أنشد له أسامة ليس هو الذي ترجم له صاحب النجوم الزاهرة تلك الترجمة التي نقلها الناشران. فهذا متأخر، وإنما المراد به شاعر المُعِز الذي ترجم له صاحب النجوم الزاهرة في ج ٤ ص ٦٧ في حوادث سنة ٣٦٢هـ قال: «وفيها توفي محمد بن هانئ أبو القاسم وقيل أبو الحسن الأزدي الأندلسي الشاعر المشهور وكان أبوه هانئ من قرىٰ المهدية بإفريقية، وكان شاعرًا أديبًا، وكان ماهرًا في الأدب، حافظًا لأشعار العرب وأخبارهم... وقصته طويلة إلىٰ أن قتل ببُرْقَة في عَوْدِه إلىٰ المغرب من مصر بعد أن مدح المعز العبيدي بغرر المدائح... وكان موته في شهر رجب».

ومحمد بن هانئ المتأخر ينسب إلىٰ هذا، قال العماد في ترجمة ٢٤٨/١ - ٢٨١ من شعراء مصر: «هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن مفضل الأزدي الأندلسي موضعه مع شعراء الأندلس، واتفق إيراده هاهنا وينسب إلىٰ ابن هانئ المغربي الأندلسي، كان في العصر الأقرب وهو معروف بالنظم المهذب، وتوفي في أيام الصالح بن زُرِّيك قبل سنة ستين علىٰ ما سمعته من المصريين».

وقد ورد البيتان في ديوان ابن هانئ ص ٤٤٨ وفيها: (ارْتَأَىٰ) بدلًا من (وَنَىٰ)، والشطر الأول من البيت الثاني: (فَلِلْمَجْدِ مَا أَبْقَىٰ وَلِلْجُودِ مَا اقْتَنَىٰ).

- وجاء في ص ١٣٥: «الحسن بن هانئ المغربي:

وَقَالُوا: عَزَاءٌ لَيْسَ لِلْموتِ مَدْفَعٌ ... فَقُلْتُ: وَلَا لِلْحُزْنِ إِذْ مَاتَ مَدْفَعُ

وله أيضًا:

حَقِيقٌ حَقِيقٌ وَجَدْتَ السُّلُوَّ ... فَقُلْتُ لَهُنَّ مُحَالٌ مُحَال



وفي هامش الصفحة: «سبق التعريف به»، وهذا خطأ فإن الحسن بن هانئ هذا هو أبو نواس، و (المغربي) في آخره خطأ محض، وقديمًا قال المؤرخون إنما قيل له (المغربي) ليميز عن ابن هانئ المشهور بأبي نواس.

- وجاء في ص ٢٢١: «وقال ابن المغربي:

حَتَّىٰ إِذَا مَا أَرَادَ اللهُ يُسْعِدُنِي رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ النَّاسَ فِي رَجُلِ

وَلَسْتَ مِنْ سَخَطِهِ المُرْدِي عَلَىٰ خَطَرٍ مَا دُمْتَ مِنْ عَفْوِهِ المُحْيِي عَلَىٰ أَمَلِ

إِذَا سَطَا بَادَرَتْ هَامٌ مَصَارِعَهَا كَأَنَّمَا تَتَلَقَّىٰ الأَرْضَ بالقُبَلِ

وعلق الناشران علىٰ (ابن المغربي) بقولهما: «سبقت ترجمته». وهذا خطأ فلم تسبق ترجمته لأنه ليس المراد به ابن هانئ المغربي، وإنما المراد به (الوزير المغربي) قائل هذه الأبيات كما في معاهد التنصيص ٤/ ٨٢ وهو أبو القاسم: الحسين بن علي (٣٧٠ - ٤١٨ هـ) مؤلف كتاب (مختصر إصلاح المنطق وأدب الخواص) ترجمته في ابن خلكان ١/ ٤٢٨-٤٣٣، معجم الأدباء لياقوت طبعة هندية ٤/ ٦٠ ودمية القصر ٤٠ .

ويبدو أن الناشرَيْن قد ضاقا ذرعًا بما تقتضيه (أصول النشر العلمي الصحيح) من الرجوع إلىٰ الدواوين وإثبات أوجه الخلاف بينها وبين أبيات الكتاب. ومن الشواهد علىٰ ذلك ماجاء في:

- ص ١٩ (لِمِهْيَار الدَّيْلَمِي):

يَا مَنْزِلًا لَعِبَ الزَّمَانُ بِهِ وَبَكَىٰ الحَمَامُ بِهِ كَمَا غَنَّىٰ

كُنَّا نَعُوجُ مُسَلِّمِينَ بِهِ فَاليَوْمَ سَلَّمْنَا وَمَا عُجْنَا

إِنْ زَارَ دَارَكَ عَنْ مُرَاقَبَةٍ حَيًّا وَإِنْ هُوَ لَمْ يَزُرْ حَنَّا



ولو رجعا إلىٰ ديوانه ٤/ ٦٩ لألفيا رواية الشطر الأول (طَلٌّ تنكَّر بَعْدَ مَعْرِفَةٍ)، ولوجدا بعد البيت الثاني هذا البيت الذي يتم المعنىٰ:

أَفَتُنْكِرِينَ وَأَنْتِ قَاصِيَةٌ صَبًّا رَعَىٰ لَكِ رَعِيَّة الأدْنَىٰ

- ومنها ص ٢٢: «وقال الأعشىٰ:

وَرَأَيْتُ أَنَّ الشَّيْبَ جَا نَبَهُ البَشَاشَة والبَشَارَه»

ورواية الديوان ص ١١٢: (ورأت) أي الحبيبة التي يقول عنها قبله:

وتُثِيبُ أَحْيَانًا فتُطْمِعُ ثُمَّ تُدْرِكُهَا الغَرَارَهْ

تَبَلَتْكَ ثَمَّتَ لَمْ تُنِلْكَ علىٰ التَّجَمُّلِ والوَقَارَهْ

وَمَا بِهَا أَلَّا تَكُونَ مِن الثَّوَابِ عَلَىٰ يَسَارَهْ

إِلَّا هَوَانَكَ إِذْ رَأَتْ مِنْ دُونِهَا بَابًا وَدَارَهْ

ثم بيت الشاهد.

- وفي ص ٥٤ «الأعشىٰ:

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَقْلَعَهَا فَلَمْ يُضِرْهَا وَأَوْهَىٰ قَرْنَهُ الوَعِلُ»

ورواية الديوان: (يومًا لِيَفْلِقَهَا).

- وفي ص ٦٣: «قول العباس بن الأحنف:

وِصَالُكُمْ هَجْرٌ وحُبُّكُمْ قِلَىٰ وَإِنْصَافُكُمْ ظُلْمٌ وسِلْمُكُمْ حَرْبُ

ورواية الديوان ص ١٩:

وِصَالُكُمْ صَرْمٌ وَحُبُّكُمْ قِلَىٰ وَعَطْفُكُمْ صَدٌّ وَسِلْمُكُمْ حَرْبُ

- وفي ص ٢٣٩: «المنصور الفقيه:

قَدْ قُلْتُ إِنْ وَصَفُوا الحَيَاةَ فَأَسْرَفُوا ... فِي المَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ

مِنْهَا أَمَانُ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ ... وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنصِفُ

نقله العباس بن الأحنف إلىٰ الغزل فقال:

بَكَىٰ أُنَاسٌ عَلَىٰ الحَيَاةِ وَقَد ... أَفْنَىٰ دُمُوعِي شَوْقِي إِلَىٰ أَجَلِي

أَمُوتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُغَيِّرَنِي الدَّ ... هْرُ فَإِنِّي مِنْهُ عَلَىٰ وَجَلِ»

والذي في ديوانه ص ٢١٧:

أَبْكِي لمَرِّ الأَيَّامِ لَا جَزِعًا ... مِنْ أَجَلِي لَسْتُ سَابِقًا أَجَلِي

لَكِن حِذَارًا مِنْ أَنْ يُغَيِّرَكَ الدَّ ... هْرُ فَإِنِّي مِنْهُ عَلَىٰ وَجَلِ

- وفي ص ٩٢ من شعر الرَّضِي:

ولقد مَرَرْتُ عَلَىٰ دِيَارِهِمُ ... وطُلُولُهَا بِيَدِ البِلَىٰ نَهْبُ

فَوَقَفْتُ حَتَّىٰ عَجَّ مِنْ نَصَبٍ ... نِضْوِي وَلَجَّ بِعَذْلِيَ الرَّكْبُ

وتَلَفَّتَتْ عَيْنِي فَمُذْ خَفِيَتْ ... عَنِّي الدِّيَارُ تَلَفَّتَ القَلْبُ

والذي في ديوانه ١/ ١٤٥: (فَوَقَفْتُ حَتَّىٰ ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ) (... فَمُذْ خَفِيَتْ عَنْهَا الطُّلُولُ).

وكان خليقًا بالناشرين أن يصبرا نفسيهما علىٰ مراجعة نصوص الكتاب في الكتب التي نقل منها المؤلف، وأن يأخذاها بشيء من الريث والأناة ليتسنىٰ لهما إصلاح الخلل الواقع فيها وتقويم المعوج منها، ولكنهما جنحا إلىٰ الهوينىٰ وآثرا الراحة.



ولذلك خرج الكتاب وفيه عديد من الأوهام التي تستعصي علىٰ الأفهام، ولطالما وقفتُ حيالها أعمل الرأي وأدير الفكر، لاستفقه حقيقتها وأتهدىٰ إلىٰ صوابها فكانت تسلس حينًا وتشمس أحيانًا، وأكبر ظني أن الناشرين لم يفهما بعض تلك النصوص، بل لم يحاولا إلىٰ ذلك الفهم سبيلًا، وإن نَفَرًا من قولنا هذا أو ارتاعا به، فليقرآ معنا هذا النص:

- قال أسامة في باب المخالفة ص ١٧٢: «مما يشبه هذا - وهو من الباب بعينه - قول كُثَيِّر:

عَلَىٰ ابنِ أَبِي العَاصِ دِلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ المُسَدِّي نَسْجَهَا وأَذَالَهَا

فقال له: لم لا قلتَ فيَّ كما قلتَ في سليمان بن عبدالملك:

فَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ شَهْبَاءُ يَخْشَىٰ الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا

كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسَ جُنَّة بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعلِمًا أبطالَها

قال: إني وصفته بالخُرْقِ، ووصفتك بالحزم، قال: كلا، ولكنك وصفته بالإقدام ووصفتني بالجبن».

وقد علق الناشران علىٰ بيت كُثَيِّر بقولهما: «ابن أبي العاص يعني عبدالملك بن مروان»!!!!، ما هذا؟.. ماذا أقول؟ لست أدري، إن القلم لا يجري! أجن عبدالملك حتىٰ يقول لكُثَيِّرٍ: لَمَ لَمْ تقل في مدحي كما قلت في مدح سليمان بن عبدالملك؟ ثم.. أليس عبدالملك هو والد سليمان بن عبدالملك؟ وهل كان عبدالملك من الجهل بالشعر إلىٰ حد يجعله ينسب شعر الأعشىٰ المشهور إلىٰ مخاطبه ومعاصره كُثَيِّرُ عزة، وهل كان كثير يقبل ذلك منه؟ ثم ما الذي أقحم سليمان بن عبدالملك في هذه القصة؟!



إن هذه القصة شائعة في كتب الأدب، فقد وردت مثلًا في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٤٥٨، وأمالي المرتضىٰ ١/٢٧٨، ونقد الشعر ٣٢، وأوردها المرزباني في الموشح ص ١٤٥ بسنده: «عن محمد بن سلام قال: قال يونس: أنشد كُثَيِّرٌ عبدالملك مدحته التي يقول فيها:

عَلَىٰ ابْنِ أَبِي العَاصِ دِلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ المُسَدِّي سَرْدَها وأَذَالَهَا

يَؤُودُ ضَعِيفَ القَوْمِ حَمْلُ قَتِيرِهَا وَيَسْتَضْلِعُ القَرْمُ الأَشَمُّ احْتِمَالَهَا

فقال عبدالملك: قول الأعشىٰ لقيس بن معديكرب أحب إِلَيَّ من قولك إذ تقول. . .، وقال ابن أبي خيثمة في حديثه: ألا قلت كما قال الأعشىٰ:

فَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ شَهْبَاءُ يَخْشَىٰ الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا

كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسَ جُنَّة بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَها

فقال: يا أمير المؤمنين وصف الأعشىٰ صاحبه بالطيش والخرق والتغرير، ووصفتك بالحزم والعزم، فأرضاه. قال المرزباني: «رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشىٰ في هذا المعنىٰ علىٰ قول كُثَيِّر، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاختصار علىٰ الأمر الوسط، والأعشىٰ بالغ في وصف الشجاعة حتىٰ جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنَّة، علىٰ أنه وإن كان لبس الجُنَّةِ أولىٰ بالحزم وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشىٰ دليل قوي علىٰ شدة شجاعة صاحبه، لا أن الصواب له ولا لغيره إلا لبس الجنة، وقول كثير يقصر عن الوصف».

- وليقرأ الناشران - أيضًا - هذا النص الوارد في ص ١٨٨: «ومنه قول الراعي:



إِذَا لَمْ تَكُن رُسْلًا تَعُودُ عَلَيْهِمُ　　　مَرَيْنَا لَهم بالشَّوْحَطِ المُثقُوبِ

أخذه الشيخ أبو محمد بن سعيد فقال:

إِنْ أَخْلَقَتْ للضَّيْفِ إِخْلَاقَهَا　　　رَدَّت عَلَيْهِ بالعَرَاقِيبِ»

ولقد حسب الناشران أنهما فهما بيت الراعي عندما علقا عليه بقولهما «مَرَىٰ الناقة يَمْرِيهَا: مسح ضرعها، ومَرَىٰ الشيء: استخرجه. والشَّوْحَطُ: إِنَاء».

وإني أقول لهما إن هذا الشعر بهذا الرسم مستغلق المعنىٰ، بل لا معنىٰ له أصلًا لأنه فاسد المبنىٰ، وما أتىٰ الفساد من قبل الراعي والشيخ، لأنه أراغ لا محالة إلىٰ معنىٰ عربي كريم تعاوره فحول الشعراء. ولكن أين هو هذا المعنىٰ؟.

وصواب بيت الراعي:

إِذَا لَمْ يَكُنْ رِسْلٌ يَعُودُ عَلَيْهِمُ　　　مَرَيْنَا لهم بالشَّوْحَطِ المُتَقَوِّبِ

ويروىٰ: (ضَرَبْنَا لَهُم)، والرِّسْل: اللبن، والشَّوْحَط: شجر الأرز، و المُتَقَوِّب: الذي فيه القُوَبُ وهي الآثار واحدته قُوَبَة، ويريد تلك الآثار التي تحدث في القداح من كثرة ما يضرب بها. يقول الشاعر: إذا لم يكن لنا لبن ضربنا علىٰ الأبل بالقداح المنحوتة من الشَّوْحَطِ فنحرناها.

ثم قال الراعي بعقب هذا البيت:

بِمَكْنُونَةٍ كَالبَيضِ شَانَ مُتُونَها　　　مُتُونُ الحَصَىٰ مِنْ مُعْلَمٍ أو مُعَقَّبِ

بَقَايَا الذُّرَىٰ حَتَّىٰ يَعُودَ عَلَيْهِمُ　　　عَزَالِي سَحَابٍ فِي اغْتِمَاسَةِ كَوْكَبِ

يعني (بالمكنونة) القداح الصغيرة التي تشبه البيض في لينها، وشان متونها متون الحصىٰ لكثرة ما يضرب بها، ومن أجل ذلك يأخذ كفا من حصىٰ فيدلك القدح به



حتىٰ يتقشر ثم يلينه بعد، و(مُعْلَم): عليه علامة، و(مُعَقِّب): عليه عقب، و(العَزَالِي): جمع عَزْلَاء وهي في الأصل: مصب الماء في الراوية والقربة، ثم يقال للسحابة إذا انهمرت في المطر الكثير المتدفق الذي كأنه خرج من فم مَزَادَة، و(الاعتماس): العماية والظلمة.

يقول: مرينا لهم بالشوحط ما بقي من أسنمة الإبل، يريد أنهم ينحرون الإبل فيكون نحرها مكان مري اللبن إلىٰ أن يمطروا بنوء كوكب فيأتيهم الخصب.

وصواب بيت الشيخ أبي محمد بن سعيد هو:

إن أَخْلَفَت لِلضَيْفِ أَخْلَافُهَا ... دَرَّتْ عَلَىٰ الضَّيْفِ العَرَاقِيبُ

وفي هذا المعنىٰ يقول الفرزدق:

مَرَينَا لَهُم بِالقَضْبِ مِنْ قَمَعِ الذُّرَىٰ ... إِذَا الشَّوْلُ لَمْ تُرْزِمْ لِدَرٍّ فِصَالُها

وله أيضًا:

وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ القِرَىٰ لِابْنِ غَالِبٍ ... ذُرَاهَا إِذَا لَمْ يَقْرِ ضَيْفًا دُرُورُها

ويقول الأخطل:

إِذَا لَمْ تَذُدْ أَلْبَانُها عَنْ لُحُومِهَا ... حَلَبْنَا لَهُمْ مِنْهَا بِأَسْيَافِنَا دَمًا

- وليقرأ معنا الناشران ما جاء في ص ٢٩٠: «ومثل قوله:

إِنِّي سَتَرْحَلُ بِالمَطِّيِّ قَصَائِدِي ... حَتَّىٰ تَحَلُّ عَلَىٰ بَنِي وَرْقَاءِ

مِدَحٌ لَهُمْ يَتَوَارَثُونَ بَيَانَهَا ... وَهْنًا وَلَا لَهُمُ بِطُولِ بَقَاءِ

حُلَمَاءُ فِي النَّادِي إِذَا مَا جِئْتَهُم ... جُهَلَاءُ يَوْمَ عَجَاجَة وَلِقَاءِ»

ولست أرتاب في أنهما لم يفهما البيت الثاني علىٰ نحو من الأنحاء، وهل ترك



التحريف فيه معنىٰ يستبين لذي عينين؟ ومن عجب أن تصحيح هذا التحريف ميسور للناشرين لو عرفاه وطلباه، إنه ينادي علىٰ نفسه في صفحة ٣٨١ من ديوان زهير قائلًا:

صَرْحٌ لَهُمْ يَتَوَارَثُونَ ثَنَاءَهَا   رَهْنٌ لِأَوَلِهِم بِطُولِ بَقَاءِ

- وليقرأ الناشران معي هذا الشعر الذي ورد في ص ٩٧ غير منسوب:

تَوَرَّدَ دَمْعِي إِذْ جَرَىٰ وَمُدَامَتِي   فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الكَأْسِ عَيْنَايَ تَشْرَبُ

فَأُقْسِمُ مَا أَدْرِي أَبِالخَمْرِ أَسْبَلَتْ   جُفُونِي أَمْ مِنْ عَبْرَتِي أَنَا أَشْرَبُ»

ليعلما أنهما مرا علىٰ معنىٰ فاسد مرور الكرام - كما كان يقال - وأي فساد أكثر من أن تكون العينان في حالة البكاء شاربتين لدموعهما، ولست أدري ما هو ذلك المعين الذي تشرب منه العينان في حالة البكاء!، وإن كنت أدري أن الصواب الذي يتبادر إلىٰ الأذهان هو: (فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الكَأْسِ عَيْنَايَ تَسْكُبُ) والبيتان لأبي إسحاق الصابي كما في يتيمة الدهر ٢/ ٢٥٧ .

- ومن أمثلة النصوص المستغلقة التي تكد الذهن وتنضي الفكر وتدل أبلغ الدلالة علىٰ أن الناشرين لم يبذلا أي جهد في محاولة استكناه معناها أو تبين فحواها ما جاء في باب (الرشاقة والجهامة) ص ١٦١ قال أسامة: «أما الجهامة فهي الكلمات القبيحة في السمع مثل قول الشَّنْفَرَىٰ:

أَوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دُبْرَهُ   مَحَابِيضُ أرساهُن سامٌ المغيل

فلا خلاف في جهامة هذه الألفاظ إن عرضت علىٰ صاحب ذوق سليم وإن كانت صحيحة المعاني».

لم يعلق الناشران علىٰ هذا البيت بشيء مطلقًا وكأنهما قد اكتفيا بقول أسامة أنها صحيحة المعاني! أو لعلهما قد رأيا أن ألفاظه سهلة وأن معناها واضح لا يفتقر



القارئ إلىٰ شرحه كما افتقر إلىٰ شرح (الغبي) و (الجبان) منهما!

وكان من الممكن للناشرين الفاضلين أن يرجعا إلىٰ لامية العرب المشهورة ما دام أسامة قد أرشدهما إلىٰ البيت للشَّنْفَرَىٰ، إذن لعرفا أن البيت محرف تحريفًا شنيعًا، وأن صوابه:

أَوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ ... مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

ولعلما ما استعصىٰ عليهما من معناه، بل من قراءة ألفاظه وضبطها. و(الخَشْرَم): رئيس النحل، و(المَبْعُوث): الذي انبعث في السير أي أسرع، ووقع في اللسان (٨/ ٤٠٢ بولاق): (المبثوث) وهو تحريف، و(حَثْحَثَ): أي حض وطلب منه الإسراع، (الدَّبْر): جماعة النحل، (المَحَابِض): المَشَاوِر وهي عيدان مُشْتَار العسل، (أَرْدَاهُنَّ): أنزلهن، (سَامٍ): مرتفع عال، (مُعَسِّل): طالب عسل. وفي اللسان: «(أَرْسَاهُنَّ شَارٍ مُعَسِّلُ) أراد بالشاري: الشائر، فقلبه». راجع ذيل الأمالي لأبي علي القالي ٢٠٤، أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري ص ٤٦ .

- وجاء في ص ٢١٨: «وقال المنخل:

قد أتركُ القِرْنَ مضفورًا أنامِلُه ... كَأَنَّهُ مِنْ مَدَامٍ شَارِبٌ ثَمِلُ

وقد ترجم له الناشران بأنه: «شاعر مقل كان ينادم النعمان مع النابغة الذبياني». ولكن المنخل هنا خطأ صوابه (المُتَنَخِّلُ الهُذَلِي) كما في أشعار الهذليين ص ٣٤ القسم الثاني، و (مضفورًا أنامله) خطأ، وصواب البيت: والتَّارِكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ. . .، وجاء في اللسان ٦/ ٤١٨: «وقوله (مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ) يريد أنه نزف دمه فأصفرت أنامله».



- وجاء في باب (الازدواج) ص ١١٣ «ومنه:

سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَىٰ مُدْمَجُ القَرَا ... له حُجُرات مُشْرِفَاتٌ عَلَىٰ الغال

وضع الناشران علىٰ طريقتهما أربعة أرقام علىٰ كلمات هذا البيت ثم وضعا شروح تلك الكلمات في أربعة سطور وكان من الواجب جمع تلك الشروح في رقم واحد لئلا يكبر حجم الكتاب. وجماع تلك الأرقام: «الشَّظَا: عظم بالركبة أو بالذراع أو عصب صغير، والشَّوَىٰ: اليدان والرجلان والأطراف وقحف الرأس»، وقد ترك الناشران شرح كلمة (الحُجُرات) ولكنهما ضبطاها بضم الحاء والجيم!

ثم قالا في تعليقهما علىٰ كلمة (الغال): «كذا وردت ولعلها محرفة عن الغيل وهو الشجر الكثيف الملتف والأجمة»!!. ولو رجع الناشران إلىٰ ص ٣٥٧ من كتاب الصناعتين وهو المصدر الذي نقل منه أسامة لألفيا البيت صحيحًا، (له حَجَبَاتٍ مُشْرِفَاتٍ عَلَىٰ الفَالِ) ولعرفا أن البيت لامرئ القيس وهو ثابت في ديوانه ص ٣٦، وهو له في إعجاز القرآن للباقلاني ١٣٤ والمعاني الكبير لابن قيبة ١/ ١٥١ وروايتهم:

سَلِيمِ الشَّظَا عَبْلِ الشَّوَىٰ شَنِجِ النَّسَا ... له حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَىٰ الفَالِ

الشَّظَا: عظيم صغير في يد الفرس فإذا تحرك قيل: شظىٰ الفرس، والشَّوَىٰ: القوائم، والنَّسَا: عرق، وصفه بالشَّنِج لأنه أصلب له، والحَجَبَات: رؤوس الأوراك، وقوله: (علىٰ الفال): يريد الفَائِل وهو عِرْقٌ عن يمين أصل الذنب ويساره. والمعنىٰ أنه مشرف الكفل فحجباته مشرفة لاتصالها بالكفل.

- وفي ص ١٦٥: قال أسامة في باب المخالفة وهي الخروج عن مذهب الشعراء: «ومثل قول ابن قيس لأبي دَهْبَل الجُمَحِي:

تَجْعَلُ النَّدَ واليَلَنْجُوجَ وَالمِسْـ ... ـكَ صِلاءً لَها عَلَىٰ الكافور



ومعلوم أن الزَّنْجَ علىٰ قبح رائحتهم ونتنها لو تطيبوا ببعض هذا الطيب لطابت رائحتهم، وإنما الحسن قول امرئ القيس:

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لم تُطَيَّبِ»

ولست أدري كيف مر الناشران علىٰ «قول ابن قيس لأبي دَهْبَل الجُمَحِي» دون أن يفطنا إلىٰ الفساد الواضح فيه، فمن ابن قيس هذا الذي قال هذا الشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِي؟ قد يكون من الممكن عقلًا أن يكون المراد به معاصره: عبدالله من قيسِ الرُّقَيَّات ولكن ذلك محال!! استحالة صحة قوله: (صِلَاءً لَهَا عَلَىٰ الكَافُورِ)، وصواب النص: «ومثل قول أبي دَهْبَل الجُمَحِي:

تَجْعَلُ النَّدَ واليَلَنْجُوح والمِسْـ ـكَ صِلاءً لَهَا عَلَىٰ الكَانُونِ»

وقد اضطربت كلمة علماء الأدب قديمًا في نسبة القصيدة التي منها هذا البيت، فنسبها بعضهم لأبي دَهْبَل الجُمَحِي، ونسبها البعض الآخر إلىٰ عبدالرحمن بن حسان، وأغرب أبو الفرج الأصفهاني فرواها في (٦/ ١٦١ بولاق) لأبي دَهْبَل، ورواها في (١٣/ ١٤٩) لعبد الرحمن بن حسان. والذي رجحه ابنُ بَرِّي، والبغدادي في الخزانة: أن الشعر لأبي دَهْبَل. ويروىٰ: (تَجْعَلُ النَّدَّ والأَلُوَّة والمِسْكَ)، والأَلُوَّة: العود الذي يتبخر به. راجع الكامل للمُبَرِّد ١/ ٢٥٥، ذيل الأمالي ١٨٨، خزانة الأدب ٣/ ٢٨٠ .

- وهناك خطأ كبير وقع في أصل الكتاب وغفل عن تصويبه الناشران فقد قال أسامة في باب العبث ص ١٧٧ : «وهو أن يقصد الشاعر شيئًا من بين أشياء من غير فائدة في ذلك، مثل قول النابغة:

فَإِنَّكَ كَالَّلَيْلِ الذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلتُ أَنَّ المُنْتَأَىٰ عَنْكَ وَاسِعُ

عاب النقاد اختصاصه الليل دون النهار، وقالوا: إن الليل والنهار في هذا سواء. ولقد غلط النقاد الذين عابوا ذلك، وذلك أن الأمر إذا كان محتملًا لمعنيين



اختص أحدهما الذي هو أشبه والأرجح، ومعلوم أن هذا الشعر في حال الخوف، والليل بحال الخوف أولىٰ، لأنه يشبه الاستتار والاختفاء، فزال الاعتراض عن هذا البيت وصار مثل قول الغَزِّي:

وبِتْنَا نَذُودُ الوَحْشَ عَنَّا، كَأَنَّنَا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعَا

تُجَافِي عَنِ المَأْثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وتُدْنِي عَلَيَّ السَّابِرِيَّ المُضَلَّعَا

إِذَا أَخَذَتْهَا هِزَّةُ الرَّوْعِ أَمْسَكَتْ بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَىٰ الرَّوْعِ أَرْوَعَا

لما احتمل المأثور أن يكون الحديث والسيف، كان حمله علىٰ السيف أولىٰ لأن الحال حال خوف، بدليل قوله: هزة الروع، ولأنه أراد العفة عنها بوضعه السيف بينهما».

وموضع الخطأ العجيب في (مثل قول الغَزِّي) وفي ترجمة الناشرين لهذا الغزي المزعوم بأنه «هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزي الخراساني، كان يضرب به المثل في جودة شعره وطرافة نظمه، وله ديوان متوسط الحجم بدار الكتب، وقد اتصل بكثير من الأمراء ومدحهم كأبي عبدالله مكرم، وشاهنشاه البويهي، وغياث الدولة من أعيان فارس، وتوفي سنة ٥٢٤ - طبقات الأدباء ٤٦٢».

ولست أدري كيف ضل عن الأستاذين علم نسبة هذه الأبيات المشهورة إلىٰ أشهر شعراء العربية قاطبة، ألا وهو امرؤ القيس!!، إن كل من شدا شيئًا من الأدب العربي يعرف أن هذه الأبيات له وأنها تلي في شهرتها (قِفَا نَبْكِ) ووردت له في عشرات الكتب المؤلفة قبل ميلاد أبي إسحاق الغزي بعديد من القرون، وما كان أسامة بن منقذ ليضل هذا الضلال المبين في نسبة الأبيات إلىٰ الغزي، ولكن الأستاذين قد ضلا عن ذلك التحريف الساذج الذي قلب (الكندي) إلىٰ (الغزي)!!، فليرجع الناشران إلىٰ ديوان امرئ القيس ص ٢٤٢ وليرددا كما ردد الزمان منذ كان امرؤ القيس إلىٰ هذا الأوان:



إِذَا أَخَذَتْهَا هِزَّةُ الرَّوْعِ أَمْسَكَتْ بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَىٰ الهَوْلِ أَرْوَعَا

- وجاء في صفحة ١٦٠ في باب (النادر والبارد): «وذكر في كتاب الصناعتين أن من البارد قول بعض العرب:

أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ وَهِنْدٌ أَتَىٰ مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالبُعْدُ

ولعَبَدَة بنِ الطَّبِيب:

يَحْمِلْنَ أُتْرُجَّةً نَضْحُ العَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيَابَها فِي الأَنْفِ مَشْمُومِ»

وقد ترجم الناشران لعَبَدة بن الطَّبيب علىٰ أنه قائل البيت ولو قد كلفا نفسيهما مراجعة الصناعتين لعلما أن البيت فيه لعَلْقَمَة بن عَبَدة المعروف بعلقمة الفحل، وهو له في ديوانه ص ٨ والموشح ٩١ وعيار الشعر ١٠٥ .

- ومن أوهام الناشرين ما جاء في باب (التطريز) ص ٧٢ «آخر:

إِلَيْكَ طَوَىٰ عَرْضَ البَسِيطَةِ جَاعِلٌ قِصَارَ المَطَايَا أَنْ يَلُوحَ لَهَا القَصْرُ

فَكُنْتُ وَعَزْمِي وَالظَّلَامُ وَصَارِمِي ثَلَاثَةُ أَشْبَاهٍ كَمَا اجْتَمَعَ النَّثْرُ

وبَشَّرتَ آمَالِي بِمُلْكٍ هُوَ الوَرَىٰ وَدَارٍ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمٍ هُوَ الدَّهْرُ

قال الناشران في التعليق علىٰ البيت الثاني: «يلاحظ أن المذكور في البيت أربعة أشياء لا ثلاثة، والذي في القاموس: النَّثْرَة كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما لُطَخٌ بياض كأنه قطعة سحاب»!

وملاحظتهما علىٰ أن المذكور في البيت من المشبهات أربعة أشياء لا ثلاثة ملاحظة صائبة ولو تأملا في الشطر الأول بعض التأمل لعلما أن المشبهات ثلاثة كما قال الشاعر علىٰ التحقيق: (فَكُنْتُ وَعَزْمِي فِي الظَّلَامِ وَصَارِمِي)، ولكن شرحهما لكلمة (النَّثْر) بأنها (النثرة) شرح كله لُطَخٌ سوداء أفسدت المشبه به،



وعكست التشبيه علىٰ الشاعر وجعلته مخرفًا يهذي ويقول: فكنت في الظلام وعزمي وصارمي ثلاثة أشياء كما اجتمع كوكبا النثرة، ومن قال أن (النثر) هو النثرة المذكورة في القاموس؟ ماهذا؟ وكيف هذا؟ لست أدري! ولو صح أن النثر يفسر بالنثرة لكان التفسير الصحيح لها ما ذكره المرزوقي في الأزمنة والأمكنة ١/ ٣١٧: «النثرة وهي كواكب»، ولكن ذلك لا يصح ولم يقل الشاعر النثر بالثاء وإنما قال (النَّسْرُ) بالسين. قال المرزوقي في الأزمنة والأمكنة ٢/ ٣٧٥: «النسر الواقع، كوكب أزهر خلفه كوكبان منه كأنهما وإياه أثافي قِدْر، وكذلك تسميهما العامة، وإنما قيل له (الواقع) لأن الكوكبين اللذين منه بمنزلة جناحيه قد ضمهما إليه ولأن هناك نسرًا آخر يقال له الطائر، وبإزاء النسر الواقع مما يلي الجنوب النسر الطائر ثلاثة كواكب مصطنعة، والأوسط منها هو أنورها وهو النسر والآخران جناحاه وقد بسطهما ولذلك قيل له الطائر، والعامة تسميه الميزان لاستواء كواكبه واصطفافها واعتدال الأوسط فيها بين الآخرين».

- وفي باب (الفساد) ص ١٥٣ يقول أسامة: «ومن ذلك قول عبدالرحمن بن القيس:

وَدِدْتُ إِذَا المَوْتُ حَلَّ بِنَفْسِهَا   يزال بنفسي قَبْلَ ذَاكَ فَأُقْبَرُ

وهذا تناقض لأن القَبْل والبَعْد كقبل فكان، مثل قولهم: إذا مات زيد مات عمرو قبله، وهذا لا يصح.

ومنه قول المَرَّار:

وَخَالٍ عَلَىٰ خَدَّيكِ يَبْدُو كَأَنَّهُ   سَنَا البَرْقِ فِي دَعْجَاءَ بَادٍ دُجُونُهَا

ومعلوم أن الخال أسود، وأما الخد فلا يكون أسود».

وفي هذا النص فساد لم يتبينه الناشران ذلك أن (عبدالرحمن بن القيس) شخص لا حقيقة له، وصوابه (عبدالرحمن القَسُّ) وكذلك سماه قدامة في نقد الشعر ص



١٢٨ وقال أبو الفرج في الأغاني ٦/٨: «عبدالرحمن بن أبي عمار الجُشَمِي الملقب ب (القَسّ) صاحب سَلَّامَة».

وفي النص فساد آخر أحدثه الناشران في شرحهما لكلمة (دَعْجَاء) في بيت المَرَّار إذ قالا: «الدعجاء: أول المحاق وهي ليلة ثمانية وعشرين»، وأشهد أن هذا إفساد عظيم فوق إفساد صاحبه له؛ ومن يدري؟ فلعل هذا الذي أعبر عنه بالإفساد يعطينا لونًا جديدًا من ألوان البلاغة نستطيع تسميته بالتشبيه المؤقت، وكأن الشاعر قد قال: وخال يبدو علىٰ خديك كأنه سنا البرق في ليلة ثمانية وعشرين، وأما الخال في غير تلك الليلة السوداء فلا تشبيه له. وصواب تفسير كلمة (دَعْجَاء) هنا ما جاء في اللسان ٣/٩٦: «ليل أَدْعَجْ، والدُّعْجَةُ في الليل شدة سواده».

- وفي باب المساواة يقول أسامة ص ١٩٥: «وقال ديك الجن:

مُشَعْشَعَةٌ مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ كَأَنَّمَا تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا

فلحقه ابن المعتز فقال:

كَأَنَّ سَدِيفَ الخَمْرِ مِنْ مَاءِ خَدِّهِ وَعُنقُودَهَا مِنْ شَعْرِها الجَعْدِ يُقْطَفُ»

وعلق الناشران علىٰ كلمة (سديف) بقولهما: «السديف: الأسود»!!!، والصواب كما في ديوان ابن المعتز ٢٣٨: «كأن سُلَافَ الخَمْرِ».

وفي هذه المعنىٰ يقول ديك الجن أيضًا:

وَقَهْوَةٍ كَوْكَبُهَا يُزْهِرُ يَنْضَحُ مِنْهَا المِسْكُ وَالعَنْبَرُ
وَرْدِيَّةٌ يَحْتَثُّهَا أَحْوَرُ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تُعْصَرُ

ويقول أبو الهيجاء الأصفهاني:

وَسَاقٍ بِتُّ أَشْرَبُ مِنْ يَدَيْهِ مُشَعْشَعَةً بِلَوْنٍ كَالنَّجِيعِ



فَحُمْرَتُهَا وَحُمْرَةُ وَجْنَتَيْهِ ... وَنُورُ الكَأْسِ فِي نَارِ الشُّمُوعِ
ضِيَاءٌ حَارَتِ الأَبْصَارُ فِيهِ ... بَدِيعٌ فِي بَدِيعٍ فِي بَدِيعِ

ويقول أبو طاهر بن حيدر:

لَسْتُ أَدْرِي أَمِنْ خُدُودِ الغَوَانِي ... سَبَكُوهَا أَمْ أَدْمُعِ العُشَّاقِ

وآخر من عرض لهذا المعنىٰ فيما أعلم هو حافظ إبراهيم حيث يقول:

خَمْرَةٌ قِيلَ إِنَهُمْ عَصَرُوهَا ... مِنْ خُدُودِ المِلَاحِ فِي يَوْمِ عُرْسِ

- وفي صفحة ١٦٧: «وأحسن من هذا التمني قول آخر:

عَلِقتُ بِلَيْلَىٰ وَهِيَ ذَاتُ مُوصَّدٍ ... وَلَمْ يَبْدُ لِلأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ
صَغِيرَيْنِ نَرْعَىٰ البَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا ... إِلَىٰ اليَوْمِ لَمْ نَكْبَرْ وَلَمْ تَكْبَرِ البَهْمُ

شرح الناشران (وَهِيَ ذَاتُ مُوصَّدٍ) بقولهما: «الموصد: الخدر».

وهو تفسير فاسد والصواب ما جاء في اللسان ٤/ ٣٩: «والموصد: صِدَار تلبسه الجارية فإذا أدركت دَرَّعَت، وأنشد ابن الأعرابي لكثير:

وَقَدْ دَرَّعُوهَا وَهِيَ ذَاتُ مُوَصَّدٍ ... مَجُوبٍ وَلَمَّاً تَلْبَسِ الدِّرْعَ رِيدُهَا»

والبيت لمجنون ليلىٰ كما في ديوان المعاني ١/ ٢٨١ .

- ويلي النص السابق في الصفحة نفسها: «ومن قول ابن أبي ربيعة:

وإذا تَلْسِنُنِي أَلْسِنُهَا ... إِنَّنِي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِرِ

وكل ما علق به الناشران علىٰ هذا البيت أنها قالا: «لم يرو هذا البيت في ديوانه». والبيت ليس لابن أبي ربيعة، وقد ورد في الصناعتين منسوبًا لطرفة صر

٨٣ وهو في ديوانه ٦٥، و إصلاح المنطق ٢١، ٦٤، واللسان ٦/ ٣٦٩، ١٧/ ٢٧١ أنشده شاهدًا علىٰ أن: لَسَنَهُ لَسْنًا: أخذه بلسانه، وأن معنىٰ رجل فَقِر: أي يشتكي فَقَارَه، يعني خرزات ظهره.

- وجاء في باب (الحل والعقد) ص ٢٦٣ أثناء حديثه عن نثر الكُتَّاب لمعاني شعر المتنبي: «وقوله أيضًا:

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ   قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ

نثره الصَّابِي فقال: وصل كتابَ مولانا فكأنه في الحسن روضة حَزْنٍ، بل جنة عدن. وفي شرح وبردِ الأكبادِ والقلوبُ النفس وبسط الأنس قميص يوسف في أجفان يعقوب».

في هذا النص اضطرابٌ كبير وتخليط عظيم وخطأ في نسبة هذا النثر إلىٰ الصَّابِي، ولقد أتىٰ هذا الخطأ من أسامة، وآية ذلك أن أبا منصور الثعالبي قال في اليتيمة ١/ ١٤٣ بعد ذكر ما نثره الصاحب والصَّابِي من شعر المتنبي: «وإذا كان هذان الصدران المقدمان علىٰ بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما، فما الظن بغيرهما... وممن يحذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضَّبِّي، وما أظرف ما قرأت له في كتابه إلىٰ أبي سعيد الشبيبي: «وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين، فكان في الحسن: روضة حزن بل جنة عدن، وفي شرح النفس وبسط الأنس: برد الأكباد والقلوب، وقميص يوسف إلىٰ أجفان يعقوب، وهو من بيت أبي الطيب:

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ   قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ»

وكم لأسامة من أوهام علىٰ هذا المنوال، وقعت منه في القاعدة والمثال.



الفهارس التفصيلية





مجلة الأزهر



مجلة المجمع العلمي العربي

مجلة الرسالة









مجلة الثقافة





مجلة الكِتاب







مجلة معهد المخطوطات العربية

مجلة المجلة





فهرس الآيات





فهرس الأحاديث





فهرس الأعلام(١)

(١) وقد اقتصرت فيه علىٰ الأعلام التي تعرض لهم السيد أحمد صقر بنقد أو ترجمة.





فهرس الكتب(١)

(١) وقد اقتصرت فيه علىٰ الكتب التي تعرض لها السيد أحمد صقر بنقد أو تعريف.



قالوا في السيد أحمد صقر - رحمه الله -

❖ قال عنه المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله تعالى - :

" والأستاذ الأديب السيد أحمد صقر مني بمنزلة الأخ الأصغر، نشأ معي، وعرفته وعرفني ، وتأدبنا بأدب واحد في العلم والبحث، وفي فقه المسائل، والحرص على التقصي ما استطعنا ، وإن له مدى مديداً في الاطلاع والتقصي ، ونفذات صادقة في الدقائق والمعضلات، يندر أن توجد في أنداده، بل في كثير من شيوخه وأستاذيه ، وهو أنفذ بصراً مني في (الشِّعْر) وما إليه " .

❖ قال عنه الدكتور محمود الطناحي - رحمه الله تعالى - :

" والأستاذ السيد أحمد صقر أديب من الطراز الأول، ولو أنه أطلق لملكاته الأدبية العنان، لكان من كبار أدباء العربية ، وهو من أقدر الناس على تقديم كتاب، وتقويم نص ، وتوثيق نقل، وتخريج شاهد واستقصاء خبر، ثم إن له من وراء ذلك كله علماً جامعاً بالمكتبة العربية، وإدراكاً للعلائق بين الكتب " .





المملكة العربية السعودية - الرياض
تلفون : ٢٦٧٨٨٧٨ ١ ٩٦٦+ فاكس : ٤٢٨٠٤٠٤ ١ ٩٦٦+
E-mail : dar.attawheed.pub.sa@gmail.com

